KÖPRÜLÜ KÜT.
80


KÖPRÜLÜ KÜT.
80


قاضی بیضاوی

تفسير قاضي

وتؤلك قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم فسار على لفظ الماضي

في حديث معاوية انه كتب الى ملك الروم لاجعلن القسطنطينية البحرة حممة سوداء وصفها بذكر لبخار البحر

ذكر كلمات يأمن بها الخائف من السلطان يقرؤه الذي يعوي وانت داخل عليه او قاعد عنده في نفسك

ما قدم الاحسان

ذكر كلمات تقعد بها عنك لسان السلطان تقول عند الدخول عليه اليوم نختم على افواههم ولا يؤذن لهم فيعتذرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون ولا يعقلون

وجدته منه بالاهل محمد محمد الغزالي

لابن الوردي

ذمّ ولاة الامور صعب — وشغلنا الحجر فعله

خلعت ثوب القضاء عمدا — ولم اكن فيه بالظلوم

ارذل جاه القضاء — كان في الجاه بالعلوم

[illegible]

مراد الناس سفينة المجد

صرّح الامام وهو من

العروس البناء

[illegible]

مراد الناس سفينة لم يجد مساناها

[illegible]

لقي الناس ليس يفيد شيئا — سوى الهذيان من قيل وقال

فاقلل من لقاء الناس الا — لاخذ العلم او اصلاح حال

[illegible]

عن وهب رحمه الله ان موسى وهرون عليهما السلام لما دخلا دار فرعون ووقفا بين يديه لقن الله تعالى موسى دعوة دعا بها
لا اله الا الله الحليم الكريم وسبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين اللهم انى
ادرأ بك فى نحره واعوذ بك من شره واستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت فتحول ما فى قلب موسى من الخوف امنا فخوّل
ما فى قلب فرعون من الامن خوفا فمن دعا بهذا الدعاء وهو خائف آمنه الله ونفس كربته وحقق عنه كرب الموت
تفسير الثعلبى فى سورة الاعراف

فى اول القصص من الكشاف كيف يجتمع استضعافهم
وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله شيئا كان ولم يتوقف
الى وقت آخر واجاب المحشى بانه لا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف
مقارنة المراد لجواز ان يكون تعلق الارادة به تعلقا استقباليا

قال ابو حيان فى تفسير سورة الانشقاق
واوحسا الله فى اول الحجرات من سورة
بناء المصدر للمفعول الذى لم يسم
فاعله مختلف فيه اجازه الاخفش
والصحيح منعه

جزم القاضى ابو بكر بن العربى فى الاحكام فى سورة المائدة
بتحريم اخذ الفال فى المصحف ونقله القرافى عن الطرطوشى
واقره واباحه ابن بطة من الحنابلة ومقتضى مذهبنا كراهته
وذكره فى الروض

لم يذكر المحشى معنى الاختبار للبلاء فى البقرة فى سورة هنالك بالبخل على العدو
والجمع على تقدير ولا باس فان الاول معروف فى الكشاف عن بحر

مقابل كان شيخ المرجئة
كتبه فى التزى فى
يكفر الله عنهم اسوا الذى عملوا

من الايات

محى الدين السبكى

ان الولاة ليس فيها راحة
حكم بحق او ازالة باطل
الا لثلث يبتغيها العاقل
او نفع محتاج سواها باطل

المظالم لا تغفر بالايمان
فى اول الاحقاف

عليكم بحسن الخط فانه
من مفاتيح الرزق
وقال

الكاف فى كذلك منع للمبالغ وهذا اللفظ مطرد فى عرف العرب والعجم
كشاف فى اول الاحقاف

دجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ
لا تتغير طعمها فى اواخر الفرقان فى تفسير
وهو الذى مرج البحرين

قال بعضهم الحمد لله الذى اوجدنى وجعلنى ممن يشتهى
فكم من مشتهى لا يجد وواجد لا يشتهى
كشاف فى سبا

واو الاستئناف
فى آخر سورة محمد صلى الله عليه وسلم

الفصل الى خاتمة تفاعيلها كلها على مستفعلن
ومحكم عليها بانها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد
على مستفعلن كانت من الكامل

الباء الزائدة لا تمنع من عمل ما بعدها
فيما قبلها فى الطور

محمد محمد محمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الخلق اجمعين كما فى حديث مسلم وارسلت الى الخلق كافة وفسر بالانس والجن
كما فسر به من بلغ فى قوله واوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ اى بلغه القرآن والعالمين فى قوله تعالى نزل الفرقان
على عبده ليكون للعالمين نذيرا وصرح الحليمى والبيهقى فى الباب الرابع من شعب الايمان بانه صلى الله عليه وسلم لم يرسل الى
الملائكة وفى الباب الخامس عشر بانفكاكه عن شرعه وفى تفسيرى الامام الرازى والبرهان النسفى حكاية الاجماع فى
الكبر الثانى على

عبد الله بن عمر بن محمد بن على ابو الخير القاضى ناصر الدين البيضاوى صاحب الطوالع والمصباح فى اصول الدين والغاية القصوى فى الفقه
والمنهاج فى اصول الفقه ومختصر الكشاف فى التفسير وشرح المصابيح فى الحديث كان اماما مبرزا نظارا صالحا متعبدا زاهدا ولى قضاء
القضاة بشيراز ودخل تبريز وناظر بها وصادف دخوله اليها مجلس درس قد عقد بها لبعض الفضلاء فجلس القاضى ناصر الدين فى اخريات القوم بحيث
لم يعلم به احد فذكر المدرس نكتة زعم ان احدا من الحاضرين لا يقدر على جوابها وطلب من القوم حلها والجواب عنها فان لم يقدروا على الحل فالحل فان لم يقدروا فالاعادة
فلما استفتح فى ذكرها شرع القاضى ناصر الدين فى الجواب فقال لا اسمع حتى اعلم انك فهمتها فخيره بين اعادتها بلفظها او بمعناها فبهت المدرس وقال اعدها
بلفظها فاعادها ثم حلها وبين ان فى تركيبه اياها خللا ثم اجاب عنها وقابلها فى الحال بمثلها ودعا المدرس الى حلها فتعذر عليه ذلك فاقامه الوزير من مجلسه
واجلسه الى جانبه ... انه البيضاوى وانه جاء فى طلب القضاء بشيراز فاكرمه وخلع عليه ... وقضى حاجته فى طبقات السبكى

توفى المصنف رحمه الله فى سنة احدى وتسعين
وستمائة وهو صاحب المنهاج فى اصول الفقه والمصباح
فى اصول الدين والطوالع والمصباح وعبر ذكره ... الفقه
الغصوى فى الفقه قال ... العضد الذى ... على ما يد
الملت فى الخرج ... تبريز فى
السبكى ... حاشية العقود فى الحشا

ذكر الشيخ عبد الرحمن الانطاكى البسطامى الحنفى فى مصنفه
فى تاريخ عن بعض العلماء انه قال اذا وصل الزمان الى الشين والدال والسين
والسين والتسعين ... وذكر عدد اسم ... رفيع الدرجات تقوم الساعة

اسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه
كان بالمدينة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين ... الكبير
فى الاحقاف

اسامى ابنائه ...
...
...

والله اعلم

في خاطر

البقاعي في تفسيره ... وما يستوي الأعمى والبصير
نجد بعض العمي يمشي بلا قائد في الأزقة المشكلة وآخر لا يقدر
على المشي في بيته إلا بقائد وآخر يدرك من الكتاب إذا جسّه
كم مسطرته من سطر وهل خطه حسن أم لا وآخر يدرك
الأرض الرديئة من غيره والمستبين ضرب كل بلا من غيره وربما
نازع أحد مخالطيه فلا يقدر التشكك

ذلت وأبارت رجلا بصيرا فاقد البصر يلعب بالشطرنج لعبا جيدا ويميز بين أسبابه وأسباب خصمه بجد اللمس ويدرك بين النطع ... انتهى

الثامن من مواضع وجوب كسر أن أن تقع بعد حيث نحو جلست حيث
إنه فاضل قال بعض النحويين وهذا وقع عوام
الفقهاء بفتح أن بعدها قلت يلزم من أجاز
إضافة حيث إلى المفرد وهو الكسائي
أن يجيز فتح أن بعدها الخ

اسماء القراء السبعة مع رواتهم

- نافع: قالون، ورش
- ابن كثير: بزي، قنبل
- أبو عمرو: دوري، سوسي
- عاصم: حفص، أبو بكر شعبة
- ابن عامر: هشام، ابن ذكوان
- حمزة: خلاد، خلف
- كسائي: أبو الحارث، حفص دوري

وأورد المصنف إماما آخر فيذكر قراءته في مواضع كما يذكر قراءات السبعة المذكورين وهو أبو محمد يعقوب
الحضرمي البصري وله راويان مشهوران أيضا روح ورويس وأراد المصنف بقراء البصريين
أراد بهما أبا عمرو ويعقوب كما أراد بالحجازيين نافعا وابن كثير رحمهم الله

تعريف السورة في تفسير ... فأتوا بسورة من مثله

قال الجعبري حد السورة قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة
وأقلها ثلاث آيات وقال غيره السورة الطائفة المترجمة
توقيفا أي مسماة باسم خاص بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم
وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار
إتقان

هو الحي

1

المذكور في الكشاف تسعة اسماء للفاتحة سورة فاتحة الكتاب
ام القرآن سورة الكنز الوافية سورة الحمد المثاني
سورة الصلوة سورة الشفاء الشافية وزاد القاضي
الاساس الكافية سورة الشكر سورة الدعاء سورة تعليم المسئلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق من آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الآيات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه رأسه واطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا

وبعد فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل المتأخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التأويل فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل سؤل

سورة فاتحة الكتاب

وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدؤه فكانها اصله ومنشؤه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه السلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم

ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص

بسم الله الرحمن الرحيم وهي من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلهما اختلف في انها آية برأسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه ويدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله تعالى بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده الى آخر السورة مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى تبارك اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال باسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة

بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء
عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه يختص
بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه من اله الهة والوهة
والوهية بمعنى عبد ومنه تاله واستاله وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته او من الهت
الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر
نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع
بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله فكان اصله ولاه فقلبت
الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه وقيل الاه كاعاء واشاح ويرده الجمع على الهة دون
اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لان الله تعالى محجوب عن ادراك
الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار
وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح
له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن
لانه لا يمنع الشركة والحق انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل
الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان
ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو
دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو
كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله
لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة
وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر
الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال **الرحمن الرحيم** اسمان بنيا
للمبالغة من رحم كغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان
ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون
انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وذلك انما يؤخذ تارة
باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه
يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما
النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار
كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من

عداه فهو مستفيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيل رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه
كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها
والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم
واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤوس الآي والاظهر انه
غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا له بما هو الغالب في بابه وانما خص
التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي
هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره اي نفسه حرصا ومحبته الى
جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره **الحمد لله** الحمد هو الثناء
على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا يقول حمدت زيدا على علمه وكرمه
ولا يقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال
افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر اما انه اعم لان مورده
اعم واما انه اخص لاختصاصه بمقابلة النعم دونهما ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء
الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله
من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما
عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال
مضمرة لا يكاد يستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد في
الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او غير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى
حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما
من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة **رب العالمين** الرب في الاصل بمعنى التربية وهي
تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك
نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك
والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع اي فيما يستدل به على الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر
والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته يدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة
وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله
لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عنى به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم
الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى

وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل
على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها **الرحمن الرحيم** كرره للتعليل
على ما سنذكره **مالك يوم الدين** قراءة عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله والباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم
ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين
من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا
على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم
يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم
على وجه الاستمرار ليكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة
والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف
على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها واجلها مالكا لامورهم يوم الثواب
والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم
على الوصف يشعر بعليته له والاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد
فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد والثاني والثالث للدلالة
على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد
والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين
اياك نعبد واياك نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها
عن سائر الذوات تعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون
ادل على الاختصاص وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بني اول الكلام على ما هو مبادي حال
العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمايه والنظر في آلائه والاستدلال بصنايعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو
منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من
الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له
وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد
ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي
الاسود واياك ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة

لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب
اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضماير وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل
تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء
والعبادة غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل
الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه
كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول مادة وآلة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف
بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه
عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف فالمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن
هو نحن في الفعلين للقاري ومن معه من الحفظة وحاضري الجماعة او له ولساير الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف
عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام
به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه
على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من
حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب
القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه
ولذلك فضل ما حكاه الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه قال ان معي ربي سيهدين
وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الآي ويعلم منه ان
تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا
منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه
وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف
المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها **اهدنا الصراط المستقيم** بيان للمعونة المطلوبة
فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير
وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى
باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر
في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة
والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلايل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال
وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها
عنى بقوله وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على

قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء
واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب
اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا
طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء
يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة اى يتفاوتان بالعلو والدنو والسراط
من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسترط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا
ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرا ابن كثير في رواية ابن
قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام
وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل ملة
الاسلام **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل
من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة
على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم
ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام
قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها
الانسان فاطلقت لما يستلذ من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني
كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى
الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها
بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المستحسنة وحصول الجاه والمال
والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الابدين والمراد هو القسم
الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر **غير المغضوب**
عليهم ولا الضالين بدل من الذين او صفة له مبينة او مقيدة على معنى ان المنعم
عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به
معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة
بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون لان غير السكون
هو الحركة فقط وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر
النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية

على

على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل الى مفعول ما لم يسم فاعله بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد
ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا
زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا
او خطاء وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم
من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي
مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع
بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل
بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب عليه والمخل بالعقل جاهل ضال لقوله فماذا بعد
الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين **آمين**
اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح
كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا
بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة
الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده
يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وايل بن حجر انه عليه السلام كان اذا قرا ولا الضالين قال آمين
ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله ابن مغفل وانس والماموم
يؤمن معه لقوله عليه السلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة يقول آمين وان الامام
يقول آمين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لابي الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها
السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك
فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا حرفا منها الا اعطيته وعن
حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم
في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية

وآيها مايتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم وساير الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من
التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود انه عليه السلام
قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف
فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كان

مسميا تها حروفا وُحدانا وهي مركبة صُدّرت اسامي بها ليكون تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان

الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة

اياه معرضة له اذ لم يناسب مبنيّ الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء

ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسايطه التي تتركب منها افتتحت السورة بطايفة منها ايقاظا لمن تحدّى بالقرآن

وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم

وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء

الحروف مختص بمن خطّ ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة

والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفايق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر

اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعدّ الالف فيها حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عدّ فيها الالف

مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها

الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية

المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي

الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف مضطرب عند

خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين اليا لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد

الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها

الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها

اجد طويت منها الستة الشايعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في

اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في اجداف والعين في اعن والشاء في ثروغ الدلو والباء في

باسمك حتى صارت ثمانية عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والحاء والغين والضاد والظاء والشين

والزاء والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيها وهي الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين

واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا يدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي

الميم والزاء والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة ويجمعها

رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما

ولما كانت ابنية المزيد لا يتجاوز عن السباعية ذكر من الزوايد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف

منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها

مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة

ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم

والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير الحذف كمن وبه

كم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال كقل

وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جرّ بها وثلث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة في ثلثة عشر سورة

تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على

ان لكل منها اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعدّ باجمعها في اول القرآن

لهذه الفايدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه

الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب

فلو لم يكن وحيا من الله لم يتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه اي على انها اسماء السور بانها لو لم يكن

مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما

امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد به السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل

لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم

لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان يكون مزيدة للتنبيه والدلالة

على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب واشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله

قلت لها قفي فقالت قاف كما روي عن ابن عباس انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ونون

مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في ساير الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم

من محمد اي القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما السلام او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قال

ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود وتلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى

وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا

ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم

يكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس او دالة

على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسايط اسماء الله ومادة خطابه هذا وان القول بانها

اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكر عندهم ويؤدي الى اتحاد

الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم يتاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ

لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي

ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم يستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم واما الشعر فشاذ واما قول

ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عدّ كل حرف

من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فيلحق

بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج
الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلاثة اسماء انما يمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما
اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطايفة من اسماء
حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته مؤخر باعتبار كونه اسما
فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطايف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام
من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب
والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ولعله اراد
يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة
وهي آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثره الله
بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله
ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان لها
حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كما ذكر
او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية
ليس الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه
الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء والخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على
اللغتين في الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة
منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف
التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها
والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال
للقياس فيه **ذلك الكتاب** ذلك اشارة الى الم ان أوّل بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او
القرآن فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه وصار متباعدا اشير اليه بما يشار الى البعيد وتذكيره
متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به
الكتاب الموعود انزاله بنحو قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو مصدر
سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم عبر به عن المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب
واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة **لا ريب فيه** معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب
العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة

نجم من نجومه وبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة
وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي
والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق
النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب
الزمان لنوائبه **هدى للمتقين** يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى
ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال الله تعالى لعلى هدى او في
ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به و
المنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس او لانه
لا ينتفع بالتأمل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء
الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك
عن بيان تعيين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع
اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله
تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف
باسم التقوى في الشرع وهو المعني بقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل
سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله واتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله
هدى للمتقين على الاوجه الثلاثة واعلم ان الآية يحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن
او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل
على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تأليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب
صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهور مبني
لتضمنه معنى من منصوب المحل بلا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي
قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد
تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر
محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه هدى وان يكون
ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره
والجملة خبر الم او يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفته والاولى ان يقال
انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على

ان المتحدى به هو المولف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدى بانه الكتاب
المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفى الريب عنه لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له
مبتدأ رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله او يستتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع الدليل للمدلول
وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه
الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان
كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفى كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففى الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل
وفى الثانية فخامة التعريف وفى الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفى الرابعة الحذف والتوصيف
بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى
متقيا ايجازا وتفخيما لشانه **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة
مقيدة ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغى مترتبة عليه ترتب التحلية والتصوير على التصقيل وصحة ان فسر بما يعم فعل
الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها
امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لساير الطاعات والتجنب عن المعاصى غالبا
الا ترى فى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة
الاسلام او مادحة بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهار لفضلها على ساير ما يدخل
تحت صفة التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعنى او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره
اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان فى اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان آمن
المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق
صار ذا امن ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن فى يؤمنون بالغيب واما فى الشرع فالتصديق
بما علم بالضرورة انه من دين محمد عليه السلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق
والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق
ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل
فى الكفر عند المعتزلة والذى يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب فى قلوبهم
الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح فى مواضع لا تحصى وقرنه
بالمعاصى فقال وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الذين آمنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين للارادة فى الآية اذ المعدى بالباء
هو التصديق وفاقا ثم اختلف فى ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد من اقتران الاقرار به للمتمكن
منه ولعل الحق هو الثانى لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار

والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة فى قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب يسمى المطمئن من الارض والخمصة التى
تلى الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفى الذى لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل
عليه وهو المعنى بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله
وهو المراد فى الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان
بمعنى الغيبة والخفا والمعنى انهم يؤمنون غايبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا
الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روى ان ابن مسعود قال والذى لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان
بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم
فالباء على الاول للتعدية وعلى الثانى للمصاحبة وعلى الثالث للآلة **وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ** اى يعدلون اركانها
ويحفظونها من ان يقع زيغ فى افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت
واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كان
كالنافق الذى يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم
قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها
على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على
ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرايض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله
لا المصلون الذين هم عن صلوتهم ساهون ولذلك ذكر فى سياق المدح والمقيمين الصلوة وفى معرض الذم فويل للمصلين
والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وسمى الفعل المخصوص بها لاشتماله على
الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعله فى ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ فى المعنى الثانى
مع عدم اشتهاره فى الاول لا يقدح فى نقله عنه وانما سمى الداعى مصليا تشبيها له فى تخشعه بالراكع والساجد **وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** الرزق لغة الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه
بتخصيص الشىء بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به
وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق
الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه
حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم
بالحلال للقرينة وتمسكوا بشمول الرزق له بقوله عليه السلام فى حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت
ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذى به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى
وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وانفق الشىء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه
فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من انفاق ما رزقهم الله صرف المال فى سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسر

بالزكوة ذكرا افضل انواعه والاصل فيه او خصصه به لاقترانه بما هو شقيقها وتقدم المفعول للاهتمام به والمحافظة
على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهى عنه وجايز ان يراد به الانفاق من جميع المعارف التي اتاهم الله تعالى
من النعم الظاهرة والباطنة ويويده قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به
من انوار المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك**
هم مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين
دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا
للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الكتاب
ويحتمل ان يراد بهم الاولون بعينهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة
والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها
على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طايفة منهم وهم مومنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر
جبريل وميكايل بعد الملايكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني
بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا
روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ وينزل به فيلقيه على الرسول والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن
آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة
الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا
حينئذ وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وغيرهما من الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون
الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج و
فساد المعاش **وبالآخرة هم يوقنون** اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة
لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من
جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل
الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه
بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم البارى ولا العلوم الضرورية والآخرة تانيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى
تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة
لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الي مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود
اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين
خبر له فكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآيات والا فاستيناف

لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سايل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى
ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو
ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب
له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم
امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على
محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا واي
الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة
وبغير غنة **واولئك هم المفلحون** كرر اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي
كل واحد من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا
بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهايم شيء واحد
فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويوكد النسبة ويفيد اختصاص
المسند بالمسند اليه او مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفايز بالمطلوب كانه الذي انفتحت
له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلي يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين
للدلالة على ان المتقين هم الناس الذي بلغك انهم المفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين
وخصوصياتهم تنبيه تامل كيف نبه سبحانه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى وبناء الكلام على
اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد
تشبث به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح
ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا **ان الذين كفروا** لما ذكر خاصة عباده
وخالصة اوليايه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى
ولا يغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المومنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار
لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم
في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه
والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا
بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية
للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر
كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحروف وفايدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر
بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له

في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قايم اخبار عن قيامه وان
عبد الله قايم جواب سايل عن قيامه وان عبد الله لقايم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به
ناس من اعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم
فخص عنهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصل الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل
كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما
كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول عليه السلام لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها
واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ المضي على حدوثه لاستدعائه سابقة مخبر عنه واجيب بانه مقتضى
التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ**
تُنْذِرْهُمْ خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم
انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد
به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم
في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه وانما عدل هاهنا من المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه
لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا من معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن
الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عذاب الله
وانما اقتصر عليه لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم
ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ أانذرتهم بتخفيف الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها
الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين
وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها **لَا**
يُؤْمِنُونَ جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر
ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر
عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع
الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال
لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو
او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك
قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية

اخبار

اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهو من المعجزات **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**
وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به
الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة
فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما
ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد
واعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم
وابصارهم لا تجتلي لها الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين كانما غطي عليها وحيل بينها
وبين الابصار وسماها على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين
الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وابصارهم وبالاغفال في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث
ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل
قوله بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة
عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى
صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله خالية
عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة
فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت
في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه
بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت
الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم لقوله تعالى لم يكن
الذين كفروا الآية السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم
القيمة على وجوههم عميا وبكما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى
هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله
وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك في جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما
الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة
بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن
اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر
وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة

للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما في قوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما
جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه
وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة
او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها
وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة **وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**
وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب
لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يراد به ردع
الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتغذية والتمريض والعظيم
نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر
ما يجانسه قصر عنه جميعه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم نوع غشاء ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم
من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ**
لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم
وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين
وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به
خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال
وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس
لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله
ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس
لانهم يستانسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام
فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن
موصولة مراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم
على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما يتنوع بزيادة
يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا يكون الآية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص
لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون
فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر
ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لا يمسهم الا اياما معدودة
وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم

لا

١١

لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء
الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر
عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة واهل
النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة **وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان
اصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج
ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى
انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه
بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع
الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة عليهم **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا** الخدع ان توهم غيرك خلاف
ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم
الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق
فالمخادعة يكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد
اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال ومن
يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان
الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا
لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع
المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج
في زنة فاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض
ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من
سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على
اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد **وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ** قرأه
نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم
لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية
وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون
بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء
وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط
حاجتها اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه فالمراد بالانفس

مقصدا ذواتهم ويحتمل حملها على أرواحهم وآرائهم **وما يشعرون** لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق
وبال الخداع ورجوع ضرره إليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى إلا على مأوف الحواس والشعور الإحساس ومشاعر
الإنسان حواسه وأصله الشعر ومنه الشعار **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا** المرض حقيقة
فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في أفعاله ومجاز في الأعراض النفسانية التي تخل
بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لأنها مانعة عن نيل الفضائل أو مؤدية إلى زوال
الحيوة الحقيقية الأبدية والآية تحتملهما فإن قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما
يرون من ثبات أمر الرسول واستعلاء شأنه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في إعلاء أمره وإشادة ذكره
ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع أو بازدياد
التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان إسناد الزيادة إلى الله تعالى من حيث إنه مسبب من فعله وإسنادها
إلى السورة فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل أن يراد بالمرض ما يداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة
المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الأعداء
وتبسطا في البلاد **ولهم عذاب أليم** أي مؤلم يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة
كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده **بما كانوا يكذبون** قرأها عاصم وحمزة والكسائي
والمعنى بسبب كذبهم أو ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لأنهم كانوا يكذبون
الرسول بقلوبهم وإذا خلوا إلى شياطينهم أو من كذب الذي هو للمبالغة أو التكثير مثل بين الشيء وموتت
البهائم أو من كذب الوحشي إذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فإن المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن
الشيء بخلاف ما هو به وهو حرام كله لأنه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي أن إبراهيم عليه السلام
كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به **وإذا قيل لهم لا تفسدوا**
في الأرض عطف على يكذبون أو يقول وما روي عن سلمان أن هذه الآية لم يأت أهلها بعد فلعله أراد به أن
أهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لأن الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد
خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الأرض هيج الحروب
والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بإفشاء الأسرار إليهم فإن ذلك يؤدي إلى فساد ما في الأرض
من الناس والدواب والحرث ومنه إظهار المعاصي والإهانة بالدين فإن الإخلال بالشرائع والإعراض عنها
مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى أو الرسول أو بعض المؤمنين **قالوا إنما**
نحن مصلحون جواب لإذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى أنه لا يصح مخاطبتنا بذلك
فإن شأننا ليس إلا الإصلاح وإن حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لأن إنما تفيد قصر ما دخله على ما بعده
مثل إنما زيد منطلق وإنما ينطلق زيد وإنما قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم

من المرض كما قال الله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا **ألا إنهم هم المفسدون ولكن**
لا يشعرون رد لما ادعوه أبلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التأكيد ألا المنبهة على تحقيق
ما بعدها فإن همزة الاستفهام التي للإنكار إذا دخلت على النفي أفادت تحقيقا ونظيره أليس ذلك بقادر ولذلك
لا يكاد يقع الجملة بعدها إلا مصدرة بما يتلقى به القسم وأختها أما التي هي من طلائع القسم وإن المقررة للنسبة
وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم إنما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون
وإذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والإرشاد فإن كمال الإيمان بمجموع أمرين الإعراض عما لا ينبغي وهو المقصود
بقوله لا تفسدوا والإتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا **كما آمن الناس** في حيز النصب على المصدر
وما مصدرية أو كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الإنسانية العاملون بقضية
العقل فإن اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب
عن غيره فيقال زيد ليس بإنسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله إذ الناس ناس
والزمان زمان أو للعهد والمراد به الرسول ومن معه أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام وأصحابه والمعنى
آمنوا إيمانا مقرونا بالإخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لإيمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق
وأن الإقرار باللسان إيمان وإلا لم يفد التقييد **قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء** الهمزة فيه للإنكار
واللام مشار بها إلى الناس أو الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وإنما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم أو لتحقير
شأنهم فإن أكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال أو للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم إن فسر الناس
بعبد الله بن سلام وأشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم مقابله **ألا إنهم**
هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فإن الجاهل بجهله الجازم على خلاف
ما هو الواقع أعظم ضلالة وأتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فإنه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وإنما
فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لأنه أكثر طباقا لذكر السفه ولأن الوقوف على أمر الدين والتمييز
بين الحق والباطل مما يفتقر إلى نظر وتفكر وأما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فإنما يدرك بأدنى
تفطن وتأمل فيما يشاهد من أقوالهم وأفعالهم **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا** بيان لمعاملتهم
مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي أن ابن
أبي وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر وقال
مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم أخذ بيد عمر فقال
مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي
فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته
ولاقيته إذا صادفته واستقبلته ومنه ألقيته إذا طرحته فإنك بطرحه جعلته بحيث يلقى **وإذا خلوا إلى**

شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية
او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم
المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية
على انه من شطن اذا ابعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل
ومن اسمايه الباطل **قالوا انا معكم** اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين
بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه
ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين
من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوا مع الكفار **انما نحن مستهزؤن** تاكيد لما قبله لان المستهزئ
بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف وكان الشياطين قالوا
لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف
يقال هزأت واستهزأت كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات
على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف **الله يستهزئ بهم** يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء
باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون
المستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما
في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان اما في الآخرة
فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين
آمنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين
ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان
الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال او لا يرون انهم يفتنون في كل عام
مرة او مرتين **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه
مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كأملي لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير
ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب
كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا
ونورا او مكن الشيطان من اغوايهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان
اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي وقال
واخوانهم يمدونهم في الغي او كان اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها
فحذف اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم

والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال
تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها
قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** اختاروها عليه
واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب
لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بايع ولذلك عدت
الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت
بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع
فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها
محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى **فما ربحت تجارتهم**
ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش
في وكريه جاش له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع والشرى والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى
التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران **وما كانوا
مهتدين** لطرق التجارة فان المقصود منه سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان
راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق
لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل **مثلهم
كمثل الذي استوقد نارا** لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير
فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال
وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول
السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة
او صفة لها شان وفيها غرابة مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان
كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك
ولم يجز وضع القائم مقام القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة
بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لا يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه
المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه
مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين
والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله
وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا **فلما**

اضاءت ما حوله اى النار حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان يكون مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله اشيا واماكن او الى ضمير النار وما موصولة فى معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور **ذهب الله بنورهم** جواب لما والضمير للذى وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استينا فاجيب به اعتراض سايل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفائت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما فى قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفى او امر سماوى كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذى هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوءهم احتمل ذهابه بما فى الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكد بقوله **وتركهم فى ظلمات لا يبصرون** فذكر الظلمة التى هى عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يترآى فيها شبحان وترك فى الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم فى ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اى ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الروية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقى متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنه الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن اثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما آمن ومن صح له احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من انوار الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين فى المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها **صم بكم عمى** لما سدوا اسماعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عن الشىء الذى لا اريده واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى اسد شاكى السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة فى السماء وههنا وان طوى ذكره بحذف المبتدا لكنه فى حكم المنطوق به ونظيره

اسد على وفى الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهى على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات هايلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمى به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة **فهم لا يرجعون** لا يعودون الى الهدى الذى باعوه وضيعوه او عن الضلالة التى اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدءوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم **او كصيب من السماء** عطف على الذى استوقد اى كمثل ذوى صيب كقوله ويجعلون اصابعهم واو فى الاصل للتساوى فى الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوى من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوى فى حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب من السماء ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء فى صحة التشبيه بهما وانت مخير فى التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر والسحاب قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وفى الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بافاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما فى صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية **فيه ظلمات ورعد وبرق** ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما فى اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشىء بريقا وكلاهما مصدر فى الاصل ولذلك لم يجمعا **يجعلون اصابعهم فى آذانهم** الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان فى قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يوذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة **من الصواعق** متعلق بيجعلون اى من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هايل معها نار لا تمر بشىء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هايل مسموع ومشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق

او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف فيقال صقع الديك
وخطيب مصقع وصقعت الصاقعة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية
او مصدر كالعافية والكاذبة **حذر الموت** نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره
والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام
مقدرة **والله محيط بالكافرين** لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل
والجملة اعتراضية لا محل لها **يكاد البرق يخطف ابصارهم** استيناف ثان كانه جواب
لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه
لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف
عسى وخبرها مشروط به ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة
على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما يحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف
الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء
ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف **كلما اضاء لهم مشوا فيه**
واذا اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب
بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح
نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام
هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا
يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما
صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء
اذا جمد **ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم** اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم بقصيف
الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد
حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة
على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء اللازم وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء
لقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه
والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروطة بمشيئته تعالى وان وجودها مرتبطا باسبابها واقع
بقدرته وقوله **إن الله على كل شيء قدير** كالتصريح والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل
مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء
اخرى اي شاء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله ان الله على كل شيء قدير

الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم
ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة
تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء
فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري واشتقاق القدرة من القدر
لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه
مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور والظاهر ان التمثيلين من التمثيلات المؤلفة
وهو ان يشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى
مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل
من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة
او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل
التمثيل المفرد وهو ان تاخذ الاشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور
ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان يشبه
في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة
الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم او بافشاء حالهم
وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط
بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا
ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من الصواعق حذر
الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون
ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي
وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقرآن وساير ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب
الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتكبت بها من شبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات
المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون
من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين
واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم
وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة
وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير **يا أيها الناس**

اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات
هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف
وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب
اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة
لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع
بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه
المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة
في القرآن لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها
ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالاكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام
للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون
واستدلال الصحابة بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من
دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما
روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب
تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة
عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من
لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به فكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل
يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة
هي التربية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد ان خص الخطاب بالمشركين واريد
بالرب اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير
يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات
او بالزمان معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سالتهم
من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم
على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول
وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك
المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين جوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو
التبرء من كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال يدعون ربهم
خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم

في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ
والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف
اذ لم يثبت في اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر
في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من
النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح
منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى
كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل
الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول او العقد
اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين
الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان يقعدوا وينا موا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة
لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يابى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء
اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة
او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيته ولكن
جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها
على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد
الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد لكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها
لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب
فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من
اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض
بدليل قوله تعالى فاخرجنا به من ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء
فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمرات
ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع
موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من الثمرة على التوحيد او لان الجموع
يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد
القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول له ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا
لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على ان نصب تجعلوا

قال ابن عباس في رواية ... مطبقة على الارض ... الدنيا ...

نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير
موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استانف به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا
والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من حفكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغي
ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير اتيما تجعلون الى ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر
وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبد المشركون
من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى
عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله
وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد
الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل البصير ﴿وانتم تعلمون﴾ حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول يعلمون مطرح اي وحالكم
انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منفرد
بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه
فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي
عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا
بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة
والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه الامور التي
لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع
ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على
طريق التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية
المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج
القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلع
﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة﴾ لما قرر وحدانيته وبين
الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عليه السلام وهو القرآن المعجز بفصاحته التي
بذت فصاحة كل منطيق وافحام من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم
في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله
كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما نرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم

كما حكى الله عنهم فقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة
للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا
يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية
منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم
احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار
لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب
القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن
سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه
اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ
من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد
﴿من مثله﴾ صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند
الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن
هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل
اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله ولساير آيات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا
ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في
التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن
على صفته ولا يلائمه قوله ﴿وادعوا شهداءكم من دون الله﴾ فانه امر بان يستعينوا
بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه
سمي به لانه يحضر النوادي وتبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل
للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من
الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير
للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي
امر الى آخر قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين
الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك من دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك
غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم
غير الله فانه لا يقدر على ان ياتي بمثله الا الله او فادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به

مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداكم الذين اتخذتموهم من
دونه اولياء والهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول
الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القران غاية
التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اولياءه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم
ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله **ان
كنتم صادقين** انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق
وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم
يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قوله نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه على انهم ما كانوا
عالمين به **فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس
والحجارة** لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول وما جاء به وميز لهم الحق من الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة
له وهو انكم اذا اجتهدتم انتم اذا اجتهدوا في معارضته وعجزوا جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه
ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا عذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل
الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا
لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان التي للشك والحال يقتضي اذا الذي
للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او
خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال
مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل
على المجموع فكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف
مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا
فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا
من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد
قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة
وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها
طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم عذبوا بما هو منشا جرمهم كما عذب الكانزون بالكنوز او بنقيضه كما كانوا يتوقعون زيادة في
تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من
العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها

وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس فلعله عنى به
ان الاحجار كلها لتلك كحجارة الكبريت لساير النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزلت بمكة قوله تعالى في سورة
التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة
أعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العتد والجملة
استيناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين
دليل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد
وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة
وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجؤا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما تتضمنان
الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين
عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض
حجته وقوله اعدت للكافرين دلت على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن **وبشر الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ان لهم جنات** عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن
بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب
بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله
من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به
استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول عليه السلام
او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا
بانهم احقاء بان يبشروا ويهنؤا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا
والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال
الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى اعتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا
واما قوله فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة
وهي من الصفات الغالبة تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر
الغيب تأتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس
وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعار بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين
الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس
لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف
على نفسه وما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن

والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي به الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة لانه يستر ما تحته سترة واحدة قال كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته لانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن كقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيد ههنا استغناء بها **تجري من تحتها الانهار** اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا** صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة **من قبل** اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما رأت فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة من غيره وتتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه قال عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها

فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة **واتوا به متشابها** اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى فان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد **ولهم فيها ازواج مطهرة** مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبيعة وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها **وهم فيها خالدون** دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى للانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيف متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص

العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كانت معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل
عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة
غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات
بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً**
لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان
يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل
انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل
ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك
شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم
بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة
السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت
الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف
ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت
وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره
شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها
والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح وعدم المبالاة بها
والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها
عن افعالها فقيل حيي الرجل كما يقال نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث
ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى تضع
فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما
ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وانما عدل به عن الترك
لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله
من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه
بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب
كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله هدى
وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيره فتفيده وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح
فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل

وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان يكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى
تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كانه لما رد
استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك
ونظيره فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على
هذا النوع كالخموش **فَمَا فَوْقَهَا** عطف على بعوضة او ما ان جعلت اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب
والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى
الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضرب به مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين
ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الالم كالخرور
او ما زاد عليها في القلة كنخبة النملة كقوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ اما حرف تفصيل ما اجمل ويؤكد به
ما صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب
اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف
الشرط فادخلوها الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم
وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة
والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج **وَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا فَيَقُولُونَ** كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن
لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه **مَاذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا** يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع
خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في
جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث
يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري
تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا
لم يكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه
ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهو اعم من الاختيار فانه
ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية **يُضِلُّ بِهِ
كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا** جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر

للاشعار بالحدوث والتجدد وبيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل
بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم
فان المهتدين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين
من حيث العدد وكثرة المهتدين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا اشدوا وقال ان الكرام كثير
في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا ﴿وما يضل به الا الفاسقين﴾ اي الخارجين عن حد
الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق
الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوايرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة
وله درجات ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها
غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة
الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق
الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق و
والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته
كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى
بهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل
الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول
والفاسقون بالرفع ﴿الذين ينقضون عهد الله﴾ صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق و
والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه
من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو
من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس
فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد
كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ
بالعقل وهو الحجة القايمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى
واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه
ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظايره وقيل
عهود الله تعالى ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا
الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه ﴿من بعد ميثاقه﴾
الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب

او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق
﴿ويقطعون ما امر الله به ان يوصل﴾ يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم
والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة
وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل فصل ووصل
والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية
للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شأنت شانه اذا قصدت
قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ﴿ويفسدون
في الارض﴾ بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه ﴿اولئك
هم الخاسرون﴾ الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال
الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء
والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب ﴿كيف تكفرون بالله﴾ استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم
بانكار الحالة التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم
حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من
الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريق الالتفات ووبخهم
على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون ﴿وكنتم امواتا﴾
اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة ﴿فاحياكم﴾
بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ﴿ثم
يميتكم﴾ عند تقضي آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور ﴿ثم
اليه ترجعون﴾ بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم
مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت
تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلايل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل
على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من
اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلايل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم
على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك
النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت
لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان كانت
من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا

هو العلم بها الا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين
خاصة ليقرر المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم
بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم
بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها
وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل
كالعلم والعقل والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى
قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه
القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها
خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم
وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط وامر دينكم بالاستدلال والاعتبار
والتعرف لما يلايمها من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض
من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض
لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض الا اذا اريد بها
جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني **ثم استوى الى السماء**
قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء
واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه
لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق
والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام
العلوية او جهات العلو وثم لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على الارض كقوله ثم كان من الذين
آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو
الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان يستأنف بدحاها مقدرا لنصب الارض
فعلا آخر دل عليه أأنتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر **فسواهن**
عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى
الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا **سبع سموات** بدل او تفسير فان قيل
اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الآية نفي الزائد

مع انه انضم اليه العرش والكرسي لم يبق خلاف **وهو بكل شيء عليم** فيه تعليل كأنه قال
ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان
فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن
الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت
اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف يجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن
معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث مقدمات
وقد برهن عليها في هاتين الآيتين اما الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها
بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها
قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على
جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتها بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان
اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم
وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء في
نحو فهو وهو تشبيها له بعضد **واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض**
خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم
بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة
يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل و
المجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تعالى واذكر اخا عاد
اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله
في الآية قالوا او اذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الآية
المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخل في حكم الصلة وعن معمر انه
مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الألوكة وهي الرسالة
لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها
ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال
مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية
المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة
الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض

على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات
امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم
المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض
اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزاير والجبال وجاعل من جعل
الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون
بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام لانه كان
خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم الله في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ
امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك
لم يستنبئ ملكا كما قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت
قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة
كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما
عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما
ليأخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف
بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم
او على تأويل من يخلفكم او خلفا يخلف وفايدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول بأن
بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم
وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى
غير ذلك **قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** تعجب
من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف
عما خفي عليهم من الحكم التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم
معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم
اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا
ذلك اي افسادهم وسفكهم الدماء باخبار من الله او تلق من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة
من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك
يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب عن فم القربة
ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا
محذوفا اي يسفك الدماء فيهم **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**

حال

حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى استخلف عصاة ونحن
معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين
في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية
وغضبية تؤديان الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعو الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها
مفردة فقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا يقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن
استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم بما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا
عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة
ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات
واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف
واليه اشار تعالى اجمالا بقوله **قال اني اعلم ما لا تعلمون** والتسبيح تبعيد الله عن
السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر
لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك
ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم بقولهم ونحن نسبح ونقدس لك نطهر نفوسنا
عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم
الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة **وعلم آدم الاسماء
كلها** اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم
فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة
او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع
الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف
كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون
علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع
لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في
نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان
العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة
وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات
والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها
ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات

فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال
عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء ولا سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات
الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على
معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها **فقال انبئوني باسماء هؤلاء** تبكيت لهم وتنبيه
على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف
على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء
اخبار فيه اعلام ولذلك يجرى مجرى كل واحد منهما **ان كنتم صادقين** في زعمكم انكم احقاء
بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به
لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله
من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاآت **قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما**
علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد
بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم
ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا
مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان
من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح
التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين
انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية **الحكيم** المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا
ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت
اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتداء
خبره ما بعده والجملة خبر ان **قال يا آدم انبئهم باسمائهم** اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة
ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما **فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم**
اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم
تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة
عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة
علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو
ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم
انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس

من

من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل
على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح
اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان
الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك
يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع عمن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة
زايد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله تعالى انك انت العليم الحكيم وان علوم الملايكة وكمالاتهم تقبل الزيادة
والحكما منعوا ذلك في الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم عم
افضل من هؤلاء الملايكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل كقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها **واذ قلنا للملايكة اسجدوا**
لآدم لما انباءهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه
واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه كقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق
ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة
الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا
للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طاطا راسه وفي الشرع وضع الجبهة على
قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم
تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات
باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملايكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات
ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم
قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى
لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي
وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما
ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملايكة كلهم او طايفة منهم ما سبق
فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان
يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء
امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع **وكان**
من الكافرين اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا

بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا
لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل
على ان آدم افضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله
امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن
فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم
ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف
منهم فغلبوا عليه والجن كانوا ايضا مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه
اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون والضمير في فسجدوا
راجع الى القبيلين وكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب
فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين
بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من
هذا الصنف كما قاله ابن عباس فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط من محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا
الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت
عائشة رضي الله عنها انه قال عليه السلام خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل
لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب
ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت
الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفي نورها ويبقى الدخان الصرف فهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع
بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر
والحث على الائتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر
هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري
رحمه الله تعالى **وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة** السكنى من
السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على
انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم
انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل
الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا **وكلا منها رغدا** واسعا
رافها صفة مصدر محذوف **حيث شئتما** اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة
للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر **ولا تقربا**

هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب
الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء
يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي
ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء يفيد السببية
سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث
والاولى ان لا يعين من غير قاطع كما لم يعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا
بكسر التاء وهذي بالياء **فازلهما الشيطان عنها** اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على
الزلة بسببها ونظير عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده
قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد
وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما
بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة
وانه كيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة
كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما
وقيل تمثل بصورة دابة فدخلت ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض
اتباعه فازلهما والعلم عند الله **فاخرجهما مما كانا فيه** اي من الكرامة والنعيم
وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء لقوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس
وكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة
او من السماء **بعضكم لبعض عدو** حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين
يبغي بعضكم على بعض بتضليله **ولكم في الارض مستقر** موضع استقرار او استقرار
ومتاع تمتع **الى حين** يريد به وقت الموت او القيامة **فتلقى آدم من ربه**
كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات
على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس
قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني جنتك
قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك باحدى
الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة **فتاب عليه** رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة

بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنن **انه هو التواب الرحيم** الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية فاذا وصف بها البارى تعالى اريد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة الرحيم البالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتايب بالاحسان مع العفو **قلنا اهبطوا منها جميعا** كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان يعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا **فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان يأتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كاين لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على اكد وجه وابلغه وقرئ هدى على لغة هذيل ولا خوف بالفتح **والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** عطف على من تبع الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طايفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين اياً من اي او من اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عينها على غير قياس او اوية او اية كرمكة فاعلت او آيية كقايلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الايات المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول ان آدم صلوات الله عليه كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله

الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي فقال وعصى ادم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى به واما اسناد الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ من اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المواخذة كتناول السم على الجهل بشانه لا يقال انه باطل بقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على انه تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا بيده فقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة وان عذاب النار دايم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه لمفهوم قوله هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد وما انزل عليه فقال **يا بني اسرائيل** اي يا اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى الصانع فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييده لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره

حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم به عليه حمله حب النعمة على الرضاء والشكر وقيل
اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد
عليه السلام وقرئ اذكروا والاصل افتعلوا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك
الياء المكسور ما قبلها **وأوفوا بعهدي** بالايمان والطاعة **أوف بعهدكم** بحسن
الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد
اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض
فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق
في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه السلام اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء
الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم
المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام
الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله
ولادخلنكم جنات تجري وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة **وإياي فارهبون** فيما تأتون وتذرون
وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه من التقديم وتكرير المفعول والفاء
الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف
معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا
الا الله **وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم** افراد للايمان بالامر به والحث عليه
لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث
انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل
بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من
حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر لنزل
على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه
ولذلك عرض بقوله **ولا تكونوا أول كافر به** بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به ولانهم
كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع
بتقدير اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن
التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا
فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه

او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله أوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي
او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت **ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا** ولا تستبدلوا بالايمان
بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك
الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله فاختاروها عليه
وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه **وإياي فاتقون** بالايمان واتباع الحق والاعراض
عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة
التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص
اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه **ولا تلبسوا الحق بالباطل** عطف على ما قبله واللبس
الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى
لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تأويله **و**
تكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس
على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل و
كتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح
اللبس لما يصحبه من كتمان الحق **وأنتم تعلمون** عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل
قد يعذر **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** يعني صلاة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلاة
ولا زكاة امرهم بفروع الاسلام بعدما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكاة من زكى
الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر
المال من الخبث والنفس من البخل **واركعوا مع الراكعين** اي في جماعتهم فان صلاة الجماعة
تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة
اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك ان تركع
يوما والدهر قد رفعه **أتأمرون الناس بالبر** تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير
من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب
وبر في معاملة الاجانب **وتنسون أنفسكم** وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه وقيل
كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون **وأنتم تتلون الكتاب** تبكيت كقوله وانتم تعلمون
اي تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل **أفلا تعقلون**
قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك

الانسانى لانه يحبسه عما يقبح و يعقله على ما يحسن ثم القوة التى تدرك هذا الادراك والآية ناعية على من
يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى
عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل
ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المأمور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر
واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما أمروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة
وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج
توكلا على الله او بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل
بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة
وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية
بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن
الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصايب روى انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة
ويجوز ان يراد بها الدعاء **وانها** اى وان الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها
لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما أمروا بها ونهوا عنها **لكبيرة** لثقيلة شاقة
لقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **الا على الخاشعين** اى المخبتين والخشوع
الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح
والخضوع بالقلب **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه**
راجعون اى يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم
ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمين
معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل
عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة فى مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها وتستلذ
بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه السلام وجعلت قرة عينى فى الصلوة **يا بنى اسرائيل اذكروا**
نعمتى التى انعمت عليكم كرر للتأكيد وتذكير التفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا
وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها **وانى فضلتكم** عطف على نعمتى
على العالمين اى عالمى زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا فى عصر موسى عليه السلام وبعده قبل
ان يغيروا بما منحهم من العلم والعمل والايمان وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر
على الملك وهو ضعيف **واتقوا يوما** اى ما فيه من الحساب والعذاب **لا تجزى نفس عن**
نفس شيئا لا تقضى عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ
من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلى
والجملة صفة ليوما والعائد منها محذوف تقديره لا تجزى فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف
عنه الجار واجرى مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله فما ادرى أغيرهم تناء وطول العهد ام مال اصابوا
ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى من النفس الثانية العاصية
او من الاولى وكانه اريد بالآية نفى ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره
والاول النصرة والثانى اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثانى اما باداء ما كان عليه وهو ان
يجزى عنه او بغيره وهو ان يعطى عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع
شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمى به الفدية لانها سويت بالمفدى
وقرئ ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء **ولا هم ينصرون** يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت
عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسى
والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لاهل
الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة فى الشفاعة ويؤيده ان
الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آباءهم تشفع لهم **واذ نجيناكم من**
آل فرعون تفصيل لما اجمله فى قوله اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وعطف على نعمتى عطف
جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره أهيل وخص بالاضافة الى اولى الخطر
كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكى الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه
تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون
يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة **يسومونكم** يبغونكم من سامه خسفا
اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب فى طلب الشئ **سوء العذاب** افظعه فانه قبيح بالاضافة
الى سايره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير فى نجيناكم او من آل فرعون
او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم**
بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى فى المنام او قال
له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا **وفى ذلكم بلاء** محنة
ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة
وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشايع بينهما **من ربكم**
بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما **عظيم** صفة بلاء وفى الآية تنبيه على ان ما
يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير

المحترز ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرّقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنا عشر بعدد الاسباط ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روى ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التى قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روى انه تعالى امر موسى ع م ان يسرى ببنى اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده فصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بنى اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل فى الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع من امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه السلام من جملة معجزاته على ما مر تقريره ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وعبر عنها بالليالى لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائى واعدنا لانه تعالى وعده الوحى ووعده موسى المجئ للميقات الى الطور ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ الها ومعبودا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد موسى او مضيه ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باشراككم ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ اى الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكى تشكروا عفوه ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ يعنى التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل فى الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكى تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر فى الآيات ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريا من التفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشئ عن غيره اما على سبيل التفصى كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه

او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين او فتوبوا ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتلوا بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روى ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضى لامر الله فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشى حتى دعا موسى وهارون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارى وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التى هى مثل فى الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ الذى يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ فى الانعام عليهم ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ لاجل قولك او لن نقر لك ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ عيانا وهى فى الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذى اعطاك التورية وكلمك او انك نبى ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام فى الجهات والاحياز المقابلة للرائى وهى محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الآخرة وللافراد من الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ الى ما اصابكم بنفسه او اثره ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمة البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا فى التيه ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ الترنجبين والسمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السمانى وينزل بالليل عمود نار يسيرون فى ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ على ارادة القول

وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا ادخلوا
هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم
رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب سجدا اي باب
القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا
متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك
حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول
قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم
خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ
كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت
الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر
وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه
عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل
لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به
من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا
كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او على انفسهم بان
تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة
فيه والمراد به الطاعون روي انه مات في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى
لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي
انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا
ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا
او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله
او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى
ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس
فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون
وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة وله

شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره
فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان
فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا
على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل
الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا
حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله
ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما
يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن
ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب
الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد واذ قلتم يا موسى
لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته
انها لا تختلف ولا تتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انها لا تتغير الوانه ولذلك اجمعوا
او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه
فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب
فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام
الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها
تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به
اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه
قال اي الله او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل
الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة
وقرئ ادنأ من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم
الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط
منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما
صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم
فعرب فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت
بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة
واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان يضاعف جزيتهم

وباؤا بغضب من الله رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة **ذلك** اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب **بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق** بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عدّ عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والقرآن وآية الرجم والتي فيها نعت محمد عليه السلام من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مودية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة يصف بقرة
فيها خطوط من سواد وبلق … كأنه في الجلد توليع البهق
والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع **ان الذين امنوا** بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد عليه السلام المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة **والذين هادوا** تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام **والنصارى** جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري لان الاصل احمر ونصران وياء النسبة يكون حقيقية كالهاشمي والبصري وغير حقيقية كالكرسي واليمني فيكون للتاكيد سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسمي باسمها او من اسمها **والصابئين** قوم بين المجوس والنصارى وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل هم عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل **من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا** من كان منهم في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا **فلهم اجرهم عند ربهم** الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل

من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم **واذ اخذنا ميثاقكم** باتباع موسى والعمل بالتورية **ورفعنا فوقكم الطور** حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا **خذوا** على ارادة القول **ما اتيناكم** من الكتاب **بقوة** بجد وعزيمة **واذكروا ما فيه** ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به **لعلكم تتقون** لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا **ثم توليتم من بعد ذلك** اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه **فلولا فضل الله عليكم ورحمته** بتوفيقكم للتوبة او بمحمد عليه السلام يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه **لكنتم من الخاسرين** المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت** اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عم واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرق فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة **فجعلناها** اي المسخة او العقوبة **نكالا** عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد **لما بين يديها وما خلفها** لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها **وموعظة للمتقين** من قومهم او لكل متق سمعها **واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة** اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فك عنه وقدم عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر

والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه
وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله
قالوا أتتخذنا هزوا مكان هزو او اهله او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا
لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا
قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه
ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقال اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به
عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته
ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال
فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة
عوان نصف قال بين ابكار وعون بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك
اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة تدل على ان المراد
بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة
ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما
ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم
فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون
اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء
فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده
الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها وعن الحسن
سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر
اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته ولان سواد الابل يعلوه صفرة
وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله
لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه علينا
اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم
لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير

والتأنيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشتبه
ومتشبه وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا
لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة
والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق
قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل
للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان صفتا
ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي
حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا
اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية
اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ
آلآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير
فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او
لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال
اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها
بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل
عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون
قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما كادوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم
ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب للجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم
فيها اختصمتم في شأنها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه
الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم
تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية
فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص
او القتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن
وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر
حيوة القتيل او نزول الآية ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون
لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله تعالى
انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل

والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي
عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد
ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية
حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن
دنسها لا شية بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين
العقل والوهم من التدارؤ والنزاع **ثم قست قلوبكم** القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة
كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة **من بعد ذلك** يعني
احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما يوجب لين القلب **فهي كالحجارة** في القسوة
او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائد عليها او انها مثلها او مثل اشد
منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الحسن بالفتح عطفا على الحجارة
وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير
او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها **وان من الحجارة لما يتفجر
منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط
من خشية الله** تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل وان منها ما يتشقق فينبع منه الماء
ويتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتاثر ولا تنفعل عن امر الله
والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام
الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد
على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء **افتطمعون**
والخطاب لرسول الله والمؤمنين **ان يؤمنوا لكم** ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني
اليهود **وقد كان فريق منهم** طائفة من اسلافهم **يسمعون كلام الله**
يعني التورية **ثم يحرفونه** كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم او تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل
هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره
ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا **من بعد ما عقلوه** اي
فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة **وهم يعلمون** انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان
احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم وانهم كفروا وحرفوا فلهم سابقة في
ذلك **واذا لقوا الذين آمنوا** يعني منافقيهم **قالوا آمنا** بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به
في التورية **واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا** اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على

٢٢

من نافق **اتحدثونهم بما فتح الله عليكم** بما بين لكم في التورية من نعت محمد او الذين
نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين
فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي **ليحاجوكم به عند ربكم** ليحتجوا عليكم
بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه
وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعه
افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله
للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم **اولا يعلمون**
يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين **ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون** ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره
وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه **ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب** جهلة لا يعرفون
الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها او التورية **الا اماني** استثناء منقطع والاماني جمع
امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك تطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ
والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة
لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة
المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون
وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون ولا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأي
واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة **فويل** اي تحسر
وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك
مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء **للذين يكتبون الكتاب**
يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة **بايديهم** تأكيد كقولك كتبته بيميني
ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا
من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم **فويل لهم
مما كتبت ايديهم** يعني المحرف **وويل لهم مما يكسبون** يريد به الرشى
وقالوا لن تمسنا النار المس ايصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له
ولذلك يقال المسه فلا اجده **الا اياما معدودة** محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب
بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف
يوما **قل اتخذتم عند الله عهدا** خبرا او وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص

باظهار الذال والباقون بادغامه **فلن يخلف الله عهده** جواب شرط مقدر اى ان اتخذتم عند الله

عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف فى خبره محال **ام تقولون على الله ما لا تعلمون**

ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اى الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى

بل اتقولون على التقرير والتقريع **بلى** اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه

اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفى **من كسب سيئة** قبيحة والفرق بينها وبين

الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانه من الخطا والكسب استجلاب

النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم **واحاطت به خطيئته** اى

استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شئ من جوانبه وهذا انما يصح فى شان

الكافر لان غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر

وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو

اكبر منه حتى يستولى عليه الذنوب ويأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصى مستحسنا اياها

معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين

اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما

فاولئك اصحاب النار ملازموها فى الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها فى الدنيا **هم فيها**

خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا

التى قبلها **والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم**

فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى ان يشفع وعده بوعيده ليرجى رحمته ويخشى عذابه وعطف

العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه. **واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون**

الا الله اخبار فى معنى النهى كقوله لا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام ان

المنهى سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول

وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى وان اشهد اللذات

هل انت مخلدى ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل

انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء

حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب **وبالوالدين احسانا** متعلق بمضمر تقديره

وتحسنون او احسنوا **وذى القربى واليتامى والمساكين** عطف على الوالدين ويتامى

جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه **وقولوا للناس**

حسنا اى قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ

حسنا

حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد **واقيموا**

الصلوة وآتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم فى ملتهم **ثم توليتم** على طريقة الالتفات

ولعل الخطاب مع الموجودين منهم فى عهد الرسول عليه السلام ومن قبلهم على التغليب اى اعرضتم عن الميثاق ورفضتم

الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم **وانتم معرضون**

قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض **واذ اخذنا**

ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم

على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله نسبا

او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم

ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل فى الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التى هى داركم فانه الجلاء

الحقيقى **ثم اقررتم** بالميثاق واعترفتم بلزومه **وانتم تشهدون** تاكيد كقولك

اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا

ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على

معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذلك الرجل الذى فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات

وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله **تقتلون انفسكم**

وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان

لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلة والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون

على التكثير **تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان** حال من فاعل تخرجون او من

مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائى وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ باظهارها

وتظهرون بمعنى تتظهرون **وان يأتوكم اسارى تفادوهم** روى ان قريظة كانوا حلفاء

الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه فى القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها

واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى تفدوه وقيل معناه ان يأتوكم اسارى فى ايدى الشياطين تتصدون

لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرأ حمزة

اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكارى وسكرى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه

بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم **وهو محرم عليكم**

اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم

وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او بيان **افتؤمنون**

ببعض الكتاب يعنى الفداء **وتكفرون ببعض** يعنى حرمة المقاتلة والاجلاء

بدلا او بيان

فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تأكيد للوعيد اي الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرء عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الآخرة ولا هم ينصرون بدفعها عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه بالذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبريل وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافه الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرء ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القرآن افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك هذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم تحومون حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها من غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون

فاما

فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل او حسدوه على ان ينزل الله وقرء ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباؤا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى عليهما السلام او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتورية ويكفرون بما وراءه حال عن الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القرآن مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله قرء نافع وحده انباء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عليهما السلام لا لتكرير القصة وكذا الآية التي بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا

سماع طاعة **قالوا سمعنا** قولك **وعصينا** امرك **واشربوا في قلوبهم العجل**
تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن
وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا **بكفرهم** بسبب اعماق البدن وفي
قلوبهم كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري
قل بئسما يامركم به ايمانكم اي بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما
يعمه وغيره من القبايح المعدودة في الآيات الثلث الزاما عليهم **ان كنتم مؤمنين** تقرير للقدح
في دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه القبايح ولا رخص لكم فيها ايمانكم بها
او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان
به لا يامر به فاذن لستم بمؤمنين **قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة**
خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار **من دون الناس**
سايرهم او المسلمين واللام للعهد **فتمنوا الموت ان كنتم صادقين** لان من ايقن
انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي سقطت
على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين
احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة لا يشاركه فيها غيره **ولن
يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم** من موجبات النار كالكفر بمحمد عليه السلام والقرآن وتحريف
التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها
عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمني
ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت لي كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا
الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي **والله عليم بالظالمين**
تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم **ولتجدنهم احرص
الناس على حيوة** من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه هم واحرص وتنكير حيوة لانه
اريد فرد من افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام **ومن الذين اشركوا** محمول على المعنى
فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا
الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص
المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صايرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة
الاول عليه وان يكون خبر مبتدا محذوف صفته **يود احدهم** على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم
قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف

لو يعمر الف سنة حكاية عن ودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجري على الغيبة لقوله
يود كقولك حلف بالله ليفعلن **وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر** الضمير لاحدهم
وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل
منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت
النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد **والله بصير بما يعملون** فيجازيهم **قل
من كان عدوا لجبريل** نزل في عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه
فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر
فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه
وقيل دخل عمر مدراس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه
صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه
وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير
ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك
ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهورة جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل
بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم وجبريل كقنديل قراءة الباقين واربع
في الشواذ جبرئل وجبرائيل وجبرائل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله **فانه
نزله** البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط
شهرته لم يحتج الى سبق ذكره **على قلبك** فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه
على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به **باذن الله** بامره وتيسيره حال
من فاعل نزل **مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين**
احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى ان من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة
الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب
المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف
مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال **من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين** اراد بعداوة الله مخالفته
عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه
وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه ~~في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى يرضوه~~
على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى

الجمع اذ الموجب لعداوتهم ومحبتهم على الحقيقة واحد ولان الحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على ان الله عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال كميعاد
وقرئ ميكئل وميكئيل وميكال ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها
الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه
كأنه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل
عليك من آية فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره
اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ
عوهدوا او عهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال
فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان
من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق
لما معهم كعيسى ومحمد نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله
يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين
بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى
به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون
عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل
الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله واكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها
تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون
وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما
تتلوا الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرأها او تتبعها الشياطين
من الجن او الانس او منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع
ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان
حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر
سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه
ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين
يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان
في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس
فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله

اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما
فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما
واحد والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله
للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها
زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل
وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل
ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير
في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع
صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين
بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد
حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول وما يعلمان احدا حتى
ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على
الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور
وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انما نحن مفتونان فلا تكن مثلنا
فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء
وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد
الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري
على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم
يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود
ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه
اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما
له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين
على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او حقيقة ما يتبعه
من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب
العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم
آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من
عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل

وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني والمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه **لو كانوا يعلمون** ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم **يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا** الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما نلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب **واسمعوا** واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه **وللكافرين عذاب اليم** يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه **ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين** نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين **ان ينزل عليكم من خير من ربكم** مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم والنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك **والله يختص برحمته من يشاء** يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق **والله ذو الفضل العظيم** اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته **ما ننسخ من آية او ننسها** نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ننسخ من انسخ اي نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وتنسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين **نأت بخير منها او مثلها** اي بما هو خير للعباد

في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا **الم تعلم ان الله على كل شيء قدير** فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ اذ الاصل اختصاص وما تضمنها بالامور المحتملة وتاخير الانزال وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم والاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم **الم تعلم** الخطاب للنبي والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم **ان الله له ملك السموات والارض** يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه **ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل** ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه **ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل** ومن ترك الثقة بالآيات البينة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن القصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل **ود كثير من اهل الكتاب** يعني احبارهم **لو يردونكم** ان يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ **من بعد ايمانكم كفارا** مرتدين حال من ضمير المخاطبين **حسدا** علة ود **من عند انفسهم** يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم **من بعد ما تبين لهم الحق** بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة **فاعفوا واصفحوا** العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه **حتى يأتي الله بامره** الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ بآية السيف وفيه

نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء الى الله بالعبادة
والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم
تجدوه عند الله اى ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء
فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولى الفريقين كما فى قوله وقالوا كونوا هودا
او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعوذ وعائذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى
تلك امانيهم اشارة الى الامانى المذكورة وهو ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم
كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما فى الآية على حذف المضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم والجملة
اعتراض والامنية افعولة من التمنى كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم
بدخول الجنة ان كنتم صادقين فى دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى
اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده
واصله العضو وهو محسن فى عمله فله اجره الذى وعد له على عمله عند ربه
ثابتا عند ربه لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء
فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل
فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى الآخرة
وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست
اليهود على شيء اى امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم
واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب
للجنس اى قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون
مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد
صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر
من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم
بينهم بين الفريقين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم
لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع
مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى فى تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل فى الروم
لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد

الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثانى مفعولى منع وسعى فى خرابها
بالهدم والتعطيل اولئك اى المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين
ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترءوا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين
من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم فى علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة
واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف الائمة
فيه فجوز ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعى رضى الله عنهم بين المسجد الحرام وغيره لهم فى الدنيا
خزى اى قتل وسبى او ذلة بضرب الجزية ولهم فى الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم
ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتى الارض اى له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان
فان منعتم ان تصلوا فى المسجد الحرام والاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ف
اى مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اى جهته التى امر بها فان امكان التولية
لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اى عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او
برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم فى الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت
فى صلوة المسافر على الراحلة وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا
خطاءهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين الخطاء لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة
وتنزيه للمعبود ان يكون فى حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قال اليهود عزير
ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطف على قالت اليهود او منع او مفهوم
قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضى التشبه والحاجة وسرعة
الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون
لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما فى السموات والارض رد لما قالوه
واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما فى السموات والارض الذى من جملته الملائكة وعزير والمسيح
كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس
مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذى لغير اولى
العلم وقال قانتون على تغليب اولى العلم تحقيرا لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اى كل ما فيهما
ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة
والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى
نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضى تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره
السميع فى قوله امن ريحانة الداعى السميع يؤرقنى واصحابى هجوع او بديع سمواته وارضه من بدع

فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع
الاشياء كلها وفاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة
وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان
غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح **وإذا قضى امرا** اى اراد
شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق
على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه **فانما يقول له كن فيكون** من كان
التامة اى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة
بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد
يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بنصب النون واعلم ان
السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب
الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى
الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قايله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد **وقال الذين
لا يعلمون** اى جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب **لولا يكلمنا الله**
هلا يكلمنا الله كما يكلم الملئكة او يوحي الينا بانك رسوله **او تاتينا آية** حجة على صدقك والاول
استكبار والثاني جحود لان ما اتاهم آيات الله استهانة به وعنادا **كذلك قال الذين من قبلهم**
من الامم الماضية **مثل قولهم** فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة
من السماء **تشابهت قلوبهم** قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين
قد بينا الآيات لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا تعتريهم
شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا
انا ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا به **بشيرا ونذيرا** فلا عليك ان اصروا وكابروا
ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب
لا تسأل على انه نهي للرسول عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا تقدر ان
تخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتاجج من النار **ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** مبالغة في اقناط الرسول عم
عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم
ولذلك قال **قل** تعليما للجواب **ان هدى الله هو الهدى** اى هدى الله الذي هو الاسلام
هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه **ولئن اتبعت اهواءهم** اراءهم الزايغة والملة

ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى اى تبع الشهوة **بعد
الذي جاءك من العلم** اى من الوحي او الدين المعلوم صحته **ما لك من الله من ولي
ولا نصير** يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن **الذين آتيناهم الكتاب** يريد به مؤمني
اهل الكتاب **يتلونه حق تلاوته** بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل
بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب **اولئك
يؤمنون به** بكتابهم دون المحرفين **ومن يكفر به** بالتحريف والكفر بما يصدقه **فاولئك
هم الخاسرون** حيث اشتروا الكفر بالايمان **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي
نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم
ينصرون** لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة
واهوالها كرر ذلك وختم بها الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القصة والمقصود من القصة
واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق
من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابرهيم وحسن لتقدمه لفظا
وان تاخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد يطلق على المعاني ولذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة
المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله
اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سننه وبمناسك الحج و
بالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الآيات
التي بعدها وقرئ ابرهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل
يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام بالالف جميع ما في هذه السورة وفي النساء ثلاثة احرف هي الاخيرة وفي الانعام الحرف
الاخير وفي التوبة الحرفان الاخيران وفي ابرهيم حرف وفي النحل حرفان وفي الذاريات حرف وفي النجم حرف وفي
الممتحنة الحرف الاول فذلك ثلاثة وثلثون حرفا وقرأ ابن ذكوان في البقرة خاصة بالوجهين وقرأ ابن عامر ابراهام
فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام كقوله وابرهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اى
اعطاه جميع ما دعا **قال اني جاعلك للناس اماما** استيناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل
فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة
وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من
جعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من
ذريته مامورا باتباعه **قال ومن ذريتي** عطف على الكاف اى وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب
وسمي عطف تلقين

شاكرمكرو الذرية نسل الرجل فعيلة او فعولة قلبت راءها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق
او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة **قال لا ينال**
عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة
لانها امانة من الله وعهده والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء
من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته
واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا **مثابة للناس** مرجعا يثوب اليه
اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد **وامنا**
وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم او يامن حاجه من عذاب الآخرة
من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يواخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله
واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ
او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد عليه السلام وهو امر استحباب
ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت
وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى
فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه السلام
لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي رح
في وجوبها قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى
وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مقامه الموسوم به يعني الكعبة
قبلة يصلون اليها **وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل** امرناهما **ان طهرا بيتي**
بان طهرا ويجوز ان يكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به
واخلصاه **للطايفين** حوله **والعاكفين** المقيمين عنده والمعتكفين فيه **والركع**
السجود اي المصلين جمع راكع وساجد **واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا** يريد البلد
او المكان **بلدا امنا** ذا امن كقوله عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل نائم **وارزق اهله**
من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر بدل من اهله بدل البعض للتخصيص
قال ومن كفر عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابرهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان
الرزق رحمة دنيوية يعم المومن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتداء يضمن معنى الشرط
فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب التقليل بان يجعله مقصورا بحظوظ
الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه **ثم اضطره الى عذاب النار**

ثم الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ
الامر فيهما على انه من دعاء ابرهيم عليه السلام وفي قال ضميره وقرا ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم
نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف
ضم شفر تدغم فيها ما يجاورها دون العكس **وبئس المصير** المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب
واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي
الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء
عليها فانه ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة
ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد
وتبيينها تفخيم لشانها **واسمعيل** كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا
يبنيان في طرفين او على التناوب **ربنا تقبل منا** اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما
انك انت السميع لدعائنا **العليم** بنياتنا **ربنا واجعلنا مسلمين لك**
مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص
والاذعان او الثبات وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع **ومن**
ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خص الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة
ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي
الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل
اراد بالامة امة محمد عليه السلام ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين
وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن **وارنا** من راى بمعنى
ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين **مناسكنا** متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل
غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرا ابن كثير وقراه الدوري عن ابي عمرو
بالاختلاس ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة عن الهمزة الساقطة
دليل عليها **وتب علينا** استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا
لذريتهما **انك انت التواب الرحيم** لمن تاب **ربنا وابعث فيهم** في الامة المسلمة
رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلوات الله عليه فهو المجاب به دعوتهما كما قال
انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورويا امي **يتلو عليهم اياتك** يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحى
اليه من دلايل التوحيد والنبوة **ويعلمهم الكتاب** القران **والحكمة** ما يكمل به نفوسهم
من المعارف والاحكام **ويزكيهم** عن الشرك والمعاصي **انك انت العزيز** الذي لا يقهر ولا يغلب

على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابرهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب
عن ملته الواضحة الغراء اى لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها
واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء فى الحديث الكبر ان تسفه الحق
وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وقوله جرير
ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه فى نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى فى محل الرفع
على المختار بدلا من الضمير فى يرغب لانه فى معنى النفى ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى
الاخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد فى الدنيا مشهودا له بالاستقامة
والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض
عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه او تعليل له
او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت ليعلم انه المصطفى الصالح والمستحق للامامة والتقدم وانه
نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلايل المودية الى المعرفة الداعية
الى الاسلام روى انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر
ووصى بها ابرهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال
وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصى يصل فعله بفعل الوصى والضمير فى بها للملة او لقوله اسلمت
على تاويل الكلمة او الجملة وقرا نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اى ووصى
هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم يا بنى على اضمار القول عند البصريين متعلق
بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بالكسر وبنوا
ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرون وبنو يعقوب
اثنى عشر روبين وشمعون [illegible] ويهودا ويشسوخر وزبولون ودوان ونفتونا وكودا واوشير
وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان
لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهى عن الموت على خلاف حال الاسلام كقولك
لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه
ان لا يحل بهم ونظيره فى الامر مت وانت شهيد وروى ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان
يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون
اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غايبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم
ذلك وانما علمتموه من الوحى وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون

قال يهلك ابو قابوس يهلك
ربيع الناس والشهر الحرام

من بعدى اى شىء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات
عليهما وما يسال به عن كل شىء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سيل عن تعيينه واذا سيل عن وصفه
قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل و
اسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد
او لانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه كما قال عليه السلام فى العباس رضى الله عنه هذا بقية آبائى وقرئ اله ابيك
على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابرهيم وحده عطف بيان
الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفايدته التصريح بالتوحيد ونفى التوهم
الناشى من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون
حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعنى ابرهيم ويعقوب
وبنيهما والامة فى الاصل المقصود وسمى بها الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما
كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم
كما قال عليه السلام لا ياتينى الناس باعمالهم وتاتونى بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون
ولا تواخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغايب
لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابرهيم اى بل تكون ملة ابرهيم اى اهل ملته او بل نتبع
ملة ابرهيم وقرئت بالرفع اى ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مايلا عن الباطل
الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشر
كين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب
للمؤمنين لقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به وما انزل الينا القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا
او سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط الصحف وهى وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت
احكامها فهى ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب
او ابناءه وذرياتهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما اوتى موسى وعيسى التورية
والانجيل افردهما بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما
اوتى النبيون المذكورون منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين
احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه فى سياق النفى عام فساغ ان يضاف
اليه بين ونحن له اى لله مسلمون مذعنون مخلصون فان امنوا بمثل ما امنتم

به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به
المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدى
الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها
والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما فى قوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله اى عليه
ويشهد له قراءة من قرأ بما امنتم به او بالذى آمنتم به وان تولوا فانما هم فى شقاق
اى ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا فى شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد
من المتخالفين فى شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم
بالحفظ والنصر على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم
ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو
معاقبهم عليه صبغة الله اى صبغنا الله صبغته وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها فانها حلية الانسان
كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة
لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل فى قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان
النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم ومن
احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته على آمنا وذلك يقتضى دخول قوله صبغة الله فى مفعول قولوا ولمن
نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا بدل
اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا فى الله فى شانه واصطفائه
نبيا من العرب دونكم روى ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا
وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم
اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة
النبوة اما تفضل من الله على من يشاء فالكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة
على الطاعة والتحلى بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله فى اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له
مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابرهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى بالتاء يحتمل ان يكون معادلا للهمزة
فى اتحاجوننا بمعنى اى الامرين تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم
ام الله وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله

وما

وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه فى الدين وفاقا ومن اظلم
ممن كتم شهادة عنده من الله يعنى شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية
والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه
تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة فى كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما فى قوله براءة من الله وما الله
بغافل عما تعملون وعيد وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة فى التحذير
والزجر عما استحكم فى الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفى الآية لنا
تحذير عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة فى الاول الانبياء وفى الثانى اسلاف اليهود والنصارى سيقول
السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد
المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد
الجواب ما وليهم ما صرفهم عن قبلتهم التى كانوا عليها يعنى بيت المقدس والقبلة
فى الاصل الحالة التى عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه اليه للصلوة قل لله
المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان بخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما
العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه
الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم
الآية المتقدمة اى كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم
امة وسطا اى خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو فى الاصل اسم للمكان الذى يستوى اليه
المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين افراط وتفريط كالجود بين الاسراف
والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
كساير الاسماء التى يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به
عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
علة للجعل اى لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم
بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات
والاعراض عن الآيات فيشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى ان الامم يوم القيمة
يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى
بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق
على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة

وجب ان يعلم ان الرسول عليه السلام انما صلى الى البيت المقدس اجتهادا مبنيا على قوله تع فاينما تولوا فثم وجه الله ودليله انه تعالى لم يامره اولا
بالتوجه كما امره اخيرا فلم يات فى كتاب الله ما يدل على التوجه الى بيت المقدس حتى نعتقد ان الله تع نسخ الامر الاول بالثانى ولا شك انه تعالى
لم يامره الا بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام ويحتمل انه عم صلى الى بيت المقدس لكونه اسرى به وعرج به منه الى السماء فاستعظم ذلك الامر ثم بقى
عليه السلام متوقع نزول الوحى اليه فى امر القبلة اذ لم يكن نزل اليه وحى بامر فى القبلة يدل عليه قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلو كان
مامورا بالصلوة الى جهة القدس لما جاز له ان يرضى قبلة غير مارضى الله له ولو جاز ذلك بعد الامر كما ظن لجاز له ان يقلب وجهه بعد كل امر لا يرضاه
وليس كذلك كشف الاسرار
اقول يرد عليه انه لو كان صلوته عم الى بيت المقدس بالاجتهاد لم يحتج فى تحويله الى تطلع الوحى لان المجتهد
لا يحتاج فى اجتهاده الى النص الظاهر فيه والجواب انه عم خاصة مامور بانتظار الوحى فى اجتهاده
سمعناه

وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا** اى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فانه عليه السلام كان يصلى اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس **إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ** الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك فى الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او ليتميز الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما فى من من معنى الاستفهام او مفعوله الثانى ممن ينقلب اى لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب **وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً** ان هى المخففة من المثقلة واللام هى الفاصلة وقال الكوفيون هى النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التى كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويل او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة **إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ** الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** اى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روى انه عليه السلام لما وجه الى الكعبة قالوا كيف لمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت **إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ** ربما نرى تردد وجهك فى جهة السماء تطلعا للوحى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم عليه السلام واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل **فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً** فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اى صيرته واليا له او فلنجعلنك تلى جهتها **تَرْضَاهَا** تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمه **فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** اى اصرف وجهك نحوه وقيل الشطر فى الاصل لما انفصل عن الشئ من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل

باب الصلوة من الايمان حدثنا عمرو بن خالد قال حدثنا زهير قال حدثنا ابو اسحق عن البراء ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اول ما قدم المدينة نزل على اجداده او قال اخواله من الانصار وانه صلى الله عليه وسلم صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان يكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلوة صلاها صلوة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على اهل مسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلعم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت. بخارى من كتاب الايمان

المراد من قوله اول صلوة صلاها صلوة تامة صلاها فلا يكون منافيا لما بعد الكتاب

بجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه السلام كان فى المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روى انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة فى رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه فى مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فتحول فى الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين **وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ** خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة **وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ** جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلى الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه **وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** وعد ووعيد للفريقين **وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ** برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم **مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ** جواب القسم المضمر وقد سد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا **وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ** قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذى ننتظره تغريرا له وطمعا فى رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق **وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ** فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ** على سبيل الفرض والتقدير اى ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحى **إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ** واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب من الانبياء **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ** يعنى علماءهم **يَعْرِفُونَهُ** الضمير لرسول الله وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل **كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ** يشهد للاول اى يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام منهم عن رسول الله فقال انا اعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست اشك فى محمد انه نبى واما ولدى فلعل والدته خانت **وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن **الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ** كلام مستأنف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذى يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذى انت عليه لا ما لم يثبت كالذى عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ

بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون **فلا تكونن من الممترين** الشاكين في انه
من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد
واختيار بل اما تحقيق الامر وانه لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ
ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة
هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة
بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبر الضعف العامل وقرأ ابن عامر
مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها **فاستبقوا الخيرات** من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة
الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة **اينما تكونوا يات بكم الله جميعا**
في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من
اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلوتكم
كانها الى جهة واحدة **ان الله على كل شيء قدير** فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع **ومن
حيث خرجت** ومن اي مكان خرجت **فول وجهك شطر المسجد الحرام**
اذا صليت **وانه** وان هذا الامر **للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون**
**ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما
كنتم فولوا وجوهكم شطره** كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل
تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها
ويستبين بها ودفع حجج المخالفين على ما بينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا
وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها
مرة بعد اخرى **لئلا يكون للناس عليكم حجة** علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية
عن الصخرة الى الكعبة يدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا
ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابرهيم ويخالف قبلته **الا الذين ظلموا منهم**
استثناء من الناس اي لا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى
الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه
حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة
في نفي الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه **فلا تخشوهم**
فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم **واخشوني** فلا تخالفوا امري **ولاتم نعمتي**

عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي
اهتدائكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي الحديث
تمام النعمة دخول الجنة وعن علي عليه السلام تمام النعمة الموت على الاسلام **كما ارسلنا فيكم
رسولا منكم** متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول
منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني **يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم** يحملكم على
ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابرهيم باعتبار الفعل **ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** بالفكر والنظر اذ لا
طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر **فاذكروني** بالطاعة **اذكركم**
بالثواب **واشكروا لي** ما انعمت عليكم **ولا تكفرون** بجحد النعم وعصيان الامر **يا ايها
الذين امنوا استعينوا بالصبر** عن المعاصي وحظوظ النفس **والصلوة** التي هي ام العبادات
ومعراج المؤمنين ومناجات رب العالمين **ان الله مع الصابرين** بالنصرة واجابة الدعوة
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات **بل احياء**
بل هم احياء **ولكن لا تشعرون** ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به
من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم
على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما يعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية
نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس من
البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء
لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة **ولنبلونكم** ولنصيبنكم اصابة من يختبر
احوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء **بشيء من الخوف والجوع** اي بقليل من ذلك
وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم
في الاخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم **ونقص من الاموال والانفس
والثمرات** عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان
والنقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول
الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد
**وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا
اليه راجعون** الخطاب للرسول او لمن تاتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه



كقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور
ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعمة الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه
ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه قوله **اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة**
الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة
اللطف والاحسان وعن النبي عليه السلام من استرجع عند المصيبة جبر الله تعالى مصيبته واحسن عقباه
وجعل له خلفا صالحا يرضاه. **واولئك هم المهتدون** للحق والصواب حيث استرجعوا
وسلموا لقضاء الله تعالى **ان الصفا والمروة** هما علما جبلين بمكة **من شعائر الله** من
اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة **فمن حج البيت او اعتمر** الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة
فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين [illegible] المخصوصين **فلا جناح عليه ان يطوف**
بهما كان اساف على الصفا ونايلة على المروة وكان [illegible]لية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام
وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت [illegible] الاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما
الخلاف في وجوبه وعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف
لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن
مالك والشافعي انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي **ومن تطوع خيرا**
اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا
انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل
لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف **فان**
الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه **ان الذين يكتمون** كاحبار اليهود
ما انزلنا من البينات كالايات الشاهدة على امر محمد عليه السلام **والهدى** وما يهدي
الى وجوب اتباعه والايمان به **من بعد ما بيناه للناس** لخصناه **في الكتاب**
في التورية **اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** اي الذين يتأتى
منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين **الا الذين تابوا** عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه
واصلحوا ما افسدوا بالتدارك **وبينوا** ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه
من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم **فاولئك اتوب عليهم**
بالقبول والمغفرة **وانا التواب الرحيم** المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة **ان**
الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات **اولئك**
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعن الله ومن

يعتد

يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون
عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني من ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو
يلعنهم الملائكة **خالدين فيها** اي في اللعنة او في النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا
او اكتفاء بدلالة اللعن عليها **لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون**
لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة **والهكم اله واحد** خطاب
عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها **لا اله الا هو** تقرير
للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة **الرحمن الرحيم**
كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة
احد غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم او لمبتدأ محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان
كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت **ان في خلق السموات والارض**
وانما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين
واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة **والفلك التي**
تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال
بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر
والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل
او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين **وما انزل الله من السماء من ماء**
من الاولى للابتداء ومن الثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو **فاحيا به**
الارض بعد موتها بالنبات **وبث فيها من كل دابة** عطف على انزل كانه استدل
بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيى فان الدواب ينمون بالخصب
ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق **وتصريف الرياح** في مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي
على الافراد **والسحاب المسخر بين السماء والارض** لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي
احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله تعالى واشتقاقه من السحب لان
بعضه يجر بعضا **لايات لقوم يعقلون** يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم
وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود
الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه
مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض
وان تتحرك بعكس حركتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض او على هذا

الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلابد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما يستدعيه حكمته وتقتضيه
مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه آله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما
فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز
الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه **ومن الناس من
يتخذ من دون الله اندادا** من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله
اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى **يحبونهم**
يعظمونهم ويطيعونهم **كحب الله** كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة
والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق من الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله
ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه
عن المعاصي **والذين آمنوا اشد حبا لله** لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد
فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد
ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره **ولو يرى الذين ظلموا** ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا
باتخاذ الانداد **اذ يرون العذاب** اذ عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه
لقوله ونادى اصحاب الجنة **ان القوة لله جميعا** ساد مسد مفعولي يرى وجواب
لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق
الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير لو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها
لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي عليه السلام اي ولو ترى ذلك
لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا **وان الله شديد
العذاب** على الاستيناف او اضمار القول **اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا** بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء
ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ **وتقطعت بهم
الاسباب** يحتمل العطف على تبرأ او رأوا والحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من
الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت
على البناء للمفعول **وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا
منا** لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم **كذلك** مثل ذلك الاراء
الفظيع **يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم** ندامات وهي ثالث مفاعيل يري

ان

ان كان من رؤية القلب والا فحال **وما هم بخارجين من النار** اصله وما يخرجون فعدل
الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا **يا ايها الناس كلوا
مما في الارض حلالا** نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا
او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يوكل كل ما في الارض **طيبا** يستطيبه الشرع
او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** لا
تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما
لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين
على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو **انه لكم عدو مبين** ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة
وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت **انما يأمركم
بالسوء والفحشاء** بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه
وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف
باختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء
ما يجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد **وان تقولوا على
الله ما لا تعلمون** كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع
الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه الظن المستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه
كما بيناه في الكتب الاصولية **واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله** الضمير للناس وعدل عن الخطاب
معهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون **قالوا
بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا** ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وساير
ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التورية
لانها ايضا تدعو الى الاسلام **اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون**
الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر
الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما
اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد
بل اتباع لما انزل الله **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا
دعاء ونداء** على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين
كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم

ولا يتأملون فيما يقرع سمعهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه. وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صم بكم عمي بالرفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر

يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والانس والجن في نبإ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت بغير ذكوة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها او استثنى الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وساير اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة انه يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه وقول احمد رحمه الله فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونه عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل اي لا يأكلون يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى

في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تأويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه البشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طايفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص ليس البر بالنصب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتى المال على حبه اي على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اي الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم افضل كما قال عليه السلام صدقتك على المساكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان صدقة وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنه الخلة واصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذين الجأهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرس وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله آتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي

حزب

الحديث نسخت الزكوة كل صدقة **والموفون بعهدهم اذا عاهدوا** عطف على من
آمن **والصابرين في البأساء والضراء** نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على ساير
الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض **وحين البأس**
وقت مجاهدة العدو **اولئك الذين صدقوا** في الدين واتباع الحق وطلب البر **واولئك
هم المتقون** عن الكفر وساير الرذايل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها
دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة
وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله وآتى المال
الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا
الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى باعتبار معاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام
من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان **يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى** كان في الجاهلية
بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر
بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباوؤا والاصل
البوء وهو التسوية ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم
حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي رض قتل الحر
بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روي عن علي رض ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول عليه السلام ونفاه سنة
ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما
كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى
نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى
العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين
الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذلك كل فعل جاء في القرآن
فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو مفعول مطلق لا مفعول به كقولك سير بزيد
بعض السير لان عفى لازم وفايدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل
عفى بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفى الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفى يعدى بعن
الى الجاني والى الذنب اعلم ان عفى اذا استعمل مع واحد من الذنب والجاني يعدى بعن كقولك عفوت عن فلان
وعفوت عن ذنبه اذا استعمل مع الذنب والجاني عدي الى الذنب بعن والى الجاني باللام كقولك عفوت لفلان
عن ذنبه قال الله تعالى عفى الله عنك وقال عفى الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليها

في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من
الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه **فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان**
اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه
بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر
بادائها على مطلق العفو وللشافعي رضي الله عنه في المسئلة قولان **ذلك** اي الحكم المذكور في العفو والدية **تخفيف
من ربكم ورحمة** لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى
النصارى العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم
فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية **فله عذاب اليم**
في الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية **ولكم
في القصاص حيوة** كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف
القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع
القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد
فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه
اضمار تقديره ولكم في مشروعية القصاص حيوة وعلى الثاني تخصيص اي تخصيص الحيوة بغير المقتص منه
وقيل المراد بالحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة ولكم في القصاص
يحتملان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه
وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب **يا اولي
الالباب** ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح
وحفظ النفوس **لعلكم تتقون** في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن
القصاص فتكفوا عن القتل **كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت** اي
حضر اسبابه وظهر اماراته **ان ترك خيرا** اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي كرم الله وجهه
ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعماية درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال
الكثير وعن عايشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسألته كم مالك فقالت ثلثة آلاف فقالت كم عيالك
فقال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك **الوصية للوالد
ين والاقربين** مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك
ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه وقيل مبتدأ خبره
للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح

فمن ضرورات الشرع وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل
ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم
الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالتواتر ولعله احترز عنه من فسر
الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير
ما اوصى به الله عليهم **بالمعروف** بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث **حقا على**
المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا **فمن بدله** غيره من الاوصياء والشهود
بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده **فانما اثمه على الذين يبدلونه**
فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدله لانه هو الذي خان وخالف الشرع **ان الله سميع**
عليم وعيد للمبدل بغير حق **فمن خاف من موص** اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان
ترسل السماء **جنفا** ميلا بالخطاء في الوصية **او اثما** تعمدا للجنف **فاصلح بينهم**
بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع **فلا اثم عليه** في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى
حق بخلاف الاول **ان الله غفور رحيم** وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم
وكون الفعل من جنس ما يؤثم **يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام**
كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن آدم وفيه توكيد
للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع
الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس **لعلكم تتقون** المعاصي فان الصوم
يكسر الشهوة التي هي مبداؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال بادابه
لاصالته وقدمه ما اخل الله امة من افتراضه عليها **اياما معدودات** موقتات بعدد
معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بصيام لوقوع الفصل
بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو
عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر او بما كتب على الظرفية او على انها مفعول ثان لكتب عليكم على
السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر
شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم **فمن**
كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه **او على سفر** او راكب سفر وفيه
ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر **فعدة من ايام اخر** اي فعليه صوم عدة ايام
المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب
اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة

وعلى

وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا **فدية طعام**
مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص
لهم في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر باضافة
الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة
او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه على ان اصلهما
يطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يطوقونه ويتطوقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه
الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة
اي يصومونه جهدهم وطاقتهم **فمن تطوع خيرا** فزاد في الفدية **فهو** فالتطوع او الخير
خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم والمرخصون في الافطار
ليندرج تحته المريض والمسافر **خير لكم** من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء
ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله
اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك **شهر رمضان**
مبتدأ خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي
كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وعن حفص عن عاصم وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول
وان تصوموا او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق واضيف اليه الشهر
وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث
وقوله عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من
حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيثما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة
القديمة **الذي انزل فيه القران** اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة
الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه القران وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم
نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن
لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن
معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم **هدى للناس وبينات**
من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات
مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** فمن حضر
في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم
ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب ضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه

مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر
فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك
او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا
الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي
وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص
لتكملوا العدة الخ على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة
الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة
على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي يريد بكم
لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير
يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم برواية ابي بكر
ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو
تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة
الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان
والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم
يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما
امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه
خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم
فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا
اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد
العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت
وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح
بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ
الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف يبين سبب الاحلال
وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان
ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا

اولان

علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة
كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره
فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق
البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته
في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح
لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين
ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك
خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت
ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت
ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك
ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة
صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث
في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى
امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون
مسجد وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود
الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل
لئلا يداني الباطل فضلا عن ان يتخطى كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى
يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك
مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر
والنواهي ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا يأكل بعضكم مال
بعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها
الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام
لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما

كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم **وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** انكم مبطلون
فان ارتكاب المعاصي مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة
ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه السلام ان
الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت
وهي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الي
ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه
فانما اقضي له قطعة من النار **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ** سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود
كما بدأ **قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** انهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل
امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات
الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من
الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها
الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر **وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا
الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى** كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا
ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس
ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت
الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد والاستطراد طلب الطرد كانه لما ذكر الحج اراد ان يذكر معه
شيئا يناسبه ومن جملة احكامه او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم
ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا
بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم اي ينبغي لهم ان يسألوا عن حكمة في امر الهلال لا عن كمال الهلال ووقته
السؤال بالتمثيل بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر ان تعكسوا مسائلكم ولكن البر بر
من اتقى ذلك ولم يجترئ على مثله **وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا** اذ ليس في العدول
بر او باشروا الامور من وجوهها **وَاتَّقُوا اللَّهَ** في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله **لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ** لكي تظفروا بالهدى والبر **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** جاهدوا لاعلاء كلمته
واعزاز دينه **الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ** قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين
منهم والمحاجزين المانعين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ
والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول
ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له

مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم او الشهر الحرام وكرهوا ذلك
فنزلت **وَلَا تَعْتَدُوا** بابتداء القتال او بقتال المعاهد او المفاجاة به من غير دعوة او المثلة وقتل من
نهيتم عن قتله **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** لا يريد بهم الخير **وَاقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ** حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما
كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود
وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ اي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح
وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب
من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم
اياهم فيه **وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ**
لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام **فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**
فلا تبالوا بقتالهم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم والمعنى
حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد **كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ** مثل ذلك جزاؤهم يفعل
بهم مثل ما فعلوا **فَإِنِ انْتَهَوْا** عن القتال والكفر **فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** يغفر لهم ما قد سلف
وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ شرك **وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** خالصا ليس
للشيطان فيه نصيب **فَإِنِ انْتَهَوْا** عن الشرك **فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ**
اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم
باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر
عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء **الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ** قاتلهم المشركون عام
الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك
عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بهذا
الشهر وهتكه بهتكه فلا تبالوا به **وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ** احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها
يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم
كما قال **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**
وهو فذلكة التقرير **وَاتَّقُوا اللَّهَ** في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
مَعَ الْمُتَّقِينَ** فيحرسهم ويصلح شانهم **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ولا تمسكوا كل الامساك
وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو و
والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله

الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدى
الى الهلاك المؤبد ولذلك سمى البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشى في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدى بالى
لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدى الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد وهى مصدر كالتضرة
والتسرة اى لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها
فحذف المفعول **واحسنوا** اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج **ان الله يحب المحسنين**
واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعى المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل
على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة
مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك فمعارض بما روى ان رجلا قال لعمر رضى الله عنه انى وجدت الحج والعمرة
مكتوبين على اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت
بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب
الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان
تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوى او ان تكون النفقة حلالا **فان احصرتم** منعتم يقال
حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضى مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك
والشافعى رضى الله عنهما لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر الا حصر العدو وكل
منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابى حنيفة لما روى عنه عليه السلام من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو
ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجى واشترطى وقولى اللهم
محلى حيث حبستنى **فما استيسر من الهدى** فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر
او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدى تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة
حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل وعند ابى حنيفة رحمه الله يبعث به
ويجعل للمبعوث بيده يوم امار والامار العلامة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله عليه السلام **ولا
تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله** اى لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدى
المبعوث الى الحرم بلغ محله اى مكانه الذى يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث
يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدى دليل على عدم القضاء وقال ابو حنيفة رح يجب القضاء والمحل
بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدى جمع هدية كجدى وجدية وقرئ من الهدى جمع هدية كمطى في مطية
فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق **او به اذى من راسه** كجراحة وقمل
ففدية اى فعليه فدية ان حلق **من صيام او صدقة او نسك**
بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روى انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله

قال

قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصوع **فاذا امنتم**
الاحصار او كنتم في حال امن وسعة **فمن تمتع بالعمرة الى الحج** فمن استمتع وانتفع بالتقرب
الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات
الاحرام الى ان يحرم بالحج **فما استيسر من الهدى** فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران
يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة رح انه دم نسك فهو كالاضحية **فمن لم يجد** اى الهدى
فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة
في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذى الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق
عند الاكثر **وسبعة اذا رجعتم** الى اهليكم وهو احد قولى الشافعى او نفرتم وفرغتم من اعماله
وهو قوله الثانى ومذهب ابى حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام **تلك عشرة** فذلكة
الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم
تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما
كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به
تنتهى الآحاد ويتم مراتبها او مقيدة تقيد كمال بدليتها من الهدى **ذلك** اشارة الى الحكم المذكور عندنا
والتمتع عند ابى حنيفة رح اذ لا متعة ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم
جناية **لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام** وهو من كان من الحرم على
مسافة القصر عندنا فانه مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس
وغير المكى عند مالك **واتقوا الله** في المحافظة على اوامر الله ونواهيه وخصوصا في الحج **واعلموا
ان الله شديد العقاب** لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به عن العصيان **الحج
اشهر** اى وقته كقولك البرد شهران **معلومات** معروفات وهى شوال وذو القعدة
وتسع ذى الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابى حنيفة رحمه الله وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف
ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه وما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان
مالكا كره العمرة في بقية ذى الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمى شهرين
وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد **فمن فرض
فيهن الحج** فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدى عند ابى حنيفة
وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعى وان من احرم بالحج لزمه الاتمام **فلا رفث** فلا جماع
او فلا فحش من الكلام **ولا فسوق** ولا خروج من حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات
ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة **في الحج** في ايامه نفى الثلثة على قصد النهى للمبالغة وللدلالة

على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب
بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين
بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان
قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة **وما
تفعلوا من خير يعلمه الله** حث على الخير عقب به النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه
وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل
نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان
يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس **واتقون يا اولي الالباب**
فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرأ عن كل
شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب **ليس
عليكم جناح ان تبتغوا** اي في ان تبتغوا اي تطلبوا **فضلا من ربكم**
عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت **فاذا افضتم من
عرفات** دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول
كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث
لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب
التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي
ليست تاء التانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المونث كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة
تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمونث وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابرهيم عليه السلام
فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان ادم وحوا التقيا فيه
فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف
فانه اذن ليس من الاسماء المرتجلة وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها
بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل مستحب وعلى تقدير انه واجب
فهو واجب مقيد لا واجب مطلق حتى يجب مقدمته **فاذكروا الله** بالتلبية والتهليل والدعاء
وقيل بصلاة العشائين **عند المشعر الحرام** جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة
ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر
الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى
عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر **واذكروه**

كما هديكم كما علمكم واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة
وان كنتم من قبله اي الهدى **لمن الضالين** الجاهلين بالايمان والطاعة وان
هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين **ثم افيضوا
من حيث افاض الناس** اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع
وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في
قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب
عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد ادم عليه السلام من قوله فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع
قديم فلا تغيروه **واستغفروا الله** من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه **ان الله غفور
رحيم** يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه **فاذا قضيتم مناسككم** فاذا قضيتم العبادات
الحجية وفرغتم منها **فاذكروا الله كذكركم اباءكم** فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون
بذكر ابائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر
ابائهم ومحاسن ايامهم **او اشد ذكرا** اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى
فاذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد
منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من ابائكم
او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم **فمن الناس من يقول** تفصيل للذا
كرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين اريد به الحث على الاكثار والارشاد
اليه **ربنا اتنا في الدنيا** اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا **وما له في الاخرة من خلاق**
نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق **ومنهم من يقول ربنا اتنا في
الدنيا حسنة** يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير **وفي الاخرة حسنة** يعني الثواب والرحمة
وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة
وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة
الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها **اولئك**
اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما **لهم نصيب مما كسبوا** اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله
كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال **والله
سريع الحساب** يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة
ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات **واذكروا الله في ايام معدودات**
كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق **فمن تعجل** فمن استعجل النفر

في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عند ابي حنيفة
فلا اثم عليه ومن تاخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم
رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم
من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله
حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبا بكم واعلموا انكم اليه
تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الضم وجمع المفترق ومن الناس من يعجبك
قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا
متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مرادة من ادعاء المحبة
واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة
والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في
قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة
ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي
وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى
ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك
الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله
ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا
يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته
العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يومر باتقائه لجاجا من قولك اخذته
بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب
وهي في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف
للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطا للجنب ومن الناس من يشري نفسه
يبيعها ببذلها في الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله
اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه
واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرى وكلفهم بالجهاد
فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة
والسلم بالفتح والكسر الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي
وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها يؤنث

باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه

كالحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة
ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب
فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا
والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا
خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان
زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة على انه
الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون
استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره او باسه كقوله او ياتي امر ربك
فجاءهم باسنا او ياتيهم الله بباسه فحذف الماتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل
جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم
العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب
فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة بباسه
وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل
لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قراه ابن كثير
ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرا الباقون على البناء للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه
من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد
والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم اتيناهم من اية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب
شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية
او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة
الله اي آيات الله فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم يجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف
والتاويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض
بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب
فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا
حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى
اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية
وما خلقه الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين
امنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزئون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم

على العقب ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة
لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم
كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم
للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا
استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس
او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين اي فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من
عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية
وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان
اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به
ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق
الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين
اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا
فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف
من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي
والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام
منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما ياتكم ولم ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع
ولذلك جعلت مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم
البأساء والضراء بيان له على الاستيناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد
حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت
حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله
استبطاء له لتاخره الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم
الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات
ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك
ماذا ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري كان شيخا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله

ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين
والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فاجيب
ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الآية
واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط
فان الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فالله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض
الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو
مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى المفعول كالخبز وقرئ بالفتح
على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته
امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان
الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو
جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت
ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام
تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روي انه عليه السلام بعث
عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي
وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب
وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس
الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ الغنيمة وهي اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم
المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر
وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية
على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد صرف ومنع
عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اي بالله
والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دؤاد اكل امرئ تحسبين
امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا
يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة
الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية

خطأ وبناء على الظن وهو خبر من الاشياء الاربعة المعدودة من كباير قريش وافعل من يستوي فيه
الواحد والجمع والمذكر والمونث والفتنة اكبر من القتل اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك
افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن
دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك
اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا لا يردونهم ومن يرتدد منكم
عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت
عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح
وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوايد الدنيوية والآخرة
بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كساير الكفرة ان
الذين آمنوا نزلت ايضا في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد
وكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمت الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا
بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطاء وقلة
احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسئلونك عن الخمر والميسر روي انه نزلت بمكة
قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر
من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون
ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا
وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا
يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي
سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة رح نقيع الزبيب
والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار
لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسئلونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما
اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المامور وارتكاب المحظور ومنافع للناس
من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية
الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة

منها

منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه
ليس كذلك لما مر ويسئلونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا
عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض
السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي
ان رجلا اتى النبي عليه السلام ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه
حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال يأتي احدكم بماله كله
يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الآيات
اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف
اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع لعلكم
تتفكرون في الدلايل والاحكام في الدنيا والآخرة في امور الدارين فتأخذون
بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسئلونك عن
اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم
فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم
لاصلاحهم او اصلاح اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة
اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله
يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه
عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت
وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم
ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن
وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله
تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها
بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه عليه السلام بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا
من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك
ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت ولامة مؤمنة
خير من مشركة اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه
ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشر
كين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولو اعجبكم

وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب
في مواصلة المؤمنين أُولَئِكَ اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يَدْعُونَ
إِلَى النَّارِ اى الى الكفر المؤدى الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم وَاللَّهُ اى اولياؤه يعني
المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ
اى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة بِإِذْنِهِ بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه
وارادته وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ لكي يتذكروا او ليكونوا
بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ
الْمَحِيضِ روى ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر
ذلك الى ان سال ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت
ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك بغير واو ثلثا ثم بها ثلثا لان السوالات الاول كانت في اوقات متفرقة
والثلثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قُلْ هُوَ أَذًى اى الحيض مستقذر
مؤذ من يقربه نفرة منه فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ فاجتنبوا مجامعتهن لقوله
عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم
وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض وانما وصف
بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ
تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم
في رواية ابن عياش يطهرن اى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُو
هُنَّ فانه يقتضي تاخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها
قبل الغسل مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ اى المأتى الذى امركم به وحلله لكم إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
التَّوَّابِينَ من الذنب وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة
الحائض والاتيان في غير المأتى نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها
لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فَأْتُوا حَرْثَكُمْ اى فاتوهن كما تاتون المحارث
وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله أَنَّى شِئْتُمْ من اى جهة شئتم روى ان اليهود
كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء
وَاتَّقُوا اللَّهَ بالاجتناب عن معاصيه وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ فتزودوا ما لا
تفتضحون به وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر رسول الله صلى الله عليه

ان

ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ
أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ نزلت في الصديق لما حلف
ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان
ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض
للامر ومعنى الآية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان
الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا فأت الذى
هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز
ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا ولاجل ايمانكم به وعلى
الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف
مهين وان تبروا علة النهي اى انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ
على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين وَاللَّهُ سَمِيعٌ لايمانكم
عَلِيمٌ بنياتكم لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ اللغو الساقط الذى لا يعتد
به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب
لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ
والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان
وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة رحمه الله اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى
لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها وَاللَّهُ غَفُورٌ حيث لم يؤاخذكم
باللغو حَلِيمٌ حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ
مِنْ نِسَائِهِمْ اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن
هذا القسم معنى البعد عدي بمن تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مبتدأ ما قبله خبره او فاعل
الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف واضيف الى الظرف على الاتساع اى للمولى حق التلبث
في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده
فَإِنْ فَاءُوا رجعوا في اليمين بالحنث فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ للمولى اثم حنثه اذا كفر او ما
توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ
وان صمموا قصده فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لطلاقهم عَلِيمٌ بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة رحمه الله
الايلاء في اربعة اشهر فما فوقها وحكمه ان المولى ان فاء في المدة بالوطء ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم
الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم

والمطلقات يتربصن خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكأن المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدا يزيد فضل تأكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فأمرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض كقوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين الحيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المراة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنان لما روي انه عليه السلام سئل

اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا اي من الصدقات روي ان جميلة بنت ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله تركا اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المراة في اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه السلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح

يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد
من الاصابة لما روى ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت
طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله عليه السلام
اتريدين ان ترجعي الى رفاعة حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة
ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع
عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر
وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له **فان طلقها**
الزوج الثاني **فلا جناح عليهما ان يتراجعا** ان يرجع كل من المراة والزوج الاول
الى الآخر بالزواج **ان ظنا ان يقيما حدود الله** ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله
وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن ههنا بالعلم غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم
ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم **وتلك حدود الله** اي الاحكام
المذكورة **يبينها لقوم يعلمون** يفهمون ويعملون بمقتضى العلم **واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن** اي آخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان
وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد
يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح ان يرتب عليه **فامسكوهن بمعروف
او سرحوهن بمعروف** اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن
حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة الحكم في بعض صوره للاهتمام **ولا تمسكوهن ضرارا**
ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول
العدة عليها فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين **لتعتدوا**
لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده **ومن يفعل
ذلك فقد ظلم نفسه** بتعريضها للعقاب **ولا تتخذوا آيات الله هزوا** بالاعراض
عنها والتهاون بالعمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزؤ واراد الامر بضده
وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلث جدهن جد
وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق **واذكروا نعمت الله عليكم** التي من جملتها
الهداية وبعثة محمد عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها **وما انزل عليكم من الكتاب
والحكمة** القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما **يعظكم به** بما انزل عليكم
واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد **واذا طلقتم**

٦١

النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي رضي الله عنه دل سياق الكلامين
على افتراق البلوغين **فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن** المخاطب به الاولياء
لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون
دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح
اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن
يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم
والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس
والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج **اذا تراضوا بينهم** اي الخطاب والنساء
وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن **بالمعروف** بما يعرفه الشرع او يستحسنه المروءة حال من الضمير
المرفوع او صفة لمحذوف مصدر اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج
من غير كفو غير منهي **ذلك** اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل القبيل او كل واحد وان
الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم
على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد
يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع **ذلكم
ازكى لكم** انفع **واطهر** من دنس الآثام **والله يعلم** ما فيه
من النفع والصلاح **وانتم لا تعلمون** لقصور علمكم **والوالدات يرضعن اولا
دهن** امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من
امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن
اذ الكلام فيهن **حولين كاملين** اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه **لمن اراد ان
يتم الرضاعة** بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان
الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة بعدهما
وانه يجوز ان ينقص عنه **وعلى المولود له** اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه
وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه **رزقهن وكسوتهن**
اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي رض ومنعه ابو حنيفة رح ما دامت زوجة او معتدة نكاح **با
لمعروف** حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه **لا تكلف نفس الا وسعها** تعليل لايجاب المؤن
والتقييد بالمعروف دليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه **لا تضار والدة
بولدها ولا مولود له بولده** تفصيل له وتقريب اي لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه

ولا يضار بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضارُّ بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله
على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح للبناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون
بمعنى تضر والباء من صلته اى لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضارْ
بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره. واضافة الولد اليها تارة
والى الاخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق ولا ينبغي
ان يضرا به او يتضارا بسببه **وعلى الوارث مثل ذلك** عطف على قوله وعلى المولود له
رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اى مؤن
المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث
منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي رضي الله عنه اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل
وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وقيل عصباته
وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة **فان ارادا فصالا
عن تراض منهما وتشاور** اى فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل
الحولين والتشاور والمشاورة والشورة والمشورة استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته
فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما
على ما يضر به لغرض **وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم** اى تسترضعوا المراضع
اولادكم يقال ارضعت المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها
فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه **فلا جناح عليكم** فيه واطلاقه يدل على ان للزوج
ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع **اذا سلمتم** الى المراضع **ما آتيتم** ما اردتم
ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرأ ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم
اى ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة **بالمعروف** صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن
شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو
الاولى والاصلح للطفل **واتقوا الله** مبالغة في المحافظة على ما شرع من امر الاطفال والمراضع
واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد **والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا** اى وازواج الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن
منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر
الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له

قوله

قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك
في ثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما
يضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قال الشافعي رض
والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص
الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما
انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا **فاذا بلغن اجلهن** اى انقضت عدتهن **فلا
جناح عليكم** ايها الائمة او المسلمون جميعا **فيما فعلن في انفسهن**
من التعريض للخطاب وساير ما حرم عليها للعدة **بالمعروف** بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه
انهن لو فعلن ما ينكر فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح **والله بما تعملون
خبير** فيجازيكم عليه **ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة
النساء** التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل
جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل
وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة
بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافقة
ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك **او اكننتم في انفسكم** او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه
تصريحا ولا تعريضا **علم الله انكم ستذكرونهن** ولا تصبروا على السكوت عنهن
وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ **ولكن لا تواعدوهن سرا** استدراك عن محذوف
دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه
يسر ثم عبر به عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة بالسر المواعدة
بما يستهجن **الا ان تقولوا قولا معروفا** وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى
منه محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء
منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل
حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق
البائن والاظهر جوازه **ولا تعزموا عقدة النكاح** ذكر العزم مبالغة في النهي
عن العقد اى ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع
حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة **واعلموا ان الله
يعلم ما في انفسكم** من العزم على ما لا يجوز **فاحذروه** ولا تعزموه

واعلموا ان الله غفور لمن عزم فلم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة
لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي
صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم
تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى
تفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية
الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم
لها مهر اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية
ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخريين ومتعوهن عطف
على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي
الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة
والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امرأته المفوضة قبل ان
يمسها امتعتها ولو بقلنسوتك وقال ابو حنيفة رح هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك
فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي
رح في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرأ حمزة والكسائي وحفص
وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة حقا
صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة
الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف
ما فرضتم فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها وهو دليل
على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات
فلا يأخذن شيئا والصيغة يحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع
وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان هاهنا ونصب المعطوف عليه او يعفو
الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق
المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا
والحنفية وقيل الولي الذي يعقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي وان
تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة
عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن

طلق

الموضع الذي سعة من ادب الرجل اذا كثر ماله

لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها

طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه انه تزوج امرأة
وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تنسوا ان
ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا
على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا
يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر
لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال
الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم وكانت افضل
لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك
بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين
واقعتين في طرفي الليل وعن عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون
صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا
لله في الصلوة قانتين ذاكرين في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب
المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا
فصلوا راكبين وراجلين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال
المسايفة واليه ذهب الشافعي رضي الله عنه وقال ابو حنيفة رح لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يكن الوقوف
فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن
كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه
وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم
قرأها بالنصب ابو عمرو والزم الذين يتوفون وصية وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير الذين يتوفون
منكم او يوصون وصية او كتب الله عليهم وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول
مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل
وصية او كتب عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا
فبالوصية او بمتاع على قراءة من قرأ لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد
كقولك هذا القول غير ما يقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون
ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك اول الاسلام
ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وان كان متقدما في التلاوة فهو متأخر في النزول وسقطت النفقة

وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية

بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة **فان خرجن** من منزل الازواج **فلا جناح عليكم** ايها الائمة **فيما فعلن في انفسهن** كالتطيب وترك الحداد **من معروف** مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها **والله عزيز** ينتقم ممن خالفه منهم **حكيم** راعى مصالحهم **وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين** اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرر القصة **كذلك** اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد **يبين الله لكم آياته** وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا **لعلكم تعقلون** لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها **الم تر** تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ومن لم يسمع فانه صار مثلا في التعجب **الى الذين خرجوا من ديارهم** يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر لقضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم **وهم الوف** اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متآلفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال **حذر الموت** مفعول له **فقال لهم الله موتوا** اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا **ثم احياهم** قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا او التعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء **ان الله لذو فضل على الناس** حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا او قص عليكم حالهم لتستبصروا **ولكن اكثر الناس لا يشكرون** اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يكون المراد بالشكر الاعتبار والاستبصار **وقاتلوا في سبيل الله** لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب **واعلموا ان الله سميع** لما يقوله المتخلف والسابق **عليم** بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء **من ذا الذي يقرض الله** من استفهامية

مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه **قرضا حسنا** اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس ومقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله **فيضاعفه له** فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله واحد وقرأ ابن كثير يضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب **اضعافا كثيرة** كثرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعماية واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع **والله يقبض ويبسط** يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم **واليه ترجعون** فيجازيكم على ما قدمتم **الم تر الى الملأ من بني اسرائيل** الملأ الجماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض **من بعد موسى** اي من بعد وفاته ومن للابتداء **اذ قالوا لنبي لهم** هو يوشع او شمعون او اشمويل **ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله** اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعث لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا **قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا** فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا **قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا** اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعماية واربعين **فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم** ثلثماية وثلثة عشر بعدد اهل بدر **والله عليم بالظالمين** وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا** طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت **قالوا انى يكون له الملك علينا** من اين يكون له ذلك ويستاهل **ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال** والحال انا احق منه بالملك وراثة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا

راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوی بن يعقوب
والملك في اولاد يهودا او كان فيهم من السبطين خلق **قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده**
بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا
تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح
منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون
اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل بانه
واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسب وغيره **وقال لهم نبيهم** لما
طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم **ان آية ملكه ان يأتيكم التا**
بوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول
لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة
يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين **فيه**
سكينة من ربكم الضمير للاتيان اى في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اى مودع فيه ما تسكنون
اليه وهو التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من
زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا
استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليهم السلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة
ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن **وبقية مما ترك آل موسى**
وآل هرون رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم
شانهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما **تحمله الملائكة** قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة
وهم ينظرون اليه وقيل بعده كان مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت
الى ان ملك طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة
الى طالوت **ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين** يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي عم
وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى **فلما فصل طالوت بالجنود** انفصل بهم عن
بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي
الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان
يجري الله لهم نهرا **قال ان الله مبتليكم بنهر** معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه **فمن شرب**
منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي **ومن لم يطعمه فانه مني**
اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم

ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي **الا من اغترف غرفة بيده** استثناء من قوله
فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا
والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين **فشربوا منه**
الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء
او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل
كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة الاف وقيل الف وروي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته
ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة **فلما**
جاوزه هو والذين آمنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه **قالوا** اي بعضهم لبعض
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم **قال الذين**
يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه
او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا
للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما **كم من فئة**
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الاستفهام والخبر
ومن مزيدة او مبينة والفئة الفرقة من الناس من فأوت راسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها
فعة او فلة **والله مع الصابرين** بالنصر والاثابة **ولما برزوا لجالوت**
وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم **قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت**
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجأوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ
اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر
على العدو المترتب عليهما غالبا **فهزموهم باذن الله** فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم
اجابة لدعائهم **وقتل داود جالوت** قيل كان ايشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه
وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد
كلمه في الطريق ثلثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت
بنته **وآتاه الله الملك** اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك **والحكمة** النبوة
وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير **ولولا دفع الله الناس بعضهم**
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين
ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا
في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم وقرأ نافع وفي الحج دفاع الله **تلك آيات الله** اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك

طالوت وإتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق
بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه أهل الكتاب وأرباب التواريخ وإنك لمن المرسلين لما أخبرت
بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل إشارة إلى الجماعة المذكور قصصها في السورة أو المعلومة
للرسول أو جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بأن خصصناه
بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما السلام
كلم الله موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى وبينهما بون
بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فإنه كلم الله كما أن الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع
بعضهم درجات بأن فضله على غيره من وجوه متعددة أو بمراتب متباعدة وهو محمد
عليه السلام فإنه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب
الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والإبهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المعين لهذا الوصف المستغني
عن التعيين وقيل إبراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي أعلى المراتب وقيل إدريس عليه السلام لقوله تعالى ورفعناه
مكانا عليا وقيل أولو العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه
بروح القدس خصه بالتعيين لإفراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته
سبب تفضيله لأنها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس
جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم
البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا
فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الأنبياء ومنهم من كفر لإعراضه عنه بخذلانه
ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق
من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على أن الأنبياء متفاوتة الأقدام وأنه يجوز تفضيل بعضهم
على بعض ولكن بقاطع لأن اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وأن الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته خيرا أو شرا كان
يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ما أوجب عليكم إنفاقه من
قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل أن يأتي يوم
لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه إذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه أو تفتدون به
من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه أخلاؤكم أو يسامحوكم به ولا شفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضي
له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وإنما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لأنها في التقدير
جواب هل فيه بيع أو خلة أو شفاعة وقد فتحها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب على الأصل والكافرون
هم الظالمون يريد التاركون للزكاة هم الذين ظلموا أنفسهم أو وضعوا المال في غير موضعه

وصرفوه

وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وإيذانا
بأن ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة الله
لا إله إلا هو مبتدأ وخبر والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في أنه هل يضمر
للا خبر مثل في الوجود أو يصح أن يوجد الحي الذي يصح أن يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول
لامتناعه عن القوة والإمكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام
بالأمر إذا حفظه لا تأخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان
أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ
من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأسا وتقديم السنة عليه
وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فإن من أخذه نعاس
أو نوم كان مؤوف الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له
ما في السموات وما في الأرض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الألوهية والمراد
بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو أبلغ من قوله له السموات والأرض وما
فيهن من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه بيان لكبرياء شأنه وأنه لا أحد يساويه
أو يدانيه يستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا أن يعاوقه عنادا أو مناصبة يعلم
ما بين أيديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس لأنك مستقبل المستقبل و
مستدبر الماضي أو أمور الدنيا وأمور الآخرة أو عكسه أو ما يحسونه وما يعقلونه أو ما يدركونه وما لا يدركونه
والضمير لما في السموات والأرض لأن فيهم العقلاء أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والأنبياء ولا يحيطون
بشيء من علمه من معلوماته إلا بما شاء أن يعلموا وعطفه على ما قبله لأن مجموعهما
يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات
والأرض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته
يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه أو ملكه
مأخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله
عليه السلام ما السموات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي
كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الأصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد
القاعد وكأنه منسوب إلى الكرسي وهو الملبد ولا يؤوده ولا يثقله مأخوذ من الأود وهو الاعوجاج
حفظهما أي حفظه السموات والأرض فحذف الفاعل وأضاف المصدر إلى المفعول وهو
العلي المتعالي عن الأنداد والأشباه العظيم المستحقر بالإضافة إليه كل ما سواه وهذه

الآية مشتملة على امهات المسايل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة
واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القايم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرآء
عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول
والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له العالم وحده بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها
وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤوده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه
وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرءها بعث الله ملكا يكتب
من حسناته ويمحو من سياته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرء آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة
لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرءها اذا اخذ من مضجعه
آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** اذ الاكراه في الحقيقة
الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه لكن **قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** تميز الايمان من الكفر
بالآيات الواضحة ودلت الدلايل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يودي
الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة
ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار بمعنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل
المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلعم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر اليه
فنزلت **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ** بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد
من عبادة الله فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه **وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ** بالتوحيد وتصديق الرسل
فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل
الوثيق وهي مستعارة لمتمسك المحق من النظر الصحيح والرأي القويم **لَا انْفِصَامَ لَهَا** لا انقطاع لها
يقال فصمته فانفصم اذا كسرته **وَاللَّهُ سَمِيعٌ** بالاقوال **عَلِيمٌ** بالنيات ولعله تهديد على النفاق
اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن
يُخْرِجُهُمْ بهدايته وتوفيقه **مِنَ الظُّلُمَاتِ** ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوسواس
والشبه المودية الى الكفر **إِلَى النُّورِ** الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن
في الخبر او من الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ** اي الشيطان او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما **يُخْرِجُونَهُمْ**
مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك
في الشهوات او من نور اليقينيات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام

والاسناد

واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يابى تعلق قدرته تعالى وارادته به **أُولَئِكَ**
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد
المؤمنين تعظيم لشانهم **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ** تعجيب من محاجة
نمرود وحماقته **أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ** لان اتاه الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له
على طريقة العكس كقولك عاداني لاني احسنت اليك او وقت ان اتاه الله الملك وهو حجة على من
منع ايتاء الملك الكافر من المعتزلة **إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ** ظرف لحاج او بدل من اتاه الله الملك على الوجه
الثاني **رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ** بخلق الحيوة والموت في الاجساد وقرء حمزة
رب بحذف الياء **قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ** بالعفو عن القتل والقتل وقرء نافع بالالف
اي انا **قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ**
بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ اعرض ابرهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر
فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته
التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله
الله تعالى فنقضه ابرهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابرهيم الاصنام
سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه **فَبُهِتَ الَّذِي**
كَفَرَ فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابرهيم الكافر **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ**
الظَّالِمِينَ الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج
او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ** تقديره او ارايت
مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته
اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي
مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه كان من كلام ابرهيم
ذكره جوابا لمعارضته وتقديره وان كنت تحيي فاحيي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر
او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية هي بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي
خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى وهو الجمع **وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا** خالية ساقطة حيطانها على سقوفها **قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**
اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القايل مؤمنا واستبعادا
ان كان كافرا وانى في موضع النصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف **فَأَمَاتَهُ اللَّهُ**
مِائَةَ عَامٍ فالبثه ميتا مائة عام او اماته الله فلبث ميتا مائة عام **ثُمَّ بَعَثَهُ**

بالاحياء **قال كم لبثت** القايل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث
او شارف الايمان وقيل ملك او نبي **قال لبثت يوما او بعض يوم** كقول الظان
وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى
بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب **قال بل لبثت مائة عام فانظر
الى طعامك وشرابك لم يتسنه** لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة
والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من
الحما المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب
كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقرا حمزة والكسائي
لم يتسن بغير الهاء في الوصل **وانظر الى حمارك** كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما
في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال
واوفق لما بعده **ولنجعلك آية للناس** اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي انه
اتى قومه على حماره فقال انا عزير فكذبوه فقرا التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك
وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث
مائة سنة **وانظر الى العظام** يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم
كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال
من العظام اي انظر اليها محياة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ
ننشرها من نشر بمعنى انشر **ثم نكسوها لحما فلما تبين له** فاعل تبين مضمر
يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير **قال اعلم ان الله على كل
شيء قدير** فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرا حمزة
والكسائي قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت **واذ قال
ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى** انما ساله ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال
نمروذ انا احيي واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمروذ هل عاينته فلم يقدر ان
يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سال ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى
قال اولم تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرق
الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه **قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي** اي بلى آمنت ولكن سالت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال
قال فخذ اربعة من الطير قيل طاووسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر

النسر

النسر بدل الحمام وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف
التي هي صفة الطاووس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب
والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بها الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان
والطير مصدر سمي به او جمع كصحب **فصرهن اليك** فاملهن واضممهن اليك لتتاملها وتعرف
شياتها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرا حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال وما صيد الاعناق فيهم جبلة ولكن اطراف
الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن
بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال
التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة وقرا ابو بكر جزؤا حيث وقع **ثم ادعهن**
قل لهن تعالين باذن الله تعالى **يأتينك سعيا** ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا
روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط سائر اجزائها فيوزعها
على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن
الى رؤوسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى
البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى ينكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن السؤال
ان الله تعالى اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام **واعلم
ان الله عزيز** لا يعجز عما يريده **حكيم** ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره **مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة** اي مثل نفقتهم كمثل حبة
او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف **انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة** اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء
والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منه سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة
حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة **والله
يضاعف** تلك المضاعفة **لمن يشاء** بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن
اجل ذلك تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب **والله واسع** لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة
عليم بنية المنفق وقدر انفاقه **الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى** نزلت في عثمان رضي الله عنه فانه جهز
جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي عليه السلام باربعة
آلاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه

وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما
بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة
وتجاوز عن السائل والحاحه او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده.
خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها با
لصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة
يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا
اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن
بالله واليوم الاخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضاء الله ولا ثواب
الاخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول
له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاقا رئاء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل
صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه
صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا
لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس
او الجمع كما في قوله ان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين
الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد
للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضا
ت الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح
فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام
وتحقيقا للجزاء مبتديا من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس
عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان بموضع
مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرا ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر
وثلثها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها ثمرتها وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل
كما يريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا
فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة
هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال

وان

وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة
على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما
تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة
فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها
الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيهما من سائر الاشجار تغليبا
لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان
يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة
اصعب والواو للحال او العطف حملا على المعنى وكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله
ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه
نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس
من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها
كرياء وايذاء في الحسرة والاسف فاذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا
شانه واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم
الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين امنوا انفقوا
من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض
اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا
الخبيث منه ولا تقصدوا الرديء من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ
ولا تاموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه
فيكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم باخذيه اي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم
لرداءته الا ان تغمضوا فيه مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر
وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد
بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير
والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ويامركم بالفحشاء ويغريكم
على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم
في الانفاق مغفرة لذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الاخرة والله واسع
اي واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء

مفعول اول لاخر للاهتمام بالمفعول الاخير ومن يؤت الحكمة بناء للمفعول لانه المقصود و
وقرا يعقوب بالكسر اى ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اى خير كثير اذ حيز له خير الدارين
وما يذكر وما يتعظ بما قص من الآيات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في
قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون
الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل
او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه
فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون
الصدقات ولا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه
ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرا ابن عامر وحمزة و
والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرا ابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين
وروي عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين ومواقيس وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء اى تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع
ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع
تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا
ويكفر عنكم من سيئاتكم قرا ابن عامر وعاصم في رواية حفص اى والله يكفر او الاخفاء
وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة
او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اى ونحن نكفر وقرا نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل
الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون
خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين
وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث و
لكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيته وانها تخص بقوم دون قوم
وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم
فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه
قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اى وليس
نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا
من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف
للمنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا ينفقونهم فنزلت فهذا
محل

وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا

في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اى لا تنقصون
ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اى اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقونه للفقراء
او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون
لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا في الارض للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من
اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا
يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم وقرا ابن عامر
وحمزة بفتح السين اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم
من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسألون الناس
الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤل حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اى اعطاني من فضل
ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا للضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على
لاحب لا يهتدى لمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا
من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون الاوقات والاحوال
بالخير نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار
وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم
ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها



فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اى ومنهم الذين ولذلك
جوز الوقف على وعلانية الذين ياكلون الربوا اى الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه
اعظم منافع المال ولان الربوا شايع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم
او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة
للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من
قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع
وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط
العشواء من المس اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك
قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم
او يتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربا في بطونهم

ما اكلوا من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب

بسبب انهم نظموا البيع والربوا فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوا استحلاله وكان الاصل

انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان

من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس

الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا

انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضة النص فمن جاءه موعظة من ربه فبلغه وعظ من الله وزجر كالنهى عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهى فله ما سلف

تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما فى موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية

على راى سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول

الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق

الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه ويربى الصدقات يضاعف

ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربى احدكم مهره وعنه

ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين كل كفار

مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك فى ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسوله وما جاءهم عنه

وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على ما

يعمهما لانافتهما على ساير الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف

عليهم من آت ولا هم يحزنون على فايت يا ايها الذين امنوا ا

تقوا الله وذروا ما بقى من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا

ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روى انه كان لثقيف مال على بعض

قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب

من الله ورسوله اى فاعلموا بها من اذن بالشئ اذا علم به وقرء حمزة وعاصم فى رواية ابن

عياش فآذنوا اى فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك

يقتضى ان يقاتل المربى بعد الاستتابة حتى يفئ الى امر الله كالباغى ولا يقتضى كفره وروى انها لما نزلت قالت

ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس

اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان

ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم راس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد

وماله فئ وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اى وان كان الغريم

ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهى الانظار وقرئ فناظرة على الخبر

اى فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الامر اى فسامحه بالنظرة الى

ميسرة يسار وقرء نافع بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف

التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا وان تصدقوا

بالابراء وقرء عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة

ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان

له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجزيل واتقوا يوما

ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرء

ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت

جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن

ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبرئيل عليه السلام وقال ضعها فى راس المائتين والثمانين من البقرة

وعاش رسول الله بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات

يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا يقول

داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة

ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل

مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع

والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف

وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو فى الحقيقة

امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجئ مكتوبه موثقا به معدلا بالشرع ولا ياب

كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق

او لا ياب ان ينتفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب

تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهى عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون

النهى عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذى عليه الحق

وليكن المملل من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه

اى المملى او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اى من الحق او مما املى عليه فان

كان الذى عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا

مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة

فليملل وليه بالعدل اى الذى يلى امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل

عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه
القيم او الوكيل **واستشهدوا شهيدين** واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان **من**
رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال
ابو حنيفة يسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض **فان لم يكونا رجلين** فان لم يكن الشاهدان
رجلين **فرجل وامرأتان** فليشهدوا او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال
عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة **ممن ترضون من الشهداء**
لعلمكم بعدالتهم **ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى** علة اعتبار
العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة
التذكر ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته ونظيره قولهم اعددت السلاح ان يجيء
عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن
وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر
من الاذكار **ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا** لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء
تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة **ولا تسأموا ان تكتبوه** ولا تملوا
من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة
المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت **صغيرا او كبيرا** صغيرا كان الحق
او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا **الى اجله** الى وقت حلوله الذي اقر به المديون
ذلكم اشارة الى ان تكتبوه **اقسط عند الله** اكثر قسطا **واقوم للشهادة**
واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط
وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده **وادنى ان لا ترتابوا** واقرب
في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك **الا ان تكون تجارة**
حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها
استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم
اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب
عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل
تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على انه الاسم والخبر تديرونها او على كان
التامة **واشهدوا اذا تبايعتم** هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي
في هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها **ولا**

يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناءين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو
نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم
ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان **وان تفعلوا**
الضرار وما نهيتم عنه **فانه فسوق بكم** خروج عن الطاعة لاحق بكم **واتقوا الله**
في مخالفة امره ونهيه **ويعلمكم الله** احكامه المتضمنة لمصالحكم **والله بكل**
شيء عليم كرر لفظ الله في الجمل الثلث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية
وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية **وان كنتم على سفر**
اي مسافرين **ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة** فالذي يستوثق به رهان
او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك
لانه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق
بالارتهان مقام التوثيق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك
وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف
فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته
عن الارتهان **فليؤد الذي اؤتمن امانته** اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك
الارتهان به وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذيتمن بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة
عن الهمزة في حكمها فلا تدغم **وليتق الله ربه** في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات **ولا**
تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم **ومن يكتمها**
فانه اثم قلبه اي يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان تقترفه
ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل
تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه **والله**
بما تعملون عليم تهديد **لله ما في السموات وما في الارض**
خلقا وملكا **وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه** يعني ما فيها من السوء والعزم
عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه **يحاسبكم به الله** يوم القيامة وهو حجة على من انكر
الحساب كالمعتزلة والروافض **فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء** تعذيبه
وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون
عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض عن الكل او الاشتمال كقوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم

الأمثل والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة آمن الرسول
بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في
امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول
والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد
الرسول بالحكم اما للتعظيم او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي
وكتابه يعني القرآن او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شايع في وحدان الجنس والجمع في جموعه
ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق
وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه دا
خرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله وما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك
دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا
امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت
وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا
ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر فهو يدل على عدم
وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت
من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب
فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا
تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطأ
من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها
يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى
وعد التجاوز عنه رحمة وتفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد
ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان ربنا ولا تحمل علينا
اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة
كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته
اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة
في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية

البعث

وهو

وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان
واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا
وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولينا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين
فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات
قيل له قد فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة
من قرأهما بعد العشاء الاخيرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة
في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها
البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن
يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها
ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان
لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم تحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء
الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلام قال
ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم
وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل
او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين
يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من
الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو
ليس من ابنية العرب من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا
انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية
فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق به
بين الحق والباطل وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية بالامالة في جميع القرآن ونافع وحمزة بين
اللفظين الا قالون فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا
وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل
او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب
شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر

لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهي وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد
والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه
شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا وكفرا فعبر عنه
بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف
فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء
اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره
وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولم يقدر على مثل ما
يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى
عليه السلام كان ربا وان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى
نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب
منه آيات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت عبارتها من الاجمال هن ام الكتاب
اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة
واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها
فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها
فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله
الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه
انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر
ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لانه في معنى المعرف او عن آخر من فاما
الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه
منه فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم
بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل
ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل
وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين
ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة
وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون
آمنا به استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند
ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة

الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال
الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتزيينه وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب
عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو ابا
بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور
ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع
المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال عليه السلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان
شاء ازاغه عنه وقيل لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين
وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك
رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت
الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء
ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من
الحشر والجزاء فنبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله
لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية
واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدليل منفصل كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان
الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او من طاعته على معنى البدلية
او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كداب آل
فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع
المحل وتقديره داب هؤلاء كداب هم في الكفر والعذاب وهو مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان
والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استيناف كذبوا باياتنا فاخذهم
الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله
شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف الكفرة قل للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام
جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم
لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر
وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي
لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم

او ما يهدو ولا انفسهم **قد كان لكم آية** الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمومنين **في فئتين التقتا** يوم بدر **فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة ترونهم مثليهم** يرى المشركون المومنين مثلى عدد المشركين وكان قريب الفا او مثلى عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعدما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المومنون المشركين مثلى المومنين وكانوا ثلثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذى وعدهم الله به في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرى بهما على البناء للمفعول اى يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا **راى العين** رؤية ظاهرة معاينة **والله يؤيد بنصره من يشاء** نصره كما ايد اهل بدر **ان في ذلك** اى التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكى السلاح وكون الوقعة آية ايضا يحتملها ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول **لعبرة لاولى الابصار** اى لعظة لذوى البصاير وقيل لمن ابصرهم **زين للناس حب الشهوات** اى المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعى ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائى بين المباح والمحرم **من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث** بيان [illegible] والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهى العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم **ذلك متاع الحيوة الدنيا** اشارة الى ما ذكر **والله عنده حسن الماب** اى المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية **قل اؤنبئكم بخير من ذلكم** يريد تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا **للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها** استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير **وازواج مطهرة** مما يستقذر من النساء **ورضوان من الله** قراءة عاصم في رواية ابى بكر في جميع القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثانى في المائدة وهو قوله تعالى رضوانه سبل السلام وهما

لغتان **والله بصير بالعباد** اى باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسىء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله كقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها **الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار** صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها **الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار** حصر لمقامات السالك على احسن الترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولى وهو الصدق واما فعلى وهو القنوت الذى هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون **شهد الله انه لا اله الا هو** بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها **والملائكة** بالاقرار **واولوا العلم** بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد **قائما بالقسط** مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفى وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا من الضمير وقرى القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف **لا اله الا هو** كرر للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبنى عليه قوله **العزيز الحكيم** فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روى في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله **ان الدين عند الله الاسلام** جملة مستانفة مؤكدة للاولى اى لا دين مرضى عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء به محمد صلوات الله عليه وقرا الكسائى بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرى انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثانى واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما

وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلث النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر او تمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين او جادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه الآيات والرسل وانما عبر عن النفس بالوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ءاسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها عن الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين لكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القرآن او التورية لما روي انه عليه السلام دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابرهيم فقالا له ان ابرهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم

استبعاد

استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وانه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منه ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون وظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت

مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة
الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء
الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب او الزيادة
والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها وانشاء الحيوان من النطفة
والنطفة منه وقيل اخراج المومن من الكافر والكافر من المومن وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وابو بكر الميت
بالتخفيف لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة
جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله وعن الاستعانة بهم في الغزو وساير الامور الدينية
مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ اشارة الى انهم الاحقاء بالموالات وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة
الكفرة وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ اى اتخاذهم اولياء فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ
من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان ولاية المتعادين لا يجتمعان قال تود عدوى ثم تزعم
انني صديقك ليس النوك عنك بعازب إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً الا ان تخافوا من جهتهم
ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرا يعقوب تقية منع عن
موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جايز كما قال
عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ
فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدايه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر
النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قُلْ إِنْ تُخْفُوا
مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ اى انه يعلم ضمايركم من ولاية الكفار
وغيرها ان تخفوها او تبدوها وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فيعلم سركم
وعلنكم وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان
لقوله ويحذركم الله نفسه وكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات
كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجتروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها
قادر على العقاب بها يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا يوم منصوب بتود اى تتمنى
كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها وجزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم
وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور
على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان يكون شرطية ولكن الحمل
على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كاين واوفق للقراءة المشهورة وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ

كرر للتوكيد والتذكير وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم
رافة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فيرجى رحمته ويخشى عذابه قُلْ إِنْ كُنْتُمْ
تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما
يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله
وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت
المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته يُحْبِبْكُمُ
اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ جواب للامر اى يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط
منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن
ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده
عليه السلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ
الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فَإِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ الْكَافِرِينَ لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان
التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمومنين إِنَّ اللَّهَ
اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ بالرسالة
والخصايص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها
الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملايكة وآل ابراهيم
اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران
بن يصهر بن قاهث ابن لاوى بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اليعازر بن ابى
يوذ بن زرب بابل بن صالئيان بن يوحنا بن اوشيا بن اموذ بن ميشكن حارقا بن احاد بن يورام بن عزريا
بن يورام بن سافط بن ايشا بن راجعم بن سليمان بن داود بن ايشي بن عويد بن سلمون بن باعز بن نحشون
بن عمياد بن رام بن حصروم بن فارض بن يهودا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانماية سنة
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اى انهم ذرية واحدة
متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من
الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها إِذْ
قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي فينتصب به اذ وقيل

نصب باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن
انه المراد بزوجه ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع فكان يحيى وعيسى ابني
خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هي في ظل شجرة اذ رات طايرا يطعم فرخه فحنت الى الولد
وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت
بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا
محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته
انك انت السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب
اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها
علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تاويل مؤنث كالنفس والجبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا
الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء
الذي وضعت وهو استيناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر
عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت
على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي
طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما
نذرت فيكون اللام للجنس واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض
وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم
في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها
بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي
بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه
الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى
عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول
حسن بوجه حسن يقبل به النذاير وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر
وتصلح للسدانة وروي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار
وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت
رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين
فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا
على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل فاخذها في اول امرها

حين

حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها
وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش
على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء
مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه
ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها
رزقا جواب كلما وناصبه روي كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد
عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق
الاتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه
اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا يستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا
قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله روي ان
فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت
عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب
فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقي
الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ
يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة مريم ومنزلتها عند الله قال رب هب لي
من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها
انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة
وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اي من
جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرا حمزة والكسائي فناداه بالامالة
والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر
او حال من الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرا نافع وابن عامر بالكسر على
ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرا حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا
فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه
وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة
لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فايقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا
مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب

خلقت ﴿ونبيا من الصالحين﴾ ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة ﴿قال رب أنى يكون لي غلام﴾ استبعادا من حيث العادة او استعظاما او تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه ﴿وقد بلغني الكبر﴾ ادركني كبر السن واثر فيّ وكان له تسعة وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون ﴿وامرأتي عاقر﴾ لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد ﴿قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾ اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان ﴿قال رب اجعل لي آية﴾ علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام﴾ ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال ﴿إلا رمزا﴾ اشارة بنحو يد او رأس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا ﴿واذكر ربك كثيرا﴾ في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار ﴿وسبح بالعشي﴾ من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل ﴿والإبكار﴾ من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل ألهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ امرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعي مع الراكعين للايذان بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾

اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي ﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم﴾ اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ﴿أيهم يكفل مريم﴾ متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل ﴿وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ تنافسا في كفالتها ﴿إذ قالت الملائكة﴾ بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا ﴿يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾ المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبرئيل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويميز عن غيره هذه الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له من سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد ينسب الى الآباء ولا ينسب الى الام الا اذا فقد الاب ﴿وجيها في الدنيا والآخرة﴾ حال مقدرة من كلمة وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره وتذكير الضمير للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة ﴿ومن المقربين﴾ من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلا﴾ اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية ﴿ومن الصالحين﴾ حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم ﴿قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾ تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره ﴿قال كذلك الله يخلق ما يشاء﴾ القائل جبرئيل او الله وجبرئيل حكى لها قوله تعالى ﴿إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾ كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء ﴿ورسولا إلى بني إسرائيل﴾

إِنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق وكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم **أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ** نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير **فَأَنفُخُ فِيهِ** الضمير للكاف اي في ذلك المماثل **فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ** فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله لا منه وقرا نافع هنا وفي المائدة طايرا بالالف والهمزة **وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ** الذي ولد اعمى والممسوح العين روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداوي الا بالدعاء **وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ** كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية **وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ** بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين **وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ** عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا **وَلِأُحِلَّ لَكُم** مقدر باضماره او مردود على قوله قد جئتكم بآية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك **بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ** اي في شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى عليه السلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان **وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** اي جئتكم بآية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارق بين النبي والساحر او جئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم بآية من ربكم اي جئتكم بآية اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعوني فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ**

تحقق كفرهم عنده تحقق ما تدرك بالحواس **قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ** ملتجيا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام **قَالَ الْحَوَارِيُّونَ** حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها **نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ** اي انصار دينه **آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** لتشهد لنا يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم **رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس **وَمَكَرُوا** اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة **وَمَكَرَ اللَّهُ** حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج **وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ** ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك **يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ** اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى **وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** الى محل كرامتي ومقر ملائكتي **وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا** من سوء جوارهم او قصدهم **وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ** يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الان لم تسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة **ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ** الضمير لعيسى ومن تبعه وكفر به وغلب المخاطبين على الغائبين **فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** من امر الدين **فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ** وقرا حفص فيوفيهم بالياء تفسير للحكم وتفصيل له **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** تقرير لذلك **ذَٰلِكَ** اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدا خبره **نَتْلُوهُ عَلَيْكَ** وقوله **مِنَ الْآيَاتِ** حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان

ينتصب بمضمر تفسيره نتلوه **والذكر الحكيم** المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه يريد به
القرآن وقيل اللوح **ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم** ان شأنه الغريب كشأن آدم
خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب
بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من تراب **ثم قال
له كن فيكون** اى انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه
ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حالا ماضية **الحق من ربك** خبر محذوف اى هو الحق
وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اى الحق المذكور من الله **فلا تكن من الممترين**
خطاب للنبي عليه السلام على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع **فمن حاجك**
من النصارى **فيه** في عيسى **من بعد ما جاءك من العلم** اى من البينات الموجبة
للعلم **فقل تعالوا** هلموا بالرأى والعزم **ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا
ونساءكم وانفسنا وانفسكم** اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه
الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم **ثم نبتهل**
اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها
بلا صرار **فنجعل لعنة الله على الكاذبين** عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى
المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد
جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا
فاتوا رسول الله عليه السلام وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها
وهو يقول اذا انا دعوت فأمنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل
جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء وثلثين
درعا من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي
نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته
ان هذا اى ما قص من نبأ عيسى ومريم **لهو القصص الحق** بجملتها خبر ان وهو فصل يفيد
ان ما ذكره في شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبره واللام دخلت لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر
واصلها ان يدخل المبتدأ **وما من اله الا الله** صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد
على النصارى في تثليثهم **وان الله لهو العزيز الحكيم** لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة
البالغة ليشاركه في الالوهية **فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين** وعيد لهم
ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد

المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم **قل يا اهل الكتاب** يعم اهل الكتابين وقيل يريد
وفد نجران او يهود المدينة **تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم** لا يختلف فيها
الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها **ان لا نعبد الا الله** ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها **ولا
نشرك به شيئا** ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد **ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله** ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع
الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روى انه لما نزلت اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم
ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذلك **فان تولوا** عن التوحيد **فقولوا
اشهدوا بانا مسلمون** اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم
كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل **تنبيه** انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة
في الارشاد وحسن الترتيب في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر
ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها
وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل
وساير الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض وقال اشهدوا
بانا مسلمون **يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت
التورية والانجيل الا من بعده** تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم عليه السلام
وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله عليه السلام فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول
التورية والانجيل على موسى وعيسى وكان ابرهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما
افلا تعقلون فتدعون المحال **ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به
علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم** ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي
غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اى انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم
انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون
فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله
ءانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء **والله يعلم** ما حاججتم فيه **وانتم
لا تعلمون** وانتم جاهلون به **ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا** تصريح بمقتضى
ما قرره من البرهان **ولكن كان حنيفا** مائلا عن العقائد الزائغة **مسلما** منقادا لله
وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام **وما كان من المشركين** تعريض

بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابرهيم ان اولى
الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه
من امته وهذا النبي والذين امنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم وقرئ والنبي
بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم
ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون
الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون
الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم
تكفرون بايات الله بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد عليه السلام وانتم
تشهدون انها ايات الله او بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات
انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل
في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل
كقوله كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه
وقالت طايفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا
وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقران اول النهار واكفروا اخره لعلهم ير
جعون واكفروا به اخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطايفة كعب بن
الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا
اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من
احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد
محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم
قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك
او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد
ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم
لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير ءان يؤتى على الاستفهام للتقريع
ويؤيد الوجه الاول ان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطايفة اي ولا تؤمنوا

الا لمن

الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على
ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد
لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تامنه
بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه
اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه
قرشي اخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود
اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على راسه مبالغا في مطالبته
بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله بانهم قالوا
بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شان من ليسوا اهل الكتاب
ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم
يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة
وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه
كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو
تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من
اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي سدت
بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب عن الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى
ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون
يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم
وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم
في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او لا ينتفعون
بكلمات الله واياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة
فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله
ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار
حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد عليه السلام وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل
اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في

بيرا وارض وتوجه الحلف على اليهودي وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي
ابن احطب يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ يفتلونها بقراته فيميلونها عن المنزل الى المحرف
او يعطفونها بشبه الكتاب وقرى يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها
على الساكن قبلها لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ الضمير
للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرى ليحسبوا بالياء والضمير ايضا للمسلمين وَيَقُولُونَ
هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تاكيد لقوله ما هو من الكتاب
وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اى ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي
ان لا يكون فعل العبد فعل الله وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ
وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ
اللَّهِ تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك
ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني
فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما نسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان لا يسجد
لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ
ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل
في العلم والعمل بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ
بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فايدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد
والعمل وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تَعْلَمُونَ بمعنى عالمين وقرى تُدَرِّسُونَ من التدريس وتُدْ
رِسُونَ من ادرس بمعنى درس ككرم واكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير
بما تدرسونه على الناس وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا
نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان
اى ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا
او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من
العبادة ورفعه الباقون على الاستيناف ويحتمل الحال وقرا ابو عمرو وعلى اصله برواية الدوري باختلاس
الضمة أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ انكار والضمير فيه لبشر وقيل لله بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ
النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مصدق

٨٧

مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قيل انه على ظاهره واذا كان
هذا حكم الانبياء كان الامم اولى به وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم
عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه
الانبياء على امهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم
نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا
واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد
جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرا حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب
ثم مجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى
اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرى لَمَّا بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله
لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلث استثقالا قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ
إِصْرِي اى عهدي سمي به لانه يؤصر اى يشد وقرى بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو
ما يشد به قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل
الخطاب فيه للملائكة وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم
شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار
والشهادة فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ المتمردون من الكفرة أَفَغَيْرَ دِينِ
اللَّهِ يَبْغُونَ عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون
فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في
رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا اى طايعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ
الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين او مسخرين
كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا مما قضي عليهم وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ وقرى بالياء
على ان الضمير لمن قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى
وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ امر للرسول صلوات الله عليه بان يخبر عن نفسه
ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع
قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى
بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على ساير الرسل لانه المعروف له والعيار عليه لَا نُفَرِّقُ

بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون
في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن
يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض
عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل
به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره
ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم فان الحايد عن الحق
بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف
على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار
باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم
ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه
على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مايوسون
عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق
والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر
ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان
لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل
عليه قيل انها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل
اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم
ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا
بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن
فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص
بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون
او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها او لان توبتهم لا يكون الا نفاقا
لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون
الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن

يقبل

تغليظا في شأنهم وإبراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة

يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا تغليظا في شأنهم وابراز حالهم في صورة حال
الآيسين من الرحمة لما كان الموت على الكفر سبب الامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به
وملء الشيء ما يملأه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو
افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف
على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة
او المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد
كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط
لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة
للاستغراق لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال
الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون
اي من المال الذي تحبونه او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله
روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحى فضعها حيث اراك الله فقال
بخ بخ ذاك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها
فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة فقال زيد انما اردت ان اتصدق به
فقال عليه السلام ان الله تعالى قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب
افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض
ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء من اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما فان
الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها كان
حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر
قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل
والبانها قيل كان به عرق النساء فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل
فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن الله
فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم
عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتان
بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا
فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول عليه السلام موافقة

ابرهيم تحليل لحوم الابل والبانها قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صا
دقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم مالم يكن محرما روى انه عليه السلام
لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب
ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بنى اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك
من بعد ما الزمهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون
الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون
فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى
تتخلصوا من اليهودية التى اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات
احلها لابرهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب فى التوحيد
الصرف والاستقامة فى الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول
بيت وضع للناس اى وضع للعبادة وجعل متعبدا لكم والواضع هو الله تعالى ويدل
على انه قرئ على البناء للفاعل للذى ببكة للبيت الذى ببكة وهى لغة فى مكة كالنبيط والنميط وامر
راتب وراتم ولازم ولازب وقيل هى موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه
فانها تبك اعناق الجبابرة روى انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت
المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم عليه السلام ثم هدم فبناه قوم جرهم ثم
العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس فى الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل كان فى موضعه
قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع
فى الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد انه اول بيت
بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله
حال من المستكن فى الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه
آيات عجيبة كما قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار
وان ضوارى السباع تخالط الصيود فى الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهر كاصحاب
الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتدأ محذوف خبره اى منها مقام
ابرهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم فى الصخرة
الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار
الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما
ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله

كان

كان آمنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه فى معنى امن من دخل
اى فيها امن من دخله او فيها آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة
وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلوة
لان فيهما غنية عن غيرهما فى الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيامة قال
عليه السلام من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعند ابى حنيفة رحمه الله من لزمه القتل
بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعى رضى الله عنه انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة
على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال ابو حنيفة رحمه الله انها بمجموع الامرين والضمير فى اليه
للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشئ فهو سبيله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين
وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج فى هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه
فى الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله فى رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه
ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء
فانه فى هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم
والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب
البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روى انه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل
فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اى بآياته
السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد عليه السلام فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص
اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فانهم
كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها
لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله
من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة فى التقريع ونفى العذر لهم واشعارا بان كل واحد من
الامرين مستقبح فى نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور بسلوكه
وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم
ما بينهم فى الجاهلية من التعادى والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها

قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائى وعاصم فى رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد ص

قل ص

عوجا حال من الواو اى باغين طالبين لها اعوجاجا بان يلبسوا على الناس ويوهموا ان فيه عوجا
عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله ونحوهما او بان يحرشوا بين المومنين لتختلف كلمتهم ويختل
امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل
ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم فى القضايا وما الله بغافل عما تعملون
وعيد لهم ولما كان المنكر فى الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان فى هذه الآية
صدهم المومنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها
الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم
بعد ايمانكم كافرين نزلت فى نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس
بن قيس اليهودى فغاظه تآلفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم
بعض ما قيل فيه وكان الظفر فى ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح
السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال اتدعون
الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها
نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع
الرسول عليه السلام وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة
قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم
تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم فى حال اجتمع لهم
الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه
او يلتجى اليه فى مجامع اموره فقد هدى الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا
ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ
الوسع فى القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضه
هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر ولا يكفر ويذكر ولا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع
المجازاة عليها وفى هذا الامر تاكيد للنهى عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة
تاء كما فى تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اى ولا تكونن على
حال سوى حال الاسلام اذا ادركم الموت فان النهى عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل
تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفى واعتصموا بحبل الله بدينه
الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب
للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة عن الردى وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام

ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم
كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلى يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذ
كروا نعمت الله عليكم التى من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المودى الى التآلف
وزوال الغل اذ كنتم اعداء فى الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم
بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله وقيل كان الاوس
والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى
اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار
مشفين على الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لو ادركم الموت فى تلك الحال لوقعتم فى النار فانقذكم
منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا
البير وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو فى المذكر وحذفت فى المونث كذلك
مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم
على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدى له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم
بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجمع وطلب فعل بعضهم ليدل على
انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية
او للتبيين بمعنى وكونوا امة يامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء
الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح دينى او دنيوى وعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه عطف الخاص على
العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روى انه عليه السلام
سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم والامر بالمعروف يكون
واجبا ومندوبا على حسب ما يومر به والنهى عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر
ان العاصى يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر ولا
تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا فى التوحيد
والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة
للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهى فيه مخصوص بالتفرق فى الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام
اختلاف امتى رحمة ولقوله عليه السلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد واولئك
لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه

وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعدما اقروا حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلايل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون

ثم لا يكون

ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم عنهم نفي اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة به احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغاير يفضي الى الكباير والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصايص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما تفعلوا من خير فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل فان الفايز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا واوليك

أصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة
او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها
صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد
للمبالغة كقولك برد بارد أصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته
عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق
لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث
ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون
اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث
باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان
يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله وما كنت ممن يدخل العشق قلبه
ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي
يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار وقال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار
من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اي بطانة
كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى
بالحرف ثم عدي الى المفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم
تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم
اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه
ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين
ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل
ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم
اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائكم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر
لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء
بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كلها وهو حال من لا
يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم
في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا
عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا
بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله

عليم

٨٧

عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول
اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا ولا يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب
من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم
وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير
ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على
مشاق التكليف وتتقوا موالاتهم وما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا
بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون
قليل الانفعال جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره
يضيره ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط علما فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ
بالياء اي بما يعملون في عداوتكم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك
من حجرة عائشة تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد
للقتال مواقف وأماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى في مقعد
صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين
نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن
ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب
منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم
الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام
رايت في المنام بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني
ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم
بدر واكرمهم بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا على
مبالغتهم فقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج
بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد
وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ
همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا
روي انه عليه السلام خرج في زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي
في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم

عمرو بن ح

فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسوله والظاهر انها ما كانت
عزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما
كانصرهم ببدر فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر
ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان
لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم
مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح واتقوا الله في الثبات لعلكم
تشكرون ما انعم عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع
الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان
قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول
عليه السلام لم ينزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف
من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالايسين من النصر
لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلثة الاف
ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم
ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم وهو في الاصل مصدر فارت القدر
اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم
ربكم بخمسة الاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير مسومين
معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت
او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله
الله وما جعل امدادكم الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به
ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه
على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة
الى الاسباب اكثر وحث الى ان لا يبالوا بمن تاخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم
الذي ينصر ويخذل بوسط وغير وسط على مقتضى الحكم والمصلحة ليقطع طرفا من الذين
كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر اخرين وهو
ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ
او وهن يقع في القلب واو للتنويع لا للترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الامال

تفشلان

ليس

او يتوب عليهم صح

ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله
او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم
شيء وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم
او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا اي
ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتشتفي منهم وروي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد
وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم
فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في
السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم
لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا
مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد
فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا
الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت
للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض
للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد
ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له
وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام
والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض
اي عرضها كعرض سبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم
وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة
للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حال الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ
الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكا
ظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت
رأسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين
عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي
قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل
تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة

في القبح كالزنا **اوظلموا انفسهم** بان اذنبوا اى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس
الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك **ذكروا الله** تذكروا وعيده او حكمه او حقه
العظيم **فاستغفروا لذنوبهم** بالندم والتوبة **ومن يغفر الذنوب
الا الله** استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم
المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة **ولم يصروا على ما فعلوا** ولم يقيموا
على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة **وهم
يعلمون** حال من يصروا اى ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به **اولئك جزاؤهم مغفرة
من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها** خبر للذين
ان ابتدات به وجملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم
من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها ~~المتقين~~ المصرون كما لا يلزم من اعداد
النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين
الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل ايتهم بان بين
انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه
وفصل آية هؤلاء بقوله **ونعم اجر العاملين** لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل
بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه
النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات **قد خلت
من قبلكم سنن** وقايع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين
خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا ارى مثله في سالف السنن **فسيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** لتعتبروا بما ترون من اثار
هلاكهم **هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين** اشارة
الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اى انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين
او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن
ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا
تحزنوا على من قتل منكم **وانتم الاعلون** وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله
وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار ولانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوه
منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة **ان كنتم مؤمنين**
متعلق بالنهي اى لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون **ان

يمسسكم**

يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرا حمزة والكسائى وابن عياش
عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم
المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى
بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم
قبل ان يخالفوا امر الرسول عليه السلام **وتلك الايام نداولها بين الناس**
نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر والمداولة
كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد
بها اوقات النصر والغلبة **وليعلم الله الذين امنوا** عطف على علة محذوفة
اى نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه
من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف
فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه
على طريق البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا **ويتخذ منكم
شهداء** ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف
منهم من الثبات والصبر على الشدائد **والله لا يحب الظالمين** الذين يضمرون خلاف ما
يظهرون او الكافرون وهو اعتراض فيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا
استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين **وليمحص الله الذين امنوا** ليطهرهم ويصفيهم
من الذنوب ان كانت الدولة عليهم **ويمحق الكافرين** ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص
الشيء قليلا قليلا **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة** بل احسبتم ومعناه الانكار
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا والفرق بين لما ولم ان
فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذف النون **ويعلم الصابرين**
نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون
ولقد كنتم تمنون الموت اى الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب
للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء
بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج **من قبل ان تلقوه** من قبل ان تشاهدوه
وتعرفوا شدته **فقد رايتموه وانتم تنظرون** اى فقد رايتموه معاينين له حين قتل
دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الموت وتسببوا له ثم جبنوا وانهزموا عنه او على تمني الشهادة
فان في تمنيها تمني غلبة الكفار **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل**

فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم
انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله
وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم
بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن
عمير رض وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي عليه السلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ
الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى
كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس
من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان
كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني
اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه
فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة
الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
الا بمشيته تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول عليه السلام بالحفظ
وتاخير الاجل كتابا مصدر موكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتأخر
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين
حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم
من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي
الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكاين اصله اي دخلت الكاف
عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب
الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأين ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا
كما قلبت من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء
او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون
بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في
سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي صلى الله عليه او بعضهم وما ضعفوا
عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع

يسكن

يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن
يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين فينصرهم
ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا
في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان قولهم
مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها
واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع
وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فا
تاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين
فاتاهم الله بسبب الاستغفار والالتجاء الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الاخرة
وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا
الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول
المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان
واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم
بل الله موليكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله موليكم وهو خير الناصرين
فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا
ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل
في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم ما لم ينزل به عليهم سلطانا
اي آلهة على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة
ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأويهم النار وبئس مثوى
الظالمين اي مثويهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم
الله وعده اي وعده اياكم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين
لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم
باذنه تقتلونهم من احسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم
الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم
المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة

فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل **افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم**
انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين بخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله
وبقاء دينه متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم
بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب مصعب بن
عمير رض وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل النبي عليه السلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ
الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى
كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس
من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان
كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني
اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت **ومن ينقلب على عقبيه**
فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه **وسيجزي الشاكرين** على نعمة
الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه **وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله**
الا بمشيته تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول عليه السلام بالحفظ
وتاخير الاجل **كتابا** مصدر موكد اذ المعنى كتب الموت كتابا **موجلا** صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتاخر
ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين
حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم
من ورائهم فهزموهم **ومن يرد ثواب الاخرة نوته منها** اي من ثوابها **وسنجزي**
الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد **وكاين** اصله اي دخلت الكاف
عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب
الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأين ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدل الياء الاخرى الفا
كما قلبت من طائي **من نبي** بيان له **قاتل معه ربيون كثير** ربانيون علماء اتقياء
او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون
بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر **فما وهنوا لما اصابهم في**
سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي صلى الله عليه او بعضهم **وما ضعفوا**
عن العدو او في الدين **وما استكانوا** وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع

يسكن

يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن
يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام **والله يحب الصابرين** فينصرهم
ويعظم قدرهم **وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا**
في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان قولهم
مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها
واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع
وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبر الا ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث **فا**
تاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين
فاتاهم الله بسبب الاستغفار والالتجاء الى الله النص … والجنة والنعيم في الاخرة
وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعت… **ان تطيعوا**
الذين كفروا يردوكم على اع… نزلت في قول
المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى … يستكينوا الى ابي سفيان
واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل … الى موافقتهم
بل الله موليكم ناصركم وقرئ بالنص… **خير الناصرين**
فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره **سنل**… **الرعب**
يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد … ابو سفيان يا محمد
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه … الطريق ندموا وعزموا
ان يعودوا عليهم ان يبيتا صلوهم فالقى الله … قرئ بالضم على الاصل
في كل القرآن **بما اشركوا بالله** … **عليهم سلطانا**
اي آلهة على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به … السلطنة القوة
ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحد… **بئس مثوى**
الظالمين اي مثويهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل **ولقد صدقكم**
الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى بالصبر وكان ذلك حتى خالف الرماة فان المشركين
لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم **اذ تحسونهم**
باذنه تقتلونهم من احسه اذا ابطل حسه **حتى اذا فشلتم** جبنتم وضعف رايكم او ملتم
الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل **وتنازعتم في الامر** يعني اختلاف الرماة حين انهزم
المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة

قال ابن عياش روى عن عاصم
مد زكريا منصوب على انه مفعول
ثان لكفل فانه يتعدى بالتضعيف
الى اثنين اي ضمنها الله زكريا
وضمها اليه بالقرعة قال الامام
محيي السنة وقرأ حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم زكريا
مقصورا والآخرون يمدونه
يقال كفل يكفل كفالة وكفلا
فهو كافل اذا تكفل بنفقة

فسيخلوا كما خلوا بالموت او القتل اَفَاِنْ مَاتَ اَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلٰى اَعْقَابِكُمْ
انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين بخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله
وبقاء دينه متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم
بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب مصعب بن
عمير رض وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل النبي عليه السلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ
الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى
كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس
من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان
كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني
اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلٰى عَقِبَيْهِ
فَلَنْ يَضُرَّ اللّٰهَ شَيْـًٔا بارتداده بل يضر نفسه وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ على نعمة
الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ اَنْ تَمُوتَ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ
الا بمشيئته تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول عليه السلام بالحفظ
وتاخير الاجل كِتَابًا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مُؤَجَّلًا صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتاخر
وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين
حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم
من ورائهم فهزموهم وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْاٰخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا اي من ثوابها وَسَنَجْزِي
الشَّاكِرِينَ الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء من الجهاد وَكَاَيِّنْ اصله اي دخلت الكاف
عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب
الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيئن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدل الياء الاخرى الفا
كما قلبت من طائي مِنْ نَبِيٍّ بيان له قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ربانيون علماء اتقياء
او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون
بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فَمَا وَهَنُوا لِمَا اَصَابَهُمْ فِي
سَبِيلِ اللّٰهِ فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي صلى الله عليه او بعضهم وَمَا ضَعُفُوا
عن العدو او في الدين وَمَا اسْتَكَانُوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع

يسكن

٩٠

يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن
يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام وَاللّٰهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ فينصرهم
ويعظم قدرهم وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ اِلَّا اَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَاِسْرَافَنَا
فِي اَمْرِنَا وَثَبِّتْ اَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ اي وما كان قولهم
مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها
واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع
وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبر الا ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فَاٰ
تٰيهُمُ اللّٰهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْاٰخِرَةِ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة
وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِنْ تُطِيعُوا
الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلٰى اَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ نزلت في قول
المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان
واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم
بَلِ اللّٰهُ مَوْلٰيكُمْ ناصركم [illegible] هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ
[illegible] فَرُوا الرُّعْبَ
فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره [illegible] ونادى ابو سفيان يا محمد
يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم [illegible] ا ببعض الطريق ندموا وعزموا
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت ف[illegible] ى ويعقوب بالضم على الاصل
ان يعودوا عليهم ان يستأصلوهم ف[illegible]
في كل القرآن بِمَا اَشْرَكُوا بِا[illegible] عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا
اي آلهة على اشراكها حجة ولم ينزل عليه [illegible] بر واصل السلطنة القوة
ومنه السليط لقوة اشتعاله والسل[illegible] وَبِئْسَ مَثْوَى
الظَّالِمِينَ اي مثويهم [illegible] لَقَدْ صَدَقَكُمُ
اللّٰهُ وَعْدَهُ اي وعد اياهم [illegible] الرماة فان المشركين
لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم [illegible] ون على آثارهم اِذْ تَحُسُّونَهُمْ
بِاِذْنِهِ تقتلونهم من احسه اذا [illegible] تم وضعف رأيكم او ملتم
الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل [illegible] اختلاف الرماة حين انهزم
المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة

او
اُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدٰى
فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون
من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا
وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الاخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول
ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم
على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل
على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة
اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض
يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا تقفون لاحد ولا تنتظرونه والرسول
يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في
ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم
ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام
بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت ولا ضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى
لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي واساكم
في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانه تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر
ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم
انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس
في المصاف وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه
والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها وهو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من
المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى
طائفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطا
ئفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم
وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استيناف
على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به
وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله وهو
بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر
نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا

فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة
الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض
قرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين للانكار والتكذيب يقو
لون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان لو
كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح
كما كان رأي ابن ابي وغيره ما قتلنا هاهنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في المعركة قل لو
كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين
قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر
الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم ليمتحن ما في صدوركم
ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز
لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه
ولتميزه او يخلصه ~~وعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء~~ ولتميزه او يخلصه من الوساوس والله
عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني
عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم
يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان
الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا
ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة ومخالفة النبي فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان
توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت
منهم وكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم
ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين امنوا
لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم
اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها
وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا
مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة
مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله

حسرة في قلوبهم خاصة وذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم
ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم **والله يحيي ويميت**
رد لقولهم اي هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد
والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
بالياء على انه وعيد للذين كفروا **ولئن قتلتم في سبيل الله او متم** اي متم في سبيله
وقرا نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات **لمغفرة من الله ورحمة خير
مما يجمعون** جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزاء ليس مما يجلب الموت ويقدم
الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم
يموتوا **ولئن متم او قتلتم** على اي وجه اتفق هلاككم **لالى الله تحشرون** لالى
معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرا نافع
وحمزة والكسائي متم بالكسر **فبما رحمة من الله لنت لهم** اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد
والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه
ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا **غليظ القلب** قاسية **لانفضوا من
حولك** لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك **فاعف عنهم** فيما يختص بك **واستغفر لهم**
فيما لله **وشاورهم في الامر** اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا
برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة **فاذا عزمت** فاذا وطنت نفسك
على شيء بعد الشورى **فتوكل على الله** في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا
عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا **ان الله يحب
المتوكلين** فينصرهم ويهديهم الى الصلاح **ان ينصركم الله** كما نصركم يوم بدر **فلا
غالب لكم** فلا احد يغلبكم **وان يخذلكم** كما خذلكم يوم احد **فمن ذا الذي
ينصركم من بعده** من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا
تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه **وعلى الله
فليتوكل المؤمنون** فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به
وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال
غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد منه اما براءة الرسول عليه السلام عما اتهم
به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها
او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا

فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية
وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب
الى الغلول **ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة** ياتي بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء
في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه **ثم توفى كل نفس ما كسبت** يعطى جزاء ما كسبت وافيا
وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم توفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان
كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى **وهم لا يظلمون** فلا ينقص ثواب مطيعهم
ولا يزاد في عقاب عاصيهم **افمن اتبع رضوان الله** بالطاعة **كمن باء** رجع **بسخط
من الله** بسبب المعاصي **وماواه جهنم وبئس المصير** الفرق بينه وبين المرجع ان
المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع **هم درجات عند الله** شبهوا بالدرجات
لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات **والله بصير بما يعملون** عالم باعمالهم
ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها **لقد من الله على المؤمنين** انعم على من امن مع الرسول
عليه السلام من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر
محذوف مثل منه او بعثه **اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم** من نسبهم او من جنسهم
عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم
اي من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم **يتلوا عليهم اياته** اي القرآن بعد ما كانوا
جهالا لم يسمعوا الوحي **ويزكيهم** يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال **ويعلمهم
الكتاب والحكمة** القرآن والسنة **وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين**
ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول عليه السلام في ضلال ظاهر
او لما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير
والتقريع والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرف المضاف
الى اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل
سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر **قل هو من عند انفسكم**
اي مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار
الخروج من المدينة وعن علي رض باختياركم الفداء يوم بدر **ان الله على كل شيء قدير**
فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم **وما اصابكم يوم التقى
الجمعان** جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد **فباذن الله** فهو كائن بقضائه

قال [illegible]
[illegible]

وروى الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وبقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فيقول يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك

وتحلية الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا
وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل
في الصلة او كلام مبتدا تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير
بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وكيل معنا وقاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم
سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا
لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه ولكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس
الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا او استهزاء هم للكفر يومئذ اقرب
منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر
اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا يواطئ قلوبهم السنتهم
بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما
يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع
بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم
لقوله على جود بمثل بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم
او من جنسهم وقعدوا مقدر بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا
في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين ان كنتم صادقين انكم تقدرون دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا
عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال
يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول عليه السلام او من يحسب او الى الذين
قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا جائز الحذف عند القرينة وقرا ابن عامر قتلوا بالتشديد
لكثرة المقتولين بل احياء بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم
ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله
من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة و
يستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين
الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة لا خوف

صح على حالة لو ان في القوم حاتما

عليهم

عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة
وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع
محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى
بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها
الآية وما روى ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها
وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة
وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه واحياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث
على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون
كرره للتوكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم
بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة
وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على
فضل وقرا الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة
واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم
القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتداء خبره للذين احسنوا منهم واتقوا
اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين
كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلعم
مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم
حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس
يعني الركب الذي استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال
فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد
جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج من اهل مكة حتى نزل مر الظهران
فانزل الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير زبيب ان
ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد
المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم
ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول
والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام
واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان
يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة
من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التامل وتناصر الحجج وَقَالُوا
حَسْبُنَا اللَّهُ محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة
تعريفا في قولك هذا رجل حسبك وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ونعم الموكول اليه هو فَانْقَلَبُوا فرجعوا
من بدر بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وَفَضْلٍ ربح في التجارة فانهم
لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ من جراحة وكيد عدو
وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم وَاللَّهُ
ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ واظهار الجرأة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع من ضمان
الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطية رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به إِنَّمَا
ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يريد به المثبط نعيما او ابا سفين والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته
او صفته وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اى انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس
يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ القاعدين عن الخروج مع الرسول عليه السلام او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفين
واصحابه فَلَا تَخَافُوهُمْ الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وَخَافُونِ
في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على
خوف الناس وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ يقعون فيه سريعا حرصا عليهم
وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك
لقوله إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا اى لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون
بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ
نصيبا من الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية
حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون
لهم حظ في الآخرة وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ مع الحرمان عن الثواب إِنَّ الَّذِينَ
اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ تكرير للتاكيد وتعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من العرب
وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ خطاب

للرسول

للرسول عليه السلام او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل
على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف
مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا يحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم
وما مصدرية وكان حقها ان يفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم
والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في خبره مفعول وفتح سينه في جميع القران ابن عامر وعاصم
وحمزة والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف يشاء
إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا استيناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة
وعند المعتزلة لام العاقبة وقرى انما بالفتح وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان
املاءنا لهم لازدياد الاثم وانما هو للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم
خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو
وليزدادوا اثما معد لهم عذاب مهين مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ
حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم
مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي
لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر بواطنكم ويستدل به
على عقائدكم وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ
مَنْ يَشَاءُ وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته
من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
بصفة الاخلاص او بان يعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله
ولا يقولون الا ما اوحى اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا
ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه السلام قال عرضت على امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر
فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وَإِنْ
تُؤْمِنُوا حق الايمان وَتَتَّقُوا النفاق فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ لا يقادر قدره وَلَا يَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ القران فيه ما سبق ومن
قرا بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اى ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من
قرا بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول عليه السلام او من يحسب وان جعل الموصول كان المفعول
الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اى ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بَلْ هُوَ اى البخل شَرٌّ لَهُمْ
لاستجلاب العقاب عليهم سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بيان لذلك والمعنى

الظاهر ان [illegible] ... الى الآخر للعطف ولاستيناف [illegible]
على هذا [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

سيطوقون وبالاً ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في
عنقه يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه
بماله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون
من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالياء على الالتفات وهو ابلغ في
الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله
اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله روي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم
الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير
حين سال القرض فلطمه ابو بكر رض وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانا اعددنا لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم
الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحايف الكتبة او سنحفظه في علمنا ولا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله
واستهزاء بالقران والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترأ
على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان
نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك
ساير المحسوسات والحالات وذكره هنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك على المال وغالب
حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك
اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وساير معاصيهم عبر بالايدي
عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته
للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا
هم كعب ابن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا
ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار بان لا نؤمن
لرسول حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل
نار سماوية فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان
الا لكونه معجزة وساير المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات
وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان
رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوا فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق
هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤا
على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات

والزبر

والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو
الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا احسنته والكتاب في عرف القران ما يتضمن الشرايع والاحكام
ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته
وقرا ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذايقة
الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذايقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله
ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا
يوم القيامة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله
عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار
بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز
بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار
ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر وياتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه
وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي
يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهي له متاع بلاغ
والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها
من الافات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض
والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن
الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين
اخبرهم بذلك قبل وقوعه ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان
تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم
الامور من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل
ثبات الراي على الشيء نحو امضايه واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين
اوتوا الكتاب يعني العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرا
ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه اخذ الله
ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا
اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه
واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما
يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار

وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن
الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له
وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن
الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار
الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فايزين بالنجاة منه وقراء ابن كثير وابو عمرو بالياء
وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا لا يحسبن محذوف دل عليهما مفعولا
موكدة وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبنهم انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف
وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم
روي انه عليه السلام سال اليهود عن شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه
وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في التخلف
واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان
الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله
على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي
الالباب لدلايل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة
الخالصة عن شوايب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الاية
لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعها فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير
الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنها كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دايما على الحالات كلها قايمين وقاعدين وعنه
عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيآت
الثلث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن حصين صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب
تومي ايماء وهو حجة للشافعي رض في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه
ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل
العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلام
بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم

اغفر فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت
هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قايلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق
على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضايعا
من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدا لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا
يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك
تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه
والقيام بما يقتضيه وفايدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم
من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم
الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار
اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة
عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا
مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة
ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول
عليه السلام وقيل القران والنداء والدعاء ونحوهما تعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص
ان امنوا بربكم فامنا اي بان امنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
كبايرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغايرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن
مجتنب الكباير وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه
على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب
ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب
لما اظهر امتثاله لما امر به سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين
لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا او استكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا
منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة
بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس
الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها
وفي الاثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم
الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم

اى بانى لا اضيع وقرى بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم
من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد
او للاجتماع والاتفاق فى الدين وهى جملة معترضة بيّن بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روى
ان ام سلمة قالت يا رسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولم يذكر النساء فنزلت فالذين ها
جروا الى آخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى والذين هاجروا
الشرك او الاوطان والعشاير للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى
بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا فى الجهاد وقرا حمزة والكسائى بالعكس
لان الواو [illegible] ب ترتيبا والثانى افضل لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير
وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات
تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اى اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضيلا
منه فهو مصدر موكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك
تقلب الذين كفروا فى البلاد الخطاب للنبى عليه السلام والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه
لقوله ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهى فى المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة
والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم فى مكاسبهم ومتاجرهم
ومزارعهم روى ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما
نرى من الخير فقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدا محذوف اى ذلك
التقلب متاع قليل لقصر مدته فى جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عليه السلام ما الدنيا فى الاخرة الا مثل ما يجعل
احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد اى ما مهدوا
لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة
قال ابو الشعر الضبى وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال
من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر موكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله
لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من
اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت فى ابن سلام واصحابه وقيل فى اربعين من نجران واثنين
وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى اصحمة النجاشى لما نعاه جبريل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى وانما دخلت اللام على الاسم للفصل
بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم اى القرآن وما انزل اليهم من الكتابين

حاشية

٩٧

خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا كما يفعل المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم
ما خص بهم من الاجر ووعد فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع
الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء والاستغناء به عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر
الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب يستدعى سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا
اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا غالبوا اعداء الله بالصبر
على شدائد الحرب واعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته
ورابطوا ابدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام من الرباط
انتظار الصلوة وعنه عليه السلام من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر
ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبرى عما سواه
لكى تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبايح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المترتبة التى هى الصبر
على مضض الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات
المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبى عليه السلام من قرا سورة آل عمران اعطى بكل آية منها
امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرا السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته
حتى تحجب الشمس سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم بنى آدم اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس
واحدة هى آدم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اى خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم
حوا من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم
من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر
من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة
تقتضى ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة
القاهرة التى من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التى توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى
فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبنى جنسه على ما دلت عليه الآيات التى بعدها وقرى خالق وباث على حذف مبتدا
تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذى تساءلون به اى يسال بعضكم بعضا
فيقول اسالك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية فى السين وقرا عاصم وحمزة والكسائى بطرحها
والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اى واتقوا الارحام

اتقوا الله

فصلوها ولا تقطعوها وقرء حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه
مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام
باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله
ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا **وآتوا اليتامى اموالهم** اذا بلغوا
واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى
الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى
على يتامى كاسرى وأسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورود الآية
اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول
عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه
قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ
طلب المال فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير **ولا
تتبدلوا الخبيث بالطيب** ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث
وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس
مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل **ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم** ولا تأكلوها
مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله
تعالى فليأكل بالمعروف **انه** الضمير للاكل **كان حوبا كبيرا** ذنبا عظيما وقرئ حَوبا وهو مصدر
حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا **وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فا
نكحوا ما طاب لكم من النساء** اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم
بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده
منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا
ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج
من الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء
واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم
ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة
او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح
التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا **مثنى وثلاث ورباع** معدولة
عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهي غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت

فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير
منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور
متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افردت كان المعنى
تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد **فان
خفتم الا تعدلوا** بين هذه الاعداد ايضا **فواحدة** فاختاروا او فانكحوا واحدة
وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فتكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة
او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن
وعدم وجوب القسم بينهن **ذلك** اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري **ادنى ان لا
تعولوا** اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل
عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال
بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج
وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة
بالاضافة الى تزوج الاربع **وآتوا النساء صدقاتهن** مهورهن وقرئ بفتح الصاد
وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل
صدقة كظلمة في ظلمة **نحلة** عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض
ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء
او الحال من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا
منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال
من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور
مولياتهم **فان طبن لكم عن شيء منه نفسا** الضمير وقيل للايتاء
ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق شيئا عن طيب نفس لكن
جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل
الموهوب **فكلوه هنيئا مريئا** فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من
هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا
حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما يحمد عاقبته روي ان ناسا يتأثمون ان يقبل
احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم** نهي
للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم

للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة

وبحث ولايتهم وهو الملايم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امراته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله **التي جعل الله لكم قياما** اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمى ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به **وارزقوهم فيها واكسوهم** واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما تحتاجون اليه **وقولوا لهم قولا معروفا** عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه **وابتلوا اليتامى** اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة رحمه الله بان يدفع اليه ما يتصرف فيه **حتى اذا بلغوا النكاح** حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر عند ابي حنيفة رحمه الله وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده **فان آنستم منهم رشدا** فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم **فادفعوا اليهم اموالهم** من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يونس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يونس الرشد **ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا** مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم **ومن كان غنيا فليستعفف** من اكلها **ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف** بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عليه السلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى **فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم** بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة **وكفى بالله حسيبا** محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تتجاوزوا ما حد لكم **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء**

نصيب مما ترك الوالدان والاقربون نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس بن صامت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب **واذا حضر القسمة اولوا القربى** ممن لا يرث **واليتامى والمساكين فارزقوهم منه** فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او لما دل عليه القسمة **وقولوا لهم قولا معروفا** وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم** امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او الحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده **فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا** امرهم بالتقوى الذي هو غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبداء والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية ما لا يودي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا وان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة **ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما** ظالمين او على وجه الظلم **انما**

يأكلون في بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه قال عليه السلام
قال يبعث الله قوما من قبورهم تاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا
واي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقول صلي النار قاسى حرها وصليته
شويته واصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله
يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ
الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص
على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل اذ لا يحرمن بالكلية وقد اشتركا
في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس
معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تاويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة
لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى
وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع
على كان التامة واختلف في البنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما
وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو
الثلثان يقتضي ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله
فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحرى ان تستحقه
مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك
ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدة التنصيص على
ان استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيد السدس مما ترك ان
كان له للميت ولد ذكر او انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقي من ذوي
الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث
مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكانه
قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور
لا ثلث المال كما قال ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف
وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس فاطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها
من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه
الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة

والاخوات وقال ابن عباس رض لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلثة ولا الاخوات الخلص اخذا
بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي
بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية
او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة
مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة
مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور اباؤكم وابناؤكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم
وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين
اذا كان ارفع درجة في الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى منهم
فعرضكم للثواب بامضاء وصيته او من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض موكد لامر القسمة او تنفيذ
الوصية فريضة من الله مصدر موكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم
ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف
ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد
فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل
ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين
ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن
الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل
بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب
ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن
وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة
خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد
بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث
وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني الثلثة
وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى
فاليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها
المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امرأة عطف على رجل وله اي
وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل عليه

قراءة ابى وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر فى آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة
الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها **فلكل واحد**
منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث سوى بين الذكر
والانثى فى القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع
البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع **من بعد وصية يوصى بها او دين غير**
مضار اى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار
بدين لا يلزمه وهو حال عن فاعل يوصى المذكور فى هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول
فى قراءة ابن كثير وابن عامر وعاصم **وصية من الله** مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول
به ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية بالاضافة اى لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او
وصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب **والله عليم** بالمضار وغيره **حليم**
لا يعاجل بعقوبته **تلك** اشارة الى الاحكام التى تقدمت فى امر اليتامى والوصايا والمواريث **حدود**
الله شرايعه التى هى كالحدود المحدودة التى لا يجوز مجاوزتها **ومن يطع الله ورسوله**
يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز
العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا
خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع
وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صايدا به غدا وكذلك خالدا
وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جرتا على غير من هما له **واللاتى يأتين**
الفاحشة من نسائكم اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها
والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها **فاستشهدوا عليهن اربعة منكم**
فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن **فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت** فاحبسوهن فى البيوت واجعلوها سجنا عليهن **حتى يتوفاهن**
الموت يستوفى ارواحهن الموت او يتوفاهن ملايكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن فى اوايل الاسلام
فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجرى عليهن ما جرى بسبب الخروج
والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزانى **او يجعل الله لهن سبيلا**
كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغنى عن السفاح **واللذان يأتيانها منكم** يعنى
الزانى والزانية **فآذوهما** بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد **فان تابا واصلحا**
فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر **ان الله كان**

وابن عياش عن عاصم

وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف غير تمكين

توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة وقيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان
عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى فى السحاقات وهذه اللواطين والزانية والزانى
والزناة **انما التوبة على الله** اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه
اذا قبل توبته **للذين يعملون السوء بجهالة** ملتبسين بها سفها فان ارتكاب
الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته **ثم يتوبون من**
قريب من زمان قريب اى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم وقوله عليه السلام ان الله
يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله قل متاع الدنيا قليل او قبل ان
يشرب فى قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اى يتوبون فى اى جزء من الزمان
القريب الذى هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء **فاولئك يتوب**
الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله **وكان الله**
عليما فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة **حكيما** والحكيم لا يعاقب التايب **وليست التوبة**
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين
من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة
فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء
عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار
اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعد
لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت
الدال الاولى تاء **يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء**
كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها
الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك
وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ حمزة
والكسائى كرها بالضم فى مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفى اى ولا
تمنعوهن من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج
كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها
ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل **الا ان يأتين بفاحشة مبينة** كالنشوز

كفرهم

ولا لتاكيد النفى

وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول وتقديره ولا تعضلوهن للافتداء
الا وقت ان يأتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا لان يأتين بفاحشة او لا تعضلوهن **وعا
شروهن بالمعروف** بالانصاف في الفعل والاجمال في القول **فان كرهتموهن
فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** اي فلا تفارقوهن
لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو
اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن
فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم **وان اردتم استبدال زوج
مكان زوج** تطليق امراة وتزوج اخرى **وآتيتم احداهن قنطارا**
اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا **فلا تأخذوا منه
شيئا** اي من القنطار **أتأخذونه بهتانا واثما مبينا** استفهام انكار وتوبيخ اي اتأ
خذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب
بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى
الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب
عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هاهنا بالظلم **وكيف تأخذونه وقد افضى
بعضكم الى بعض** انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها
وتقرر المهر **واخذن منكم ميثاقا غليظا** عهدا وثيقا وهو حق الصحبة
والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شانهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار
اليه عليه السلام بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله **ولا تنكحوا
ما نكح آباؤكم** ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما
مصدرية على ارادة المفعول من المصدر **من النساء** بيان ما نكح على الوجهين **الا ما قد
سلف** استثناء من المعنى اللازم للنهي وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما
قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء
منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لانه مقرر **انه كان فاحشة ومقتا**
علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروءة
ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي **وساء سبيلا** سبيل من يراه ويفعله
حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم

وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد
منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم
تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت
واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة
كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى **وا
مهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة** نزل الله الرضاعة
منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد
الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل
وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب **وامهات
نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن** ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان
تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة من آخر سمي به لانه يربه كما يرب
ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ
والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية
فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل يجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور
الادباء اللهم اذا جعلتها للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن
متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها انه
لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رضي الله عنه
تقييد الحرمة فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله التحريم
في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده
قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء جمهور
وقد روي عن علي كرم الله وجهه جعله شرطا والامهات والربائب متناولان القريبة والبعيدة وقوله
دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر ما ليس بزنا كالوطء بشبهة او ملك يمين وعند
ابي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول **فان لم تكونوا دخلتم بهن
فلا جناح عليكم** تصريح بعد اشعار دفعا للقياس **وحلائل ابنائكم**
زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج **الذين من اصلابكم**
احتراز عن المتبنى لا عن ابناء الولد **وان تجمعوا بين الاختين** في موضع

الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي
محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان رضي الله عنه وعلي رضي الله عنه حرمتهما اية
واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي رض اظهر لان
آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام **الا ما قد
سلف** استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما سلف مغفور لقوله **ان الله كان
غفورا رحيما والمحصنات من النساء** ذوات الازواج احصنهن التزويج
والازواج وقرأ الكسائي بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن **الا ما ملكت ايمانكم**
يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي
لقول ابي سعيد اصبنا سبيا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن وسألنا النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق
وقال ابو حنيفة رحمه الله لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم يحل للسابي واطلاق الآية والحديث حجة عليه
كتاب الله عليكم مصدر موكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع
والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل **واحل لكم** عطف على الفعل المضمر الذي
نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت **ما وراء
ذلكم** ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كساير محرمات
الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها **ان تبتغوا باموالكم محصنين
غير مسافحين** مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم بالصرف
في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه
قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل مما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به
الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم
والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه **فما استمتعتم به
منهن** فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن **فاتو
هن اجورهن** مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع **فريضة** حال من الاجور
بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر موكد **ولا جناح عليكم
فيما تراضيتم به من بعد الفريضة** فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما
تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتحت
مكة ثم نسخت كما روي انه عليه السلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه

سطر
المحرر
اقول الثمان هي الامومة نسبا او رضاعا
او مصاهرة كمنكوحة الاب وام
الزوجة والبنوة نسبا او رضاعا
او مصاهرة كحليلة الابن والربيبة
والاخوة نسبا او رضاعا والعمومة
كذلك والخؤولة كذلك وبنوة الاخ
كذلك وبنوة الاخت كذلك
ولا حرمة للمصاهرة في هذه الخمس
والثامنة الجمع بين الاختين ط

النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح الى وقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع
بالمرأة وتمتيعها بما يعطى وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه **ان الله كان عليما** بالمصالح **حكيما**
فيما شرع من الاحكام **ومن لم يستطع منكم طولا** غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة
ان ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا او بفعل يقدر صفة له
اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحراير لقوله
فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات وظاهر
الآية حجة للشافعي رضي الله عنه في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة
الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطي وحمل
قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله والمحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله
ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة
الكفار وموالاتهم والمحذور في النكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج
والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسراير او بتفاضل ما بينكم في الايمان
فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان يعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تانيسهم بنكاح الاماء
ومنعهم من الاستنكاف منه ويؤيده **بعضكم من بعض** انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم
من آدم ودينكم الاسلام **فانكحوهن باذن اهلهن** يريد اربابهن واعتبار اذنهن
مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية **واتوهن
اجورهن** اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره اي الى
مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدي اليه وقال مالك
المهر للامة ذهابا الى الظاهر **بالمعروف** بغير مطل وضرار ونقصان **محصنات**
عفايف **غير مسافحات** غير مجاهرات بالسفاح **ولا متخذات اخدان**
اخلاء في السر **فاذا احصن** بالتزوج **فان اتين بفاحشة** زنا
فعليهن **نصف ما على المحصنات** يعني الحراير **من العذاب** من الحد لقوله
وليشهد عذابهما طايفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان
الرجم لا يتنصف **ذلك** اي نكاح الاماء **لمن خشي العنت منكم** لمن خاف الوقوع في الزنا
وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم
بافحش القبايح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء **وان تصبروا خير لكم**
اي وصبركم على نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه السلام الحراير صلاح البيت والاماء هلاكه **والله**

وحال الاحصي في علم الكف ... [illegible]
[illegible]

غفور لمن يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به
من الحلال والحرام او ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول اي يريد واللام مزيدة
لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل
قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجل ويهديكم
سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم
ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة
او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان
يتوب عليكم كرره للتاكيد والمقابلة ويريد الذين يتبعون
الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الايتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها
دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب
وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال
المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل له يريد الله
ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في
المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات
ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه
الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر
ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين
امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب
والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع ولكن
كون تجارة عن تراض غير منهي عنه او اقصد او كون تجارة عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة
عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانه اغلب وارفق
لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا
يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار
الاسم اي الا ان يكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله
جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تاول في التيمم لخوف
البرد فلم ينكر عليه النبي عليه السلام او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها
فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة

جمع

جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما
تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان
بكم رحيما اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد
رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة
الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا
بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب
فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه
يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان
ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر
عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة
كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي عليه السلام
انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار
من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به هاهنا
انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة
الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران
فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من
الثواب على اجتنابه الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب
نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يواخذ عليها وندخلكم مدخلا
كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان
والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور
الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة
عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشه بحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له
معارضة لحكم القدر وتمني ما قدر بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضايع ومحال
للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان
لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا
بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة

بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له
واسئلوا الله من فضله اى لا تتمنوا ما للناس واسئلوا الله مثله من خزائنه التى لا تنفد
وهو يدل على ان المنهى هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم **ان الله
كان بكل شىء عليما** فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روى ان ام سلمة
قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت
ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون اى ولكل
تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او لكل ميت جعلنا وراثا
مما ترك على ان من صلة موالى لانه فى معنى الوراث وفى ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر
للموالى وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالى
حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالى صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة
من مبتدأ وخبر **والذين عاقدت ايمانكم** موالى الموالاة كان الحليف
يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابى حنيفة لو اسلم رجل
على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو
مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره **فآتوهم نصيبهم** او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك
زيدا فاضربه او معطوف على الوالدين وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة موكدة لها
والضمير للموالى وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف
اليه مقامه ثم حذف كما حذف فى القراءة الاخرى **ان الله كان على كل شىء شهيدا**
تهديد على منع نصيبهم **الرجال قوامون على النساء** يقومون عليهن قيام الولاة
على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبى وكسبى فقال **بما فضل الله بعضهم على
بعض** بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة فى الاعمال والطاعات
ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعاير والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد
والجمعة ونحوهما والتعصيب وزيادة السهام فى الميراث والاستبداد بالفراق **وبما انفقوا
من اموالهم** فى نكاحهن كالمهر والنفقة وروى ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت
عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله فشكا فقال عليه السلام
لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير **فالصالحات
قانتات** مطيعات لله قايمات بحقوق الازواج **حافظات للغيب**
لمواجب الغيب اى يحفظن فى غيبة الازواج ما يجب حفظه فى النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء

امراة

امراة اذا نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الآية
وقيل لاسرارهم **بما حفظ الله** بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد
والوعيد والتوفيق له او بالذى حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت
مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذى حفظ حق الله او طاعته وهو التعفف والشفقة
على الرجال **واللاتى تخافون نشوزهن** عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة
الازواج من النشز **فعظوهن واهجروهن فى المضاجع** فى المراقد فلا
تدخلوهن تحت اللحاف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اى لا تبايتوهن
واضربوهن يعنى ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلثة مترتبة ينبغى ان يدرج فيها
فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا
عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له **ان الله
كان عليا كبيرا** فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم وانه على علو شانه
يتجاوز عن سياتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه تعالى متعال ومتكبر ان يظلم احدا او ينقص
حقه **وان خفتم شقاق بينهما** خلافا بين المراة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما
لجرى ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة
او الفاعل كقولهم نهارك صايم **فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها**
فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة
والاصلاح من اهله والآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه
الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم
والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين
وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه **ان يريدا اصلاحا يوفق الله
بينهما** الضمير الاول للحكمين والثانى للزوجين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما الالفة
والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه **ان الله كان عليما
خبيرا** بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق **واعبدوا الله ولا
تشركوا به شيئا** صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا **وبالوالدين
احسانا** واحسنوا بهما احسانا **وبذى القربى** وبصاحب القرابة
واليتامى والمساكين والجار ذى القربى الذى قرب جواره وقيل

اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما ليتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اى ان ارادا الاصلاح وزوال النفاق اوقع الله بينهما ... صح

ملاءكم ذكر الوالدين لان الالدهم الاند[illegible] والوراثة

الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرى بالنصب على الاختصاص تعظيما **والجار**
الجنب والصاحب بالجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام
الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان
حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب
وابن السبيل المسافر او الضيف **وما ملكت ايمانكم** العبيد والاماء
ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا
يلتفت اليهم **فخورا** يتفاخر عليهم **الذين يبخلون ويامرون الناس**
بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه او مبتدا خبره محذوف
تقديره الذين يبخلون بما منحوا ويامرون الناس بالبخل وقرا حمزة والكسائي بالبخل بفتح الحرفين
وهي لغة **ويكتمون ما آتاهم الله من فضله** الغنى والعلم احقاء بكل ملامة
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا
بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة
بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم
فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم **والذين**
ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين
وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما
طرفا افراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله
ومن يكن الشيطان **ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر** ليتحروا بالانفاق
مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة وقيل المنافقون **ومن يكن الشيطان له**
قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم
كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة
ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار **وماذا عليهم لو**
آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي
عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة
والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم
بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان
يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان هاهنا واخره في الآية الاخرى لان القصد

بذكره

والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المراة

بذكره الى التخصيص هاهنا وثم للتعليل **وكان الله بهم عليما** وعيد لهم **ان الله لا يظلم مثقال ذرة** لا ينقص من الاجر
ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل
وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه **وان تك حسنة** وان يك مثقال الذرة حسنة وانث الضمير
لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرا ابن كثير
وابن عامر ويعقوب **يضعفها** وكلاهما بمعنى **ويؤت من لدنه** ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على
ما وعد في مقابلة العمل **اجرا عظيما** عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه **فكيف** حال هؤلاء الكفرة
من اليهود والنصارى وغيرهم **اذا جئنا من كل امة بشهيد** يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل
في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم الشان **وجئنا بك** يا محمد **على هؤلاء شهيدا** تشهد على صدق
هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم
وقيل الى المؤمنين لقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا **يومئذ يود الذين كفروا وعصوا**
الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لما ذكر من الهول اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في
ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء **ولا يكتمون**
الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض
حال انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم
الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرا نافع وابن عامر
تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته
فتسوى **يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون** اي لا تقوموا اليها وانتم سكارى
من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعا
نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي
بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران
عن قربان الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح
وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى او سكرى كحبلى على انها صفة للجماعة **ولا جنبا** عطف على
قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث
والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر **الا عابري سبيل** متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا
الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا

اى جنبا غير عابرى سبيل و فيه دليل على ان لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابرى سبيل
بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعى رح وقال ابو حنيفة رح لا يجوز له المرور فى المسجد
الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهى عن القربان حال الجنابة وفى الاية تنبيه على ان المصلى
ينبغى ان يحترز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكى نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه عن
استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه بسبب ضعف حركتهم وعجزهم او على سفر
لا تجدونه فيها وجاء احد منكم من الغايط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغايط المطمئن من الارض
او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعى رح على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل
او جامعتموهن وقرا حمزة والكسائى لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء
فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب
والحال المقتضية له فى غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره
اقتصر على بيان حاله ذكر اسبابه ما يحدث بالذات او بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال
الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغايط او لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اى فتعمدوا شيئا من وجه الارض
طاهرا ولذلك قالت الحنفية رح لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به اجزاءه وقال اصحابنا لا بد من
ان يعلق باليد شئ من التراب بقوله فى المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من بعضه وجعل من
لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روى انه عم تيمم ومسح
يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا
فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اى الم تنظر اليهم او القلب وعدى
بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون
الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد عم وقيل
ياخذون الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم
منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلى امركم وكفى بالله
نصيرا يعينكم فتوكلوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد فى فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال
الاضافى من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم
او صلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا او يحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه

اى من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اى يميلونها عن مواضعها التى وضعها الله فيها بازالتها عنها واثبات
غيرها فيها او يؤولونها على ما يشتهون فيميلونها عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع
كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اى مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت
او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك
تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا
وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا
راعنا المشابهة لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها
او ضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا فى الدين
استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما
قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو فى
مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى
بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبؤ به وهو الايمان ببعض الايات والرسل
ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكى للمهم يصيبه او الا قليلا منهم سيؤمنون يا ايها الذين
اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل
ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعنى القفاء او ننكسها الى ورائها فى الدنيا او فى
الاخرة واصل الطمس ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق فى ازالة الصورة ولمطلق القلب
والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها
الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت وهى اذرعات الشام يعنى جلاء بنى النضير و
يقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمى الابصار
عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة
او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت ونخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت
او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود عم والضمير لاصحاب الوجوه او الذين اريد به
الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة فى الدنيا
ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة فى الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا
بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شئ او وعيده او ما حكم به وقضاه

كلمة بتخفيف ح

فلانا ح

تمامه كثير الهوى شتى النوى والمسالك

طمس الكتاب محاه

او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ح

مفعولا نافذا وكاينا فيقع لامحالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه
بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون
ذلك اى ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا منه واحسانا والمعتزلة علقوه
بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب
وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة اولى منه في الوعد ونقض لمذهبهم فان تعليق
الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة على الخوارج الذين
عليهم فهي حجة ص
زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما
يستحقر دونه الاثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين ساير الذنوب والافتراء كما يطلق على
القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاف الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء
الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله عم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال
لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي
معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية
غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين
واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم والعقاب على تزكية انفسهم بغير حق فتيلا
ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على
الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى
كونه ماثما من بين اثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله تعالى مما يدعوا اليه محمد عم وقيل في
حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول
الله عم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن
اقرب ص
اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو
الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود وغيره ويقولون للذين
كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك
الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب
من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود

من

من ان الملك سيصير لهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اى لو كان لهم نصيب من الملك فاذا
لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا
بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا
من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه
الالغاء والاعمال ولذلك قرئ واذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله
واصحابه رض او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم
وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذايل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما اتيهم الله
من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد اتينا ال ابرهيم الذين
هم اسلاف محمد عم وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة واتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل
ما اتيهم فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد عم او بما ذكر من حديث آل ابرهيم عم ومنهم من صد عنه اعرض
عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابرهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا
لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد
كفاه ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت
الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اى ليدوم
لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لالة ادركها فلا محذور
ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريد حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين
ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب
لا فرج
فيه ودايما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدايمة والظليل صفة مشتقة من الظل
لتاكيده كقولك ليل اليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم
المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع
المفتاح ليدخل فيها قال لو علمت انه رسول الله عم لم امنعه فلوى علي يده واخذ منه وفتح فدخل رسول الله صلعم
وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس رض ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامره الله ان يرده
اليه فامر عليا رض بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا

واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اى وان يحكموا بالانصاف والتسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او
يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اى نعم الشئ الذى يعظكم به فما منصوبة
موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به من اداء الامانات والعدل فى الحكومات
ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون فى الامانات يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولى الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين فى عهد الرسول صلعم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة
وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء
الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولى
الامر منكم فى شئ من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف
المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال
عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى
كتابه والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه
وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله عم فانه يدل على ان الاحكام
الثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الاخر فان الايمان يوجب ذلك ذلك اى الرد خير لكم واحسن تأويلا عاقبة او احسن
تأويلا من تأويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رض ان منافقا خاصم يهوديا فدعا اليهودى الى النبى عم ودعا
المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلعم فحكم لليهودى فلم يرض المنافق
وقال نتحاكم الى عمر رض فقال اليهودى لعمر رض قضى لى رسول الله عم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك
فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق
المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل عم ان عمر
فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفى معناه من يحكم
بالباطل ويؤثر لاجله فسمى بذلك لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان
من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا
وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا
الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام

لواو

لوا والضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا وهو مصدر او اسم للمصدر الذى هو الصد والفرق
بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون فى موضع الحال فكيف يكون حالهم
اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله تعالى بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك
وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما
بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن
والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم
الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق
فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اى عن عقابهم لمصلحة فى استبقائهم او عن قبول
معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم فى انفسهم اى معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح فى
السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم تعالى بالتجافى عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب
والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عم وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا فى انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان
معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ فى الاصل هو الذى يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من
رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه فى طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على
ان الذى لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول عم لما
لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق والتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق
به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا
وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائبين وان عظم
جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع فى كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم
متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه
فلا وربك اى فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا فى قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا فى الاثبات
كقوله لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا
فى انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك فى ضيق
من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا فى معنى

امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على
اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما
على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا ناس قليل وهم
المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير
للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا
قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول صلعم ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا
لهم في عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التميز
والاية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا
في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عم اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك
فقال عم اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما
جواب لسوال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لاتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم
صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عم من عمل بما علم ورثه الله تعالى
علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها
مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين حال منه او من
ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون
بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر
في الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على
ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله تعالى ثم
الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعة الله واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون
بالله وهولاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون
اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء عم او لا فيكونون كمن يرى
الشيء من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون
الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن
اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التميز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق ولانه اريد
وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله صلعم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فساله عن حاله

فقال



فقال ما لي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت
الاخرة فخفت ان لا اريك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك
وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية و
مرافقة المنعم عليهم او الى فضل هولاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته من الله او الفضل خبر ومن
الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله
يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر
به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان
تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه وتجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين
كوكبة واحدة والاية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيف
ما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله عم المؤمنين والمنافقين والمبطئون
منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا من الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي
ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطوء كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل
بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم
لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن
معهم شهيدا اي حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده
تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بالضم اعادة للضمير على معنى من كان لم تكن بينكم وبينه مودة
اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم
وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير
في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا و
حسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد عم مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت
معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل بعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا
ومعنى وكان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص
عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي
يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على
تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون

الحيوة الدنيا بالاخرة اى الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطاء هولاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون
انفسهم فى طلب الاخرة او الذين يشرونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكى عنهم
ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا
فى القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغى
ان يثبت فى المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل
بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتداء وخبر لا تقاتلون فى سبيل الله حال والعامل ما فى الظرف
من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله تعالى اى وفى سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم
عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اى فى خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله
يعم ابواب الخيرات وتخليص ضعفة المسلمين من ايدى الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء
والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون بقوا بمكة لصد المشركين اياهم او ضعفهم عن الهجرة مستذلين
ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة فى الحث وتنبيها على تناهى ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان
وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم فى الدعاء حتى يشاركوا فى استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل
وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل
لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة
وجعل لمن بقى منهم خير ولى وناصر وفتح مكة على نبيه عم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن
اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما
اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب
ما عمل فيه الذين امنوا يقاتلون فى سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل
الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان
يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اى ان كيده للمؤمنين
بالاضافة الى كيده للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شئ
واوهنه واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله
يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل الله عليهم باسه واذا للمفاجاة جواب لما
وفريق مبتداء منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع
المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد

الذين مع

المر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اى عن القتال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة

خشية

خشية عطف ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه
بل هو معطوف على اسم الله تعالى اى وكخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم
جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا
ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة فى مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت
ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه فى انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضى والاخرة خير
لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شئ من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من اجالكم المقدرة وقرا
ابن كثير وحمزة والكسائى ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرى بالرفع على حذف الفاء
كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتداء واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم فى بروج مشيدة
فى قصور او حصون مرتفعة والبروج فى الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المراة اذا ظهرت وقرى
مشيدة وصفها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم
حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما يقع الحسنة والسيئة
على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما المراد فى الاية اى ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى
الله تعالى وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هى الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد
المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهولاء القوم لا
يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القران فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله
او حديثا ما كبهايم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله
ما اصابك من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافى نعمة
الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال عم ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما
اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله كل
من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام
كما قالت عايشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع
نعله الا بذنب وما يغفر الله اكثر والايتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا
حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق برسولا اى رسولا للناس جميعا كقوله وما
ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من فى زور كلام وكفى بالله
شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه فى الحقيقة مبلغ والامر هو الله

كخشية الله

روی انه عم قال من احبنی فقد احب الله ومن اطاعنی فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو
ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك
عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف
ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة ای امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة
على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طايفة منهم غير الذى تقول ای نقرت خلاف ما قلت
لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل
او من بيت الشعر او البيت المبنی لانه يسوی ويدبر وقراء ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما فی
المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته فی صحايفهم للمجازاة او فی جملة ما يوحی اليك لنطلع على اسرارهم فاعرض
عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله فی الامور كلها سيما فی شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك
معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القران يتأملون فی معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر
فی ادبار الشیء ولو كان من عند غير الله ای ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه تصعب معارضته وبعضه
تسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض
على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما قد سبق
من الاحكام ليس لتناقض فی الحكم بل لاختلاف الاحوال فی الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن
او الخوف مما يوجب الامن والخوف اذاعوا به افشوه كما يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر
سرايا رسول الله صلعم او اخبرهم الرسول بما يوحی اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا
به لعدم حزمهم فكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمين الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه
الى الرسول لو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولی الامر منهم الى رايه ورای كبار الصحابة البصراء
بالامور او الامراء لعلمه على ای وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم و
انظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى
الرسول والى اولی الامر منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول و
اولی الامر منهم يعرفونه ای يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط النبط وهو الماء يخرج
من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان
بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب

وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا عن النذور
فقاتل فی سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم
وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روی انه عم دعا الناس
فی بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقری
لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل ای لا نكلف الا فعل نفسك بقوله وحرض المؤمنين
على القتال اذ ما عليك فی شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف باس الذين كفروا يعنی قريشا وقد فعل
بان القى فی قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو
تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعی بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا
او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له
وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع
بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها
فی القدر وكان الله على كل شیء مقيتا مقتدرا من اقات على الشیء اذا قدر قال وذی ضغن كففت
الطعن عنه وكنت على مساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوی البدن
ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه فی السلام ويدل على وجوب
الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهو النهاية واما
برد مثله لما روی ان رجلا قال لرسول الله صلعم فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال اخر السلام
عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنی فاين ما قال الله وتلا هذه الاية
فقال انك لم تترك لی فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب التی هی السلامة
عن المضار وحصول النافع وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد فی الخطبة
وقراءة القران وفی الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها ومنه قيل او للترديد بين ان يحيی بتمامها والتحية
فی الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب فی
السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعی ان الله
كان على كل شیء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتداء وخبر او الله مبتداء والخبر ليجمعنكم
الى يوم القيمة ای الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه فی يوم القيمة ولا اله الا هو
اعتراض والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة وهی قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه

لا انا لا نكلف احدا الا نفسك

ببعض التحية وبين ان يحيی

الاية

في اليوم او في الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون
احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين
فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم
استاذنوا رسول الله عم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة
مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد
او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام
وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اى
متفرقين فيهم او من الضمير اى فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله
اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا
اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء
في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا
في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحقق ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا
وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم
واقتلوهم حيث وجدتموهم كساير الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى جانبوهم راسا
ولا تقبلوا منهم ولاية ونصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله
فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم
هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عم وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عمير الاسلمي على ان
لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجعل مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم
عطف على الصلة اى او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم
من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم
وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول
اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف
حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات او بيان لجاؤكم
وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله عم غير

متقاتلين

متقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن ان او لان او كراهة
ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم
فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم
الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون
اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة
واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر والى قتال
المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم
وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم
منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض
لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم
في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على عرضة
ونصبه على الحال او المفعول له اى لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ
او على انه صفة مصدر محذوف اى الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع
اى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص او لا يقصد
به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون
فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصى بتخفيف الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة
اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن
قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اى فعليه او فواجبه تحرير والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق
للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر
بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة
الى اهله مؤداة الى ورثته ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة
فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو
عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي عم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة
اى تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال
من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اى وان كان

يقتسمونها كساير المواريث لقول
ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي
رسول الله عم يامرني صح

المومن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله
اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله
وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم الاسلام في وجوب
الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان
لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين
توبة نصب على المفعول له اى شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اى
وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله
عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله
عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رض لا تقبل توبة قاتل
المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روى عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب
لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره
ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم
رسول الله صلعم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا والمراد
بالخلود المكث الطويل فان الدلايل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين
امنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا
تعجلوا فيه ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة السلم
بغير الالف اى الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا
وقرئ مؤمنا بالفتح اى مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام
سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت
فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اى اول ما دخلتم في الاسلام
تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان تعلم مواطاة قلوبكم السنتكم
فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين
في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء
الف كافر اهون عند الله من قتل امرء مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم
على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في
القتل

القتل واحتاطوا فيه روى ان سرية لرسول الله عم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة
باسلامه فلما راى الخيل الجاء غنمه الى عاقول من الجبل فلما تلاحقوا وكبروا كبر وقال لا اله الا الله محمد
رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في
غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله محمد رسول الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على
صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطي وان خطاءه مغتفر لا يستوى القاعدون عن الحرب من المؤمنين
في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد
به قوم باعيانهم او بدل منه وقرا نافع وابن عامر والكسائى بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ
بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر
فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله عم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي
حتى خشيت ان ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر
والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير
علة وفايدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط
منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اى بدرجة او على المصدر لانه
تضمن معنى التفضل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوى درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين
وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهو الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي
لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى آجر
او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة
ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا
على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين
وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما جعل لهم في الدنيا من الغنيمة و
الظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الاخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله و
بالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاولون هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن
لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والاخرون من جاهد نفسه
وعليه قوله عم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما

بما وعد لهم ان الذين توفيهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفيهم على مضارع وفيت
بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي تمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال
ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة
واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم في اي شئ كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض
اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة وعن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا
لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة و
الحبشة فاولئك ماويهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن
الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعايد محذوف اي قالوا
لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الاية
دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي عم من فر بدينه من ارض
الى ارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد صلعم الا المستضعفين من الرجال والنساء
والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به
المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة
فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن
فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه
او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير
حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن
يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه
بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج
من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو
يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا
رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والاية نزلت
في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق
بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات

واذا

واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه
يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عم اتم في السفر وان عايشة رض اعتمرت مع رسول الله صلعم وقالت
يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عايشة واوجبه ابو حنيفة رح
لقول عمر رض صلوة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عايشة رض اول ما فرضت
الصلوة ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الاية فان صح
فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تاويل الاية
بانهم الفوا الاربع وكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصور ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا
على ظنهم ونفي الجناح فيه ليطيب به نفوسهم واقل سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة رح
وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه
ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا
مبينا شريطة باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان
خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا
في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض
بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة النبي عم لفضل
الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها لياتم به الايمة بعده فانهم نواب عنه
فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طايفة منهم معك فاجعلهم طايفتين فلتقم احديهما معك
يصلون وتقوم الطايفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل
الضمير للطايفة الاخرى وذكر الطايفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا
غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي عم ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغايب ولتات
طايفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي
مرتين بكل طايفة مرة كما فعله عم ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة
ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قايما حتى يتموا صلوتهم منفردين فيذهبوا
الى وجه العدو وياتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم و
يسلم بهم كما فعله رسول الله صلعم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة رح يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب
هذه وتقف بازاء العدو وياتي الاخرى فتصلي معه ركعة ويتم صلوته ثم يعود الى وجه العدو

وتاتى الاولى فتودى الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تعود وتاتى الاخرى فتودى الركعة الثانية بقراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازى فجمع بينه وبين الاسلحة فى وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوأو الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة فى صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امر باخذ السلاح ولا جناح عليكم

ان كان اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كى لا تهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا فى الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر فى جميع الاحوال واذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرايطها واتوا بها تامة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدودا الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها فى شىء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب فى المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة رح لا يصلى المحارب حتى يطمئن قلبه ولا تهنوا ولا تضعفوا فى ابتغاء القوم فى طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التوانى فيه بان ضرر القتال داير بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغى ان يكونوا ارغب منهم فى الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهى عن الوهن لاجله والاية نزلت فى بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم وضمايركم حكيما فيما يامر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت فى طعمة بن ابيرق من بنى ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين اليهودى فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف

ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلعم فسالوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودى فهم رسول الله عم ان يفعل بما اريك الله بما عرفك واوحى اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين اى لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه فى الاثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما مبالغا فى الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روى ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله وهو احق ان يستحيى منه ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويواخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمى البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شىء ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبرها جادلتم عنهم فى الحيوة الدنيا جملة مبنية لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم عن عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله كقوله وان اساتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم فى مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمى البرئ وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الاخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحى لهمت طائفة منهم اى من بنى ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفى همهم بل الى نفى تاثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شىء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا فى الحكم ومن شىء

في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم
من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير
في كثير من نجويهم من مناجاتهم كقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف
على حذف المضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجويه الخير والمعروف
كل ما استحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وساير
ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف
نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الامر في زمرة
الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه
وقيد الفعل بان يكون لطلب رضاء الله تعالى لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة
لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اعراض الدنيا
ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الاخر من بعد ما تبين
له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل
نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله
فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والاية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى
رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما
او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان
المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم
واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد
الافهام الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد
او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله عم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك
بالله تعالى شيئا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة وما توهمت
طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد
ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلال وابعدها عن الصواب والاستقامة
وانما ذكر في الاية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشاء شركهم كان نوع
افتراء وهو دعوى التبني على الله تعالى ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومنات

ونحوها

ونحوها فان لكل حي صنما يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكر فان
يكبر فانثى شديد الازم ليس له ضروس فانه على القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي حلمة
او لانها كانت جمادات والجمادات يؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى
ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه منفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون
فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله
وهي جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا
بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو همزة وان يدعون وان
يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امر بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعتهم في ذلك
عبادة له والمارد والمريد الذي لا تعلق بخير واصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وغلام
امرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك
نصيبا مفروضا عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته
للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به
ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا
غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلثة اوجه الاول انه مريد
منهمك في الضلال لا تعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون
لضلاله فلا يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم
وموالاة من هذا شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض
من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا
عقاب ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام يشقونها لتحريم ما احل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل
بالبحاير والسوايب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل خلق كاملا بالفعل او بالقوة ولامرنهم فليغيرن
خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقاء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم
والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال
الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء
مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهايم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه
فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوا اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن

لاطاعته

عن طاعة الله تعالى فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع ما يدعو اليه راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه
من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه
الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا
معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا
فيما قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد
الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد
والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم
لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة
بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق
لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب ليس
ما وعد الله من الثواب ينال باماينكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل
الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب
افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن
اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين
ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر
كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك فقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا
او آجلا لما روي انه لما نزل قال ابو بكر رضه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عم اما تحزن اما تمرض اما
يصيبك اللاواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه
اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات
بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن
في يعمل ومن للبيان ومن الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط
اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فيه فاولئك يدخلون
الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزيد عقاب العاصي
لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص

نفسه

نفسه لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى
ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابرهيم الموافقة
لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن ساير الاديان وهو حال عن المتبع او الملة او ابرهيم
واتخذ الله ابرهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند الخليل وانما اعاد ذكره
ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل
فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الاخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او
من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان
بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابرهيم عم بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت
الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا
ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم عم
ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام فقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حواري واختبزت
فاستيقظ ابرهيم عم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال انه من
عند خليلي الله تعالى فسماه خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما ما
يشاء ومن يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال
قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاط علمه وقدرته وكان عالما باعمالهم فيجازيهم
على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصن اتى
النبي عم اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال
ويحوز الغنيمة فقال عم كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم
وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله تعالى او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون
الافتاء مسندا الى الله والى ما في القران من قوله يوصيكم ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني
زيد وعطاؤه او استيناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب
خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينتصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على
القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى
في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شانهن والا فبدل من
فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد

[illegible]

وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرى ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتى لا
تؤتونهن ما كتب لهن اى فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن فى ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن
فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا فى
ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة فى نكاحهن
جريان العقد فى صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم
كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اى ويفتيكم او ما يتلى فى ان تقوموا
هذا اذا جعلت فى يتامى صلة لاحدهما وان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب
ان تقوموا باضمار فعل اى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة فى ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او
للقوام بالصنعة فى شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير فى ذلك وان امراة خافت
من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامراة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا
من صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصلحا
بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحطه بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرا الكوفيون ان يصلحا من
اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما
فى القراءة الاولى والمفعول بينهما او محذوف وقرى يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة و
سوء العشرة او من الخصومة ولا يجوز ان يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة
من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول
للترغيب فى المصالحة والثانى لتمهيد العذر فى المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له
مطبوعة عليه فلا تكاد المراة تسمح بالاعراض عنها والتقصير فى حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم
بحقها على ما ينبغى اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا فى العشرة وتتقوا النشوز والاعراض و
نقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه
اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذى هو فى الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام
المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك
كان رسول الله عم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذا قسمى فيما املك فلا تاخذنى فيما تملك
ولا املك ولو حرصتم على تحرى ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على
المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التى ليست ذات بعل ولا مطلقة

وعن

وعن النبى عم من كانت له امراتان ويميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا
ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من
ميلكم وان يتفرقا وقرى وان يتفارقا اى وان يتفارقا كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او
سلو من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا فى افعاله واحكامه ولله
ما فى السموات وما فى الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم يعنى اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا
ومساق الآية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز
ان تكون مفسرة لان التوصية فى معنى القول وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض
على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم
كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك وكان الله غنيا عن
الخلق وعبادتهم حميدا فى ذاته حمد او لم يحمد ولله ما فى السموات وما فى الارض ذكره ثالثا
للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من
الجود وانواع الخصايص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته
فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشاء يذهبكم ايها الناس يفنيكم ومفعول
يشاء محذوف دل عليه الجواب ويات باخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين
مكان الانس وكان الله على ذلك قديرا من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد
وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادا
رسول الله عم من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزل
ضرب رسول الله عم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا
كالمجاهد يجاهد فى الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما
كمن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد
خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله فى الآخرة ما هى فى جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين
فيعطى كلا ما يريد كقوله تعالى من كان يريد الآخرة نزد له الآية وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض
فيجازى كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين
فى اقامة شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت

الشهادة على انفسكم بان يقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره
او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اى المشهود عليه او كل واحد منه ومن
المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة ولا تجوزوا فيها ميلا وترحما فالله اولى
بهما بالغنى والفقير وبالنظر لهما فلو لم يكن الشهادة عليهما اولهما صلاحا لهما لما شرعها وهو علة
الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغنى والفقير لا
اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا
عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ
وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة فاديتموها او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون
خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها امنوا خطاب للمسلمين او المنافقين او لمؤمنى اهل الكتاب اذ روى ان
ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر
بما سواه فنزلت امنوا بالله ورسوله والكتاب الذى انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك ودوموا
عليه او امنوا به بقلوبكم كما امنتم بلسانكم او امنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض
كلا ايمان والكتاب الاول القران والثانى الجنس ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر اى ومن يكفر بشئ من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى
طريقه ان الذين امنوا يعنى اليهود امنوا بموسى عم ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم امنوا بعد عوده
اليهم ثم كفروا بعيسى عم ثم ازدادوا كفرا بمحمد عم او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر
وازدادوا تماديا فى الغى لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ مستبعد منهم ان يتوبوا عن
الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضريت بالكفر وبصايرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا
الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان فى امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله
مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما تدل على ان الاية فى المنافقين وهم قد امنوا
فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على
المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين من دون المؤمنين فى
محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة يتعززون
بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه الله وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه لعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم فى الكتاب يعنى القران وقرئ

نزل

نزل والقايم مقام فاعله ان اذا سمعتم ايات الله وهى المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها حالان
من الايات جئ بهما لتقييد النهى عن المجالسة وفى قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث
غيره الذى هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازيا معاندا غير مرجو ويؤيد الغاية وهذا
تذكار ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون فى اياتنا الاية والضمير فى معهم للكفرة
المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزاء بها انكم اذا مثلهم فى الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار
عليهم او الكفران رضيتم بذلك او لان الذين مقاعدون الخايضين فى القران من الاحبار كانوا
منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا يعنى القاعدين والمقعود معهم
واذا ملغاه لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او
للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبنى كقوله مثل ما انكم تنطقون
الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين
او ذم مرفوع او منصوب او مبتدا خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا
لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اى قالوا
للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان
يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان خذلناهم
بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا فى مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمى
ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوى سريع
الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او فى الدنيا والمراد
والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية رح على حصول
البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفى ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضى العدة
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه فى اول سورة البقرة واذا قاموا
الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمع كسلان
يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة
فان المرائى يرى من يراه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائى لا يفعل
الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر
بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم

مذبذبين بين ذلك حال عن واو يراؤن كقوله ولا يذكرون اى يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو
يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشئ مضطربا
واصله الذب بمعنى الطرد وقرى بكسر الذال بمعنى مذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل
بمعنى تصلصل وقرى بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة فى دبة وتارة فى دبة وهو الطريقة لا الى هؤلاء
ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صايرين الى احد الفريقين بالكلية ومن
يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب فى نظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين ودينهم فلا
تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او
او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار هو الطبقة التى فى قعر جهنم
وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفرة استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عم
ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا ايتمن
خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة
بعضها فوق بعض وقراء الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع
على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم
واحوالهم فى حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم
الا وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم فى الدارين وسوف يؤتى الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم
فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ايستشفى غيظا او يدفع ضرا او يستجلب به نفعا وهو الغنى المتعالى
عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدى الى مرض فاذا زال بالايمان
والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا
مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطى الجزيل عليما بحق
شكركم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روى
ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرى من ظلم على البناء للفاعل فيكون
الاستثناء منقطعا اى ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم
ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوا سرا او تعفوا عن سوء لكم المواخذة عليه وهو المقصود
وذكر ابداء الخير واخفائه تسبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا اى يكثر العفو عن العصاة

مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم على العفو بعد ما رخص له فى الانتصار
حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر
ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق
لا يختلف فاذا الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا واجمالا
فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل فى الضلال كما قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم
الكافرون هم الكاملون فى الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين
بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اى يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين امنوا
بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضى
متعددا لعمومه من حيث انه وقع فى سياق النفى اولئك سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة
وتصديره بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تاخر وقراء حفص عن عاصم
وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم صح رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم
يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت فى احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا
فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوى على الواح كما كانت
التورية او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله صلعم فقد سالوا
موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اى ان استكبرت ما سالوه فقد سالوا موسى اكبر منه
وهذا السؤال وان كان من ابائهم اسند اليهم لانهم كانوا اخذين مذهبهم تابعين لهديهم
والمعنى ان عرقهم راسخ على ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة
عيانا اى ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء
فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحالة التى كانوا عليها
وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية
الثانية التى اقترفها ايضا اوايلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تاتهم بعد
فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم
توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان
موسى عم والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت على لسان داود عم ويحتمل ان يراد

على لسان موسى عم وحين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في
زمن داود عم وقرا ورش عن نافع لا تعدّوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال واخذنا منهم
ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم
ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم
طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها
مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلته وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره
وكفرهم بايات الله بالقران او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم
او في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم وخذلها ومنعها التوفيق
للتدبر في الايات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة
به لنقصانه وبكفرهم بعيسى عم وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم
ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذلك الكفر ايذانا
لتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى وعيسى عم ثم بمحمد صلعم وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى
الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله اي بزعمهم ويحتمل انهم قالوا استهزاء ونظيره
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استينافا من الله بمدحه وضعا للذكر الحسن
مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه
فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تع بانه يرفعه
الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم
فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا منافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله شبهه عليه
فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه
فلما خرج ظن انه عيسى عم فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا مستبعد في زمان النبوة
وانما ذمهم الله تع بما دل عليه الكلام من جراتهم على الله تع وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة
وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن
وقع لهم التشبيه بين عيسى عم والمقتول وفي الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف
بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم مقتولا وان الذين اختلفوا
فيه في شان عيسى عم فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا

بقتلناه

بقتلناه حقا وتردد اخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى عم والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء
رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد
والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك
اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر
الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي يسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء
وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه
يقينا كقوله كذلك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشي
علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان
الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى عم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل
موته اي وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد
ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عم
عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ
ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة
الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل
من السماء امن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى
احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى تكون الملل واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة ترتع
الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذياب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في
الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا
فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي
فباي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا
محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل
بالرشوة وساير الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وامن
لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين و

والتبين ازاحة الشك كاليقين محركة قاموس

والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتداء والمقيمين الصلوة نصب على
المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اى يؤمنون
بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير فى يؤمنون او على انه مبتداء والخبر
اولئك سنوتيهم والموتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمومنون بالله واليوم الآخر
قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرايع لانه المقصود من الاية اولئك
سنوتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب من اقتراحهم ان ينزل عليهم من السماء واحتجاج
عليهم بان امره فى الوحى كساير الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب و
الاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم
تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولى العزم منهم وعيسى اخرهم والباقون اشراف الانبياء
ومشاهيرهم واتينا داود زبورا وقراء حمزة زُبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا
نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كما ارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اى من
قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحى
خص به موسى عم من بينهم وقد فضل الله محمدا بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين
ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك
مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا
رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور
الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين
ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والاخر ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر
وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل
نبى بنوع من الوحى والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه لما تعنتوا
عليه بكتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن
الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يبينه ويقرره بما انزل اليك من القرآن المعجز الدال على
نبوتك روى انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا
بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل

نزول الكتاب عليه او بعلمه الذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم والجار والمجرور على
الاولين حال عن الفاعل وعلى الثالث حال المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون
ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان علموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغنى عن
النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر و
النظر فلو اتى هولاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا و
كفى بالله شهيدا اى وكفى بما قام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل
يكون اغرق فى الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا عم بانكار نبوته
او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والاية تدل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم
خالدين فيها ابدا لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد فى النار
وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد
جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها
خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فامنوا خيرا لكم
او ايتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا خيرا لكم ومنعه البصريون لان
كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يودى الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما
فى السموات والارض يعنى وان تكفروا فهو غنى عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على
غناه بقوله لله ما فى السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله
عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود فى
حط عيسى عم حتى رموه بانه ولد لغير رشده والنصارى فى رفعته حتى اتخذوه الها وقيل
للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعنى تنزيهه عن الصاحبة
والولد انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها
فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجرى مجرى الاصل والمادة وقيل سمى روحا
لانه كان يحيى الاموات او القلوب فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة اى الالهة ثلثة الله
والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله

او الله ثلثه ان صح انهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب
الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه لما سبق انما الله
اله واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد سبحه تسبيحا من ان يكون
له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا
لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكونه
وكيلا لابيه والله سبحانه قايم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه
لن يستنكف المسيح لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره
عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة و
الاستنكاف في عبوديته غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله عم لم تعيب صاحبنا قال
ومن صاحبكم قالوا عيسى واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون
عبدا لله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة
المقربون ان يكونوا عبيدا لله واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد
النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من
المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه والجواب ان الاية للرد على عبدة
المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة
باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس وان اراد التكبير فغايته
تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة
على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف
عن عبادته ويستكبر ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل
حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما
الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا و
استكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة
العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم القيمة يوم يحشر العباد
للمجازات او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس
قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القران اي قد

جاءكم

قد جاءكم دلايل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله
عم او القران فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره
بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل احسان زايد عليه ويهديهم اليه
الى الله تعالى وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق
الجنة في الاخرة يستفتونك اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن
عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلعم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت
وهي اخر ما نزل في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيره في اوايل السورة ان امرؤ
هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد
صفة او حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت
من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان
الاخت وان ورثت مع بنت الميت عند عامة العلماء غير ابن عباس رض لكنها لا ترث
النصف وهو يرثها اي والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى
ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط
الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم
قوله تعالى يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك
الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفايدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان
الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل
حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين
لكم ضلالكم الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنها وتحروا خلافه او يبين لكم
الحق والصواب كراهة ان تضلوا فحذف وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله
بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي عم من قرا سورة النساء
فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ
من الشرك وكان في مشية الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم سورة المائدة مدنية وهي
مائة وثلث وعشرون آيه بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد

العهد الموثوق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدًا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا واصله
الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التى عقدها الله تعالى على
عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها
مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام
تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب
خز ومعناه البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية والحق بها الظبا وبقر الوحش وقيل
هما المراد بالبهيمة ونحوها مما يماثل الانعام فى الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة
الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آيته تحريمه غير
محلى الصيد حال من الضمير فى لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد
يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم حال عما استكن فى محلى والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله
يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله يعنى مناسك الحج جمع
شعيرة وهو اسم ما اشعر اى جعل شعارا سمى به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام
النسك وقيل دين الله تعالى لقوله ومن يعظم شعائر الله اى دينه وقيل فرائضه التى حدها لعباده
ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسى ولا الهدى ما اهدى الى الكعبة جمع هدية كجدى فى جمع
جدية ولا القلائد اى ذوات القلائد من الهدى وعطفها على الهدى للاختصاص فانها اشرف
الهدى او القلائد انفسها والنهى عن احلالها مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى ونظيره قوله تعالى
ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدى من نعل او لحاء شجر او غيرهما
ليعلم انه هدى فلا يتعرض له ولا امين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم
ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة فى موضع الحال من المستكن فى امين وليست صفة له لانه
عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفايدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على
المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روى ان الآية نزلت عام
القضية فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان تعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة
وكان استاق سرح المدينة وعلى هذا فالاية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين واذا
حللتم فاصطادوا اذن فى الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا بالامر
دلالة على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء حركة على الفاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا

واحللتم

واحللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم اى لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم
وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرا ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عباس عن عاصم
بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان فى النعت اكثر ان صدوكم
عن المسجد الحرام لان صدوكم عنه عام الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض
اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثانى مفعولى يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب
ومن قرا يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على
البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
للتشفى والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان
ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اى الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا
وكان اهل الجاهلية يصبونه فى الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اى رفع الصوت
لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التى ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة
بنحو خشب او حجر حتى يموت من وقذته اذا ضربته والمتردية التى تردت من علو او فى بئر
فماتت والنطيحة التى نطحتها اخرى والتاء فيها للنقل وما اكل السبع اى وما اكل منه السبع فمات
وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكوته وفيه
حيوة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة فى الشرع بقطع الحلقوم و
المرى بمحدد وما ذبح على النصب واحد الانصاب وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون
عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى
على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام اى وحرمت عليكم الاستقسام
بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى
الاخر نهانى ربى والثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهى تجنبوا عنه وان خرج
الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو
استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم
فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك
طريق اليه وافتراء على الله تعالى ان اريد بربى وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او
الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية

وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة يوم عرفة حجة الوداع ييئس الذين كفروا
من دينكم اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبايث او غيرها ومن ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم
ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لى اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان
كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوفيق على اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد واتممت
عليكم نعمتى بالهداية والتوفيق او بكمال الدين او بفتح مكة او هدم منار الجاهلية ورضيت لكم
الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات
وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة
التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شىء من هذه المحرمات فى مخمصة مجاعة غير متجانف
لاثم غير مايل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور
رحيم لا يواخذه باكله يسئلونك ماذا احل لهم لما تضمن السوال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام
فى ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسالون بلفظ الغيبة وكلا الوجهين شايع فى امثاله والمسول ما احل
لهم من المطاعم كانهم لما تلى عليهم سالوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم يستخبثه الطباع السليمة
ولم يتنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح
مكلبين عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطية
وجوابها وكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين الصيد ا
والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه واثر او لان كل سبع
يسمى كلبا لقوله عم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفايدتها المبالغة فى التعليم
تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله تعالى
او مكتسب بالعقل الذى هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره
وبدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله لعدى ابن حاتم رض
وان اكل فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك فى سباع الطير
لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال اخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى
سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكوته واتقوا الله فى محرماته ان الله سريع
الحساب فيواخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبايح
وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى على رض نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على

النصرانية

النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس فى ذلك وان الحق بهم فى التقرير على الجزية
لقوله عم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا اكلى ذبايحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان
تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات اى الحراير العفايف و
تخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال
ابن عباس رض لا يحل الحربيات اذا اتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها
والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا
ولا متخذى اخدان مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله
وهو فى الاخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرايع وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين امنوا
اذا قمتم الى الصلوة اى اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل
المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغى ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة
واذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشىء والقيام اليه قصد له وظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قايم وان
لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى انه عم صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رض صنعت شيئا لم تكن
تصنعه فقال عم عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر
فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عم المايدة من اخر القران نزولا فاحلوا
حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليه ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك رح وايديكم الى
المرافق الجمهور على دخول المرفقين فى المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة
بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فايدة لان
مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى يفيد الغاية مطلقا واما دخولها فى الحكم او خروجها منه فلا دلالة عليه
احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضى خروجها والا لم تكن غاية كقوله تع فنظرة الى ميسرة وقوله
ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لم يتميز الغاية هيهنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم
الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال
انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل الصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب بخلاف
ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء فى قدر الواجب فاوجب الشافعى
اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رح مسح ربع الراس لانه عم مسح على ناصيته وهو قريب
من الربع ومالك رح مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائى

ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشايعة وعمل الصحابة وقول اكثر الايمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القران والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب للنجاة باب في ذلك وفايدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغايط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اى لم يرد بالامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء يكفر الذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا يقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصة انعامه عليكم بعزايمه لعلكم تشكرون نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح باعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتيهما مايع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله عم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمه ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور اى بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبي وصبية ونقض عهد تشفيا في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اى العدل اقرب الى التقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل

مع الكفار فالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذا لليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نايرة الغيظ وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استيناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الاخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين راوا رسول الله صلعم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عم اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطاء يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل عم فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله عم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله تعالى بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى عم ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنى من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرايم ابن يوسف عم وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي

وعزرتموهم اى ونصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا
بالانفاق فى سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب القسم المدلول عليه باللام
فى لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك
الشرط المؤكل المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من
كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا
او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا ينفعل عن الآيات والنذر وقرا حمزة
والكسائى قسية اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسى اذا كان مغشوشا وهو ايضا
من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرى قسية باتباع القاف السين يحرفون الكلم عن مواضعه
استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله تعالى والافتراء عليه ويجوز ان يكون
حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من
التورية او من اتباع محمد عم والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل
معناه انهم حرفوها فزلت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روى ان ابن مسعود رض قال قد ينسى المرء
بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء
للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا لم
يحرفوا وهم الذين امنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا
وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح
وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا
نصارى اخذنا ميثاقهم اى واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا
نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله تعالى فنسوا حظا
مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غرى بالشئ اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بين فرق
النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكائية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء
والعقاب يا اهل الكتاب يعنى اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما
كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد عم وآية الرجم فى التورية وبشارة عيسى عم باحمد فى الانجيل ويعفو عن كثير
مما تخفونه لا تخبر به اذا لم يضطر اليه امر دينى او عن كثير منكم فلا يواخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
يعنى القران فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا عم يهدى به

الله

الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما كواحد فى الحكم من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم
سبل السلام طريق السلامة من العذاب او سبل الله تعالى ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع
الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله
ومؤدى اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم هم الذين يقولون بالاتحاد منهم
وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح
فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا
ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان
المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كساير الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك
السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة فى امره والمعنى
انه تعالى قادر على الاطلاق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من
اصل ليس من جنسه كادم عم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حوا
او من انثى وحدها كعيسى عم او منهما كساير الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع
ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم
وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان فى سورة ال عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اى فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم
بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر واعترفتم
انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله تعالى يغفر لمن يشاء وهم من امن
به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر به والمعنى انه يعاملكم معاملة ساير الناس لا مزية لكم عليه ولله
ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء فى كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازى المحسن باحسانه
والمسئ باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اى الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف
لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى ويبذل لكم البيان والجملة فى موضع الحال اى جاءكم رسولنا
مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحى او
يبين حال من الضمير فيه ان يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان يقولوا ذلك ويعتذروا به فقد
جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اى لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم والله على كل شئ قدير فيقدر على
الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبى وعلى الارسال
على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد صلعم كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء



ثلثه من بني اسرايل و واحد من العرب خالد بن سنان العبسي و في الاية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمس
اثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائل من الانبياء وجعلكم ملوكا اى و قد جعل منكم او فيكم
وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى و هموا بقتل عيسى عم وقيل لما كانوا مملوكين في ايدى
القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا واتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر
و تظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوهما مما اتيهم الله وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا
الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور
وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح المحفوظ
انها تكون مسكنا لهم ان امنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا منذ بين
خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف
بنا الى مصر او ولا ترتدوا من دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز
في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتاتى
مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب و يوشع من الذين يخافون اى يخافون الله تع
و يتقونه وقيل كان رجلان من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عم فعلى هذا الواو لبني اسرايل والراجع الى
الموصول محذوف اى من الذين يخافهم بنوا اسرايل و يشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اى المخوفين
وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اى من الذين يخوفون من الله تع بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله
عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اى باغتوهم
وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق
من اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى و قوله وكتب الله
لكم او مما علما من عادته تعالى في نصرة رسوله وما عهدا من صنيعه لموسى عم في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مؤمنين اى مؤمنين به ومصدقين بوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا عن دخولهم على
التابيد والتاكيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت و ربك يعينك قال رب اني لا املك
الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير

فان يخرجوا منها

هرون عم والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد
باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير
في لا املك او على محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها
فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في
الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم
ويؤيد ذلك ما روى ان موسى عم سار بعد بمن بقي من بني اسرائل ففتح اريحا واقام بها ما شاء الله ثم
قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله تعا امرهم بقتال الجبابرة
فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائل واما يتيهون اى يسيرون فيها متحيرين
لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في
التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روى انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء
فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمامة يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع عليهم بالليل فيضيئ لهم وكان
طعامهم ~~في التيه الا انه كان ذلك~~ المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون
كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى
بعده سنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب و يوشع فلا تاس على
القوم الفاسقين خاطب به موسى عم لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم
نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم عم ان يزوج كل واحد منهما توأم الآخر فسخط منه قابيل لان
توأمه كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته
فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني ادم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائل ولذلك قال
كتبنا على بني اسرائل بالحق صفة مصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من
نبأ اى ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبأ او حال منه او بدل على حذف
مضاف اى اتل عليهم نبأهما ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعا من ذبيحة او غيرها
كما ان الحلوان اسم لما يحلى اى يعطى وهو في الاصل مصدر و لذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد
منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردا قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا
فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله تعا ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس

وحال الوجود العصور الله وان ربي لا يملك الا نفسه

ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين
في جوابه انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى
حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محفوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه
فان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف
الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع
لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في
جواب لئن بسطت للتبري من هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه و
لذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل
للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك
ببسطك يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك
الذي لم يتقبل لاجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد
معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي
فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته واراده عقوبة العاصي
جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته ووسعته من طاع المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على
انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله
فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره محزونا قتل قابيل هابيل وهو ابن عشرين سنة
عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري
سوأة اخيه روي انه لما قتل تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني ادم فبعث الله
غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه فالقاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او
للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعول يرى والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه
مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتا كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري
فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي لا اهتدي
الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت
وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد
فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبرؤ

ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فساله ادم عم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته
ولذلك اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله لاجله
من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل
في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من اجل ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل
تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب ونشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير
نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما
قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرى الناس عليه او من حيث ان قتل
الواحد والجمع سواء في استجلاب غضب الله تعالى والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا
اي ومن تسبب لبقاء حيوتها بعفو او منع القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك
بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة
عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم
هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحة تاكيدا للامر
وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة
بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله يحاربون
اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد هنا قطع الطريق
وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على
العلة والمصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي قصاصا من
غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه
يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى
وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا من
القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة رح النفي بالحبس واو في الاية على التفصيل وقيل انه
للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا وفضيحة ولهم في الاخرة
عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تع ويدل
عليه قوله تع فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه
وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا يسقط الحد وان سقطت العذاب والاية

فى قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرا عنه العقوبة قبل القدرة و بعدها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة اى ما يتوسلون الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعة و ترك المعاصى من وسل
الى كذا اذا تقرب اليه وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة وجاهدوا فى سبيله لمحاربة اعدائه
الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى
الارض جميعا من صنوف الاموال ومثله معه ليفتدوا به فيجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة
واللام متعلقة بمحذوف يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما فى الارض و توحيد الضمير فى
به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة فى نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو فى
ومثله معه بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما فى حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب
لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود وكذا قوله يريدون ان يخرجوا
من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم
بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان
عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اى حكمهما وجملة عند المبرد والفاء
للسببية دخل الخبر لتضمنها معنى الشرط اذ المعنى والذى سرق والتى سرقت وقرئ بالنصب وهو
المختار فى امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير فى خفية وانما
يوجب القطع فى ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف فى ذلك لاحاديث وردت فى ذلك وقد استقصيت
الكلام فيه فى شرح المصابيح والمراد بالايدى الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود رض ايمانهما ولذلك
ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم تمام
العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عم اتى بسارق
فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على
فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اى سرقته واصلح امره بالتفصى
عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم تقبل توبته فلا
يعذبه فى الاخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك
السموات والارض الخطاب للنبى عم او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شىء قدير قدم التعذيب على المغفرة
ابتناء على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو فى الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك
الذين يسارعون فى الكفر اى صنيع الذين يقعون فى الكفر سريعا فى اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين

قالوا

قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اى من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بامنا والواو يحتمل الحال والعطف
ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر مبتدا محذوف اى هم سماعون والضمير
للفريقين او الذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدا ومن الذين خبره اى ومن اليهود قوم سماعون و
اللام فى للكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اى قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة و
المفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيها سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اى لجمع اخر
من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء والمعنى على الوجهين اى مصغون
لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى
مكرر للتاكيد اى سماعون ليكذبوا لقوم اخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اى يميلونه عن مواضعه
التى وضعه الله تع فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده والجملة
صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع له او فى موضع الرفع خبر لمحذوف
اى هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اى ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه
بل افتاكم محمد عم بخلافه فاحذروا اى فاحذروا قبول ما افتاكم به وروى ان شريفا من خيبر زنا بشريفة
وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بنى قريظة ليسالوا رسول الله عم وقالوا ان امركم
بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم
قال انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجيكم واغرق ال فرعون والذى
انزل عليكم كتابه حلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل
علينا العذاب فامر رسول الله صلعم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته
فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا فى دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم
من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم فى الدنيا خزى هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم
فى الاخرة عذاب عظيم وهو الخلود فى النار والضمير للذين هادوا ان استانف بقوله ومن الذين والا فللفريقين
سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت اى الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة
وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ
المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلعم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا
قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعى رح والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما
ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم عنهم والاية ليست فى اهل الذمة وعند ابى حنيفة رح يجب مطلقا وان

تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت
فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذى امرالله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك
وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمن به والحال ان الحكم منصوص فى الكتاب الذى هو
عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم
وان لم يكن حكم الله فى زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتداء فمن
ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظير المؤنث فى كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك
ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجيب وما اولئك
بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التورية فيها هدى يهدى الى الحق
ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعنى انبياء بنى اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع
من قبلنا شرعنا ما لم ينسخ وبهذه الاية تمسك القايل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم
وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق
بانزل او بيحكم اى يحكمون بها فى تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم
وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم
بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون
ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهى للحكام ان يخشوا
غير الله فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا باياتى ولا تستبدلوا باحكامى التى
انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم
وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم بانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه
وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن
الحكم به ملائمة لها او لطايفة كما قيل هذه فى المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون فى اليهود والفاسقون فى
فى النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا عليهم فيها فى التورية ان النفس بالنفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف
بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائى على انها جمل معطوفة على ان وما فى حيزها باعتبار
المعنى فكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة يقعان على الجمل كالقول او مستانفة
ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة
بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن فى قوله بالنفس وانما ساغ لانه مفصول عنه بالظرف والجار

والمجرور

والمجرور مبينة للمعنى والجروح قصاص اى ذات قصاص وقرأ الكسائى ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر
على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اى فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له
للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجانى فيسقط عنه ما لزمه وقرى فهو كفارته له اى فالمتصدق كفارته التى يستحقها
بالتصدق له لا ينقص منها شئ ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا
على آثارهم اى واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون بعيسى بن مريم مفعول
ثان عدى اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز
نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه فى قراءة حمزة
وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اى واتيناه ليحكم وقرى وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان قم وامرنا
بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والاية تدل على
ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عم وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على
وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا
لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على
ساير الكتب المحفوظة عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرى على بنية المفعول اى هو من عليه وحوفظ
من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ فى كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم
عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله
اى لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة وهى الطريقة الى الماء شبه بها
الدين ومنهجا طريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبد بالشرايع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب
وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتيكم من الشرايع المختلفة
المناسبة لكل عصر وقرن هل يعملون بها مذعنين لها معتقدين اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام يزيغون
عن الحق ويفرطون فى العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق و
التقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للبادرين والمقصرين
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين الحق والباطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما
انزل الله عطف على الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب والحكم وعلى الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز

ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك
اى بان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل اشتمال اى احذرهم فتنتهم روى ان احبار
اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد عم لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان
اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن
بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله عم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد
الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعنى ذنب التولى عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا
كثيرة هذا مع عظمته واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض
النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون متمردون فى الكفر معتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون
الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة
والنضير طلبوا رسول الله عم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم
الجاهلية على انه مبتداء ويبغون خبره والراجح محذوف حذفه فى الصلة كما فى قوله اهذا الذى بعث الله رسولا
واستصعب ذلك فى غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حاكما كحاكم الجاهلية يحكم بحسب شهوتهم وقرأ ابن
عامر بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اى عندهم واللام للبيان
كما فى قوله هيت لك اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء
بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا
فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهى اى فانهم متفقون
على خلافكم توالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اى من والاهم
منكم فانه من جملتهم وهذا تشديد فى وجوب مجانبتهم كما قال عم لا تتراءى ناراهما او لان الموالين كانوا منافقين
ان الله لا يهدى القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين
فى قلوبهم مرض يعنى ابن ابى واضرابه يسارعون فيهم اى فى موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا
دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان يصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار
روى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله عم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى ابرأ الى الله ورسوله
من موالاتهم واوالى الله ورسوله فقال ابن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالى فنزلت فعسى الله
ان ياتى بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء
والامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اى هؤلاء المنافقون على ما اسروا فى انفسهم نادمين علما

استبطنوه من الكفر والشك فى امر الرسول فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين امنوا
بالرفع قراءة حمزة وعاصم والكسائى على انه كلام مبتداء ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا
بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المسلمون ح وبالنصب ابو عمرو ويعقوب عطفا على ان
ياتى باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان ياتى الله بالفتح ويقول الذين امنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا
فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان ياتى بالفتح ويقول
المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقول
المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله من الاخلاص او يقولون
لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم فان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان
اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم
فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا
حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة القول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وما
اخبرهم يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه قراءة على اصل نافع وابن عامر وهو كذلك فى الامام
والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التى اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب فى اواخر
عهد رسول الله صلعم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الخمار الاسود تنبأ باليمن واستولى
على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى ليلة قبض رسول الله صلعم من غدها واخبر الرسول فى تلك الليلة
فسر المسلمون واتى الخبر فى اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول
الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب عم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان
الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله الوحشى
قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله عم خالدا فهرب بعد
القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه فى عهد ابو بكر سبع فزارة قوم عيينة ابن حصين وغطفان
قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم
سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر ابن وائل بالبحرين
قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفى امرة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف
ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روى انه عم اشار الى ابى موسى الاشعرى وقال قوم
هذا وقيل انه عم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم

الفارسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلثة الاف من افناء الناس والراجع
الى من محذوف تقديره فسوف ياتى الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق
لهم فى الدنيا وحسن الثواب فى الاخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على
المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمين
معنى العطف والحنو او التنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة
اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرى بالنصب على الحال يجاهدون فى
سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير فى اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون
وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون فى جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود
فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى تنكير لائم مبالغتان ذلك
اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير
الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة الكفرة
ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة
ولرسوله وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين امنوا فانه جرى
مجرى الاسم او بدل منه ويجوز رفعه على المدح وهم راكعون متخشعون فى صلوتهم وزكوتهم وقيل
هو حال مخصوصة بيؤتون اى يؤتون الزكوة فى حال ركوعهم فى الصلوة حرصا على الاحسان و
مسارعة اليه وانها نزلت فى على رض حين ساله سائل وهو راكع فى صلوته فطرح له خاتمه واستدل
بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولى المتولى للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه
مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جئ بلفظ الجمع لترغيب
الناس فى مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل فى الصلوة لا يبطلها
وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب
الله هم الغالبون اى فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه
قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا
لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالى غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار
اولياء نزلت فى رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين

يوادونهما وقد رتب النهى عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها
على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار
على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائى ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين
خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهى عن موالاة
من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب
ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المعاصى ان كنتم مؤمنين لان الايمان يقتضى ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين
بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اى اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على
ان الاذان مشروع للصلوة روى ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول
الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررة فى البيت فاحرقه
واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدى الى الجهل بالحق والهزؤ والعقل يمنع منه قل يا
اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه و
قرى تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الا الايمان بالكتب
المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان امنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اى ما
تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم
فاسقون فحذف المضاف او على ما اى وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة
محذوفة والتقدير هل تنقمون الا ان امنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون
اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم
ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والاية خطاب ليهود سالوا رسول الله عمن يؤمن به
فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عم لا نعلم
دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اى من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند
الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب
وجيع ونصبها على التميز من بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر
على حذف مضاف اى بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه او خبر محذوف
اى هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح
الايات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى عم وقيل

كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبابهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على
صلة من وكذا عُبِد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا
اى فيهم او بينهم ومن قرأ عابد الطاغوت او عَبُد على انه نعت كفطن ويقظ او عُبُدا الطاغوت على انه جمع
كخدم او ان اصله عبدة فحذف التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ عبد الطاغوت بالجر عطفه على
من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله اولئك اى الملعونون شر مكانا
جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد
الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد بصيغتي التفضيل زيادة مطلقا لا بالاضافة
الى المؤمنين في الشرارة والضلالة واذا جاؤكم قالوا امنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله عم او في عامة
المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك
والجملتان حالان من فاعل قالوا وقوله بالكفر وبه حالان من فاعلى دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت
لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت
لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وفيه وعيد لهم وترى
كثيرا منهم اى من اليهود والمنافقين يسارعون في الاثم اى الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان
الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اى الحرام
خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهيهم الربانيون والاحبار عن
قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي من ذلك فان لولا اذا دخل الماضي افاد التوبيخ واذا
المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع
عمل الانسان بعد تدرب فيه وتردد وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من
مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم
وقالت اليهود يد الله مغلولة اى هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود
ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين
بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه
فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم
بالبخل والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل الايدي حقيقة يغللون اسارى في الدنيا ويسحبون الى النار في الاخرة
فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد

مبالغة

مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه
وتنبيها على منح الدنيا والاخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد
لذلك اى هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على
تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف
اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية نزلت في فنحاص بن عازوراء
قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلعم واشترك فيه
الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اى
هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القران كما يزداد المريض مرضا
من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا يتوافق
قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب احد غلبوا
فانهم لما خالفوا رسول الله واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما
ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم
فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في
الارض فسادا اى للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحرب وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين
فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب امنوا بمحمد عم وبما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم
ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم اى التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم من
الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان
الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيها والقيام باحكامها
وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم
او القران لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من
راس الشجر ويلتقطون على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض
ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير
غالية ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد عم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون
اى بئس ما يعملون وفيه معنى التعجب اى ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه و
الافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل غير مراقب احدا ولا خائف

مكروها وان لم تفعل فما بلغت رسالته فان لم يبلغ جميعه كما امرتك فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها
يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقص به او فكانك ما بلغت شيئا منها
كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب
والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادى وازاحة لمعاذيره ان الله
لا يهدى القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبى صلعم بعثنى برسالاته فضقت ذرعا فاوحى
الله الىّ ان لم تبلغ رسالاتى عذبتك وضمن لى العصمة فتقويت وعن انس رض كان النبى عم يحرس
حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم وقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمنى الله من الناس
فظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله
اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اى دين يعتد به
ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان
بمحمد عم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان بمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب
الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم
فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفى المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابئون والنصارى سبق تفسيره فى سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف
والنية به التاخير عما فى حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون
كذلك كقوله وانى وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا فى شقاق وهو كاعتراض دل
به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان و
العمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما وخبر
ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراى مختلف ولا يجوز عطفه
على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتداء وخبر ان
معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير فى هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين
هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها فى موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما
جوز بالياء جوز بالواو من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فى محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف
خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتداء كما مر والراجع محذوف اى من امن منهم او النصب

على

على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون
بحذفها من صابا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا
ولقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا
تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرايع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط
والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف
وانما جئ بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان
ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآى وحسبوا ان لا تكون فتنة اى وحسب بنو
اسرائيل اى لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرء ابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب ان
لا تكون بالرفع على ان ان هى المخففة من الثقيلة واصله انه لا يكون وادخال فعل الحسبان عليها وهى للتحقيق
تنزيل له منزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم وان بما فى حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين والدلايل والهدى
وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اى ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا
كرة اخرى وقرى بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية
اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلونى البراغيث او خبر مبتداء محذوف
اى العمى والصم كثير منهم وقيل والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله ممتنع والله بصير بما يعملون
فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا
الله ربى وربكم اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم انه من يشرك بالله فى عبادته او فيما
يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم
عليه فانها دار الموحدين وماويه النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اى وما لهم احد
ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق
وهو يحتمل ان يكون تمام كلام عيسى عم وان يكون من كلام الله تعالى تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى عم
وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة
اى احد ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القايلون بالاقانيم الثلثة وما سبق
قول اليعقوبية القايلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما فى الموجود ذات واجب مستحق
للعبادة من حيث انه مبداء جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة
ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اى

اى ليمسن الذين بقوا منهم على كفرا وليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة
على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من داب على الكفر ولم يتقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله و
يستغفرونه الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقايد والاحوال الزايغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن
الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفى هذا
الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول
كالرسل قبله خصه الله تع بايات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد
موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كساير النساء
كساير النساء اللاتى يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء عم كانا ياكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار
الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انهما لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما فى
مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافى الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الايات
ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت ما بين العجبين اى بياننا للايات
عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعنى عيسى عم وهو وان ملك
ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصايب وما ينفع به من الصحة
والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس
ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحرى
النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقايد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا
فى دينكم غير الحق اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى عم الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموه انه لغير رشده وقيل
الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعنى اسلافهم وايمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث
محمد عم فى شريعتهم واضلوا كثيرا اشايعهم على مدعيهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذى هو
الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع
لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم اى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل اهل ايلة
لما اعتدوا فى السبت لعنهم داود ومسخهم الله قردة واصحاب المايدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير و
كانوا خمسة الاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب عصيانهم و
اعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه
مثلا او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر والنهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا

يفعلون تعجيب من سوء فعلهم موكدا بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون
المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اى لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم
القيمة ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود
فى العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله
والنبى يعنى نبيهم وان كانت الاية فى المنافقين فالمراد نبينا عم وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان
يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم متمردون فى نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين
امنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم فى اتباع الهوى وقربهم الى التقليد
وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا
انا نصارى للين جانبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم
قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه
دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان فى كافر واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم
الى قبول الحق وعدم تاببهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من
فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه
بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا امنا بذلك او بمحمد صلعم فاكتبنا
مع الشاهدين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله
وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع
قيام الداعى وهو الطمع فى الانخراط مع الصالحين والدخول فى مداخلهم او جواب سائل قال لم امنتم ولا نؤمن حال من
الضمير والعامل ما فى اللام من معنى الفعل اى واى شئ حصل لنا غير مؤمنين بالله اى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين
او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة او ذكره توطئة معتدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اى
عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اى معتقده جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء
المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان فى الامور والايات الاربع روى انها نزلت
فى النجاشى واصحابه بعث اليه رسول الله عم بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين معه واحضر
الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقراء عليهم القران فقراء سورة مريم فبكوا وامنوا بالقران وقيل
فى ثلثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله عم فقراء عليهم سورة مريم فبكوا وامنوا والذين كفروا

ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى صح

وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان
حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم اى ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض
الشهوات عقبه النهى عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا
يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فيكون الاية ناهية عن تحريم ما
احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روى ان رسول الله عم وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم
فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون رض واتفقوا على ان لا يزالوا صايمين قايمين وان لا يناموا
على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في
الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ رسول الله عم فقال لهم اني لم اومر بذلك لان لانفسكم عليكم حقا فصوموا
وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتى النساء فمن رغب عن سنتي
فليس مني ونزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اى كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا
مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون
مفعولا وحلالا حالا من الموصول والعايد محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر
الحلال فايدة زايدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من
المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله بلى والله واليه ذهب الامام الشافعي رح وقيل الحلف على ما
يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رح وفي ايمانكم صلة يواخذكم او اللغو لانه مصدر او حال
منه ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالعقد والنية والمعنى ولكن يواخذكم بما
عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم
بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهي من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اى فعلة
التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية
لقوله عم من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليات الذي هو خير اطعام عشرة
مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف
صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه مفعول محذوف تقديره ان يطعموا عشرة مساكين طعاما اوسط ما
يطعمون او الرفع على البدل من اطعام وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال
الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالي جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل هو جمع اهلاة او كسوتهم عطف

على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء او ازار وقرئ بضم
الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة او كاسوتهم يعني او كمثل ما يطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم
وبينهم ان لم يطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان
وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف
في التعيين فمن لم يجد اى واحدا منها فصيام ثلثة ايام فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة رح فيه التتابع
لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم ترو سنة ذلك اى المذكور
كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر وبان تبروا فيها ما استطعتم
ولم يفت بها خيرا او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اى مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شرايعه
لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين
امنوا انما الخمر والميسر والانصاب اى الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيره في اول السورة
رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف او المضاف محذوف وكانه قال
انما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر
او للتعاطي لعلكم تفلحون اى لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية بان
صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر
بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله شيئا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد
الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر
والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما
المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عم شارب الخمر
كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عن الايمان من حيث انها عبادة
والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف
وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله
والرسول فيما امرا به واحذروا ما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين
اى فاعلموا انكم لن تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين امنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات اى اتقوا المحرم
وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وامنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا

على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول
الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير
باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه
وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عم في تفسيره
او باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا
من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها
عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يواخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار
محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت
عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها
اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي
تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه
ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف
قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك بعد ذلك
الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله
فيه فكيف به فيما تكون به النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم
حرم اي محرمون جمع حرام كروح وروح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل
لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عم خمس يقتلن في الحل والحرم الحداءة والغراب والفارة والكلب
العقور وفي رواية اخرى الحية بدل الغراب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف في ان هذا
النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا
ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد
وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية
نزلت فيمن تعمد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء
مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء مماثل ما قتل من
النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم
يتم بها وانما يكون صفته وقرا الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول

كذا

كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء
مماثل ما قتل فجزاؤه مثل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة رح
يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها
طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين
يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول وفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل
ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم
يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل
على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصيصه بالصفة او بدل
عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه
الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمه وقال ابو حنيفة تذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة
عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف
اي هي طعام وقرا نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي رح
او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك
صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول
وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدلى الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز
للعدل ليذوق وبال امره متعلق بالمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء
عاقبته بهتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبال الثقل ومنه الوبيل
عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل
هذا فينتقم الله منه فهو ممن ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس
وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش
الا في الماء وهو حلال كله لقوله عم في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة رح لا يحل منه
الا السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله
متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر
اي ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن فيه مدخل
والجمهور على حله لقوله عم لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او لم يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ

بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام
عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ
به الخايف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم
وقرا ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر
الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه
وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض فان في شرع الاحكام لدفع المضار وجلب المنافع المرتبة عليه دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل
شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد
لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليها ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ
تشديد في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله
من بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وجيده رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث
فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك
قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر واثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين
ان يبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين
يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم الشرطية
وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسالوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسالوا عنها في
زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السوال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم
جمع كطرفاء غير انه قلب لامه فجعل لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع شيء كهين او شيء كصديق فخفف وقيل افعال
جمع من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اي عن اشياء عفى الله عنها ولم يكلف
بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة ابن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله عم حتى اعاد
ثلثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوا فيما تركتكم فنزلت او استينافا اي عفى الله
عما سلف من مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير
وعن ابن عباس رض انه عم كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسالون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسال عن
شيء الا اجيب فقال رجل اين ابي فقال في النار وقال اخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سالها قوم

الضمير للمسالة التي دلت عليها تسالوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسالها وليس صفة
لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة الجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها
حيث لم ياتمروا بما سالوا وجحدوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما
ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا انتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها
وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة
في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم وان ولدتهما وصلت
الانثى اخاها فلا يذبح لهم الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ولم يمنعوه من ماء
ولا مرعى وقالوا قد حمى ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة و
من زائدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون
اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الامر والكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان
ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الاباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى
الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند
لهم سواه اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار
الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء
انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم اي احفظوها
والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرى بالرفع على
الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر
المنكر حسب طاقته كما قال عم من راى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والاية نزلت لما كانت المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون
ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا سفهت اباك ولاموه فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه
مستانف ويؤيده ان قرى لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد
المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرا لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد
وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين
وتنبيه على ان احدا لا يؤخذ بفعل غيره يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد
واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرى شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم الموت

اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما
ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا
عدل منكم اى من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او اخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر
الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اى سافرتم
فيها فاصابتكم مصيبة الموت اى قاربتم الاجل تحبسونهما اى تقفونهما وتصبرونهما صفة للاخران والشرط
بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او اخران من غيركم اعتراض فايدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان
منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما
من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اى صلوة
كانت فيقسمان بالله ان ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد
اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبا
لطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اى لا نشتري ولا نكتم شهادة الله
اى الشهادة التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتداء الله بالمد على حذف حرف القسم و
تعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغيره كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اى ان كتمنا وقرئ
لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما
اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جنى عليهم وهم
الورثة وقرا حفص من الذين استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما و
معرفتهما وهو خبر مبتداء محذوف اى هما الاوليان او خبر اخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان
وقرا حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اى من الذين استحق عليهم وقرئ
الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا
احق من شهادتهما اصدق منها واولى ان يتقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين
الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الايتين المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي
ان يشهد العدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في
سفر فاخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع
على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف اخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين
فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما

لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي بن
زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام
مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله
ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا من الذهب فغيباه فاصاب اهله
الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله عم فنزلت يا ايها الذين امنوا الآية فحلفهما
رسول الله عم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتيهم بنو سهم في ذلك
فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله عم فنزلت
فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي رفاعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة
ذلك اى الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما حملوها من غير
تحريف وخيانة او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اى ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور
الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع
اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم
الفاسقين اى لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول
واتقوا بدل الاشتمال او مفعول اسمعوا على حذف المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب باضمار اذكر
فيقول اى للرسل ماذا اجبتم اى اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع نصب او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا
السوال لتوبيخ قومهم كما ان سوال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اى لا علم لنا بما كنت تعلمه
انك انت علام الغيوب فتعلم ما اجابوا وما اظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي عنهم
ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم
للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اى انك الموصوف بصفاتك المعروفة و
علام منصوب على الاختصاص او النداء اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل
من يوم يجمع وهو على طريقة نادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسوال الرسل عن اجابتهم
وتعديد ما اظهر عليهم من الايات فكذبهم طايفة وسموهم سحرة وغلا اخرون فاتخذوهم الهة او نصب
باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ ايدتك بروح القدس بجبريل عم
او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية ويطهر من الاثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد
وكهلا اى كاينا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية

بحال الكهولة في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل التكهل واذ علمتك الكتاب والحكمة
والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا وتبرئ الاكمه والابرص باذني
واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في آل عمران وقراء نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت
بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا
الا سحر مبين اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقراء حمزة والكسائي الا ساحر والاشارة الى عيسى عم واذ اوحيت
الى الحواريين اي امرتهم على السنة رسلي ان آمنوا بي وبرسولي يجوز ان يكون مصدرية وان يكون مفسرة قالوا
امنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم منصوب باضمار اذكر او ظرف
لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل تستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما يقتضيه الحكمة والارادة لا على ما يقتضيه
القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اي يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقراء الكسائي تستطيع
ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسئله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد
الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال
اتقوا الله من امثال هذا السوال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان
قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السوال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن
قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة
وان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون
السامعين للخبر قال عيسى بن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يعقلون عنه فاراد الزامهم
الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل
العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ يكن على جواب الامر لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة
العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل
ياكل منها اولنا واخرنا وقرئ لاولينا واخرانا بمعنى الامة والطايفة واية عطف على عيدا منك صفة لها اي
كاينة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين خير
من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها عليكم اجابة الى سوالكم فمن يكفر بعد منكم
فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد
به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة

وخنازير

وخنازير ولم يعذب مثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون
اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عم وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين
ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة
مشوية بلا فلوس ولا شوك يسيل دسمها وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما خلا
الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى
الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله
بقدرته فكلوا ما شئتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية
اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كانت فعادت مشوية ثم طارت المائدة
ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار
ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا بري
ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب
الناس لذلك فمسخ منهم ثلثمائة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد
فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة عبارة عن
حقايق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقايق لم
يستعدوا للوقوف عليها وقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع
عليها فلم يقلعوا عن السوال والحوا فيه فسال الاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر
وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به
ضلالا بعيدا واذ قال الله في يوم القيمة يا عيسى ابن مريم ا انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من
دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون
اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما
كانه عبدهما ولم يعبده او التصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا
ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله قال سبحانك
اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا
لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي
كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات

انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه للاولى ومفهومه للثانية ما قلت لهم الا ما امرتنى
به تصريح بنفى المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربى وربكم عطف بيان للضمير فى به او بدل
منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله
مثل هو او اعنى ولا يجوز ابداله مما امرتنى به فان المصادر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون مفسرة لان
الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربى وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يأول
القول بالامر فكان مثل ما امرتهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم اى رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالكم من كفر وايمان فلما توفيتنى
كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل
والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الايات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم
فانهم عبادك اى ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل
بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك
انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوى على الثواب والعقاب الذى لا يثيب ولا
يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت
فتفضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق
بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرا نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا
محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذى من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بنى
على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق فى
الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى
الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لبيان النفع لله ملك السموات والارض وما فيهن
وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعويهم فى المسيح وامه وانما لم يقل ومن
فيهن تغليبا للعقلاء وقال ما فيهن اتباعا لهم غير اولى العقل واعلاما بانهم فى غاية لان غير اولى
العقل فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على
المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبى صلعم
من قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى
ونصرانى تنفس فى الدنيا سورة الانعام غير ست ايات او ثلث من قوله قل تعالوا اتل مكية

مائة وخمس وستون اية بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذى خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم
الجسام حمد او لم يحمد فيكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن
لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الاثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها
وجعل الظلمات والنور انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى
التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان
بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة
الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم
ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى
لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما
خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه
الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر
عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء
على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوف والمعنى ان الكفار يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل
وعلى الثانى متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اى يسوونها به هو الذى خلقكم من
طين اى ابتداء خلقكم منه فانه المادة الاولى او ان ادم الذى هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى
اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث
فان الاجل كما يطلق لاخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن
ياتى واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف
بانه مسمى اى مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود
بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما تبين انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم فان من قدر
على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى
دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع
وهو الله الضمير لله والله خبره فى السموات وفى الارض متعلق باسم الله تعالى والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما
لا غير كقوله وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هى الخبر والله بدل

قال الآخران ضمير بينك في المسجد تعبدى ... لكون المحسوس في بلد
لان ... المحل يستعير بكان المحل حتى لو ... فالمعنى
كون الحالف في المسجد لان ... في المحل يستعير مكان ...
... من كلام ...

ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر
وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان
صلته لا تتقدم ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر
من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن
الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو
كاللازم مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا
عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف يأتيهم انباء
ما كانوا به يستهزؤن اى سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة او
عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اى من اهل زمان والقرن مدة
اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم
قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها واعطيناهم
من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام
يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء
عليهم اى المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها فاهلكناهم بذنوبهم اى لم يغن ذلك مدرارا
مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم
بذنوبهم اى لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشانا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك
من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا
في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان
يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه
قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا او
قالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان
الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوه لحق اهلاكهم فان سنة الله قد جرت بذلك فيمن
قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما
يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم

تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى لو جعلنا قرينا لك
ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبرئيل عم في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى
على رؤية الملك في صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف
اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ
لبسنا بلام واحدة وللبّسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله
على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن
به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين
كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير
ثم لاجل النظر ولا كذلك هاهنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين
قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين
للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد
بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال
على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى ليجمعنكم في القبور
مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض
فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او في الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع راس
مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اى وانتم الذين او
على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع
الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وله
عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا
والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اى ما سكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع
لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل
اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى
الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس رضي ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان
في بير فقال احدهما انا فطرتها اى ابتداتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ
بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ

ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو
نازل عن رتبة الحيوانية وبيناهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى
كقوله يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي عم سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين
وقيل لي لا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع
اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول وجوابه محذوف
دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقراء حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن
عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف ويومئذ بحذف المضاف فقد
رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اي الصرف والرحمة وان يمسسك الله بضر اي ببلية
كمرض وفقر فلا كاشف له الا هو قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء
قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق
عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل
اي شيء اكبر شهادة نزل حين قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم
ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله عم والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة
قل الله اي الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب
لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القران لانذركم به اي بالقران واكتفى بذكر
الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه
من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على
ان احكام القران تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يواخذ بها من لم تبلغه ائنكم لتشهدون
ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اي بل
اشهد ان لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون يعني الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول
الله بحليته المذكورة في التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب
والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات
الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب بآياته كان كذبوا بالقران والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم
قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه ضمير الشان لا يفلح
الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين

اشركوا

اشركوا اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها لله شركاء وقراء يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين
كنتم تزعمون اي تزعمون انهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين
آلهتهم ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم تنفعهم فكانهم
غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا
بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب ولانهم قصدوا به الخلاص وقراء
ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر بالتاء والنصب
على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا
مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفعهم من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا
منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم
اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا فيه تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم وقراء حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا
يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران والمراد ابو سفين والوليد والنضر وعتبة
وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله عم يقرأ فقالوا للنضر ما تقول فقال والذي جعلها
بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة
اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول
البقرة وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اي بلغ تكذيبهم
الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين
كفروا ان هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك
حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير
الاباطيل جمع اسطورة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اي ينهون الناس
عن القران او الرسول والايمان وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلعم وينأون
عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا
يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اي لو تريهم حين يوقفون على النار حتى
يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على
البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا

ونكون من المؤمنين استيناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود اى انا لا اعود تركتنى او لم تتركنى او
عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم التمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد
ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع
الاول على العطف ونصب الثانى على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان
المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على
انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا الى الدنيا بعد الظهور والوقوف لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصى
وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استيناف
بذكر ما قالوه فى الدنيا ان هى الا حيوتنا الدنيا الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم
مجاز عن الحبس للسوال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال
اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث
وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الجلاء قال
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم
واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان
خسرانهم لا غاية له بغتة فجاءة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجئ قالوا يا حسرتنا اى تعالى
فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها فى الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او فى الساعة
يعنى فى شانها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام الا ساء ما يزرون
بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اى وما اعمالها الا لعب ولهو تلهى الناس و
تشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هى الا حيوتنا الدنيا وللدار الاخرة
خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من
اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة افلا تعقلون اى الامرين خير وقرأ نافع وابن
عامر ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك
الذى يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما فى قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء فى انه للشان
وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك فى الحقيقة وقرأ نافع والكسائى لا يكذبونك من
اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم
يجحدون آيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم وجحدوا

لتمرنهم

لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روى ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا الصادق
وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم وفيه دليل على ان قوله لا
يكذبونك ليس لنفى تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم
نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبإ المرسلين اى من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر
عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض او سلما
فى السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد فيه الى السماء فتنزل
منه آية وفى الارض صفة لنفقا وفى السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغى او حالين من المستكن
وجواب الشرط الثانى محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام
قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى اى ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيته فلا
تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه
عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع فى مواطن الصبر فان ذلك من داب
الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله او القى السمع وهو شهيد
وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء
وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه اى آية مما اقترحوا او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة
لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق
الجبل او آية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء
وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة فى الارض تدب
على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه فى الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع
على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته
وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا
فى الكتاب من شئ يعنى اللوح المحفوظ فانه المشتمل على ما يجرى فى العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر
حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدارين مفصلا ومجملا ومن مزيدة
وشئ فى موضع النصب على المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدى بفى الى الكتاب

وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعنى الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس رض حشرها موتها والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق فى الظلمات خبر ثالث اى خابطون فى ظلمات الكفر او فى ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى الخبر من يشاء الله يضلله من يشاء الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارايتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قال الكوفيون لعديت الفعل الى ثلثة مفاعيل وللزم فى الآية ان يقال ارايتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم آلهتكم ينفعكم اذ تدعونها ان اتيكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اى فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم فى مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اى ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشاء فى الآخرة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم فى ذلك الوقت لما ركز فى العقول على انه القادر على كشف الضر دون غيره او وتنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اى قبلك ومن زائدة فاخذناهم اى فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالباساء بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التى زينها الشيطان فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتى الضراء والسراء امتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روى انه عم قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتّحنا بالتشديد فى جميع القران ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذى فى الاعراف حتى اذا فرحوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقايدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم

واعماكم

واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطى عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله ياتيكم به اى بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة يتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اى ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ هل يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوات الثواب والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندى خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الى ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم انى ملك اى من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون ان اتبع الا ما يوحى الى تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوى الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدى او الجاهل والعالم او مدعى المستحيل كالالوهية والملكية ومدعى المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحى مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون فى العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع فى موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكى يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روى انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم روى ان عمر رض قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلى رض ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام وقيل صلوة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة يريدون وجهه حال من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهى عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ اى ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا فى ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسمة

المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك
عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا
هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين
جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس
في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى
الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا
ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى
الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا يتضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين
بمن يقع منهم الايمان والشكر فيوفقه ومن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام
عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعد ما
وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره عم بان يبدأهم بالسلام بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة
رحمة الله تعا وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك
ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة
وقيل ان قوما جاؤا الى النبي عم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل
منكم سوءا استيناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع
الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهلة فان
ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم
على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي فامره او فله غفرانه و
كذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين
ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما
يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى وليستبين
سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل
الآيات في امر التوحيد اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها
آلهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم و
استجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة

ولا

ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون
من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة
الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها من ربي
من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان تكون صفة البينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث
اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقض الحق اي القضاء
الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل
بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه يمنع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو
خير الفاصلين قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله و
الله يعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او
ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح
الغيب والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم
فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعا يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف
الاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها
مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفان على ورقة وقوله الا في
كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به
اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او رفعها على الابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفيكم
بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز
فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد
ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في
الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازات عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم
ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه تعا يطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي
قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضي الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على
اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة

ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على
رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه
احتشامه من خدمه المتطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ
حمزة توفاه بمالة وهم لا يفرطون بالتوانى والتاخير وقرئ يفرطون بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم
بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذى يتولى امرهم الحق العدل الذى لا يحكم الا بالحق وقرئ
بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق فى مقدار حلب شاة
لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة
لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف فى البر والغرق
فى البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا
وقرأ ابو بكر خفية لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اى تقولون لئن انجيتنا
وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون
وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما
وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على من اشرك فى عبادة الله فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر على
ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون
وخسف قارون وقيل من فوقكم اى اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم شيعا فرقا
متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدى ونذيق
بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك
اى بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم
فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبأ خبر يريد انباء العذاب والايعاد به
مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه فى الدنيا او فى الاخرة واذا رايت الذين يخوضون
فى اياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره
اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القران واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى
وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اى معهم فوضع الظاهر
موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما
يلزم المتقين الذين يجالسونهم من حسابهم من شئ مما يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم واقوالهم ولكن ذكرى

ولكن

ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل
النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شئ لان من حسابهم يأباه
ولا على شئ لذلك فان من لا يزاد فى الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل
ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقويهم ولا ينثلم بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا
لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقران لم نستطع ان نجلس فى المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم
لعبا ولهوا اى بنوا امر دينهم على التشهى وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا واجلا كعبادة الصنم وتحريم
البحاير والسوايب او اتخذوا دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذى جعل ميقات
عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله
ذرنى ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم
وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اى بالقران ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك
وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع
لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل
كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ
منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا
بما كسبوا اى سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقايدهم الزايغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم
بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم
بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد
على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذى استهوته الشياطين
كالذى ذهبت به مردة الجن فى المهامه استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالالف بمالة
ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى مشبهين الذى استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذى
استهوته فى الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى
اى الى ان يهدوه الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل
ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة
المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى
زايدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم

وان اقيموا روى ان عبد الرحمن ابن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر
رسول الله صلعم بهذا القول اجابة عن الصديق وتعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما وهو الذى اليه
تحشرون يوم القيمة وهو الذى خلق السموات والارض بالحق قايما بالحق والحكمة ويوم يقول له كن فيكون قوله
الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين
قوله الحق نافذ فى الكاينات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه
بالحق وقوله الحق مبتداء وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد
به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين يقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياها وله الملك
يوم ينفخ فى الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم الغيب
وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابرهيم لابيه ازر هو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه
تارح فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارح وازر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه
لانه اعجمى حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالح وقيل
اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر
يفسره ما بعده اى اتعبد ثم قال اتتخذ اصناما الهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ ازرا تتخذ اصناما
الهة بفتح همزة ازر وكسرها بعد الاستفهام وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه
علم انى اراك وقومك فى ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نرى ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره
وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه نبصره دلايل الربوبية ملكوت السموات
والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجايبها وبدايعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين
اى ليستدل وليكون من الموقنين او فعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى تفصيل
وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابرهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه يعبدون الاصنام و
الكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه
والكوكب الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله
الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اوان بلوغه فلما افل اى غاب
قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث وينافى
الالوهية فلما راى القمر بازغا مبتديا فى الطلوع قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من
القوم الضالين استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه

وتنبيها

وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما راى الشمس بازغة قال
هذا ربى ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا واظهارا
لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص
يخصصها بما تخصص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه فقال انى وجهت
وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال
لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه
فى التوحيد قال اتحاجونى فى الله فى وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده
ولا اخاف ما تشركون به اى لا اخاف معبوداتكم فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربى ان
يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربى كل شئ علما
كانه علة للاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها افلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضرر ولا تخافون انكم
اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور والعاجز
بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاى الفريقين
احق بالامن اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا عن تزكية نفسه ان كنتم تعلمون
ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه
او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم هنا الشرك لما روى ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة
فقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمن لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم ولبس الايمان ان تصدق بوجود الصانع الحكيم وتخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية
وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم عم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون او من قوله
اتحاجونى فى الله حجتنا اتيناها ابرهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر
تلك وبمحذوف ان جعل بدله اى اتيناها ابرهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء فى العلم والحكمة
وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم فى رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده
له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اى كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على
ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل
لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين

فى تلك الآية والتى بعدها والمذكورون فى الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب ابن امرص من اسباط
عيصا بن اسحق عم ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين اى ونجزى المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم
برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفى ذكره دليل على ان الذرية يتناول اولاد
البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن فى الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون
اخى موسى عم كل من الصالحين الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى واسمعيل واليسع
هو اليسع ابن اخطوب وقرأ حمزة والكسائى والليسع وعلى القراتين علم اعجمى ادخل عليه اللام كما ادخل على
اليزيد فى قوله رايت الوليد ابن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو يونس ابن متى ولوطا
وهو ابن اخى ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن اباءهم
وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم
فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير
لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدى به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل
بالهداية ولو اشركوا اى ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم
فى حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على
ما يقتضيه الحق والنبوة الرسالة فان يكفر بها اى بهذه الثلثة هؤلاء يعنى قريشا فقد وكلنا بها اى بمراعاتها
قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبى عم او كل من
آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهديهم اقتده فاختص
طريقتهم بالاقتداء والمراد بهديهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها
ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسى بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عم متعبد بشرع من قبله والهاء
فى اقتده للوقف فمن اثبتها فى الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابى عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف
واشبعها ابن عامر على انها كناية عن المصدر قل لا اسئلكم عليه اى على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم
كما لم يسئل من قبلى من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اى التبليغ او القرآن او الغرض
الا ذكرى للعالمين تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة والانعام
على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء حين انكروا الوحى وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته
وجلائل نعمته او فى السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود
قالوا ذلك مبالغة فى انكار القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا

وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو
حملا على قالوا وما قدروا وتضمين ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتورية وذمهم على تجزيتها بابداء بعض انتخبوه
وكتبوه فى ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روى ان مالك ابن الصيف قاله لما اغضبه الرسول صلعم
بقوله انشدك الله الذى انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل
هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذايعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل
علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد عم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة على ما فى التورية وبيانا
لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه
يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اى انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان
الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم فى خوضهم فى باطلهم
فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعول
او فاعل يلعبون او من هم الثانى والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق
الذى بين يديه يعنى التورية او الكتب التى قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اى للبركات
ولتنذر او علة لمحذوف اى ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم
واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر
عن عاصم بالياء اى لينذر الكتاب ومن حولها اهل المشرق والمغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم
يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبى
والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسى او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحى
ومتابعيه او قال اوحى الى ولم يوح اليه شىء كعبد الله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلعم فلما نزلت
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله
احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال
لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما
انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه
اى ولو ترى الظالمين فى غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض
ارواحهم كالمتقاضى الملظ او بالعذاب اخرجوا انفسكم اى يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا

ونعنفها عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة
الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اى الهوان يريد به العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه
فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحى كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون
فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وساير ما اثرتموه
من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التى زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فراد كرخال
وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد او حال ثانية
ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير فى فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر
جئتمونا اى مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء
ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اى شركاء
الله فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد
يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة
نافع والكسائى وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم موصوفه واصله لقد
تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء
ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذى فى الحنطة والنواة يخرج الحى
يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج
الميت من الحى ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحى واقع
موقع البيان له ذلكم الله اى ذلكم المحيى المميت هو الذى يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره
فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش
الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصبح سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ
فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه
استيناسا به او يسكن فيه الخلق لقوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه فى معنى الماضى ويدل عليه قراءة
الكوفيين وجعل الليل سكنا حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل
مستمر فى الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان تكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن
نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى مجعولان حسبانا اى على ادوار مختلفة يحسب بهما الاوقات
ويكونان علما للحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب

وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز العليم الذى قهرهما وسيرهما
على الوجه المخصوص العليم بتدابيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذى جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا
بها فى ظلمات البر والبحر فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او فى مشتبهات الطرق وسماها
ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الايات بيناها فصلا فصلا
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذى انشاكم من نفس واحدة هو ادم عم فمستقر ومستودع
اى فلكم استقرار فى الاصلاب او فوق الارض واستيداع فى الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع
وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول اى فمنكم قار ومنكم مستودع لان
الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها
ظاهر ومع ذكر تخليق بنى ادم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج
الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذى انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على
تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شئ نبت كل صنف من اصناف النبات والمعنى اظهار القدرة فى
انبات الانواع المفتنة بماء واحد كما فى قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فاخرجنا
منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب
نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اى واخرجنا من النخل نخلا من
طلعها قنوان او من النخل شئ من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه
والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف
كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة
قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من
اعناب عطف على نبات كل شئ وقرئ بالرفع على الابتداء اى ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز
عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص
لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اى بعض ذلك متشابه
وبعضه غير متشابه فى الهيئة والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة
والكسائى بضم الثاء وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر
ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو فى الاصل
مصدر ينعت الثمرة ينعا اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان فى ذلكم لايات

لقوم يؤمنون اي لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل واحد
ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله
ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم
وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان
بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا
جعل لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم
فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق
كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث
نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اي وزوروا بنين وبنات
فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا
حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما
يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقوله
ثبت الغدر يعني انه عديم المثل فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ
محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اي من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها
الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشأن وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه
خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته
السموات والارضين وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى
بان يتعالى عنها والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة
والثالث ان الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافيه والثاني انه بذاته
عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله
ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا
فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك
الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه
الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف
اذ ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في

فانه

فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف
الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف والنشر اي لا تدركه الابصار
لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة
ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها
تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر اي ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق
وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها
وهذا كلام ورد على لسان الرسول وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر
في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست صرفنا واللام لام
العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم
وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين
وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست
بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اي عفون و
درس اي درس محمد ودارسات اي قديمات او ذات درس كقوله في عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله
لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع
او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم
ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم
ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا
وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي لا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها
من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب
عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون
الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت
الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه
توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم
بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه

التحكم على الرسول عليه السلام في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات
عند الله وهو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام
انكار انها اي الآيات المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل المعنى اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة
في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ
لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم
بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر
وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم
لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا
يؤمنون اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها
كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية
المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او تأتي بالله والملائكة
قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا به او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر
بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما
سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال مشية الله
ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله
جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون
فيتمنون نزول الآية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو
دليل على ان عداوة الكفار للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الجن والانس مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول
مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين
الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له
او مصدر في موضع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز
ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه
افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل
نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر

الجزو

وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم
مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير
العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والا
الالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن ساير الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون
انه منزل من ربك بالحق تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله بعلم اهل الكتاب به لتصديقه
ما عندهم مع انه صلى الله عليه وسلم لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو
متمكن منه بادنى تامل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد
فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج
كقوله ولا تكن من المشركين او خطاب الرسول لخطاب الامة وقيل الخطاب لكل واحد على معنى ان الادلة لما تعاضدت
على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمات ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا
في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد
يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتورية على ان المراد
بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل
احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون
فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد به الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض ارض
مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يأمر الا بما فيه ضلال ان يتبعون
الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم
وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاصنام وصلة اليه وتحليل
الميتة وتحريم البحاير او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن
سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم
لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها
الفعل المقدر وقرئ من يضل اي من يضله الله فتكون منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه
اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه
التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين
الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف

انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله تعالى واجتناب ما حرمه وما لكم الا
تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه اي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم
بقوله حرمت عليكم الميتة وقراء ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول و نافع ويعقوب وحفص
حرم عليكم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال لكم حالة الضرورة وان كثيرا
ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قراءه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من
غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر
الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون
الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا
واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي رح بخلافه لقوله عم ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه
وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل
لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى
اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل
بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه
فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتامل بها في الاشياء
فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقراء نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدا خبره
في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على
الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمن ايمانه زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في
حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا
في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في
كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا
اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس
والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال قد تزاحمنا بني عبد مناف حتى اذا صرنا
كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت الله اعلم حيث

يجعل رسالاته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته
من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقراء ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب
الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله وعذاب
شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان
يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة
عما يمنعه وينافيه واليه اشار عم حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا
هل لذلك امارة يعرف بها قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل
نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقراء
ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا
بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء
مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء
نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب عنه واصل يصعد يتصعد وقرئ به وقراء ابن كثير يصعد بالتخفيف
وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله
الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل الله العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل
وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط
ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقه الذي اقتضت حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا
وهو حال مؤكدة كقوله هو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون
فيعلمون ان القادر هو الله تعالى وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد
حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره
او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم
بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم نحشرهم جميعا نصب باضمار
اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقراء حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن
يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا
معكم كقولهم استكثر الامير من الجند وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض
اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا

مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم
بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان
واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثويكم منزلكم او ذات مثويكم خالدين فيها حال
والعامل فيها مثويكم ان جعل مصدرا او معنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي
ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثويكم ابدا الا ما امهلكم
ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل
بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من
الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب
صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره
قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله ولوا
الى قومهم منذرين يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا
على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رايهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات
المخدجة واعرضوا عن الاخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر
والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ
محذوف اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب ظلم فعلوه او
ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول وبدا من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب
مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق
به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العبادة ذو
الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال
ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده وهو قوله ان يشأ يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم
ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اي قرنا بعد قرن
لكنه ابقاكم ترحما عليكم انما توعدون من البعث واحواله لات لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل
يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم و
جهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القران

وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد
بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي اليه وتسجيل بان
المهدد منه لا ياتي منه الا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر على التفصي عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان
جعل من استفهامية بمعنى اينا يكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق
عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون الذين تكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال
وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقي انه
لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اي مشركوا العرب لله مما ذرأ خلق
من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان
لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا
منهما لالهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما عينوا لالهتهم ازكى تركوه لها حبا لالهتهم وفي قوله مما ذرأ
تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم
تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود
والود والود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
بالوأد ونحرهم لالهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء
للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف
في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده وقرئ بالبناء للمفعول
وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا
عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين
وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان
جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم او وما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لالهتهم انعام وحرث
حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها
الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب و
الحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه
نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار
متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر

خالصة لذكورنا

والسوايب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور دون الاناث ان ولدحيا لقوله وان يكن ميتة
فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم
فى رواية ابى بكر ابن عامر فى تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهم او التاء للمبالغة كما فى رواية
الشعر او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى فى
الظرف لامن الذى فى ذكورنا ولامن الذكور لانها لا يتقدم على العامل المعنوى وعلى صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب
وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فى فيه لان
المراد بالميتة ما يعم الذكور والانثى فغلب الذكور سيجزيهم وصفهم اى جزاء وصفهم الكذب فى التحريم والتحليل من
قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد به العرب الذى كانوا يقتلون بناتهم
مخافة السبى والفقر وقرا ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق
اولادهم لاهم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحاير ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه
المذكورة فى مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذى انشاء جنات من الكرم معروشات
مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير
معروشات ما نبت فى البرارى والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذى يوكل فى الهيئة والكيفية والضمير
للزرع والثانى مقيس عليه او للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد
منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه
بعض افرادها فى اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك
ولم يينع بعد وقيل فايدته رخصة المالك فى الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى واتوا حقه يوم حصاده يريد به
ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والاية مكية وقيل الزكوة والاية مدنية
والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يوخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرا
ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا فى الصدقات كقوله ولا
تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضى فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات
اى وانشاء من الانعام حمولة ما يحمل الاثقال وفرشا ما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره ومن صوفه
ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله
كلوا ما حل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان فى التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة
ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال بمعنى مختلفة

او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضان اثنين زوجين
اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع
ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين ذكر الضان وذكر
المعز حرم ام الانثيين ام اناثهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت
اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئونى بعلم بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئا من ذلك ان كنتم
صادقين فى دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما يحمل اناثها ردا عليهم
فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم
شهداء بل اكنتم حاضرين شاهدين اذ وصيكم الله بهذا حين وصيكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبى فلا طريق
لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم
والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحى المؤسس لذلك ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين
قل لا اجد فيما اوحى الى اى فى القران او فيما اوحى الى مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحى لا بالهوى
محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرا ابن كثير وحمزة تكون
بالتاء لتانيث الخبر وقرا ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان كان هى التامة وقوله او دما مسفوحا عطف
على ان مع ما فى حيزه اى الا وجود ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا كالدم فى العروق لا كالكبد والطحال
او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا عطف
على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمى ما ذبح على اسم الصنم
فسقا لتوغله فى الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع
الى ما رجع اليه المستكن فى يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شىء من ذلك غير باغ على
مضطر الى مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يواخذه والاية محكمة لانها تدل على انه
لم يجد فيما اوحى الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافى ورود التحريم فى شىء آخر فلا يصح الاستدلال
بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى
ظفر كل ماله اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذى مخلب وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا ولعل
المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة

لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتملت على الامعاء جمع حاوية
او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفاين وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما
اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون
في الاخبار او الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا
تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد باسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين
وذو باس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد باسه لتضمنه التنبيه على انزال الباس عليهم مع الدلالة
على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على
اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا عليهم من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشية ارتضاء
لقوله ولو شاء لهديكم اجمعين لما فعلنا هذا نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي
عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبايح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة
ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم
ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تاكيد للفصل بلا حتى ذاقوا
باسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه
لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على
الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه
قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها
صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد منكم ومن تخالفكم في الدين اثبات الحكم وتطلبه
فلو شاء لهديكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم
شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا ينصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله
عند البصريين ها لم من لمّ اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين
هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في
الآية ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة
ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يتقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم
بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة
لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة

على

على ان مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة
الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن
كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل اقرأ ما حرم ربكم منصوب باتل وما يحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون
استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلقة بحرم او اتل ان لا
تشركوا به شيئا اي لا تشركوا به شيئا ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم
باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل
من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة والجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم
ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهم احسانا ووضعه موضع النهي
عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا
اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته لقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما
كانوا يفعلونه لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن
بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد
ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصيكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال
العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه
وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك
واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها
وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة
ونحوها فاعدلوا فيها ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا
يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون تتعظون به
وان هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة
وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائي إن بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف
والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطيَ بفتح الياء وقرئ
وهذا صراطي وهذا صراط ربكم ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى
الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبايع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي
هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصيكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق

ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصيكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصيكم به قديما
وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من احسن القيام به
ان قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى عم او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم
والشرائع اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي على الذي هو احسن او على الوجه الذي هو
احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على
تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي
بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة
اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا
اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهور من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان
كنا ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري
ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة
افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم
حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف
صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء
العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم او صدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا
منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب
وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي ربك اي امره بالعذاب او كل آية يعني آيات القيمة والهلاك الكلي لقوله او يأتي
بعض آيات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا
رسول الله صلعم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر
آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع
الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك
لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان
الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى انه
لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن
لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع

باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي
احدثته ح وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلثة فانا
منتظرون له وح لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او
افترقوا فيه قال عم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى
على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية
الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في
شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او عن عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ
بآية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على
الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد
بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب
وزيادة العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من
محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ
قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم ومن المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة
وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كالعوض فاعل
لاعلال فعله كالقيام ملة ابرهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابرهيم وما كان من المشركين عطف عليه
قل ان صلوتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حيوتي واموت عليه من الايمان والطاعة
او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة والممات انفسهما وقرأ نافع ومحياي
باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة لله لا اشرك فيها غيره وبذلك القول
والاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادتي
وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم وهو رب كل شيء حال في موضع العلة للانكار والدليل له اي وكل ما سواه
مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا
تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم
بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين

ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتيكم من وصف العقاب ولم يضفه الى المال والجاه

ان ربك سريع العقاب لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى

نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليها الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على ان الله تعالى غفور

بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلعم انه قال نزلت على سورة

الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك

السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة سورة الاعراف مكية الا ثمان ايات

واسألهم الى واذ نتقنا الجبل محكم كلها وقيل الا واعرض عن الجاهلين وايها مائتان وخمس

ايات بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب

خبر مبتدأ محذوف اى هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك

حرج منه شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق القلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام

بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء يحتمل العطف والجواب فكانه قيل اذا انزل اليك

لتنذر به فلا يحرج صدرك منه لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار

وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اى لتنذر ولتذكر

ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر المبتدأ محذوف اتبعوا ما

انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من

دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اى ولا تتبعوا من دون دين الله دين

اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله

وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة و

الكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد للنبي عم وكم

من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها اهلها باسنا

عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اى قائلين نصف النهار كقوم

شعيب عم وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء

بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبير بن مبالغة في غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت

دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعويهم اى دعاؤهم واستغاثتهم او وما كانوا

يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا

فلنسئلن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به والمراد

من هذا السؤال التوبيخ للكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام

او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا

انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او

بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن اى القضاء او وزن الاعمال وهو

مقابلتها بالمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفوا بالسنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما

روى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها

كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل

توزن الاشخاص لما روى انه عم ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ

خبر مبتدأ الذى هو الوزن الحق صفته او خبر مبتدأ محذوف ومعناه العدل السوى فمن ثقلت موازينه

حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او

ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا

انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا باياتنا يظلمون

فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها و

جعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف

قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اى خلقنا اباكم طينا غير مصور ثم صورناه

نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل او ابتداء ناخلقكم ثم تصويركم بان خلقنا ادم ثم صورناه ثم قلنا

للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم قلنا لتاخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم

عم قال ما منعك ان لا تسجد اى ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة

على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه وكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد

اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف استبعادا

لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف

يحسن ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته

من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار

الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه

بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما
بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل
اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة
فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل
الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه قال عم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر على
الله وضعه الله فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى
يوم القيمة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما
جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه
اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي
طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل
القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة
صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك
كقولك ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع
الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من
تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس رض من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا
وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون
التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا
ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم
والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد
اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ
الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤوما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول
او ككول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملأن جهنم
منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد
او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اي وقلنا يا آدم اسكن
انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا

والهاء

والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف
والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي
كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما
واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر
عنها بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن
في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احد
من الآخر وانما لم يقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية
مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة
فيها وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من
المعلوم ان الحقايق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية
والاستغناء الملائكة عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن
الناصحين اي اقسم لهما على ذلك وانما اخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل
اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدليهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه
به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية ارسال الشي من اعلى الى اسفل
بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة
بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشوم المعصية فتهافت عنهما
لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا
او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان
ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان
واصله يختصفان وناديهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو
مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم قالا
ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغاير معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها
مع الاجتناب عن الكباير ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات

مع اجتناب الكباير

ولسهم واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس
كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرنا ابدا واخبر عما قال لهم مفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين
ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع تعيش الى حين الى تقضي آجالكم قال فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية و
اسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان
ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا
الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان
وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش
الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعاب وشعب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل
السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل
ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك
اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون
فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم
كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه
والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من
حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة
لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من
التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة
الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها
آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور
فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث
على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه اجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه
الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم
فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا
قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله قل امر ربي

بالقسط

بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين
غير عادلين الى غيرها او اقيموا نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة او في اي مسجد
حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة
فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء
تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون
وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء
السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله
تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في
استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم لمواراة عورتكم عند
كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة
في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما
يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط
الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رض كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة
وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب
المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وساير ما يتجمل به التي اخرج لعباده من
النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق
المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة
لان الاستفهام في من للانكار قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم
فيها فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد
خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل ساير الاحكام قل انما حرم ربي الفواحش
ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم
تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي
مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل
عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها ولكل
امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان

وقتهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اى لا يتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التاخر و
التقدم لشدة الهول يا بنى آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان
اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت ما اليها لتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعله بالنون
وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال الفاء فى
الجزاء الاول دون الثانى للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته
ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال
وقيل الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل
وحتى غاية نيلهم وهى التى يبتداء بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون من دون الله اى الآلهة الذين
كنتم تعبدونها وما وصلت باين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اى قال الله لهم يوم القيمة
او احد من الملائكة فى امم قد خلت من قبلكم اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم يوم القيمة من الجن والانس
يعنى كفار الامم الماضية من النوعين فى النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اى فى النار لعنت اختها التى
ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا وتلاحقوا فى النار قالت اخريهم دخولا او منزلة وهم الاتباع
لاوليهم اى لاجل اوليهم لان الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فاتهم
عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع
فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اوليهم لاخريهم فما
كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخريهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا
وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول
الله للفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اى عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم
واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لارواح المؤمنين واعمالهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتانيث الابواب والتشديد
لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التانيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على
البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج
الجمل فى سم الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة
وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهى الحبل الغليظ من القنب

وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفى المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك نجزى مثل ذلك
الجزاء الفظيع نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اى اغطية والتنوين فيه للبدل عن
الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش بالرفع على الغاء المحذوف وكذلك نجزى الظالمين عبر عنهم
بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم
مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى فى ان يشفع الوعيد بالوعد ولا
نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتداء والخبر للترغيب فى اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل
عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما فى صدورهم من غل اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها
منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن على رضى انى لارجوا ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجرى
من تحتهم الانهار زيادة فى لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدى
لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفى وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ
ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون
ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة
اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اى اعطيتموها بسبب اعمالكم
وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان فى المواقع الخمسة هى المخففة
او المفسرة لان المناداة والتاذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا
ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا
لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعدهم به
كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائى بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن هو
صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى ان
لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون
عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما
هو عليه والعوج بالكسر فى المعانى والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح فى المنتصبة كالحائط والرمح
وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اى بين الفريقين كقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار
ليمنع وصول اثر احديهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اى اعاليه وهو السور المضروب

بينهما جمع عُرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ فانه تكون لظهوره اعرف من غيره
رجال طايفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم
علت درجاتهم كالانبياء او الشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون
كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام
ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام
او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون
حال من الواو على الوجه الاول او من اصحاب على الوجوه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار تعوذا بالله
ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء
الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون
من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة
الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم
تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف
ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا
اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم و
قرئ ادخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اي صبّوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار من الماء او مما رزقكم الله من ساير
الاشربة ليلايم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو
صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا
فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم
يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه
بيّنا معانيه من العقايد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه
دليل على ان الله عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على ساير الكتب عالمين
بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء في فصلناه هل ينظرون هل ينتظرون الا
تأويله الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتي تأويله

يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين لهم انهم جاؤا بالحق فهل لنا
من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان
او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او
لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد
خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون وبطل عنهم ولم ينفعهم
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ او في مقدار
ستة ايام فان المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة
على ايجاده دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى على العرش استوى
امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على
العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بساير الاجسام سمي به
لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به
ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليل النهار بنصب الليل ورفع
النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا
يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما بشئ والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او
حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه
وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع
على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى
بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين
اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى
خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضيهن سبع
سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم
قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل
في يومين ثم انشاء انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله وخلق الارض
في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس

على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير
الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب
العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اى ذوى تضرع
وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المتجاوزين ما امروا به فى الدعاء وغيره
نبه به على ان الداعى ينبغى ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح
فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى عم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى
اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه
لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام
وادعوه خوفا وطمعا ذوى خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع فى اجابته تفضلا
واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة
وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اى امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول
او الذى هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذى يرسل الرياح وقراء حمزة و
الكسائى الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقراء ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائى
نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر فى موضع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان
وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى بشره اى باشرات او للبشارة و
بشرى بين يدى رحمته قدام رحمته يعنى المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه
حتى اذا اقلت اى حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشئ يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب سقناه اى
السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او
بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق
فى الاول وللظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى
اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات
نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون
ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر به عن
كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة والذى خبث كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا
عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذى خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه

مقامه

مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اى يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا
وعلى المصدر اى ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها
ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن
تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها لقد ارسلنا نوحا الى
قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان
المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح ابن لمك بن متوشلخ ابن ادريس
عم اول نبى بعث بعده وهو ابن خمسين سنة او اربعين سنة فقال يا قوم
اعبدوا الله اى اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقراء الكسائى
غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء انى اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعى الى عبادته واليوم يوم
القيمة او يوم نزول الطوفان قال الملاء من قومه فانهم يملأون العيون
رواء انا لنريك فى ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس
بى ضلالة اى شئ من الضلال بالغ فى النفى كما بالغوا فى الاثبات وعرض
لهم به ولكنى رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو
كونه على هدى فى الغاية لانى رسول من الله ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم
واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استيناف ومساقها على الوجهين
لبيان كونه رسولا وقراء ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف
اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقايد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحى
اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام فى لكم للدلالة
على امحاض النصح لهم وفى اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم
من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحى اشياء لا علم لكم بها او عجبتم
الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اى اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من
ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل منكم من جملتكم او من جنسكم
فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا
بهذا فى آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصى ولتتقوا منها بسبب

الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير
موجب والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقويه ولا يأمن
من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا
واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك
متعلق بمعه او بانجينا او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا
بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف
وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه
هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن
عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن
شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم كانه جواب سائل قال فما
قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب
من قوم نوح ولذلك قال الملاء الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به
كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك
وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين
ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض
عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح
وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن
ملك معمورة الارض من رمل عالج الى بحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه
وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون وهو تعميم بعد
تخصيص لكي يفضي ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله
وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما
اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان
اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فأتنا

بما

بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم
من ربكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع رجس عذاب من الارتجاس
وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها
من سلطان اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات
هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين
ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق
الى من لا يؤبه به لاظهار غاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان
اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل
الله بها من سلطان وضعفهما ظاهر فانتظروا اني معكم لما وضح الحق وانتم مصرون
على العناد نزول العذاب من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم
وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن
منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله عنهم القطر ثلث سنين
حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا
من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين رجلا من اعيانهم وكان اذ
ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو
بظاهر مكة اكرمهم وانزلهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم
الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة
ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي
ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله
لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن
معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت
تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر
لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد المغيث
فاستبشروا بها فقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم فنجي هود والمؤمنون معه

فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن
عاد بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي
او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن
عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استيناف
لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان تكون
ناقة الله عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت
من عند الله بلا وسايط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها
بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة
للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم
في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها قصورا او من
سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون من الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح
وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من
الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ
الذين استكبروا من قومه عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم و
استذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه
وبدل البعض ان كان للذين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء
قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها
على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي رأي وانما الكلام فيمن
آمن به ومن كفر فلذلك قال قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة
ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها
اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا
عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عم بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت
من المرسلين فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا في دارهم جاثمين خامدين ميتين روي
انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت

من

من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم
صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية تريدون فقالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو
الهتنا فان استجيب لك اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى
صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان
فعلت صدقناك واجبناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن به
فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء
جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع
الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت
الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا واذا كان يومها فما ترفع رأسها من البئر حتى
تشرب كل مائها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون فكانت
تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق
ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما
وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها فرقي فصيلها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا
فقال لهم صالح ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة
بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث
مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين
فلما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء
فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا
تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم
كما خاطب رسول الله صلعم اهل قليب بدر وقال وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد
ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا ارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا
واذ بدل منه اتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من
العالمين ما فعلها احد قط قبلكم والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي و
الاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان
الفاحشة ثم باختراعها وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار

فانه اسوء اينكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ في
الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي
التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء
النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب
امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف
مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم اي ما جاءوا بما يكون جوابا ولكنهم قابلوا نصيحته بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين
من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من آمن
به الا امرأته فانها كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور
وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من
سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر
مع عمه ابرهيم عم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله تعالى الى اهل سدوم ليدعوهم
الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة
فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم
شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم شعيب ابن ميكيل ابن
يشجر ابن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة
عصى موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعود له ووقوع عصى آدم على يده في
المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة ويحتمل ان تكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل على الاضمار
او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود اوفوا الكيل ووزن
الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم
وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير
وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض
بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع
او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين

اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة
وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان
واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل
كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به
وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل
صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط على
الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف
عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس
بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم فكثركم بالبركة في النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين
من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا
حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير
الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا
معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية او عودكم في الكفر وشعيب
لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم
وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا
في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف
دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال
اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا
ان ما كنا عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود
فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم
في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا
ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا
والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل
اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم
دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو
ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها
كانت من مبادئها فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها

اي استوصلوا كأن لم يغنوا فيها اي المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين
صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف
بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم
لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم
بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي
في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية
من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى
عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء
كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا
مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول
عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر
والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر
والمعاصي افامن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض
والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو
في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز
او المستتر في بياتا او امن اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان يأتيهم
بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون
بما لا ينفعهم افأمنوا مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من
حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين
يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدى يهدي
باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا
من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأ بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل
عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى
وطبعنا لانه في سياقه جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى
يعني قرى الامم المار ذكرها نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد

بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل
بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم
المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر
والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر
الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في
الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من
هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول
ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام
بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون
وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع
كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب
ابن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله حقيق
علي ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا
عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قرأ نافع فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة
الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان
اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم
رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من
ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم
واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت جئت بآية من عند من ارسلك فأت بها فاحضرها عندي ليثبت
بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك
في انه ثعبان وهي الحية العظيمة روي انه لما القاها صار ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه
الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين
فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل
معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء
بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان آدم
شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس

قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور في امره
فحكى عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه
واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التاخير
اي اخر امره واصله ارجئه كما قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير على الاصل
في الضمير او ارجه من ارجيت كما قرأ نافع في رواية ورش واسمعيل والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف
الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة حمزة وعاصم وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في
اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان
قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي
يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان
كنا نحن الغالبين استيناف كانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص
ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم وانكم لمن
المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون
نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا
عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال
بل القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما
الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في فنه روي
انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى
ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف
وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم
وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى
فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فثبت
لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء
مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين
على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم
عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا
آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال
فرعون آمنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن

يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه
اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها
يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن
ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا
انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك
كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا الا ان آمنا
بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك
ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا
من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم
ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون
اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف
على ليفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة
والاخاء على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر
او استيناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فاصدق واكن وآلهتك
معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك
قال انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم كما كنا نفعل من قبل
ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا
على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون
تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا
لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت
في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له
وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل
اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع
لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود
عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد

شكلهم ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الأمطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط
لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل أسنت القوم إذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات
لعلهم يذكرون لكي ينتبهوا على أن ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا أو ترق قلوبهم بالشدائد
فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده فإذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لأجلنا ونحن
مستحقوها وإن تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون ما أصابتنا
إلا بشؤمهم وهذا إغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فإن الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك
وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا
في الغي وإنما عرف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الإرادة بإحداثها بالذات ونكر السيئة
وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها إلا بالتبع ألا إنما طائرهم عند الله أي سبب خيرهم
وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته أو سبب شؤمهم عند الله وهو أعمالهم المكتوبة عنده فإنها التي ساقت
إليهم ما يسوؤهم وقرئ إنما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ما يصيبهم من الله تعالى
أو من شؤم أعمالهم وقالوا مهما أصلها ما الشرطية ضمت إليها ما المزيدة للتأكيد ثم قلبت ألفها هاء استثقالا
للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء أو النصب بفعل يفسره
تأتنا به أي أيما شيء تحضرنا تأتنا به من آية بيان لمهما وإنما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك
قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين أي لتسحر بها أعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكره قبل ما
باعتبار اللفظ وأنث بعده باعتبار المعنى فأرسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي أماكنهم وحروثهم
من مطر أو سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان
وقيل أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها والضفادع والدم روي أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يقدر
أحد أن يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه إلى تراقيهم وكانت بيوت بني إسرائيل مشتبكة
ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على أراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك
عليهم أسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت
لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم ثم أخذت تأكل
الأبواب والسقوف والثياب ففزعوا إليه ثانيا فدعا وخرج إلى الصحراء وأشار بعصاه نحو المشرق
والمغرب فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فأكل ما أبقاه وكان
يقع في أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا إليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر
ثم أرسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم
وتثب إلى قدورهم وهي تغلي وأفواههم عند التكلم ففزعوا إليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف

ونقضوا العهد

فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهود ثم أرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي
مع الإسرائيلي على إناء فيكون ما يليه دما وما يلي الإسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الإسرائيلي فيصير دما
في فيه وقيل سلط عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا تشكل على عاقل أنها آيات الله ونقمته
عليهم أو مفصلات لامتحان أحوالهم إذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة أسبوعا
وقيل إن موسى لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن
الإيمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل أو الطاعون الذي أرسل الله عليهم
بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة أو بالذي عهده إليك
أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك وهو صلة لادع أو حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا
إليه بما عهد عندك أو متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل أسعفنا إلى ما نطلب منك بحق ما
عهد عندك أو قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل
أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل
هم بالغوه إلى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق أو الموت
وقيل إلى أجل عينوه لإيمانهم إذا هم ينكثون جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجئوا النكث من غير توقف
وتأمل فيه فانتقمنا منهم فأردنا الانتقام منهم فأغرقناهم في اليم أي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته
بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا
كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بالاستعباد وذبح الأبناء من مستضعفيهم مشارق الأرض ومغاربها يعني أرض الشام ملكها بنو
إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة
ربك الحسنى على بني إسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالإنجاز عدته إياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله
ونريد أن نمن إلى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على
الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات
أو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وأبو بكر يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون
وقومه وقوله وجاوزنا ببني إسرائيل البحر وما بعده ذكر ما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن منّ
الله عليهم بالنعم الجسام وأراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى منهم وإيقاظا
للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم روي أن موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد
مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على أصنام لهم يقيمون على عبادتها
قيل كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم وقيل من لخم

وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا إلها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها
وما كافة للكاف قال إنكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق وأكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآية
الكبرى عن العقل إن هؤلاء إشارة إلى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني أن الله يهدم دينهم الذي هم عليه
ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وإن قصدوا بها التقرب
إلى الله تعالى وإنما بالغ في هذا الكلام بإيقاع هؤلاء اسم إن والإخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان
وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لإن للتنبيه على أن الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وأن الإحباط
الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال أغير الله أبغيكم إلها أطلب لكم معبودا وهو فضلكم
على العالمين والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله إياهم
من أمثالهم بما لم يستحقه تفضلا بأن قصدوا أن يشركوا به أخس شيء من مخلوقاته وإذ أنجيناكم
من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر أنجاكم يسومونكم سوء
العذاب استئناف لبيان ما أنجاهم أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما
يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الإنجاء أو العذاب
نعمة أو محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ أبو عمرو ويعقوب ووعدنا
وأتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة بالغا أربعين روي أنه وعد بني
إسرائيل أن يأتيهم بكتاب بعد مهلك فرعون فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك
فرعون سأل ربه فأمره بصوم ثلاثين فلما أتم أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك
رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرا وقيل أمره بأن يتخلى ثلاثين
بالصوم والعبادة ثم أنزل الله عليه التوراة في العشر وكلمه فيها وقال موسى لأخيه هارون اخلفني
في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح ما يجب أن يصلح من أمورهم أو كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين
ولا تتبع من سلك الإفساد ولا تطع من دعاك إليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام
للاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسيط كما يكلم الملائكة وفيما روي أن موسى عليه السلام
كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن سماع كلام المحدثين قال رب أرني أنظر إليك
أرني نفسك بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر إليك وأراك وهو دليل على أن رؤيته تعالى
جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل من الأنبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده
بقوله لن تراني دون لن أرى ولن أريك ولن تنظر إلي تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على
معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ إذ لو كانت
الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا إلها ولا يتبع سبيلهم كما

كما قال لأخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ إذ لا يدل
الإخبار عن عدم رؤيته إياه على أن لا يراه أبدا وأن لا يراه غيره أصلا فضلا من أن يدل على استحالتها
ودعوى الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه
فسوف تراني استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار أيضا دليل على
الجواز ضرورة أن المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له
اقتداره وأمره وقيل أعطى له حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق أخوان كالشك
والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء أي أرضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا أي قطعا
دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما أفاق قال تعظيما لما رأى سبحانك
تبت إليك من الجرأة والإقدام على السؤال بغير إذن وأنا أول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه
أنا أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا قال يا موسى إني اصطفيتك اخترتك على الناس على
الموجودين في زمانك وهارون وإن كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع
برسالاتي يعني أسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي إياك فخذ ما آتيتك أعطيتك
من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة وإعطاء التوراة
يوم النحر وكتبنا له في الألواح من كل شيء مما يحتاجون إليه من أمر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل
من الجار والمجرور أي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام واختلف في أن الألواح
كانت عشرة أو سبعة وكانت من زمرد أو زبرجد أو ياقوت أحمر أو صخرة صماء لينها الله لموسى
فقطعها بيده أو شقها بأصابعه وكان فيها التوراة أو غيرها فخذها على إضمار القول عطفا على كتبنا
أو بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للألواح أو لكل شيء فإنه بمعنى الأشياء أو للرسالات
بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أي بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالإضافة إلى الانتصار
والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الأفضل كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم أو بواجباتها
فإن الواجب أحسن من غيره ويجوز أن يراد بالأحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالإضافة وهو المأمور
به كقولهم الصيف أحر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها
أو منازل عاد وثمود وأضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا أو دارهم في الآخرة وهي جهنم وقيل سأورثكم
يعني سأثبت في الأرض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن إبطالها
وإن اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه بإعلائها أو بإهلاكهم يتكبرون في الأرض بغير الحق صلة يتكبرون بما ليس بحق
وهو دينهم الباطل أو حال من فاعله وإن يروا كل آية منزلة أو معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال
عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الأول وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه

سبيلا لاستيلاء الشيطان عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم
والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين
اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي
سأصرف ذلك الصرف بسببها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او ما
وعد الله في الآخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ
قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر
واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي
بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من
الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب
اثر فرس جبرائيل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ
اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم
ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر
على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه
تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ
العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما
فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم
في انفسهم ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز
عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى
الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم من بعدي
حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهارون والمؤمنين
معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها
من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف
عما ينافيه اعجلتم امر ربكم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد
انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع
في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان
فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر رأسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهارون كان اكبر منه
بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام لترقيقه عليه وكانا من اب وام

٧٢

وام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون
بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة للتوهم
التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء
فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة
التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ان فرط في كفهم ضمه الى نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا
للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا
ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحياة الدنيا وهي
خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم
واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا
من بعدها بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك
من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر جرائم بني اسرائيل ولما سكت
سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هارون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من
حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت
وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي
نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى
بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل
بالتأخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من
قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره بان يأتيه
في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا
فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل
موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم
من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك
بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد
من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل
المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها و
رجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك

ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء
ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم
بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا
في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد
يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى
املنا انفسنا او امِلنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود
المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل
المكلف وغيره فساكتبها فاثبتها في الآخرة او فاكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون
الكفر والمعاصي ويؤتون الزكاة خصها بالذكر لانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا
يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ محذوف
تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد عم وانما سماه
رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال
علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير
او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ويخفف عليهم ما كلفوا به من التكاليف
الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر
الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف
واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا
لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا
اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون
الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى عم قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب
عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال
من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمقدم
عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو وهو على الوجه الاول بيان لما قبله فان من ملك
العالم كان هو الاله لا غيره يحيي ويميت وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة
الجنس او القرآن او عيسى عم تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى

الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون
جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو يعد في خطط
الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين
او بكلمة الحق وبه بالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق
من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم
اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله ليلة المعراج
فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير
او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة
من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل
او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب
بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم
يكن مؤثرا يتوقف الفعل عليه في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط منهم مشربهم وظللنا
عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن
كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت
المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء
افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له هنا اكتفاء بذكره ثمه او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا
فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد
بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة
ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن
عامر فانه وحد وقرأ ابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا
من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها واسألهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام
بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون ذلك معجزة لك عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع
باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل
طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او
للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ
يعدّون واصله يعتدون ويعدّون من الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان
يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها

بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم
اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء
للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من
شرع علينا اذا دنا. كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم
بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون
واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم
حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في
العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول
بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به
وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى
لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا
به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي
ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة
امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على فيعل
كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ مخففا بنقل حركتها الى الفاء
ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذئب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما
وقرئ بيس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيئس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون بسبب
فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين
كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله عذبهم اولا بعذاب
شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي ان الناهين
لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما
ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم
ولكن القرود تعرفهم فجعلت تأتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت
قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم
على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن
عليهم الى يوم القيامة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال
وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عم بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلهم وسبى نساءهم

نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا عم ففعل
ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه
لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة
لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين
آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم
وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من
بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو
شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا
الكتاب التوراة من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء
الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم
والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل
مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون
المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت
بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على
الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ
هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع
وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة
عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير
منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون
بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسك واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم
واصل النتق الجذب كأنه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان
الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا
ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم
خذوا على اضمار القول اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على
تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الاعمال
ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم

على ابنه الدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن
عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في
عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من
العلم بها وتمكنهم منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان
تقولوا يوم القيمة اي كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على
ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية
من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل
المبطلون يعني اباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم
وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرح كتاب
المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود مقتضى الميثاق العام بعدما الزمهم بالميثاق المخصوص
بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك
نفصل الآيات ولعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه
آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الزمان
ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعورا من الكنعانيين اوتي
علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه
فكان من الغاوين فصار من الضالين روي ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال
كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل
الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة
واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله
ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة
انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب وسائط
معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها
فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل
خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه
يلهث اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده
واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل
واقع موقع لازم التركيب الذي مقتضاه الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج

لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص
المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم الذين كذبوا
بآياتنا اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم وانفسهم كانوا يظلمون بعد قيام
الحجة عليها وعلمهم بها اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات
وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول
من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان
هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار
اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار
عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل
له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن
والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في
دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات
والمواعظ سماع تأمل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر
او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن
لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم
يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها
دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء
وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا
كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة
او ذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى
من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ
حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون
ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين
بالحق عادلين في الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام
لا يزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فائدة
فانه معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج
الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها

لطفاً من الله بهم فيزدادوا بطراً وانهماكاً في الغي حتى تحق عليهم كلمة العذاب وأملي لهم وأمهلهم عطف على
سنستدرجهم إن كيدي متين إن أخذي شديد وإنما سماه كيداً لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان
أولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمداً عم من جنة جنون روي أنه عم صعد على الصفا فدعاهم فخذاً فخذاً يحذرهم
بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح فنزلت إن هو إلا نذير مبين موضح إنذاره
بحيث لا يخفى على ناظر أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء
مما يقع عليه اسم الشيء من الأجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم
شأن مالكها ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم عطف على ملكوت
وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى أولم ينظروا في اقتراب آجالهم
وتوقع حلولها فيسارعوا إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فبأي
حديث بعده بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه إخبار عنهم بالطبع والتصميم
على الكفر بعد إلزام الحجة والإرشاد إلى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى أن يكون كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب
فما بالهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون
أن يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف
وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله ومن يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفاً على محل
فلا هادي له كأنه قيل لا يهده أحد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسألونك عن الساعة أي عن القيامة وهي من الأسماء
الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو لأنها على طولها عند الله كساعة أيان مرساها
متى إرساؤها أي إثباتها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة واشتقاق أيان
من أي لأن معناه أي وقت وهو من أويت لأن البعض آوٍ إلى الكل قل إنما علمها عند ربي استأثر به
لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً لا يجليها لوقتها لا يظهر أمرها في وقتها إلا هو والمعنى أن الخفاء بها
مستمر على غيره إلى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام في قوله أقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموات
والأرض عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكأنه إشارة إلى الحكمة في إخفائها لا تأتيكم إلا بغتة
فجأة على غفلة كما قال عليه السلام إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم
سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء إذا
سأل عنه فإن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك
وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فإن قريشاً قالوا إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك
عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم لأجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه أي تكرره لأنه من
الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه قل إنما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن

ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن علمها عند الله لم يؤته أحداً من خلقه قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً
جلب نفع ولا دفع ضر وهو إظهار العبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب إلا ما شاء الله من ذلك فيلهمني
إياه ويوفقني له ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت أعلمه لخالفت حالي ما هي عليه
من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء إن أنا إلا نذير وبشير وما أنا إلا عبد مرسل للإنذار
والبشارة لقوم يؤمنون فإنهم المنتفعون بهما ويجوز أن يكون متعلقاً بالبشير ومتعلق النذير محذوف
هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم عم وجعل منها من جسدها من ضلع من أضلاعها أو من
جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً زوجها حواء ليسكن إليها ليأنس بها ويطمئن إليها اطمئنان الشيء إلى جزئه
أو جنسه وإنما ذكر الضمير ذهاباً إلى المعنى ليناسب فلما تغشاها أي جامعها حملت حملاً خفيفاً خف عليها ولم تلق
منه ما تلقى منه الحوامل غالباً من الأذى أو محمولاً خفيفاً وهو النطفة فمرت به فاستمرت أي قامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف
وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب أو من المرية أي فظنت الحمل وارتابت به فلما أثقلت صارت
ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول أي أثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً ولداً
سوياً قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما
جعل أولادهما له شركاء فيما آتى أولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ويدل
عليه قوله فتعالى الله عما يشركون وقيل لما حملت حواء أتاها إبليس
في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة أو كلب وما يدريك من أين يخرج فخافت من ذلك
وذكرته لآدم فهما منه ثم عاد إليها فقال إني من الله بمنزلة فإن دعوت الله أن يجعله خلقاً مثلك ويسهل عليك
خروجه فسميه عبد الحرث وكان اسمه حارثاً في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث وأمثال
ذلك لا تليق بالأنبياء ويحتمل أن يكون الخطاب لآل قصي من قريش فإنهم خلقوا من قصي وكان له زوج من
جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فأعطاهما أربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي
وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولأعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وأبو بكر شركاً أي شركة بأن أشركا
فيه غيره أو ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الأصنام جيء به على تسميتهم إياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصراً أي
لعبدتهم ولا أنفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وإن تدعوهم أي المشركين إلى الهدى إلى الإسلام
لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الأصنام أي إن تدعوهم إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم
إلى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون وإنما لم يقل أم صمتم للمبالغة في عدم إفادة
الدعاء من حيث إنه مسوى بالثبات على الصمات أو لأنهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم إحداثكم دعاءهم
واستمراركم على الصمات عن دعائهم إن الذين تدعون من دون الله أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد أمثالكم من حيث
إنها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين أنهم آلهة ويحتمل أنهم لما نحتوها بصور الأناسي قال لهم إن قصارى

ام هم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض
فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها وقرئ
ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم
ههنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه
من مكروهي انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله الذي نزل الكتاب
القرآن وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين
تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم
الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا
بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق
عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك
قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم
بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان
نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنخس
الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع
استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا
اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل
من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف
طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد
بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع
الخطأ ومكائد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم
يمدونهم اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم
من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون
لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون
كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا
لم تأتهم بآية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرؤه او هلا
طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا
القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ

القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع
قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على
استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك
عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته
كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما
فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والآصال باوقات الغدو والعشيات
وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن
ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه
وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض لمن عداهم من المكلفين
ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي عم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله
امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال اي الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية
من الله وفضل كما سمي به ما يشترطه الامام للمقتحم خطرا عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول اي امرها
مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم
ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله
فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ
والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي وعن سعد بن ابي
وقاص رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت
به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته
وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسألونك
علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اي
الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة
والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان
يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي

واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اى الكاملون فى الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة وفرقت اى خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التى هى العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم فى الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهى امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال فى كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب فى كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله الانفال لله والرسول اى الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك من بيتك يعنى المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون فى موضع الحال اى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء على كل صعب وذلول عيركم واموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت فى مكة الا اصابه شئ منها فحدث بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تنبأت نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما فى السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى ذفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك

لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علىّ ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى انظر الى مصارع القوم وقيل انه عم لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو فى وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك فى الحق فى ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقى العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روى انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثانى مفعولى يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعنى العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها فى هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اى فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثانى لبيان الداعى الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اى رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر انه عم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم انى ممدكم بانى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو

بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بألف من الملائكة مردفين
متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم
المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم
كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصلهما مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت
التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق
ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة
او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله الا
الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر
الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا
النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر
او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته
اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله
وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل
لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس
على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكأنه حصلت له امنة
من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة
وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان
يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ
فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان
وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله
وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا
الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت
الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى
لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق
بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول
او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله
سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع

منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سألقي الى قوله كل
بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها
التي هي المذابح او الرؤوس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك
اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب
مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاندين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من
العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل
او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله
الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم لتكون
الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما
عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع
بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث
يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع
على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم او اقل منكم
والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول
اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون
اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من
المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه كان في سرية بعثهم
رسول الله ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب
متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن
متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس
المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين
معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي
انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم
اني اسألك ما وعدتني فأتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول
كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم
المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء

جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رمياً توصلها
الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اى اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى اى بما هو غاية الرمي فاوصلها
الى اعينهم جميعاً حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله
والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه
نزل في طعنة طعن بها ابى بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر
نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر
والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة
الى البلاء الحسن او القتل والرمي ومحله الرفع اى المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين
معطوف عليه اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
موهّن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على
سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى
الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين
وان تعودوا للمحاربة نعد لنصرته ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئاً من الاغناء او المضار ولو
كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله
مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا
عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار
او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤيد ذلك قوله
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اى ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر
بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله
ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن و
المواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع
وهم لا يسمعون سماعاً ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأساً ان شر الدواب على الارض او شر البهائم الصم
عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم
الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعاً بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به
او ارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي احي لنا قصياً فانه كان
شيخاً مباركاً حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول

١٨١

بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول روي انه عم مر على ابي سعيد
وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما
اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة
وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول
لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه
كفن او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ
لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب
ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين
القلب بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين
الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء
حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر
بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى
ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن
معنى النهي ساغ كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي
غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب
قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر
باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه
الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله
شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب
للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس
كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين لهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى
تتحصنون به عن اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر
ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في المغانم روي انه عم حاصر بني
قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات

وارتحلوا من الشام فأبى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان
مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار الى حلقه انه الذبح
قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال
والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله
عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني
فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال
عم يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه
اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم
تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم
والعقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضا
الله عليهم وراعى حدوده فيهم فأنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية
في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين
او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا
حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب
الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان
ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده
انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم
واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى
اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم
او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين
في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا
مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه
وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام
بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم
ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة
فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا
الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبرائيل النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا كرم الله وجهه على

على مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه
او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين
اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من
ايهام الذم واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده
الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم وقيل هو قول الذين ائتمروا في امره عليه السلام
وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاءوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز
عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في
باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ
في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي عم ويلك انه كلام الله فقال
ذلك والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم
سواه فالمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ
لا فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا
لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي
والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد
باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا
لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم
ما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم
عنه الجاء رسول الله صلعم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية
امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه
الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية
لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند
البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ
بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من الصد او من الصدد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ
صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها
لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون

فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك إذا أراد النبي أن يصلي يخلطون عليه ويرون أنهم يصلون
أيضا فذوقوا العذاب يعني القتل والأسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل أن يكون للعهد
والمعهود ائتنا بعذاب أليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا
عن سبيل الله نزل في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر
جزر أو في أبي سفيان استأجر ليوم أحد ألفين من العرب سوى العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية
أو في أصحاب العير فإنه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم أعينوا بهذا المال على حرب محمد صلى الله عليه
وسلم لعلنا ندرك منه ثأرنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الأول
إخبار عن إنفاقهم في تلك الحال وهو إنفاق بدر والثاني إخبار عن إنفاقهم فيما يستقبل وهو إنفاق أحد
ويحتمل أن يراد بهما واحد على أن مساق الأول لبيان غرض الإنفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وأنه
لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة إنفاقها
مبالغة ثم يغلبون آخر الأمر وإن كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا أي الذين ثبتوا على الكفر منهم
إذ أسلم بعضهم إلى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح
واللام متعلقة بيحشرون أو يغلبون أو ما أنفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما
أنفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من
التمييز وهو أبلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكبوا لفرط
ازدحامهم أو يضم إلى الكافر ما أنفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين فيجعله في جهنم كله أولئك إشارة إلى الخبيث
لأنه مقدر بالفريق الخبيث أو إلى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم
قل للذين كفروا يعني أبا سفيان وأصحابه والمعنى قل لأجلهم إن ينتهوا عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم
بالدخول في الإسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على أنه خاطبهم ويغفر على البناء
للفاعل وهو الله تعالى وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين الذين تحزبوا على الأنبياء بالتدمير كما جرى
على أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل
عنهم الأديان الباطلة فإن انتهوا عن الكفر فإن الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه وإسلامهم وعن
يعقوب تعملون بالتاء على معنى فإن الله بما تعملون من الجهاد والدعوة إلى الإسلام والإخراج من ظلمة الكفر
إلى نور الإيمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على أنه كما يستدعي إثابتهم للمباشرة يستدعي إثابة
مقاتليهم للتسبب وإن تولوا ولم ينتهوا فاعلموا أن الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم
المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا أنما غنمتم أي الذي أخذتموه من الكفار
قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فأن لله خمسه مبتدأ خبره محذوف أي فثابت أن لله خمسه

الجزو ١٠

خمسه وقرئ فإن بالكسر والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وأن المراد
قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكأنه قال
فأن لله خمسه يصرف إلى هؤلاء الأخصين به وحكمه بعد باق غير أن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم
يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضي الله عنهما وقيل إلى الإمام وقيل
إلى الأصناف الأربعة وقال أبو حنيفة رحمه الله سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا
إلى الثلاثة الباقية وعن مالك الأمر فيه مفوض إلى رأي الإمام يصرفه إلى ما يراه أهم وذهب أبو العالية إلى ظاهر
الآية فقال يقسم ستة أقسام ويصرف سهم الله إلى الكعبة لما روي أنه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة
ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل مضموم إلى سهم الرسول وذو القربى بنو هاشم وبنو
المطلب لما روي أنه عليه السلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما هؤلاء إخوتك
بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا
وإنما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلام إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام وشبك بين أصابعه وقيل بنو هاشم
وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله
لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل
كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة
إن كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا أي إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه
إليهم واقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية فإن العلم العملي إذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لأنه مقصود بالعرض
والمقصود بالذات هو العمل وما أنزلنا على عبدنا محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عُبُدنا بضمتين أي الرسول
والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فإنه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله
على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والإمداد بالملائكة إذ أنتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان
والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وأبي عمرو
ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الأقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا
تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الأصل كالقود وهو أكثر استعمالا من القصيا والركب أي العير أو قوادها
أسفل منكم في مكان أسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال
من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين
نفوسهم على أن لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم واستبعاد
غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فإن العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا
إلا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد أي لو تواعدتم

أنتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم أنتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق
لهم من الفتح ليس إلا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا إيمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد
ليقضي الله أمرا كان مفعولا حقيقا بأن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة بدل منه أو متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش
عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة أو ليصدر كفر من كفر وإيمان
من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام والمراد بمن هلك ومن حي
المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع
وأبو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وإن الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه
وإيمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الأمرين على القول والاعتقاد إذ يريكهم الله
في منامك قليلا مقدر باذكر أو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك
في رؤياك وهو أن تخبر به أصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو أراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في
الأمر أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع إنه عليم بذات
الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير أحوالها وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا
حال من الثاني وإنما قللهم في أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن إلى جنبه أتراهم سبعين فقال أراهم
مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول ويقللكم في أعينهم حتى قال أبو جهل إن محمدا وأصحابه أكلة جزور وقللهم في
أعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم
وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة فإن البصر وإن كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا
على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد وإنما يتصور ذلك بصد الله الأبصار عن إبصار بعض دون بعض مع
التساوي في الشروط ليقضي الله أمرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به أو لأن المراد بالأمر ثم الالتقاء
على الوجه المحكي وههنا إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وحزبه وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين آمنوا
إذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا
للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم
من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله وأن يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل
عليه بشراشره فارغ البال واثقا بأن لطفه لا ينفك عنه في شيء من الأحوال وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف
الآراء كما فعلتم ببدر أو أحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح
مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة
فإن النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور واصبروا إن الله

الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني أهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا
فخرا وأشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك أنهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول أبي سفيان
أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان
ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين أن يكونوا
أمثالهم بطرين مرائين وأمرهم بأن يكونوا أهل تقوى وإخلاص من حيث إن النهي عن الشيء أمر بضده ويصدون
عن سبيل الله معطوف على بطرا إن جعل مصدرا في موضع الحال وكذا إن جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر
والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه وإذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر أعمالهم في معاداة الرسول وغيرها وقال
لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون
ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم
انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر لا غالب أو صفته وليس صلته وإلا لانتصب كقولك لا ضاربا
زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان أي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى أي بطل كيده وعاد ما خيل
إليهم أنه مجيرهم سبب هلاكهم وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله أي تبرأ منهم وخاف عليهم
وأيس من حالهم لما رأى إمداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين
كنانة من الإحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم
وإني مجير لكم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له إلى أين
أتخذلنا في هذه الحالة فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة
قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان
وعلى هذا يحتمل أن يكون معنى قوله إني أخاف الله إني أخافه أن يصيبني مكروها من الملائكة أو يهلكني ويكون الوقت
هو الوقت الموعود إذ رأى فيه ما لم ير قبله والأول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب
يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفا إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا
إلى الإيمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء
يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف ومن يتوكل على
الله جواب لهم فإن الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وإن قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز
عن إدراكه ولو ترى ولو رأيت فإن لو تجعل المضارع ماضيا عكس إن إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة
ببدر وإذ ظرف ترى والمفعول محذوف أي ولو ترى الكفرة أو حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة
ابن عامر بالتاء ويجوز أن يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين
كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الأول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين وأدبارهم

ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف
على يضربون باضمار القول اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد
كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم
بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة
بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم
شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كداب آل فرعون اي داب
هؤلاء مثل داب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه اي داموا عليه والذين من قبلهم اي من قبل آل
فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه
في دفعه شيء ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا
ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل
بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه
بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره
متى يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة
تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم
بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به
آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعم بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق
المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين
كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم
لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا
اليهم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة
المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم
فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية
فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه
مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون
لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح

اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك
او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا
على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ
والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ولا تحسبن خطاب للنبي وقوله الذين
كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين
كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية
كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال
بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله ولا يجدون
طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به
من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي
العهد او الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عم يقول على المنبر
الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عم خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله
فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط
الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به
وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم
من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم
يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا
مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد
معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها
جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه
بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصال القصة بقصتهم وقيل عامة نسختها
آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال جرير اني وجدت
من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم
مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان
حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته عم وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح
ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة

لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده . وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن

لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا

يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما في محل النصب على المفعول معه كقوله اذا كانت الهيجاء

وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند او الجر عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك

الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي عم ثلثة وثلثون رجلا وست

نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضهما نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين على

القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن

منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد

للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله تعالى وتاييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الاولى

ووافقهم البصريان في وان تكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات

المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن

خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا

الفين باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد

الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة

للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين

فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف

لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر

القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة

وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب

الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين

امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان

ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين

روي انه عم اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضه قومك

واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية يقوى بها اصحابك وقال عمر رضه اضرب اعناقهم فانهم ائمة

الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو

ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد

قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك

غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء

فنزلت فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله

اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم

ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه

لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او لا يعذب

اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء

عذاب عظيم روي انه عم قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان

فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف

تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة

للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك

وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن

في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم

من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن

ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى

ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو

لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال ما يدريك قال اخبرني به ربي تعالى قال فاشهد انك صادق وان

لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني

الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب

ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان

يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل

فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين

آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع

والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار

آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون

والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة

والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث

وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان

استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم
ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض
في الميراث او الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه
ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار
تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين
والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم
المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة
والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق
بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك
منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب
الله في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من المواريث
والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة و
شاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون
له ايام حيوته **سورة براءة مدنية وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول** وهي آخر ما نزلت ولها اسماء
اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة و
المدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال
المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلثون
وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها
لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة
هي سابعة السبع الطول او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة
ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها
والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئا من العهد الذي عاهدتم
به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين
اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريئا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا
الا اناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا
فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشر من ذي

ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضي الله عنه اميرا
على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر رضي الله عنه الرغاء
فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان
قبل التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي كرم الله وجهه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس
فقال اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد
هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل
قوله لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه عليه السلام بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص
بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد
ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل
والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان
والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان
فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة
لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم
من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد
اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله بريء من المشركين اي من عهودهم
ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول
وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت
البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر
والغدر فهو فالتوبة خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير
معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم
من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكأنه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين
ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم
يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله
يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج
الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا

المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم
او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان
تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم
بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم
لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعدلهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك
استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه
موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر
بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين
عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم
او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على
الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين
الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع
على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم
فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم غير انه مطلق
وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على
العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى
فكيف وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم
لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل ربوبية
ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة
لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال
البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبرئيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله
يرضونكم بافواههم استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز
جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان
والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه
وتابى قلوبهم ما تتفوه به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر
لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر الى احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران
ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج

والعمار او الفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله
لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرار وقيل الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم
اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض
للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا
ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم
فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل
المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم وابن عامر
وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان
لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد
الحنفية به على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا
ايمانهم وقرا ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان
يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي
ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض
على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوا مع الرسول
عم والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا
في دار الندوة على ما مر ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه
من المدينة وهم بدءوكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عم بداهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به
فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم
خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان
ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني
بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم
والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا
وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب
لتوبة قوم اخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين

حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غير علة ونفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان
عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا
رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين
ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين
ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد
وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار
الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله
وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي كرم الله وجهه في القول
فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني
فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد
الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة اي انما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات
العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها
وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلعم قال الله تعالى ان بيوتي في الارض المساجد وان زواري
فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول
لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله
اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من
المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون
فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا
باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله
السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اهل سقاية الحاج كمن آمن
ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين
واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي
الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب
وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم
وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك
هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم

مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود
بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا
آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا
ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان
ان اختاروه وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان آباؤكم
وابناؤكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشيرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد
العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات
وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه
لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه فتربصوا حتى يأتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة
وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم
الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقفها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر وايام مواطن
او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن
فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين
مكة والطائف حارب فيه رسول الله عم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان
انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي عم او ابو بكر او غيره من المسلمين
لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم
فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه
ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى
يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا
مع المشركين فقال عم هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا
فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اي بسعتها
لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار
ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا
بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين
ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستة عشر
على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم في الدنيا

كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم
ويتفضل عليهم روي ان اناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس
وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم
ما لا يحصى فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله وقال ان هؤلاء
جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده
فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري
لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم
او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا
وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون
وهو تخفيف نجس ككبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول
الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على
المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة
الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف
يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش
فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر
كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشية لتنقطع الآمال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون
بعض وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر اي لا يؤمنون
بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب
والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين
الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر
عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد مؤاتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين
بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة
عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة وهم
صاغرون اذلاء وعن ابن عباس رضي الله عنه تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي
تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضي الله عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه عم قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب
فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روي

لما روى الزهري انه صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك يؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها
في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها
وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على الفقير غير الكسوب وقالت اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم
او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام
املى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا انه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية
قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير
موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين
او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر
المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل
ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي
للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان
يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود
على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل
للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من
شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان
اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا الا
المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله
واما طاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استئناف مقرر
للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا يخمدوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته
وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد عم بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويابى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد
واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد عم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث
في الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون
محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان
لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على
انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر
الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس

حزب

بالباطل يأخذونها بالرشا في الأحكام سمى أخذ المال أكلاً لأنه الغرض الأعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز أن يراد به الكثير من الأحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم
بالحرص على المال والضن بها وأن يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه
بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه أنه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله عم فقال إن الله
لم يفرض الزكوة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وقوله عم ما أدي زكوته فليس بكنز أي بكنز أوعد عليه فإن الوعيد على الكنز
مع عدم الإنفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه وأما قوله من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله
عليه السلام فيما أورده الشيخان مرويا عن أبي هريرة رضي الله عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان
يوم القيمة صفحت له صفايح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب أليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم
أي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها وأصله تحمى بالنار فجعل الإحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار وأسند الفعل
إلى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث إلى صيغة التذكير وإنما قال عليها والمذكور شيئان
لأن المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي كرم الله وجهه أربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها
وقيل الضمير فيهما للكنوز أو الأموال فإن الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لأنهما قانون التمول أو للفضة وتخصيصها لقربها
ودلالة حكمها على أن حكم الذهب أولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لأن جمعهم وإمساكهم
كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية أو لأنهم ازوروا عن السائل وأعرضوا عنه
وولوه ظهورهم أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد
أو لأنها أصول الجهات الأربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه هذا ما كنزتم على إرادة القول
لأنفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون أي وبال كنزكم أو ما تكنزونه وقرئ
تكنزون بضم النون إن عدة الشهور أي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لأنها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله
في اللوح المحفوظ أو في حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله يوم خلق السموات والأرض متعلق بما فيه من معنى الثبوت أو بالكتاب
إن جعل مصدرا والمعنى أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر منذ خلق الله الأجرام والأزمنة منها أربعة حرم واحد فرد
وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين إبراهيم
وإسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن أنفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور
على أن حرمة المقاتلة فيهن منسوخة وأولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزرا كارتكابها في الحرم
وحال الإحرام وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم والأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا ويؤيد الأول ما روي
أنه عم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وفي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا
وهو مصدر كف عن الشيء فإن الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا أن الله مع المتقين بشارة وضمان
لهم بالنصرة بسبب تقواهم إنما النسيء أي تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا

وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش إنما النسي بقلب الهمزة
ياء وإدغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نسأه إذا أخره زيادة في الكفر لأنه
تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه الله فهو كفر آخر ضموه إلى كفرهم يضل به الذين كفروا إضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص
يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على أن الفعل لله تعالى يحلونه عاما يحلون النسيء من الأشهر الحرم سنة
ويحرمون مكانه شهرا آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان
يقوم على جمل في الموسم فينادي إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادي في القابل إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم
فحرموه والجملتان تفسير للضلال أو حال ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه أو بما
دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء أعمالهم وقرئ على البناء
للفاعل وهو الله والمعنى خذلهم وأضلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة إلى الاهتداء
يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الأصل وأثاقلتم على الاستفهام
للتوبيخ إلى الأرض متعلق به كأنه ضمن معنى الإخلاد والميل فعدي بإلى وكان ذلك في غزوة تبوك أمروا بها بعد رجوعهم
من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم أرضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة
ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الآخرة في جنب الآخرة إلا قليل مستحقر إلا تنفروا إلا ما استنفركم إليه
يعذبكم عذابا أليما بالإهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كأهل اليمن
وأبناء فارس ولا تضروه شيئا إذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فإنه الغني عن كل شيء في كل أمر وقيل الضمير للرسول
أي ولا تضروه فإن الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الأسباب
والنصرة بلا مدد كما قال إلا تنصروه فقد نصره الله أي إن لم تنصروه فسينصره الله كما نصره إذ أخرجه الذين كفروا
ثاني اثنين ولم يكن معه إلا رجل واحد فحذف الجزاء وأقيم ما هو كالدليل عليه مقامه أو إن لم تنصروه فقد أوجب الله له النصرة
حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره وإسناد الإخراج إلى الكفرة لأن همهم بإخراجه أو قتله تسبب لإذن
الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الإعراب ونصبه على الحال إذ هما
في الغار بدل من إذ أخرجه بدل البعض إذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة
ساعة مكثا فيه ثلاثا إذ يقول بدل ثان أو ظرف لثاني لصاحبه وهو أبو بكر رض لا تحزن إن الله معنا بالعصمة والمعونة روي
أن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر رض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله ما ظنك باثنين
الله ثالثهما فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا
في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه فأنزل الله سكينته أمنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي أو على صاحبه
وهو الأظهر لأنه كان منزعجا وأيده بجنود لم تروها يعني الملائكة أنزلهم ليحرسوه في الغار أو ليعينوه على العدو يوم بدر والأحزاب
وحنين فيكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك أو دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا

يعني التوحيد او دعوة الاسلام والكفر وجعل ذلك بتخليص الرسول عم عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدا له او
بتاييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرا يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا
على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار
ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا وثقالا لنشاطكم له او ثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة
عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل
الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير
اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل الماخذ
وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين
والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة
العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم
ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب
وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون
في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه
لم اذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا
باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستاذنك الذين
يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان
يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوك في التخلف عنه او ان
يستاذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه
انما يستاذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين
للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون
اي يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله
واخلفوك الوعد الذي وعدوا وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم
قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لان الله تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم
فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان
بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين

الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم معكم شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال
حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل
الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب
او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او
الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون
يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق
اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول عم الى ذي جدة
اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال
امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله علا دينه وهم كارهون اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول
والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة
اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود
ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تاذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم ياذن
او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس
قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي
ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم
يوم القيامة او الآن لان احاطة اسبابها بهم كوجودها ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم
لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تحذروا
بانصرافهم واستحمدوا الراي في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول وهم فرحون مسرورون
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح
لا يتغير بموافقتكم ولا مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو
لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولانا
ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون
بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن
نتربص بكم ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب
بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل
منكم امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الامرين في عدم
القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي ونفي

الفضل لحمل امر بن ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف
وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اى وما منعهم قبول نفقاتهم الا
كفرهم وقرا حمزة والكسائى ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقى وقرئ نقبل على ان الفعل لله ولا ياتون
الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما
عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها فى
الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم
وهم كافرون فيموتون كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهق
الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان
تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤن اليه او مغارات غيرانا او مدخلا
نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اى مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا
من تدخل ومندخلا من اندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شىء كالفرس الجموح وقرئ
يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك فى الصدقات فى قسمها
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت فى ابى الجواظ المنافق قال الا ترون
الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل فى ابن ذى الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله
فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة نائب مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله
ما اعطاهم الرسول عم من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعل الرسول كان بامره
وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى
الله راغبون فى ان يغنينا من فضله والآية باسرها فى حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف
الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اى الزكوات لهؤلاء المعدودين
دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم فى قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب
يقع موقعا من حاجته من الفقر كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون
كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله اما السفينة فكانت لمساكين وانه عم سأل المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل
بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين فى تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم
اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم او اشراف قد يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد
اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل
اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه عم كان يعطيهم والاصح انه عم كان يعطيهم من خمس الخمس الذى كان خاص

خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشىء منها على قتال الكفار ومانعى الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة
لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط وفى الرقاب وللصرف فى فك الرقاب بان يعاون
المكاتب بشىء منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فيعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى
الاسارى والعدول عن اللام الى فى للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق
بها والغارمين المديونين لانفسهم فى غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا
اغنياء لقوله عم لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسة لغاز فى سبيل الله او لغارم او لرجل اشتراها
بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغنى او لعامل عليها وفى سبيل
الله وللصرف فى الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفى بناء القناطر
والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اى فرض لهم الصدقات
فريضة او حال من الضمير المستكن فى للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء فى
مواضعها فظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف
وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعى رحمه الله وعن عمر وحذيفة
وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلاثة واختاره
بعض اصحابنا وبه كان يفتى شيخى ووالدى رحمه الله على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب
قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمى بالجارحة
للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمى الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل
من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روى انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم ناتيه
فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذى ذموا به بل من حيث
انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين
ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان
ورحمة اى وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل
قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها
علة فعل دل عليه اذن خير اى ياذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على
ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على
معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه
بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام فى ايذاء الرسول وارضائه
او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه ان الشان

نزلت حين كانوا يستهزءون بالاسلام واهله ويحذرون لئن يفضحهم الله بالوحى فيهم تهديدا لهم

وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق الله مفاعلة من الحد فأن له نار جهنم خالدا فيها
على حذف الخبر اى فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب
محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فإن بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الاهلاك
الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم
ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك
يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا
يقولون فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزؤا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من
انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي
ان ركب المنافقين مروا على رسول الله عليه السلام في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل
يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا
لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض
السفر قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما
للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب
قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم
لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق
او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف
بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة
في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله
وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر
والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح
نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون
في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود
هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم
لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل
فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا
بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلاق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع
الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر

في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء آثارهم وخضتم ودخلتم
في الباطل كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا
في الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا في الدنيا
والآخرة الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح
وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين
وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي
انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين
المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم
اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها
للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون
الله ورسوله في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب
على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها
العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة
وخلود وعنه عم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون
والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى
تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من
جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف
بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير
ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي
الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما
لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي
شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع
ما تقدم هو الفوز العظيم الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين
بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأويهم جهنم وبئس المصير يحلفون

بالله ما قالوا روي انه عم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس
بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله فاستحضره فحلف بالله ما قاله
فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار
الاسلام وهموا بما لم ينالوا من فتك الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند رجوعه من تبوك ان يدفعوه
عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة
خلفها يسوقها فبيناهما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء
الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم
الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله
اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم
فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل
الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا
اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب
ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن
حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عم يا ثعلبة قليل
تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل
ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع
عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين
لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه الكتاب
الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة
بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا
عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله فجاء بها الى ابي بكر رضي فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر
في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان فلما آتاهم من فضله بخلوا به ومنعوا حق الله منه وتولوا عن
طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل
الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم
البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم
القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه وبسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون

يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون
بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في
انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية
الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم او رفع او نصب او بدل
من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه عم حث
على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة
آلاف وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي
بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا
لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد
الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى
من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر
اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب
اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان
تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عم لازيدن على السبعين
فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من السبعين
العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير
دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة
اقسام العدد وكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس من المغفرة
وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها
والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر
بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه
على عذر الرسول عم في استغفاره وهو عدم يأسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة
والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم بقعودهم
عن الغزو خلاف رسول الله خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة

او الخلاف وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله تعالى
وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر
اي قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا
يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة
على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم
فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان
كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستأذنوك للخروج الى غزوة
اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم
رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة
هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان
وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا
رسول الله عليه السلام في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده
ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما
لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة
لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع
في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب
دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان
يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى
الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت
سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله بان آمنوا بالله ويجوز ان تكون
ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم ذوو الفضل والسعة وقالوا
ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة
وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة
وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي
ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر

والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة
تخفيف خيّرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب
ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم
رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طيء على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من
عذّر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء
في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما
وقرأ يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعّذرون بتشديد العين والذال
على انه من تعذّر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين
بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا
الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب
او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء
ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة
حرج اثم في التخلف اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي
الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين
من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير
للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف
للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون
سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن
غنمة وعبد الله بن مغفل وعلية بن زيد اتوا رسول الله وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف
المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل
وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار
قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض من الدمع اي دمعا فان من للبيان وهي مع المجرور في محل
النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا
نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا
او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك وهم اغنياء واجدون
للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير

عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا
عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة
قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لن نؤمن لكم اي لن نصدقكم لانه قد نبانا الله من اخباركم اعلمنا
بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون
عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي
اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء
من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم
اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود
منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأواهم
جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة

اولئك [illegible]
يكون [illegible]
فان ترضوا [illegible]
وقد [illegible]
على الله [illegible]
بما [illegible]
الحكم [illegible]
واحق [illegible]
اجدر [illegible]

ما ينفق يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق
رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم
دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون به او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة
في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف
اليه للمبالغة كقولك رجل صدق والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ
وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه السلام كان يدعو
للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي

ان يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة
لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة
والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم
لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون
من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة
والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا
حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان
اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم
بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها
الانهار وقرا ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم
وممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار
كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق
ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين
فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم
باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال
فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان
يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكاة ونهك الابدان
ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير
الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم
رسول الله فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم
حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح
الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيء هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت
الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها
بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا
يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب
او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم
وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلاتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها

عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا
عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة
قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لن نؤمن لكم اي لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا
بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون
عن الكفر ام تثبتون عليه وكأنه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي
اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء
من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم
اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود
منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأواهم
جهنم من تمام التعليل وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة
او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان
يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم
فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم
وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا
على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهي عن الرضا عنهم والاغترار
بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل
الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا
واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل
احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد
ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق
رئاء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم
دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة
في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف
اليه للمبالغة كقولك رجل صدق والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ
وعند الله صفتها او ظرف يتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه السلام كان يدعو
للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي

ان يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة
لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة
والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم
لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون
من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة
والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا
حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان
اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم
بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها
الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع [illegible]

رسول الله فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم
حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح
الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت
الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها
بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا
يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب
او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم
وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلاتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها

واعطف عليهم

قلوبهم وحمولها لسعد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم ألم يعلموا
الضمير اما للمتوب عليهم والمراد أن يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم أو لغيرهم والمراد به
التحضيض عليها أن الله هو يقبل التوبة عن عباده إذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات
يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وأن الله هو التواب الرحيم وأن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل
عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فإنه لا يخفى عليه خيرا كان أو شرا ورسوله والمؤمنون فإنه
تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون إلى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة
عليه وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون أي موقوف أمرهم من أرجأته إذا أخرته وقرأ نافع وحمزة
والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لأمر الله في شأنهم إما يعذبهم إن أصروا على النفاق وإما يتوب
عليهم إن تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على أن كلا الأمرين بإرادة الله تعالى والله عليم بأحوالهم حكيم
فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول
الله أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم وفوضوا أمورهم إلى الله فرحمهم الله
والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون أو مبتدأ خبره محذوف أي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا
أو منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي أن بني عمرو بن
عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله عليه السلام أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن
عوف فبنوا مسجدا على قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام فلما أتموه أتوا رسول الله
عليه السلام فقالوا إنا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى
فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي
فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية
للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قباء وإرصادا ترقبا لمن
حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فإنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد
قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب إلى
الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم
الأحزاب فلما انهزموا خرج إلى الشام ومن قبل متعلق بحارب أو باتخذوا أي اتخذوا مسجدا من
قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي أنه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله أن يأتيه فقال إنا على
جناح سفر وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ما أردنا ببنائه
إلا الخصلة الحسنى أو الإرادة الحسنى وهي الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد إنهم لكاذبون في حلفهم
لا تقم فيه أبدا للصلاة لمسجد أسس على التقوى يعني مسجد قباء أسسه رسول الله وصلى فيه أيام مقامه بقباء من

الاثنين إلى الجمعة لأنه أوفق للقصة أو مسجد رسول الله لقول أبي سعيد سألت رسول الله عنه فقال هو مسجدكم هذا
مسجد المدينة من أول يوم من أيام وجوده ومن تعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر أقوين من
حجج ومن دهر أحق أن تقوم فيه أولى بأن تصلي فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة
طلبا لمرضات الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه
إدناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب
مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فأعادها فقال عمر إنهم مؤمنون وأنا معهم
فقال عم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا
نعم قال عم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال عم يا معشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي
تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا
رجال يحبون أن يتطهروا أفمن أسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي
التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي أضعف القواعد
وأرخاها فانهار به في نار جهنم فأدى به لخوره وقلة استمساكه إلى السقوط في النار وإنما وضع شفا الجرف وهو
ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره
في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على أن تأسيس ذلك على أمر يحفظه عن النار ويوصله إلى رضوان
الله ومقتضياته التي الجنة أدناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم إن مصيرهم إلى
النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر أسس على البناء للمفعول وقرئ أساس بنيانه وأس بنيانه على الإضافة
وأسس وآساس بالكسر وثلاثتها جمع أس وتقوى بالتنوين على أن الألف للإلحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة
وأبو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين إلى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم
الذي بنوه مصدر أريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم
أي شكا ونفاقا والمعنى أن بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فإنه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول
عم رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية
الإدراك والإضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من أعم الأزمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل
أو في القبر أو في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما وأسفا وقرأ يعقوب إلى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع
وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول
أو كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما أمر بهدم بنائهم إن
الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة تمثيل لإثابة الله إياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في
سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استئناف ببيان ما لأجله الشراء وقيل يقاتلون في معنى الأمر

وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت أن الواو لا توجب الترتيب وأن فعل البعض
قد يسند إلى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فإنه في معنى الوعد في التوراة والإنجيل
والقرآن مذكور فيهما كما أثبت في القرآن ومن أوفى بعهده من الله مبالغة في الإنجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فإنه أوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم
التائبون رفع على المدح أي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز أن يكون مبتدأ
خبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وإن لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى أو خبره ما بعده أي التائبون
عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح أو جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين
عبدوا الله مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه أو لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون
لقوله عليه السلام سياحة أمتي الصوم شبه بها من حيث إنه يعوق عن الشهوات أو لأنه رياضة نفسانية يتوصل بها إلى
الاطلاع على خفايا الملك والملكوت أو السائحون للجهاد أو لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة
الآمرون بالمعروف بالإيمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على أنه
بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله أي فيما بينه
وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على أن ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل إنه للإيذان بأن التعداد
قد تم بالسابع من حيث إن السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى
واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على
أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك وأن المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم
بما يجل عن إحاطة الأفهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين روي أنه عليه السلام قال
لأبي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة أحاج لك بها عند الله فأبى فقال لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت
وقيل لما افتتح مكة خرج إلى الأبواء فزار قبر أمه ثم قام مستعبرا فقال إني استأذنت ربي في زيارة
قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل علي الآيتين ولو كانوا أولي قربى
من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم بأن ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لأحيائهم فإنه طلب
توفيقهم للإيمان وبه دفع النقض باستغفار إبراهيم لأبيه الكافر فقال وما كان استغفار إبراهيم لأبيه
إلا عن موعدة وعدها إياه وعدها إبراهيم أباه بقوله لأستغفرن لك أي لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان
فإنه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ أباه أو وعدها إبراهيم أبوه وهي الوعد بالإيمان فلما تبين له أنه عدو لله
بأن مات على الكفر أو أوحي إليه بأنه لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره إن إبراهيم لأواه لكثير التأوه
وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الأذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته
عليه وما كان الله ليضل قوما أي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد إذ هداهم للإسلام حتى يبين لهم ما

ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكأنه بيان عذر الرسول في قوله لعمه أو لمن استغفر لأسلافه
المشركين قبل المنع وقيل إنه في قوم مضوا على الأمر الأول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على أن
الغافل غير مكلف إن الله بكل شيء عليم فيعلم أمرهم في الحالين إن الله له ملك السموات والأرض يحيي
ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي
قربى وتضمن ذلك وجوب التبري عنهم رأسا بين لهم أن الله مالك كل موجود ومتولي أمره والغالب عليه
ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة إلا منه ليتوجهوا بشراشرهم إليه ويتبرؤوا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون
سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار من إذن المنافقين في التخلف أو برأهم عن علقة الذنوب كقوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من أحد إلا وهو محتاج إلى التوبة حتى النبي
والمهاجرين والأنصار لقوله وتوبوا إلى الله جميعا إذ ما من أحد إلا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي إليه
توبة من تلك النقيصة وإظهار لفضلها بأنها مقام الأنبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة
العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى
قيل إن الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن
الثبات على الإيمان أو اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشأن أو ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة
وحفص يزيغ بالياء لأن تأنيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني
المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على أنه يتاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة أو المراد
أنه تاب عليهم لكيدودتهم إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب بن مالك
وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو أو خلف أمرهم فإنهم المرجون حتى إذا ضاقت
عليهم الأرض بما رحبت أي برحبها لإعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم
أنفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها أنس ولا سرور وظنوا وعلموا أن لا ملجأ من الله من سخطه
إلا إليه إلا إلى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا أو أنزل قبول توبتهم ليعدوا في جملة التوابين أو رجع
عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم إن الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة
مرة الرحيم المتفضل عليهم بالنعم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين
في إيمانهم وعهودهم أو في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين أي في توبتهم وإنابتهم فيكون
المراد به هؤلاء الثلاثة وأضرابهم ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول
الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه لا يصونوا أنفسهم عما لم يصن نفسه عنه
ويكابدوا معه ما يكابده من الأهوال روي أن أبا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له
في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد

وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله
طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله واستغفر له وفي لا يرغبوا الجزم و
النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المتابعة بانهم بسبب
انهم لا يصيبهم ظمأ شيء من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا مكانا
يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به
الثواب وذلك مما يوجب المتابعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان
الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين
فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله
عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودي اذا سال فشاع
بمعنى الارض الا كتب لهم ذلك ليجزيهم الله به بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم
وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان
يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة
قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية
سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه
والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس
والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد
حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا
فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للآية
معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر
من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال
بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف
النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا
ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب
منهم فالاقرب كما امر رسول الله عم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح
وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو
قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان
فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا

انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين
آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم
يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا
الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني
المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله عم فيعاينون
ما يظهر عليه من الآيات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون
ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها
من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول عم فان لم يرهم
احد قاموا وان يرهم احد اقاموا ثم انصرفوا عن المجلس مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو
يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او لعدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من
انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم
المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رءوف رحيم قدم الابلغ
منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله
فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب
العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع
وعن ابي رضي الله عنه ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي عم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا
حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة و آيات بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع برواية ورش وحفص وقرأ الباقون بالامالة اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك
آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآي والمراد من الكتاب احدهما
ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شيء منها اكان للناس
عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس
او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجب واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه
انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون
العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم
على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عم لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال
وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه

بعث بشراً رسولاً كما سبق ذكره في سورة الانعام أن انذر الناس أن هي المفسرة أو المخففة من الثقيلة فتكون في موضع مفعول أوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الانذار إذ قل من أحد ليس فيه ما ينبغي أن ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين إذ ليس للكفار ما يصح أن يبشروا به أن لهم بأن لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدماً لأن السبق بها كما سميت النعمة يداً لأنها تعطى باليد وإضافتها إلى الصدق لتحققها والتنبيه على أنهم إنما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون إن هذا يعنون الكتاب أو ما جاء به الرسول لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على أن الإشارة إلى الرسول وفيه اعتراف بأنهم صادفوا من الرسول أموراً خارقة للعادة معجزة إياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا إلا سحر مبين إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك أسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في أدبار الأمور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع إلا من بعد إذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن له ذلكم الله أي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للألوهية والربوبية ربكم لا غير إذ لا يشاركه أحد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة أفلا تذكرون تتفكرون أدنى تفكر فينبهكم على أنه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه إليه مرجعكم جميعاً بالموت أو النشور لا إلى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لأن قوله إليه مرجعكم وعد من الله حقاً مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله إنه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه وإهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط بعدله أو بعدالتهم وقيامهم على العدل في أمورهم أو بإيمانهم لأنه العدل القويم كما أن الشرك ظلم عظيم وهو الأوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون فإن معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب أليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على أن المقصود بالذات من الإبداء والإعادة هو الإثابة والعقاب واقع بالعرض وأنه تعالى يتولى إثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم والآية كالتعليل لقوله إليه مرجعكم جميعاً فإنه لما كان المقصود من الإبداء والإعادة مجازاة المكلفين على أعمالهم كان مرجع الجميع إليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ أنه يبدأ بالفتح أي لأنه ويجوز أن يكون منصوباً بما نصب وعد الله أو بما نصب حقاً هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً الياء فيه منقلبة عن الواو لانكسار ما قبلها وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والضوء أقوى من النور ولذلك أضاف الضوء إلى الشمس وقدره منازل الضمير لكل واحد أي قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذا منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله وإناطة أحكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الأوقات من الأشهر

والأيام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك إلا بالحق إلا ملتبساً بالحق مراعياً فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الآيات لقوم يعلمون فإنهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض من أنواع الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فإنه يحملهم على التفكر والتدبر إن الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لإنكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا إليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها أو سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف إما لتغاير الوصفين والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأساً والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر الآخرة ببالهم أصلاً وإما لتغاير الفريقين والمراد بالأولين من أنكر اللقاء ولم ير إلا الحياة الدنيا وبالآخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والإعداد له أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم بسبب إيمانهم إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة أو لإدراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أو لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وإن دل على أن سبب الهداية الإيمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بإيمانهم على استقلال الإيمان بالسببية وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الأنهار استئناف أو خبر ثان أو حال من الضمير المنصوب على المعنى الأخير وقوله في جنات النعيم خبر أو حال أخرى منه أو من الأنهار أو متعلق بتجري أو بيهدي دعواهم فيها أي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم إنا نسبحك تسبيحاً وتحيتهم فيها سلام ما يحيي به بعضهم بعضاً أو تحية الملائكة إياهم وآخر دعواهم وآخر دعائهم أن الحمد لله رب العالمين أي أن يقولوا ذلك ولعل المعنى أنهم إذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز بأصناف الكرامات أو الله تعالى فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الإكرام وأن هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير ولو يعجله لهم حين استعجلوه استعجالاً مثل استعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه ووضع تعجيله لهم الخير موضع تعجيلهم له إشعاراً بسرعة إجابته لهم في الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء لقضي إليهم أجلهم لأميتوا وأهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم إمهالاً لهم واستدراجاً وإذا مس الإنسان الضر دعانا لإزالته مخلصاً فيه لجنبه ملقى لجنبه أي مضطجعاً أو قاعداً أو قائماً وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الأحوال أو لأصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر أي مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر عن موقف الدعاء لا يرجع إليه كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن إلى ضر مسه كذلك

مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا

القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم

رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا

وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد

النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم

نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم

خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون

خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة

على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذواتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى

واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب

آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا او بدله

بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح

لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه

امتناع الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لا يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب

للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل

في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا

العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وعن

ابن كثير ولادراكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا علمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص

عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراتكم ولا ادراكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة

او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشية الله لا بمشيتي

حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القرآن

لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس

فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق

وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث

الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه

ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاديا مما اضافوا اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم

على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب بآياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا

يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى يعود عبادته بجلب نفع

او دفع ضر ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الآخرة ان يكن بعث

وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر

ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم

بهم او بان هؤلاء شفعاؤنا عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في السموات ولا في الارض حال من

العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو

حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم وما كان

الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل او بعد الطوفان

او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى

ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي

بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها

فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا

لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم ما نزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره

واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال

في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون

رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة

جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون

ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبرتم في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب

يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرا ابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر

في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكره

لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم وجرين بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك

او الريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء

الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله

مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا

بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة

القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجؤوا

الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة

واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد فيها يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او الخبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتيها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه حطاما بعدما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعوا الى دار السلام دار السلامة من التقضي والافة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدا والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء

سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كلاهما او انهما اغنيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدا خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقد قرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرا ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الامرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلوا كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرا حمزة والكسائي تتلوا من التلاوة اي تقرا ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلوا بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر بحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبا بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها الهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار امن يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الافات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر

الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة
والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من
ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه
الذي انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة
الله وقع في الضلال استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال
كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن
الحق حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون
بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده
جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بان
ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون
تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر
والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية
وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسنده الى الله قل الله يهدي للحق
افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ام من لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من
قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة
والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب
وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين
وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان
المدغم في حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى للمبالغة فما لكم كيف تحكمون
بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدونه الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة
كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي
منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من
الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب
والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان
وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابقا لما
تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها
ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير

ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو
خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئنافا
من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او
بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن
لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فاتوا بسورة
مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة
وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده
قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه
قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف
دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار
بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤوا تكذيبه قبل ان
يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في
معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا
وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به
من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب
عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت
والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون
بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون
اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم
تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى
المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤفة
بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير
ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي
العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو
الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق
والآية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها

وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق
بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار
يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة
ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كأن لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا
الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كأن لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير
يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول
وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم واما
نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب
نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك
رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا
جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون
وهم لا يظلمون وقيل معناه ولكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان
قضي بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب الكافرين لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا
له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب
العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارأيتم ان اتاكم
عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل
منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون
وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو
تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطأه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون
الجملة متعلقة بارأيتم او بقوله اثم اذا ما وقع آمنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم
الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير آلآن على ارادة
القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب
الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق
هو احق ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام
فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ آلحق هو فانه فيه تعريض بانه باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع

به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن
او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل
بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب ولو ان لكل
نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها
من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما رأوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم
يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها
او لانه يقال سر الشيء لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره
وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين
على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في
السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب
والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو
يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت
قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت والنشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها
والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد
وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت
مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته
بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره
بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب
اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها
فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشيء فبهما فليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء
الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي و
عن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما
يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك
فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا
لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارأيتم فانه بمعنى اخبروني
ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه

الانعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل آلله اذن
لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصلة
متصلة بارأيتم وقل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيامة أيحسبون ان لا
يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد
تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل
وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شأن ولا تكون في امر واصله الهمز
من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول
او لان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة
لتأكيد النفي او للقرآن واضمار قبل الذكر تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه
بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء
مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ
الكسائي بكسر الزاي هنا وفي سبأ من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود
والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها
والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه
مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف
على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا
والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف
عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون لفوات مأمول والآية مجملة فسره قوله الذين آمنوا وكانوا
يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم لهم البشرى في الحياة الدنيا وهو ما بشر به
المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى
الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وبيان
لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء
وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة
الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم
شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم
وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل

عليه القراءة بالفتح كأنه قيل ولا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو
يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض
من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما
لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون
الله شركاء اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع
محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان
يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اي شيء يتبع الذين
تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان
سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها
شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد
هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد
والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا
اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو
الغني علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه
ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم
وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كأنه قيل ان عندكم في هذا من سلطان أتقولون
على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه
فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون
على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة
متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم
او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء
المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه
اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان
او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت
وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير
المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر

شركاءكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من
الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة
بهم ثم لا يكن امركم عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم
عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي
وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلون
فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني
لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون
من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة
وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن
معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا
بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول
وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاءوهم بالبينات
المعجزات الواضحة المبينة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر
وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك
نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان
الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى
وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين
معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترأوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه
بتظاهر المعجزات الباهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر
او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة
ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان
يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم
فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام
موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من
تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كأنهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا
واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك سمي بها لاتصاف
الملوك بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر

سحار وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر
اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر
مبتدأ محذوف تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اي آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء
أتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه
لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ امره الا ذرية
من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية
طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملائهم اي مع
خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية
او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه
وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى
لما رأى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين
له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه
لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت
دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم
وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان
تبوءا اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى
وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة
فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد
مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ووحد لان البشارة
في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا
في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك
لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال
ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض
ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق وقرئ اطمس بالضم واشدد على قلوبهم اي واقسها
واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما
دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام
الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون

طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله وقرأ ابن عامر ولا تتبعانِ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء
الساكنين ولا تتبعانّ من تبع ولا تتبعانِ بالتخفيف وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم
وقرئ جوّزنا وهو من فعّل المرادف لفاعل كضعّف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده
بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعُدُوّا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه لا اله الا
الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا
لآمنت فنكب عنه الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل آلآن أتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار
وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك نبعدك
مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرئ ننحيك
من التنحي وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا
سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن
كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم
بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه
مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان
او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك
اي لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل
على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون
بها ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم
العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرءوا التوراة وعلموا احكامها او في امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسأل الذين
يقرءون الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن
مصدق لما فيه ... الشك ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به امته او لكل من يسمع اي
ايها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع
الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه
ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادته تعالى به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت
قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليه كما اخر فرعون فنفعها ايمانها ... الا قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله

كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء
متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة
الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم
بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا وطلبوا
يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل
والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم
وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين
على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة
والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على
المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه
تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت
ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن بالله الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها
فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون
لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا
اي تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه لتدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت
انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل
ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب
لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا
والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم
على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين مثل ذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين
وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائي ننجي مخففا قل يا ايها الناس
خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم
فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد
ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون
من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان
يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية
بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر ليدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك

سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن
القبائح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من
دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط
وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان
يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي اراد لك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه
على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد
بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور
الرحيم فتعرضوا للرحمة بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القرآن ولم
يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها
لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال
والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه
على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلعم من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس
وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدا وخبر او كتاب
خبر مبتدا محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ
فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما
لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او
بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل
واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى
لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره
وما خفي ان لا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا او بان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما
مبتدا للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه
من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا
ثم توبوا اليه ثم توسلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك
ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة
الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة
بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه

ودينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم
عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى الى الله
مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبكم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر
اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي او يولون ظهورهم
وقرئ يثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون واصله تثنونن من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به
ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمزة وتثنوي ليستخفوا منه من الله
فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا
ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث
بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم الا حين ياوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون
بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور
او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة
وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب
والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل
واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات
كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون
الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه
كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا
العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق
من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج
اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى
العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار
الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل
ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلعم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة
الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا
سحر مبين اي ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرا حمزة
والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى علّ اي

ولئن قلت انكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتّوا بانكاره لعدّوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن
اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع
الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز
تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزءون
اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا
الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاءه
من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعم ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة
بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح
بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان
في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم
والمس مبدا الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لالائه سابقها
ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى
باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع
الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ههنا
وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في
الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك
الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه
عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فاتوا بعشر سور مثله
في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل
واحد مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل
ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله
الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم
الرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في
كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب
عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله
لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز الهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد

تهديد واقناط من ان يجيرهم من باس الله الهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا
تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم
يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل
من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام
ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه
وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ
يوف بالياء اي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم يوم
مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في اهل الرياء وقيل في
المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا
ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم ثواب في الاخرة او لم يكن
لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا
وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحد من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول
يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان
من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على
الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا
وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي وقيل مؤمنو اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل
العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى يعني التورية فانها
ايضا تتلوه في التصديق او البينة هو القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبرئيل او لسان الرسول على ان
الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى
جملة مبتداة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد ممن كان على بينة دالة على انه
حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرا من قبل القران التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل
عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقران ومن يكفر به من
الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من
الموعد او القران وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال
فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في
الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب جمع صاحب
او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب

على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب أو يبغون
أهلها أن يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال أنهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به
أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض أي ما كانوا معجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من أولياء
يمنعونهم من العقاب ولكنه أخر عقابهم إلى هذا اليوم ليكون أشد وأدوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ
ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون
لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم
من دون الله من أولياء فإن ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض أولئك
الذين خسروا أنفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها أو خسروا
بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون لا أحد
أبين وأكثر خسرانا منهم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم اطمأنوا إليه وخشعوا له من الخبت وهي
الأرض المطمئنة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالأعمى والأصم
والبصير والسميع يجوز أن يراد به تشبيه الكافر بالأعمى لتعاميه عن آيات الله وبالأصم لتصامه عن استماع كلام
الله وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لأن أمره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين
باعتبار وصفين أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف
الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا
تمثيلا أو صفة أو حالا أفلا تذكرون بضرب الأمثال والتأمل فيها ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم بأني لكم
وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على إرادة القول نذير مبين أبين لكم موجبات العذاب ووجه
الخلاص أن لا تعبدوا إلا الله بدل من إني لكم أو مفعول مبين ويجوز أن تكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير إني أخاف
عليكم عذاب يوم أليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده
ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك
بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا أخساؤنا جمع أرذل فإنه بالغلبة صار
مثل الاسم كالأكبر أو أراذل جمع أرذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو أو أول الرأي من البدء والياء
مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أي وقت حدوث
بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وإنما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهرا من الحياة الدنيا كان
الأحظ بها أشرف عندهم والمحروم منها أرذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق
المتابعة بل نظنكم كاذبين إياك في دعوى النبوة وإياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين
قال يا قوم أرأيتم أخبروني إن كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بإيتاء البينة

البينة أو النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لأن البينة في نفسها هي الرحمة أو لأن خفاءها يوجب
خفاء النبوة أو على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار أو لأنه لكل واحد منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص
فعميت أي أخفيت وقرئ فعماها على أن الفعل لله أنلزمكموها أنكرهكم على الاهتداء بها وأنتم لها كارهون لا تختارونها
ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس أحدهما مرفوعا وقدم الأعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل
ويا قوم لا أسألكم عليه على التبليغ وهو وإن لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا إن أجري إلا على الله فإنه المأمول منه
وما أنا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم إنهم ملاقو ربهم فيخاصمون طاردهم عنده أو أنهم
يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم ولكني أراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم أو بأقدارهم أو في التماس طردهم
أو تتسفهون عليهم بأن تدعوهم أراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه إن طردتهم وهم بتلك الصفة
والمثابة أفلا تذكرون لتعرفوا أن التماس طردهم وتوقيف الإيمان عليه ليس بصواب ولا أقول لكم عندي خزائن
الله خزائن رزقه وأمواله حتى جحدتم فضلي ولا أعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله أي ولا أقول أنا أعلم الغيب
حتى تكذبوني استبعادا أو حتى أعلم أن هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني
يجوز عطفه على أقول ولا أقول إني ملك حتى تقولوا ما أنت إلا بشر مثلنا ولا أقول للذين تزدري أعينكم
ولا أقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فإن ما أعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله أعلم
بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين إن قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى إذا عاب قلبت تاؤه
دالا لتجانس الزاي في الجهر وإسناده إلى الأعين للمبالغة والتنبيه على أنهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية بما
عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فأكثرت جدالنا
فأطلته أو أتيت بأنواعه فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فإن
مناظرتك لا تؤثر فينا قال إنما يأتيكم به الله إن شاء عاجلا أو آجلا وما أنتم بمعجزين بدفع العذاب أو الهرب منه
ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله إن كان الله يريد أن
يغويكم وتقدير الكلام إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول
لو قال الرجل أنت طالق إن دخلت الدار إن كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما أوهموا
من أن جداله كلام بلا طائل وهو دليل على أن إرادة الله يصح تعلقها بالإغواء وأن خلاف مراده محال وقيل أن
يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق إرادته وإليه
ترجعون فيجازيكم على أعمالكم أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وباله وقرئ أجرامي على الجمع
وأنا بريء مما تجرمون من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من
قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون أقنطه الله من إيمانهم ونهاه أن يغتم بما فعلوه من التكذيب والإيذاء واصنع
الفلك بأعيننا ملتبسا بأعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ

على انه الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون
اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به
اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء
يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ
ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون
لتعاميهم عن آيات الله وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيـ
من دون الله اولياء من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولا
الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل ع
بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والند
ابن واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات و
الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دا
والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه ع
الله وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير
باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم
العطف كقوله الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان مثلا
تمثيلا او صفة وحالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتأ
وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القو
سره او بدبير اليه اخاف
الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول
عليكم عذاب يوم اليم مولم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده
ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك
بالنبوة ووجوب الطاعة وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار
مثل الاسم كالاكبر او اراذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو او اول الرأي من البدء والياء
مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث
بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان
الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق
المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين
قال يا قوم ارأيتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة

قطع

فاسر باهلك اي بنتيك وامرأتك بقطع من
الليل ولا يلتفت اي لا يتخلف منكم احد الا امرأتك
بالرفع بدل من احد وبالنصب استثناء من
الاهل لا من احد لانه في فصيح لغة البدل
قيل على قراءة النصب الاستثناء من اهلك تناقض
في الاخبار لانه يلزم ان يكون امرأة لوط مسراة
وغير مسراة لثبوت القراءتين البدل والاستثناء
اجيب بان الامر بالاسراء امر من لوط بالنهي عن
الالتفات يرادوا العطف الجامع بينهما في سلك واحد
فهو كقولك يا قوم ايتوني راكبين الا زيدا فزيد مستثنى
عن الاتيان المقيد بالركوب لا عن الاتيان مطلق حتى انه
لو اتاك راجلا لا يناقض الاستثناء فكذلك امرأة
لوط مستثنى من الاسراء المقيد بترك الالتفات لا
عن الاسراء المطلق فلا يناقض الاسراء بالتخلف
يعني لا تسرا امرأتك مع اهلك

البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها يوجب
خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحد منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص
فعميت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها
ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل
ويا قوم لا اسألكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المأمول منه
وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم
يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اريكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم
او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة
والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن
الله خزائن رزقه وامواله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول انا اعلم الغيب
حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني
يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم
ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله اعلم
بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى اذا عابه قلبت تاؤه
دالا لتجانس الزاء في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية بما
عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا
فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان
مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه
ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان
يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول
لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا
من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان
يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه
ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع
وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من
قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع
الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ

والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فلا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع
العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه
ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته وكانوا يضحكون
منه ويقولون صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا
والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب
الغرق ويحل عليه وينزل عليه او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب
النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام
وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة
في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا
احمل فيها في السفينة من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون
اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنفين ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين
او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة
فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته
المسلمة وبنوه الثلثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي انه
اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلثين وجعل لها
ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي
صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من
الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى
للوقت او المكان او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا
ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة
والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء روي انه كان اذا اراد
ان تجري قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي و
عاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جري وقرئ مرساها ايضا من رسى وكلاهما يحتمل الثلثة ومجريها ومرسيها
بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف
دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع
من الماء عند اضطرابه كل موج منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء
والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل

فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته
وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة
في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او
عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على
ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة
وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة
واختلف الرواية عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما
ولا تكن مع الكافرين في الدين والاعتزال قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم
اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله تعالى وهم المؤمنون رد بذلك
ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعتصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم
بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج
بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي
ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما له
لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من
اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص من غاضه اذا انقصه وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين
وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي
انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار ذلك سنة وقيل بعدا للقوم
الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك
وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي
عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن
ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى
نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فان النداء وان وعدك الحق وان
كل وعد تنجزه حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون
هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم
على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمن
والكافر واليه اشار بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته
ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل

على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون
اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به
اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء
يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ
ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون
لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان
من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية
الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل
بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والند
ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات و
الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون
والاصم والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن
الله وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير
باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم
الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف و
تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتأمل
وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول
الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول
عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده
ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك
بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار
مثل الاسم كالاكبر او اراذل جمع ارذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو او اول الرأي من البدء والياء
مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث
بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان
الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق
المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين
قال يا قوم ارأيتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة

فاسر باهلك اي بينتك وامرأتك بقطع من
الليل ولا يلتفت اي لا يتخلف منكم احد الا امرأتك
بالرفع بدل من احد وبالنصب استثناء من
الاهل لا من احد لانه يخرج فصيح لغة البدل
قيل على قراءة النصب الاستثناء من الاهل تناقض
في الاخبار لانه يلزم ان يكون امرأة لوط مسراة
وغير مسراة لثبوت القراءتين البدل والاستثناء
اجيب بان الامر بالاسراء امر من لوط بالنهي عن
الالتفات ... والعطف الجامع بينهما في سلك واحد
فالاستثناء اذن واقع عن اسراء مقيد بترك الالتفات
فهو كقولك يا قوم ابتوني راكبين الا زيدا فزيد مستثنى
عن الاتيان المقيد بالركوب لا عن اتيان مطلق حتى انه
لو اتاك راجلا لا يناقض الاستثناء فكذا امرأة
لوط مستثنى من الاسراء المقيد بترك الالتفات لا
عن الاسراء المطلق فلا يناقض الاسراء بالتخلف
يعني لا تسري امرأتك مع اهلك
منه

البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها يوجب
خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص
فعميت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها
ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل
ويا قوم لا اسألكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المأمول منه
وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم انهم ملاقو ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم
يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم
او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة
والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن
الله خزائن رزقه وامواله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول انا اعلم الغيب
حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني
يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم
ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله اعلم
بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى اذا عابه قلبت تاؤه
دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية بما
عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا
فاطلته او اتيت بانواعه فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان
مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه
ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان
يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول
لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا
من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان
يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه
ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع
وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من
قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع
الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ

الفاسد بغير الصالح سفر لها بالمناقضة بين وصفيهما وانتفى ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه
وقرا الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب
هو ام ليس كذلك وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجازه في شان ولده او استفسار
المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثناء
من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه
الامر عليه وقرا ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان
اصلها تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة
واثبتها نافع برواية ورش في الوصل قال رب اني اعوذ بك ان اسألك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما
علم لي بصحته والا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين
اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات
عليك ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد
وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم
ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب
اليم في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل
بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبر
ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال
من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمها اذ
لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر
نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف
على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على
المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان
اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل رسول قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة
بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ ويا قوم استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان
بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم
بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين

سنين فوعدهم هود عم على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا
تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط
عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين
عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول
الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك
عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني
اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء
بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا
عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم
وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من اضراره
انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه
بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله
ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غايتكم وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واني بكلاءته وهو مالكي
ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها
اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم
اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به
اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف
ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف
على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كأنه قيل وان تتولوا يعذرني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم
شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن
مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين
آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت
تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فيقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض
بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة
باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا
رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد
يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا وعندا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان

وما نجيتهم والى عوا من دعاهم الى الكفر وما بعدهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اى جعلت
اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمة او كفروا به فحذف الجار
الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما
كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم
عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف
التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم
بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة
عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا
مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور او ان توافقنا في
الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية
واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد
المجازي من اراب في الامر قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار
المخاطبين وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن
الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله والتعرض
لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على
الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تأكل في ارض الله ترعى
نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا
وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة
ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه
سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له اني بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد
غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي
يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وعن نافع والكسائي
يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ ان ربك
هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق
تفسير ذلك في سورة الاعراف كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم وقرأ حمزة وحفص ان ثمود هنا وفي
الفرقان والعنكبوت بفتح الدال من غير تنوين ووافقهما ابو بكر هنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير

وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الى الاب الاكبر ولقد جاءت
رسلنا ابراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة
الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما
قال سلام اي امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي
سلم وكذلك في والذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ
فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه والجار في ان او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف
وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال كقوله بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون
اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس
الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم
بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا نأكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة فضحكت سرورا
بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل
بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ولم يعد حقاها ثديها ان يحلما ومنه ضحكت السمرة
اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره
ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق
وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف
اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا يكون اضافته الى اسحق
ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في
البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون
منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ
بالياء على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة
او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ
او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة
ولذلك قالوا أتعجبين من امر الله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل
بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت
وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها
العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابراهيم الروع ما اوجس
من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته

ابراهيم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب
بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه
مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب
والتأسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط
رحمته يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى
قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك
ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤوا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم
قومه فيعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي سيء وسيئت باشمام السين الضم وفي العنكبوت والملك
والباقون باخلاص حركة السين وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز
عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون
اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش
فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤوا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى
هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع
طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذاك اهون منه او اظهار الشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل
المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم
وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال
وهن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو لا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن
عليهم ولا تخزون ولا تفضحون من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شأنهم فان اخزاء ضيف
الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من
حق حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي الى ركن
شديد الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي عليه السلام رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد
وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي
انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط
انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب
جبرئيل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع
من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم
احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط الا امرأتك استثناء من قوله فاسر باهلك

فادا اكار ذلك فارتقبوا عذاب قوم لوط ان يرسل الله عليهم حجارة من سجيل

باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف
فانه ان فسر بالنظر الى وراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد
ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه
فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله
ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات
بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريق الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء
منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه
العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه
جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي
ان جبرئيل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة
ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك گل
فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل
اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت نونه لاما منضود نضد معدا لعذابهم او نضد
في الارسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة
ببياض وحمرة او بسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد
فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سأل جبرئيل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من
ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها
في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابراهيم
عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان
امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اريكم بخير
بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم
عليه وهو في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط
بثمره والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا
المكيال والميزان صرح بالامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم
السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها بالقسط بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو
مندوب غير مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار
او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد

بالبخس المكس كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وبابقي الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح
كما فعله الخضر صلوات الله عليه وسلامه وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم بقية الله ما ابقاه
لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها
باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله
والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن
القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم
نعمة الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاصنام اجابوا به
امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك
اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ
حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلواتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر
بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء
فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم
والدنانير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه
واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي
اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما آتاه من المال الحلال وجواب
الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه
واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله اي من
عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي وما اريد ان آتي ما انهاكم عنه
لاستبد به فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو
مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامري
بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه
الاجوبة الثلثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلثة
اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم
عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته فحذف المضاف وما توفيقي
الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه
عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ
واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق

الحق فيما يأتيه ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار
الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي
ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي
جرم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي الى مفعول والاول
افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان
نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم
او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد
ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم
ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ
المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب
التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه
او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا
لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا
على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط
من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك
عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان
الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه
وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون علي لله وتبقون علي لرهطي
وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون
محيط فلا يخفى عليه منها شيء فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق
مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها
هنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه
لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب
والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه
كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب
كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما
ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد

وذلك وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم
جبرئيل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها
الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين
كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر
لها والبعد مصدر للمكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتوراة او المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة او العصا
وافرادها بالذكر لانها ابهرها وقد يجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا
في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع
والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق
المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له
ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح
يقدم قومه يوم القيامة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في
تحققه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد
الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من كان هذا عاقبته لم يكن في امره رشد
او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مامون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي يلعنون في الدنيا
والآخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم
محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك اي ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص
عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة
وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان
عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من
دون الله من شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل
ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى
اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت
مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة
العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم
الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عظته لعلمه بان ما حاق بهم انموذج
مما اعد الله للمجرمين في الآخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانها من اله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء
فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت

انتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها وذلك اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه
يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان
الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة
وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول
به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لابطل الغرض
من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة
متناهية على حذف المضاف واراد منتهى التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم ياتي اي
الجزاء او اليوم كقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم
الله ونحوه وقرا ابن عامر وحمزة وعاصم ياتي بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم
بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف
الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر او الماذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة
فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر
لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق
الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم
وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ
شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامها فان النصوص
دالة على تابيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به
عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا
من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم
المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان
اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن
عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من
الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء
لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن
الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدا معين ينتقص باعتبار الابتداء كما ينتقص باعتبار الانتهاء
وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا

لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم متحققة في قسمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع
من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة
وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من
العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان
الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا
في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا
التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل
الا ههنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا اخر
لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان
الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين
الثواب والعقاب بالتابيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سُعِدوا على البناء للمفعول من سعده
الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك
بعد ما انزل اليك من مآل امر الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل
ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع
ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم سواء في الشرك
اي ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من
ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل
عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه
غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي
بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب موقع للريبة
وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر
بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس
وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لمّا بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام
فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لمّاً بالتنوين اي جميعا
كقوله اكلا لما وان كلٌّ لمّا على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي

فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة مثل
ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا عن الطرفين
والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق
ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه السلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وآمن
معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد
لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من
غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو
الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما
كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل
الآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول عليه السلام ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة
التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او على غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا
فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتُركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون
العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره
اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما تبين ان الله معذبهم
وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على
الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة
الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوة من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال
عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى
وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي
سبب النزول ان رجلا اتى النبي عليه السلام فقال اني قد اصبت من امرأة غير اني لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم
فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين
عدول عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون
الاخلاص فلولا فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من الرأي والعقل او اولوا فضل وانما سمي بقية لان الرجل
يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوو
ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بُقْيَة وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد
في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء
من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء

ذلك وكانوا مجرمين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم
فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى
فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اي واتبعوا
جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهور ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا او تباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته
في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم
ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان
من كل واحد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين
يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه
ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى
الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين
لا من احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه
على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول
وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل
وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده
وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون
ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله
فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقرا نافع وحفص وابن عامر هنا وفي آخر النمل يرجع على البناء للمفعول فاعبده وتوكل
عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت
وهم فيجازي كلا ما يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله

سورة يوسف مكية وآيها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الآيات
آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا
اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة
يوسف انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض
وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا

وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه
مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص
معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما
يقص لاشتماله على العجائب والحكم والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه
بما اوحينا بايحائنا اليك هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر
وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان
هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب
باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع
بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وعنه
عليه السلام الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض
عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها
لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف
وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ يا ابت بالضم اجراء لها مجرى الاسماء
المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف
الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا
والشمس والقمر روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله عليه السلام فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن
يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال
وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر
نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم
التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او
لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة وقرا حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء لا تقصص رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته
فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التانيث كالقربة
والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس
بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فيتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني
الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت
شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير

والا احتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به تأكيدا ولذلك اكد بالمصدر
وعلله بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يألوا جهدا في تسويلهم واثارة
الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك
ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج
عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تأويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة
واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تأويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات
الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة
وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة
وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل
هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء كما ينبغي
لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله تعالى وحكمته او علامات نبوتك للسائلين لمن سأل
عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وربالون ويشجر ودينة من بنت
خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم
يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين
وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد
وما فوقه والمذكر والمؤنث بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال
انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور
تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من
المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض
له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا وقيل انما قاله شمعون
او دان ورضي به الآخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت
كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم
الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده من بعد يوسف او الفراغ
من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه
او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل
لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب في قعره سمي بها لغيبوبته عن اعين الناظرين وقرأ نافع في غيابات
على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الذين

يحزنه فاذا صاروا الى الماضي قالوا احزنه وهذا شاذ لانه استعمل احزن واهمل يحزن واستعمل يحزن واهمل حزن

الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا
يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله
عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ
ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحراء نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة
وهي الخصب ونلعب بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر
والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع بكسر العين
ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه
واخاف ان ياكله الذئب لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره
وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية قالون وفي رواية اليزيدي وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا
واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم
بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى
عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت
المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به
ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال
يهوذا اما عاهدتموني فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء
فسقط ثم آوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل
كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القي في
النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في
تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف
لعلو شأنك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيآت وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا
عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل
باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاءوا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير
عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم
يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال
والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك
بنا وفرط محبتك ليوسف وجاءوا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر
للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاءوا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج

غش على اظفار الاصداف فيه بالدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على
الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فاخذه والقاه على
وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك
قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اي
فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والله المستعان على ما تصفون
على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون
من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيه فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي
لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى
هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كأنه قال تعالي فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه
وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وقرئ يا بشري بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف واسروه
اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف
وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا
ابق منا فاشتروه وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه
من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه
وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة
قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه
في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم
فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق فيه
متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق
الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير
وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة
بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال
الآباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان و
هو ابن ثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون
دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا لامرأته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه
عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا
نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره

استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه
في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف
فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه
فينفذها او تعبير المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه
والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوته شيئا واراد الله غيره
فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده
منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما
حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه
تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت
ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد
للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل
بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بضم التاء وفتح الهاء تشبيها له بحيث ونافع
وابن عامر برواية ابن ذكوان بالفتح وكسر الهاء من غير همز وهي لغة فيه وقرأ هشام كذلك الا انه يهمز وقد قرئ
هئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وقرئ هيئت وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه اي
ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله
وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجاوزون الحق
وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها
والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة
الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف
نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان رأى برهان ربه في قبح
الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات
الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا
على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك
التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين
الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن اي الذين
اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتداء
وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد

قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها لدى الباب وصادفا زوجها لدى الباب قالت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها
وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني
عن نفسي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد
شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي عم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها لتكون الزم عليها
ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع
عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه
يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها
شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت
الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق وقرئ من قبل
ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين
فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من
كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق
بالقلب واشد تأثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف
حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت
من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امرأة
وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة
نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والخباز والسجان وصاحب الدواب امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة
غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف
قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا
هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن
باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن
سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن
عليه من الوسائد وآتت كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن
عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين
امرأة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهي

عنه قال فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين
وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه
ومتكأ من تكئ يتكأ اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي عم
رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من
اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من
شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن
ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على
خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذف الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب
الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا
لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار
في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها
في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال
الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر لا يفوقه فيه الا الملك
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه في الافتتان به قبل ان تتصورنه حق
تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها
على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره اي ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير
ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر
بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف
وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني
اليه اي آثر عندي من مؤاتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه
واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن
وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول
الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر والا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب
ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى جانبهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى
شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة
وهي الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين

لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف
فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه
هو السميع لدعاء الملتجئ اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله
من بعد ما راوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه
عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون
منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطبت العزيز على التعظيم
او العزيز ومن يليه وعتى بلغه مدة ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران
من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني في المنام وهي
حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا
تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تاويل الرؤيا او من العالمين
وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا
بتاويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله اي بتاويل ما قصصتما علي
او بتاويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما
الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء في
الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان
ياتيكما ذلكما اي ذلك التاويل مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت ملة
قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك
واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب وكلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة
لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه
وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله
من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا
لارشادهم وتنبيههم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا ينتبهون
او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها
فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع
كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ارباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد
بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما
من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم

اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم
سميتم ما لم يدل على استحقاق الالوهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها
ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك
لامره امر على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون
المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق
الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات
واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا
يرتضيه العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي
ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يعني الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا فقال
قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان
استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان
ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر
حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر
لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عم رحم الله اخي
يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد
وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث
الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه راى الملك
سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات
خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها
وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف
السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء
لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين
بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت
الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف
فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمين تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا
قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات
وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء

دأب في عمله جد وتعب وبابه قطع وخضع فهو دائب بالالف لا غير
والدأب بالتسكين العادة والشأن وقد يحرك

تخلط وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تأويل عندنا
وانما التأويل للمنامات الصادقة وكأنه مقدمة ثانية للعذر بجهلهم بتأويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن
وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ إمة بكسر الهمزة وهي النعمة
اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يأمه امها اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول انا انبئكم
بتأويله فارسلون الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجاء فقال يا يوسف
وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه
افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع
الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها او فضلك
ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون
سبع سنين دأبا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدأبون
دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر
مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله كيلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا
مما تأكلون في تلك السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن اي يأكل اهلهن ما ادخرتم
لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتي
من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون
ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي
وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا
او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان
والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين
المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع
على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع
الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله لتظهر
براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في
نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلعم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال
فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته
مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم
كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن

لهن ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه
له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق
ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر
من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت
ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او هو غائب
عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده
او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته
ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم
الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان
النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات
الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن
رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير
ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر
للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه
لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة
ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل
على الملك قال اللهم اني اسألك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية
فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها
فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه
على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها
عذراء وولد له منها افرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ
لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها فلعله عم لما رأى انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما يعم فوائده
ويجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم
انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك
مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير
نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا

ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف
روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون
المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعهم اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق
معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض
الامر على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر
البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف
ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي
راوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم
اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة
الى اخرى وما يزف به المراة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا
عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء
اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة
قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا احد
من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت
شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط
عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين
لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي ولا تدخلوا دياري
وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك
لا نتوانى فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة
ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها
الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام
منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها
اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا
الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا
نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ
او يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم
على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حفظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم

ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا
في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها
في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا
ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نتزيد فيما حكينا لك من احسانه
وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه
بضاعتنا ردت الينا استئناف موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت
الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل
بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان
ان تكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا
استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز
ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام
يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى
تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله لتاتنني به جواب القسم
اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا
وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على
ان قوله لتاتنني به في تاويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت
اي ما اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل
رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال
وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله
لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس
آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عم في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل عين لامة وما اغني
عنكم من الله من شيء مما قضي عليكم بما اشير به عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضي
عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة
لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى
بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم راي يعقوب واتباعهم
له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله

ولتفاعلت العصبية على يعقوب إلا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع أي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته
عليهم وحرازته من أن يعانوا قضاها أظهرها ووصى بها وإنه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك
قال وما أغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن أكثر الناس لا يعلمون سر القدر وأنه لا يغني عنه الحذر
ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه ضم إليه بنيامين على الطعام أو في المنزل روي أنه أضافهم
فأجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى فقال لو كان أخي يوسف حيا لجلس معي فأجلسه معه على مائدته ثم قال
لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك
الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال إني أنا أخوك فلا تبتئس فلا تحزن
افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل أخيه قيل كانت
مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال بها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ
وجعل على حذف جواب فلما تقديره أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن نادى مناد أيتها العير
إنكم لسارقون لعله لم يقله بأمر يوسف أو كان تعبئة السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل
معناه إنكم لسارقون يوسف من أبيه أو أإنكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الإبل التي عليها
الأحمال لأنها تعير أي تتردد فقيل لأصحابها كقوله يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير وأصلها فعل كسقف
فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون أي
شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من أفقدته
إذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ
من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وأنا به زعيم كفيل أؤديه إلى من رده وفيه دليل
على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة
باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم لما عرف منهم
في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط أمانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب
لئلا تتناول زرعا أو طعاما لأحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق أو السرق أو الصواع على حذف المضاف
إن كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه أي جزاء سرقته أخذ من وجد
في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم وإلزام له أو خبر من والفاء
لتضمنها معنى الشرط أو جواب لها على أنها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على إقامة الظاهر فيها مقام الضمير
كأنه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ بأوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل
يوسف لأنهم ردوا إلى مصر قبل وعاء أخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها أي السقاية أو الصواع لأنه
يذكر ويؤنث من وعاء أخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بأن علمناه

إياه وأوحينا إليه ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ملك مصر لأن دينه الضرب
وتغريم ضعف ما أخذ دون الاسترقاق وهو بيان الكيد إلا أن يشاء الله أن يجعل ذلك الحكم
حكم الملك فالاستثناء من أعم الأحوال ويجوز أن يكون منقطعا أي لكن أخذه بمشيئة الله وإذنه
نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم أرفع درجة منه واحتج به من زعم أنه
تعالى عالم بذاته إذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو أعلم منه والجواب أن المراد كل ذي علم من الخلق
لأن الكلام فيهم ولأن العليم هو الله سبحانه ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولأنه لا فرق بينه وبين قولنا
فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا إن يسرق بنيامين فقد سرق أخ له من قبل يعنون
يوسف قيل ورثت عمته من أبيها منطقة إبراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب أراد يعقوب
انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم أظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت
أحق به في حكمهم وقيل كان لأبي أمه صنم فسرقه وكسره وألقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق أو دجاجة
فأعطى السائل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم أكنها ولم يظهرها لهم والضمير للإجابة أو المقالة أو نسبة السرقة
إليه وقيل إنها كناية بشريطة التفسير ويفسرها قوله قال أنتم شر مكانا فإنه بدل من أسرها والمعنى
قال في نفسه أنتم شر مكانا أي منزلة في السرقة لسرقتكم أخاكم أو في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة أو الجملة
وفيه نظر إذ المفسر بالجملة لا يكون إلا ضمير الشأن والله أعلم بما تصفون وهو يعلم أن الأمر ليس كما تصفون قالوا
يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا في السن أو القدر ذكروا له حاله استعطافا فخذ أحدنا مكانه بدله فإن
أباه ثكلان على أخيه الهالك مستأنس به إنا نراك من المحسنين إلينا فأتمم إحسانك أو من المتعودين
بالإحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده فإن أخذ غيره ظلم
على فتواكم فلو أخذنا أحدكم مكانه إنا إذا لظالمون في مذهبكم هذا وإن مراده أن الله أذن في
أخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو أخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه
يئسوا من يوسف وإجابته إياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين
وإنما وحده لأنه مصدر أو بزنته كما قيل هم صديق وجمعه أنجية كندي وأندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل أو في
الرأي وهو شمعون وقيل يهوذا ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وإنما
جعل حلفهم بالله موثقا منه لأنه بإذن منه وتأكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في
شأنه وما مزيدة ويجوز أن تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل
بين العاطف والمعطوف بالظرف أو على اسم أن وخبره في يوسف أو من قبل أو الرفع بالابتداء والخبر
من قبل وفيه نظر لأن قبل إذا كان خبرا أو صلة لا يقطع عن الإضافة حتى لا ينقص وأن تكون موصولة أي
ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حق يوسف من الخيانة ومحله ما تقدم فلن أبرح الأرض فلن أفارق أرض مصر حتى يأذن لي أبي

ن الرجوع اليه او يحكم الله لي او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه
روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل
ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب
احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب وهو خير
الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شهدنا من
ظاهر الامر وقرئ سُرِّق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان رأينا ان الصواع استخرج
من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري انه سرق او سُرِّق ودس الصاع في رحله
او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف
واسأل القرية التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم
عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تأكيد في محل القسم
قال بل سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم
انفسكم امرا اردتموه فقدرتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر
جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو
العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على
يوسف يا اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما
تأسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزءه كان قاعدة المصيبات وكان غضا
آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله
وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع
وقال يا اسفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف
بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل
تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلعم على ولده ابراهيم وقال القلب
يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على
اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه
او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله
تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه
لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا
على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر

بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما
اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني
وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه ما لا تعلمون او من الله
بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال
هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا
من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون بالله وصفاته فان المؤمن لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز
بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة
ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان وقيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا
وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتمم لنا الكيل وتصدق علينا
برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة
تعم الانبياء او تختص بنبينا عليه السلام ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا
ومنه قوله عم في القصر هي صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله قال
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى
كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك
نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه
كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما
جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف
استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقرئ ابن كثير وقالون على الايجاب قيل عرفوه
بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه
الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي
وامي ذكره تعريفا لنفسه وتفخيما لشأنه وادخالا له في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة
انه من يتق اي من يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين
وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله
علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شأننا انا كنا مذنبين
بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش

لا إزالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب أو بالمقدر للجار
الواقع خبرًا للا تثريب والمعنى لا أثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الأيام أو بقوله يغفر الله لكم لأنه صفح عن جريمتهم
حينئذ واعترفوا بها وهو أرحم الراحمين فإنه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف أنهم
لما عرفوه أرسلوا إليه وقالوا إنك تدعونا بالبكرة والعشي إلى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال
إن أهل مصر كانوا ينظرون إليّ بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدًا بيع بعشرين درهمًا ما بلغ
ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا أنكم إخوتي وأني من حفدة إبراهيم عم اذهبوا بقميصي هذا القميص
الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فألقوه على وجه أبي يأت بصيرًا يرجع بصيرًا أي يصير بصيرًا
أو يأت إليّ وهو بصير وأتوني أنتم وأبي بأهلكم أجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت
من عمرانها قال أبوهم لمن حضره إني لأجد ريح يوسف أوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين أقبل
إليه يهوذا من ثمانين فرسخًا لولا أن تفندون تنسبوني إلى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك
لا يقال عجوز مفندة لأن نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني أو لقلت إنه قريب
قالوا أي الحاضرون تالله إنك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدمًا بالإفراط في محبة يوسف والإكثار
ذكره والتوقع للقائه فلما أن جاء البشير يهوذا روي أنه قال كما أحزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم إليه فأفرحه
بحمل هذا إليه ألقاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو يعقوب نفسه فارتد بصيرًا عاد بصيرًا
لما انتعش فيه من القوة قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف وإنزال الفرج وقيل
إني أعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله أو إني لأجد ريح يوسف قالوا يا أبانا استغفر لنا
ذنوبنا إنا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأل له المغفرة قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو
الغفور الرحيم أخره إلى السحر أو إلى صلاة الليل أو إلى ليلة الجمعة تحريًا لوقت الإجابة أو إلى أن يستحل لهم
من يوسف أو يعلم أنه عفا عنهم فإن عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي أنه استقبل القبلة قائمًا يدعو
وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك
وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو إن صح فدليل على نبوتهم وأن ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على
يوسف روي أنه وجه إليه رواحل وأموالًا ليتجهز إليه بمن معه واستقبله يوسف والملك بأهل مصر وكان
أولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلًا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة ألف
وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلًا سوى الذرية والهرمى آوى إليه أبويه ضم إليه أباه وخالته واعتنقهما نزلها
منزلة الأم تنزيل العم منزلة الأب في قوله وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أو لأن يعقوب تزوجها بعد أمه
والرابة تدعى أمًا وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين من القحط وأصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول
المكيف بالأمن والدخول الأول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا

تحية وتكرمة له فإن السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لأجله سجدة لله شكرًا وقيل الضمير لله والواو لأبويه وإخوته
والرفع مؤخر عن الخرور وإن قدم لفظًا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل رأيتها
أيام الصبي قد جعلها ربي حقًا صدقًا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبًا عليهم
وجاء بكم من البدو من البادية لأنهم كانوا أصحاب المواشي وأهل البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي
أفسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة إذا نخسها وحملها على الجري إن ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير
له إذ ما من صعب إلا وينفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها إنه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء
في وقته على وجه يقتضي الحكمة روي أن يوسف طاف بأبيه في خزائنه فلما أدخله خزانة القراطيس قال يا بني ما أعقك
عندك هذه القراطيس وما كتبت إليّ على ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال أوما تسأله قال أنت أبسط مني إليه
فسأله قال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد آتيتني من
الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تأويل الأحاديث الكتب أو الرؤيا ومن أيضًا للتبعيض
لأنه لم يؤت كل التأويل فاطر السموات والأرض مبدعهما وانتصابه على أنه صفة المنادى أو منادى برأسه أنت
وليي ناصري أو متولي أمري في الدنيا والآخرة أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلمًا اقبضني وألحقني بالصالحين
من آبائي أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي أن يعقوب أقام معه أربعًا وعشرين سنة ثم توفي
وأوصى أن يدفن بالشام على جنب أبيه فذهب ودفنه ثمة ثم عاد وعاش بعده ثلاثًا وعشرين سنة ثم
تاقت نفسه إلى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبًا طاهرًا فتخاصم أهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال
فرأوا أن يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا شرعًا
فيه ثم نقله موسى إلى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا
وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة أيوب ذلك إشارة إلى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدأ
من أنباء الغيب نوحيه إليك خبران له وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى
أن هذا النبأ غيب لم تعرفه إلا بالوحي لأنك لم تحضر إخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من أن
يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبأبيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك أنك ما لقيت
أحدًا سمع ذلك فتعلمته منه وإنما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها
أنت ولا قومك من قبل هذا وما أكثر الناس ولو حرصت على إيمانهم وبالغت في إظهار الآيات عليهم بمؤمنين
لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الأنباء أو القرآن من أجر من جعل كما يفعله حملة الأخبار إن
هو إلا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكأين من آية وكم من آية والمعنى وكأي عدد شئت من الدلائل
الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والأرض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها
وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والأرض بالرفع على أنه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها

ضمير في عليها وبالنصب على ويطئون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشيهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعو او على بصيرة لانه حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء يوحى اليهم كما اوحى اليك ويميزوا بذلك من غيرهم وقرا حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا يعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيئس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرا غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان ينجيهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان للمتشائين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبراة من شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من

امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلعم علموا ارقاكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما والله اعلم

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وآيها خمس واربعون والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن والذي انزل اليك من ربك هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسى الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك

تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث
انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار
والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل
بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم
وهو لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة
وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص
قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق
قوله يدبر الامر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب
قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والايات المعدودة كما هي
دالة على وجود المبدا فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال قدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته
ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه ائنا لفي خلق جديد
اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى
خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص
الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب
الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا
حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال
للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء
العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الثاء على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو
قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة
بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي عم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احدا
العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه لعدم اعتدادهم
بالايات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك
الا الاتيان بما يصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس
ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من
يشاء هدايته بما ينزل من الايات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها
على انه قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما

وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله على اي حال
هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد
واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين
وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي
اخبرني شيخ باليمن ان امراته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض
جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية
واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه
كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيا له اسبابا مسوقة اليه تقتضي
ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشان الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال
المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن
جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبا وسارب بالنهار بارز يراه كل احد من سرب سروبا
اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال
سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له لمن اسر
او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على
عقبه مبالغة عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء
في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب ومعقبة على تعويض الياء
من حذف احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله
من باسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل
امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة
حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم
من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب
وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم البرق
خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التاويل بالاخافة
والاطماع او الحال من البرق او من المخاطبين على اضمار ذو او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل
للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع
ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه حامدين ملتبسين به فيضجون بسبحان
الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس



رهبة سئل النبي عم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة
من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون
في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم
والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان
عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلعم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه
ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا
بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال
المماحلة والمكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة
ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده
انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة
كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون
غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل
واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء
اليه دعوة والمراد بالجملتين ان كانت الآية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة
لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله بحلول محاله بهم
وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رايهم والذين يدعون اي والاصنام الذين
يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه
عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ
فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه
وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه
وقرئ تدعون بالتاء وكباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من
في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين
طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حالة الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم
لاحداث ما اراده منهم شاؤوا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها
بالحال او العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين
لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب
وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما

خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او
لقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون على ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر
عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى
والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع
على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء
بل جعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم
والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة
كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر
عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها
ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد القهار اي المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء
من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منه فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي
يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع بقدرها
بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رابيا رفعه والزبد وضر الغليان
رابيا عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا
لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلي او متاع كالاواني والآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها
زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او التبعيض وقرا حمزة والكسائي
وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه
مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع
المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى و
الآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة
نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء يجفاء اي يرمي به السيل والفلز المذاب
وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع به
اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى
والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما
وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدا لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب

الرجل بذنبه ولا يغفر منه شيء ومأواهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف أفمن يعلم
أنما أنزل إليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو أعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لإنكار أن تقع شبهة
في تشابههما بعد ما ضرب من المثل إنما يتذكر أولوا الألباب ذوو العقول المبرأة من مشايعة الإلف ومعارضة
الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى أو ما عهد الله تعالى
عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين
يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء ويندرج في ذلك مراعاة
جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن
يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء أو سمعة ونحوهما وأقاموا
الصلوة المفروضة وأنفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف
ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الإساءة بالإحسان أو يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها أولئك
لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات إن رفعت بالابتداء
وإن جعلت صفات لأولي الألباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى
الدار أو مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الإقامة أي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن
صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وإنما ساغ للفصل بالضمير الآخر أو مفعول
معه والمعنى أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على أن
الدرجة تعلو بالشفاعة وأن الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة
في دخول الجنة زيادة في أنسهم وفي التقييد بالصلاح دلالة على أن مجرد الأنساب لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من
كل باب من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بما صبرتم بشارة بدوام
السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم أو بمحذوف أي هذا بما صبرتم لا بسلام فإن الخبر فاصل والباء للسببية أو البدلية
فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فسكن العين بنقل كسرها إلى الفاء وبغيره والذين ينقضون
عهد الله يعني مقابلي الأولين من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول ويقطعون ما أمر الله به
أن يوصل ويفسدون في الأرض بالظلم وتهييج الفتن أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم أو سوء
عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا أي أهل مكة
بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة إلا متاع إلا متعة لا تدوم كعجالة
الراكب وزاد الراعي والمعنى أنهم أشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا
بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء
باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي إليه من أناب أقبل إلى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم

قولهم كأنه قال قل لهم ما أعظم عنادكم إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن
أنزلت كل آية ويهدي إليه من أناب بما جئت به بل بأدنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من أو خبر مبتدأ
محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله أنسا به واعتمادا عليه ورجاء منه أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته أو
بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته أو بكلامه يعني القرآن الذي هو أقوى المعجزات ألا بذكر الله تطمئن القلوب
تسكن إليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها
مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك
مثل ذلك يعني إرسال الرسل قبلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم تقدمتها أمم أرسلوا إليهم فليس ببدع
إرسالك إليها لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي أوحيناه إليك وهم يكفرون بالرحمن
وحالهم أنهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي أحاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا
ما أنعم عليهم بإرسالك إليهم وإنزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في
مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن قل هو ربي أي الرحمن خالقي ومتولي أمري
لا إله إلا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم وإليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو أن قرآنا
سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن أو المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم أي
ولو أن كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها أو قطعت به الأرض تصدعت من خشية الله عند قراءته
أو شققت فجعلت أنهارا وعيونا أو كلم به الموتى فتقرأه أو فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لأنه
الغاية في الإعجاز والنهاية في التذكير والإنذار أو لما آمنوا به لقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية وقيل إن
قريشا قالوا يا محمد إن سرك أن نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع
أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام أو ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت
وعلى هذا فتقطيع الأرض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض
وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الأمر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو إضراب عما تضمنته لو من معنى
النفي أي بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم
ويؤيد ذلك قوله أفلم ييأس الذين آمنوا عن إيمانهم مع ما رأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم إلى أن معناه أفلم يعلم
لما روي أن عليا كرم الله وجهه وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قرأوا أفلم يتبين
وهو تفسيره وإنما استعمل اليأس بمعنى العلم لأنه مسبب عن العلم فإن الميؤوس عنه لا يكون إلا معلوما ولذلك
علقه بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فإن معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم
وهو على الأول متعلق بمحذوف تقديره أفلم ييأس الذين آمنوا عن إيمانهم علما منهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
أو بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الأعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم أو تحل قريبا من دارهم

فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله فانه عم
كان لا يزال يبعث السرايا فيغيرون حواليهم ويختطفون مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول عم فانه حل بجيشه
قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله اي الموت او القيامة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع
الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد
للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب
اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت
عنه شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف او عطف على كسبت ان جعل
ما مصدرية او لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم
تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ام تنبئونه
بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها
لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار
معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم
تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها حقا او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
وابن عامر وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من
هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الآخرة اشق لشدته
ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في
الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار
على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل
وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ
كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي
ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين
من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان
وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله
بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق
ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله
واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع
والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره

غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم
فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما
يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن
اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ
ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات
في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا امثالك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان
لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه الملي بذلك لكل اجل
كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه
ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق
به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات
ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو
اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت
الحال اريناك بعض ما اوعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك
فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها
من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه
قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك
كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل
في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر
جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها
وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله
بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول
الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي
ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام
واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب
منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز
ان يكون مبتدأ والظرف خبره وقرئ ومن عنده علم على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلعم من قرأ سورة

الرعد اعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اى هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال
الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج
او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب
لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه
ولا يخيب سابله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او خبر محذوف والذى
صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب
شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه
مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها
فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان
وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان فى صده مندوحة عن تكلف
التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول
بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك فى ضلال بعيد اى ضلوا عن
الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد فى الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذى به الضلال فوصف به لملابسته
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذى هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة
ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبى صلعم بانذار عشيرته
اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة
واضاعة فضل الاجتهاد فى تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما فى اتعاب القرائح وكد النفوس من القرب
المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل
الضمير فى قومه لمحمد عم وان الله تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبرئيل او كل نبى بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم
فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم ينزل لتبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدى
من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذى لا يضل ولا يهدى الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى
باياتنا يعنى اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اى اخرج لان فى الارسال
معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء فى الدلالة على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة وذكرهم
بايام الله بوقائعه التى وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان فى ذلك لآيات لكل
صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب

عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن
واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من آل فرعون اى اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز
ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها العطية دون الانعام
ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم احوال من آل فرعون
او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به فى سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل
ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفى ذلكم
من حيث انه باقدار الله اياهم وامهاله لهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء
والمراد بالبلاء النعمة واذ تأذن ربكم ايضا من كلام موسى وتأذن بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما فى التفعل
من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بنى اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح
لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابى لشديد فلعلى اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين
ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول تأذن على انه جرى مجرى قال لانه ضرب منه
وقال موسى ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا من الثقلين فان الله لغنى عن شكركم حميد مستحق للحمد فى
ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام
وعرضتموها للعذاب الشديد الم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدأ
من الله عز وجل والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله
ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم
رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ
او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه
او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها فى افواه
الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدى بمعنى الايادى اى ردوا ايادى الانبياء
التى هى مواعظهم وما اوحى اليهم من الحكم والشرائع فى افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها
الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفى شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ
تدعونا بالادغام مريب موقع فى الريبة او ذى ريبة وهى قلق النفس وان لا تطمئن الى الشئ قالت رسلهم افى الله شك
ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام فى المشكوك فيه لا فى الشك اى انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل
الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك
مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرنى على اقامة
المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جئ

بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت
في خطاب الكفار مرتبة على الإيمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي
ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم
الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس
افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم
لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا ما جاؤوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا
ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس
وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات
على بعض بمشيئته تعالى وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا
حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون في الصبر
على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا
الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ
ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم
مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من
توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون
احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز
ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فأوحى اليهم ربهم اي الى رسلهم لنهلكن
الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم
كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم
بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين
لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام
مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا اي سألوا من الله الفتح على اعدائهم
او القضاء بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى
والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر
عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله
معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورائه
جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته

وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى
ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه
وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به
فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول النفس ويأتيه الموت من كل مكان
اي اسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام
رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه اي ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت
عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل
نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم
ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اي
فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهو على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم
بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف
العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة
وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة
الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا على شيء لحبوطه
فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال
البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي عم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين
ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق
السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات
والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع
قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص
له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء
وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب
الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال
الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها
الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل
والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف
فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة

موضع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب
ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا
اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم
ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم
واغنيناه عنكم كما عرضتموه لكن سد دوننا طرق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا
الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل
ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي
انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون
سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء
من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم
وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف
منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها
بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء
منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم
حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها
ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم
بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرا حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض
في مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري
ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتكه وحذف
الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم
باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم
او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى
بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم واشرك
منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى
وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم
الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن

باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة
وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف
اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض
ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس
لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني
ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين اقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال
للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة
خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها
قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام
والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة
ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي
ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا في دينهم
كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم
في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة وروي انه عم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه
ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول ربي الله ونبيي محمد وديني الاسلام
فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل
الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا اي شكر نعمته
كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين
الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد عم
فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن
عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا
حتى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها
حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار وبئس المقر جهنم
وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح
الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة

الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب
لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب
لانهماكه فيه كالمامور به من آمر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم
المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا
يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن
امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في
محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف
لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا
وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر
وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك
به تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة
وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات
والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس
وهو مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر
لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة
لانتفاعكم وتنقلكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما
وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتاكم
من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض
ما في قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسأل وما يحتمل
ان تكون موصولة او موصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم
من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون ما نافية في موضع الحال اي وآتاكم من كل شيء
غير سائليه وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا من افرادها فانها غير متناهية
وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان
يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابراهيم
رب اجعل هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول
في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام
واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة

الانبياء بتوفيق الله اياهم وحفظه لهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا
الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا
حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن
واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك
عني في امر الدين ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل
على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض
ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع
يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه
الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله
قال باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عم فولدت منه اسمعيل
فغارت عليها فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمه
طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك
في البانها ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي
البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة
بالذات من اسكانهم ثمه والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم
الاقامة وسأل من الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة
الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة
ناس فقرئ آفاء وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت
اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد
تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ تهوى على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوي من هوى يهوي اذا
احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب
الله دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك
تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب
لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من
التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ الى الله وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في
السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اي وهب لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من الآية اسمعيل واسحق

قال الزمخشري على في قوله على الكبر بمعنى مع وهو في موضع الحال معناه

روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من
قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او الى فاعله على اسناد
السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس
عنه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب
في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعائي
واستجب دعائي او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل
اراد بهما آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق
او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه
معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم
انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول
ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على
الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم
وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اي لا رأي فيه ولا قوة
قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني
يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب
ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر
آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء
بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا
وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا
لا يزولون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه
كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم
من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا
وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند
الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في

العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان
الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال
الراسية ثباتا من آيات الله وشرائعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هي الفاصلة
ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف
وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول
الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف
رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض
بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل
ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات
كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما
اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما وعن علي كرم الله وجهه تبدل
ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ
عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة
انه عم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم
على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الله ان يجعل الارض جهنم
والسموات الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من
اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة
كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره
ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا
النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت
ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال ويحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد
متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل ابقى صفادا
يعض بساعد وبعظم ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب
من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة
يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع
اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان
يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام

وعن يعقوب قطرٍ آنٍ والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية من المجرمين او حال
وتغشى وجوههم النار اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم
التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي
بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك
ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم
علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله
حساب عن حساب هذا اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا
تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا
بهذا البلاغ فيكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح الياء
من نذر به اذا علم به واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه وليذكر اولوا الالباب
فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال
الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم للقوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو
التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما وعن النبي عم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن
وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرأ
نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف
وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان
المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر
فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا
اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك
والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم و
يلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون
سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان
نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام الحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا
من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل

ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت
عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون اي وما يستأخرون
عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم
على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قوله انك لمجنون ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي القرآن لوما
تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين لامتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة
ليصدق قولك ويعضدك على الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا
لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة بالياء اسند الى ضمير
اسم الله وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول مع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل
الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تاتيكم بصور تشاهدونها
فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان
وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما
كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله
وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى
تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل
الضمير في له للنبي عم ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق
ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبانا رجالا فيهم
وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عم
وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك
نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير
للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله لا يؤمنون به له وهو حال
من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان
للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين
ان يكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول
بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من
كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا
فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة

وتشككهم

وهم يشاهدونه لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار
بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن
قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على
البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة
الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات البهية
للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان
رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق
السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات
لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم
منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء
منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار
ساطعة وقد يطلق للكواكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي
جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون بمقدار معين تقتضيه حكمة او مستحسن
مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش
تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف
على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا
فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معين مختلفة
الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على
كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه
ويعبدوه ثم بالغ في ذلك فقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده
وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة
التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به
المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص
حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه
ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر او السحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح
وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا

وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران
والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات
على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن
نحيي بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحياة بما يعم الحيوان والنبات
وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين
منكم ولقد علمنا المستأخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من اصلاب الرجال
ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تأخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم
وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت
تصلي خلف رسول الله عليه السلام فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو
يحشرهم جميعا لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق
الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح
بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال طين
يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حمإ طين تغير واسود
من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حمإ مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب
ليبس اي يتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كأنه افرغ الحمأ فصور منها تمثال
انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه
او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان
ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان
من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه
من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة
في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء
الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم
من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه
على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك
واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته عدلت خلقته
وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح

في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة
الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح
الى نفسه لما مر في النساء فقعوا له ساجدين امر من وقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين
للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين
دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان
يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سائل قال هلا
سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لآدم قال لم اكن لاسجد
واللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد وانا ملك روحاني لطيف لبشر جسماني كثيف
خلقته من صلصال من حما مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص آدم
باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها من السماء او الجنة او
زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو
وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد
اللعن لانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين
بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسي
اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك
رجيم الى يوم يبعثون اراد بذلك ان يجد فسحة في الاغواء او نجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى
الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض
الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلثة يوم القيمة واختلاف العبارات
لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع
التكليف والياس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت
فلعله يموت اول اليوم ويبعث مع الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل
على منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم
وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا
التي هي دار الغرور الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة
الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله
له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر
ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك

ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين
الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب بالكسر
في كل القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة
الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول
الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من
اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم
وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عبادك
فان منتهى تزيينه التحريض والتلبيس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى
هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه
الى تناقض الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال
فيها والموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف فالعامل فيه معنى الاضافة وان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة
ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم
السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات
ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له
اعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس
والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على
الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم
لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفر في جنات و
عيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منها كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون
فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم العين حيث وقع
والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين
بسلام سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفة والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في
الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي كرم الله وجهه ارجو ان اكون انا
وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير في جنات او فاعل
ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز
ان يكون صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى المتصافين وان يكون متقابلين حالا من المستتر
في على سرر لا يمسهم فيها نصب استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين

قنط كنصر وضرب وكرم قنوطا بالضم وكفرح قنطا وقناطة. قاموس

فان تمام التنويه بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق
من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها
وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم
على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا
سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل
والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من
واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة
نبشرك من البشر بغلام هو اسحاق لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني
الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم
تبشرون اي فباي اعجوبة تبشروني او فباي شيء تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير
شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها
مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق
بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره فلا تكن من القانطين
من الآيسين من ذلك فان الله تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز
عاقر وكان استعجاب ابراهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم
ايها المرسلون اي فما شأنكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة
لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم
بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤا بها قالوا انا ارسلنا الى
قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام
وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط
المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل
عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل
بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جوز ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم
وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة و
الكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر قدرنا هنا و
في النمل

وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون
قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه
الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون
تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكر
لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه وآتيناك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان
بلفظ بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل
في آخره قال افتحي الباب فانظري في النجوم كم علينا من قطع لحين لهم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم
وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه
ما اصابهم او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفسهم على المهاجرة
وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون
الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اي واوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم
تفسيره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على
الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء
او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون
باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه
واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان او ولا تخجلون
فيهم من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا
يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي
يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما
اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي عم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في
العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم
التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك
وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبرئيل مشرقين داخلين في
وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها سافلها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها فصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات
للمتوسمين المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى

لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسوله وان كان
اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه
فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة الملتفة المتكاثرة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة
وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما وكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح
ومطمر البناء واللوح لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل
فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام
يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة
وسقبها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام
ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم
الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام
الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية
فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم
وقيل هو منسوخ بآية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك
وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح
وفي مصحف عثمان رضي الله عنه وابي هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك
سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم
سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف
وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته
او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى
واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فيكون من للتبعيض والقرآن العظيم
ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع
فمن عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به
ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى
دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي
فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه السلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع
البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل

الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل
انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان
ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف
لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس
عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا
عليه السلام وقيل هي صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون
هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل
مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض
على ان القرآن ما يقرؤونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله وقوله لا تمدن الخ اعتراضا ممدا
لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء
وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله العاضهة والمستعضهة وانما جمع جمع السلامة
جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا
يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع
بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية
او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون
انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن
وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي عليه السلام
والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فأومأ الى ساق الوليد
فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومأ الى اخمص
العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدي فامتخط
قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه
بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة
امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء
بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما
يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه
امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى
فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له

من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد عم

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية والله أعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

أتى أمر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما أوعدهم الرسول من قيام الساعة وإهلاك الله إياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون إن صح ما يقوله فالأصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى أن الأمر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث إنه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فإنه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب أو على أن الخطاب للمؤمنين أو لهم ولغيرهم لما روي أنه لما نزلت أتى أمر الله فوثب النبي عم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي أو القرآن فإنه يحيي به القلوب الميتة بالجهل أو يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك إشارة إلى الطريق الذي به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وإزاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل من أنزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل وقرأ أبو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من أمره بأمره أو من أجله على من يشاء من عباده أن يتخذه رسولا أن أنذروا بأن أنذروا أي أعلموا من نذرت بكذا إذا علمته أنه لا إله إلا أنا فاتقون أن الشأن لا إله إلا أنا فاتقون أو خوفوا أهل الكفر والمعاصي بأنه لا إله إلا أنا وقوله فاتقون رجوع إلى مخاطبتهم بما هو المقصود وأن مفسرة لأن الروح بمعنى الوحي الدال على القول أو مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح أو النصب بنزع الخافض أو مخففة من الثقيلة والآية تدل على أن نزول الوحي بوساطة الملائكة وأن حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والأمر بالتقوى الذي هو أقصى كمالات القوة العملية وأن النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث إنها تدل على أنه تعالى هو الموجد لأصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والأرض بالحق أوجدهما على مقدار وشكل وأوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منها أو مما يفتقر في وجوده أو بقائه إليهما أو مما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على أنه تعالى ليس من قبيل الأجرام خلق الإنسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فإذا هو خصيم منطيق مجادل مبين للحجة أو خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي أن أبي بن خلف أتى النبي عم بعظم رميم وقال يا محمد أترى الله يحيي هذا بعدما قد رم فنزلت والأنعام الإبل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم أو بالعطف على الإنسان وخلقها لكم بيان ما خلق لأجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وإنما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تأكلون أي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والألبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي أو لأن الأكل منها

هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش وأما الأكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي أو التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها إلى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة إلى المرعى فإن الأفنية تتزين بها في الوقتين ويجل أهلها في أعين الناظرين إليها وتقديم الإراحة لأن الجمال فيها أظهر فإنها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوي إلى الحظائر حاضرة لأهلها وقرئ حينا على أن تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل أثقالكم أحمالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إن لم تكن الأنعام ولم تخلق فضلا عن أن تحملوها على ظهوركم إليه إلا بشق الأنفس إلا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الأمر عليه وأصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب إن ربكم لرؤوف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الأمر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الأنعام لتركبوها وزينة أي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لأن الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولأن المقصود من خلقها الركوب وأما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل أن يكون علة لتركبوها أو مصدرا في موقع الحال من أحد الضميرين أي متزينين أو متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه إذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا أن لا يقصد منه غيره أصلا ويدل عليه أن الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على أن الحمر الأهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج إليها غالبا احتياجا ضروريا أو غير ضروري أجمل غيرها ويجوز أن يكون إخبارا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به وأن يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل إلى الحق أو إقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا أو عليه قصد السبيل يصل إليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف إليها القصد وقال ومنها جائر مائل عن القصد أو عن الله وتغيير الأسلوب لأنه ليس بحق على الله أن يبين طرق الضلالة أو لأن المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل إلى القصد والجائر إنما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر أي عن القصد ولو شاء لهداكم أجمعين أي ولو شاء هدايتكم أجمعين لهداكم إلى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي أنزل من السماء من السحاب أو من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة أنزل أو خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لأن مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فأسكناه في الأرض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الأرض شجر قال يعلفها اللحم إذا عز الشجر والخيل في إطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية وأسامها صاحبها وأصلها السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ أبو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها إذ لم ينبت

في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف
الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون على
وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج
منها ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروق ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار
ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبايع مع اتحاد المواد ونسبة الطبايع السفلية والتأثيرات
الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل
الآية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من
الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه
وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان
سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص
مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر جمع لاختلاف النوع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء
والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون جمع الآية وذكر
العقل لانها تدل انواعا من الدلالة الظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات
وما ذرأ لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه
اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيئات
والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد
والغوص لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع
الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف لا يأكل
لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله
سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان
اي تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه
جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه
بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى
من باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض جبالا رواسي
ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية
بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت
الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها

عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد
ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم
او الى معرفة الله وعلامات معالم تستدل بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون
بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه انه قرئ وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل
الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين
بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص
كانه قيل وبالنجم خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق
كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلايل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من
مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان
حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات
العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجروها
مجرى اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه
قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك
فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها
فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء
ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها
لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقايدكم واعمالكم وهو
وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله اي والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ
ابو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء او قرأ عاصم ويعقوب يدعون بالياء لا يخلقون شيئا فانه
لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان
اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي
ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات لا تعتريهم الحياة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات
ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت
بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب
وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون
بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة
فان المؤمن بها يكون طالبا للدلايل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس
للانكار

وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار
عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين
لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل القائل
بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير
الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له
قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم
كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض وزر ضلال من يضلونهم
وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان
جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه
فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره
من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح
ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم
يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاءي اضاف الى نفسه
استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم وقرأ البزي بخلاف عنه اين شركاي بغير الهمزة والباقون
بالهمزة الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني
فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء او العلماء الذين كانوا يدعونهم الى
التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة
قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لانه يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء
وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد
فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر
وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد بالقول الدال على الاستسلام بلى اي فتجيبهم الملائكة
بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استيناف ورجوع الى
شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين
سوء واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها خالدين فيها
فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا
نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة وروي ان

ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي عم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا
واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الآخرة
خير اي ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا
وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر
مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون من انواع المشتهيات
وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل
هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي
لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم
بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين
تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون
ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك
القيامة او العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم
ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم
سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا
به يستهزءون واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء او منعا للبعثة والتكليف متمسكين
بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر
ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا
اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا
بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو انه لا يؤثر
في هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه
لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من
اراد اهتداءه وزيادة لضلال من اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقوي المنحرف
ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يامر بعبادة الله واجتناب
الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم
ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته
بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الآية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر

ورسلي فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد
على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة وقرأ
غير الكوفيين لا يُهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا
التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى
يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف
في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون
اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون
امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين
كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث
الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق
المواد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها
اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي هنا وفي يس فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر
والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر
بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله وهم
بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في
الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما تعجل لهم في الدنيا وعن عمر انه
كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا
وما ادخر لك في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين
خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا
على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون
منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش
قالوا الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة
الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسألوا
اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة
ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل

لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه السلام رأى جبريل عليه السلام على صورته
التي هو عليها مرتين وتدل على وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالبينات
والزبر اي ارسلناهم بالمعجزات والكتب كأنه جواب قائل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا
داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط
او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو
اليهم على ان قوله فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر
اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما
امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس
ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افأمن الذين مكروا السيئات اي
المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله وراموا صد اصحابه
عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من
جانب السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم
على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص شيئا بعد شيء
في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا
فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها
قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال
عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم
فان ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكار اي
قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة
مبهمة بيانها يتفيؤ ظلاله اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء
وابو عمرو تتفيؤ بالتاء عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة
من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله
وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام
سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه
ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها
او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من
التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة

منقادة لأفعال الله تعالى، وجمع داخرون بالواو لأن من جملتها من يعقل، أو لأن الدخور من أوصاف
العقلاء، وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لأن الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع
والسطوع، وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له، فإن الظلال في أول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع
الغربي من الأرض، وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الأرض ولله يسجد ما في السماوات
وما في الأرض أي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لإرادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وأمره طوعا ليصح إسناده
إلى عامة أهل السماوات والأرض، وقوله من دابة بيان لهما لأن الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كانت في أرض
أو سماء والملائكة عطف على المبين به عطف جبرائيل على الملائكة للتعظيم، أو عطف المجردات على الجسمانيات
وبه احتج من قال إن الملائكة أرواح مجردة، أو بيان لما في الأرض، والملائكة تكرير لما في السماوات وتعيين له
إجلالا وتعظيما، أو المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم، وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان
استعماله حيث اجتمع القبيلان أولى من إطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته
يخافون ربهم من فوقهم يخافونه أن يرسل عذابا من فوقهم، أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر
فوق عباده، والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون، أو بيان له وتقرير لأن من خاف الله لم يستكبر عن
عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير، وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون بين
الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن مساق
النهي إليه، أو إيماء بأن الاثنينية تنافي الإلهية كما ذكر الواحد في قوله إنما هو إله واحد للدلالة على أن المقصود إثبات
الوحدانية دون الإلهية، أو للتنبيه على أن الوحدة من لوازم الإلهية فإياي فارهبون نقل من الغيبة إلى التكلم
مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود، فكأنه قال فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غير وله ما في
السماوات والأرض خلقا وملكا وله الدين أي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من أنه الإله وحده والحقيق
بأن يرهب منه، وقيل واصبا من الوصب أي وله الدين ذا كلفة، وقيل الدين الجزاء أي وله الجزاء دائما لا ينقطع
ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر أفغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن
الله أي وأي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله، وما شرطية أو موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الإخبار
دون الحصول، فإن استقرار النعمة بهم يكون سببا للإخبار بأنها من الله لا لحصولها منه ثم إذا مسكم الضر
فإليه تجأرون فما تتضرعون إلا إليه، والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم إذا كشف الضر
عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره، هذا إذا كان الخطاب عاما،
فإن كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كأنه قال فإذا فريق وهم أنتم، ويجوز أن يكون من للتبعيض
على أن يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم
كفران النعمة أو إنكار كونها من الله تعالى فتمتعوا أمر تهديد فسوف تعلمون أغلظ الوعيد وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول

روى الأصمعي أن امرأة ولدت بنتا سمتها الذلفاء فهجرها زوجها فقالت:
ما لأبي الذلفاء لا يأتينا … يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا … ليس لنا من أمرنا ما شينا
وإنما نأخذ ما أعطينا

للمفعول عطفا على ليكفروا، وعلى هذا جاز أن يكون اللام لام الأمر الوارد للتهديد والفاء للجواب
ويجعلون لما لا يعلمون أي لآلهتهم التي لا علم لها لأنها جماد فيكون الضمير لما، أو التي لا يعلمونها فيعتقدون
فيها جهالات مثل أنها تنفعهم وتشفع لهم، على أن العائد إلى ما محذوف، أو لجهلهم على أن ما مصدرية، والمجعول له
محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزرع والأنعام تالله لتسألن عما كنتم تفترون من أنها آلهة
حقيقة بالتقرب إليها، وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة
بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم أو تعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين، ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء
والنصب بالعطف على البنات على أن الجعل بمعنى الاختيار، وهو وإن أفضى إلى أن يكون ضمير الفاعل والمفعول
لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف وإذا بشر أحدهم بالأنثى أخبر بولادتها ظل وجهه صار أو دام النهار
كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس، واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملوء غيظا
من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا أيمسكه محدثا
في نفسه متفكرا في أن يتركه على هون ذل أم يدسه في التراب أم يخفيه ويئده، وتذكير الضمير للفظ ما، وقرئ
بالتأنيث فيهما ألا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون
بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة إلى الولد المنادية بالموت، واستبقاء الذكور استظهارا
بهم، وكراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق ولله المثل الأعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق
والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الأرض، وإنما أضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة
عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم، وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم،
أو من دابة ظالمة، وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم لم يكن الأبناء ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى سماه لأعمارهم
أو لعذابهم كي يتوالدوا فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا أو عذبوا
لا محالة، ولا يلزم من عموم الناس وإضافة الظلم إليهم أن يكونوا كلهم ظالمين حتى الأنبياء عليهم السلام
لجواز أن يضاف إليهم ما شاع فيهم وصدر عن أكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون أي ما يكرهونه لأنفسهم
من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل وأراذل الأموال وتصف ألسنتهم الكذب مع ذلك
أن لهم الحسنى أي عند الله كقوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى، وقرئ الكذب جمع كذوب
صفة للألسنة لا جرم أن لهم النار رد لكلامهم وإثبات لضده وأنهم مفرطون مقدمون إلى النار من أفرطته
في طلب الماء إذا قدمته، وقرأ نافع بكسر الراء على أنه من الإفراط في المعاصي، وقرئ بالتشديد مفتوحا من
فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان
أعمالهم فأصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم أي في الدنيا، وعبر باليوم عن زمانها أو هو

وليهم حين كان يزين لهم اعمالهم او يوم القيمة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش
اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغرهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو
ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيامة وما انزلنا
عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء
فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها النبات بعد يبسها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف
وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استيناف لبيان العبرة وانما ذكر
الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات
المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها
او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين
من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء
الماكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله عنه ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف
في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه
مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في
الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة
تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء
بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها
لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد
او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان
واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى
الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت
من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه
لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه
من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف
ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وقوله
تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف صفته
تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف

ومن عجائب امر النحل ان لها رئيسا هو اعظم جثة من الباقين وهو نافذ الحكم على كلها
ويتبعون اثره ومنها انها اذا نفرت عن وكرها ذهبت مع الجميع
الى موضع آخر فاذا ارادوا عودها الى وكرها ضربوا الطبول والملاهي وآلات
الموسيقى وبواسطة تلك الالحان يقدرون على ردها الى اوكارها نيسابوري

المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس
والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ
وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق
ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الآيات واوحى ربك
الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة
لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر
بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما
سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها
حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء ليناسب الياء وقرأ
ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهينها مرها وحلوها فاسلكي ما
اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي
الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك ذللا لا تتوعر عليك ولا تلتبس وذللا جمع ذلول وهي حال
من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج
من بطونها كانه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل
والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة
فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة
متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء منها كان العسل فسر البطون
بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل فيه شفاء للناس
اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان
التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال عم اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال عم اذهب
واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكانما نشط من عقال
وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل
بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه
والله خلقكم ثم يتوفاكم بآجال مختلفة ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية
في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير
الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير يميت الشاب النشيط

وبين الثم الثاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتدبير قادر حكيم رتب ابنيتهم وعدل امزجتهم
على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق
فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موالي يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين
فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله
في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان يكون
واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد
وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما
انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم
الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعدما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين
الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من
جنسكم لتانسوا بها وليكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حوا من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولاد
اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات
وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ
او الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام
تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام
او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على
الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات
ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه ولا يستطيعون ان يملكوه او لا استطاعة
لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي
ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له
مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فساد ما تعولون عليه
من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا
تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جراتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم
دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم
كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه
منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف راسا ومثل
نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك

والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني
القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا
عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك
والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنس فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد
الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره
ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير
لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه
على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه القى سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يات بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي
هو ومن يامر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل
وهو على صراط مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين
لانهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن
والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن
محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة
وما امر قيام القيمة في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب
او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي يبتدا فيه فانه تعالى يحيي الخلائق
دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله
كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي
الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرا
الكسائي بكسر الهمزة على انه اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون
شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون
بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بعقولكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس
حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل العلوم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا
ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير وقرا ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب
العامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد
من الارض ما يمسكهن الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها
ان في ذلك لآيات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن
الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من

بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل
لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان تتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر
فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة تخف عليكم
حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ووضعها او ضربها ويوم اقامتكم وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان
يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها
الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها
لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر
والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون بها حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف
والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه
بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن
والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه
فتؤمنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون
فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك
فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام
المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من
من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء
حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلعم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة
واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط
في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون
ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار
اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط
الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى
وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره واذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا راى الذين
ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم
اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس بان يشطر
عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا

عبدوا اهواءهم لقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على
الكفر والزموهم اياه لقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى
الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع
عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا بالصد فوق العذاب
المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم
من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا
عليك الكتاب استيناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على
التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه
وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين
التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات
المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان
الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عم الاحسان ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد
تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوانية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان
واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على
الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج
في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود هي اجمع آية
في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية
لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب
للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول
الله صلعم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا
يلايمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان
بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا
بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان
والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت
اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها

أو المفعول الثاني لنقضت فإنه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه وقيل هي ريطة بنت سعد
بن تيم القرشية فإنها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون أيمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا أو في
الجار الأول في موضع الخبر أي لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذي أيمانكم مفسدة ودخلا بينكم وأصل
الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه أن تكون أمة هي أربى من أمة بأن تكون جماعة أزيد عددا وأوفر مالا من جماعة والمعنى لا
تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم أو لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فإنهم كانوا إذا رأوا شوكة في أعادي حلفائهم
نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم إنما يبلوكم الله به الضمير لأن تكون أمة لأنه بمعنى المصدر أي يختبركم بكونهم أربى
لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للأربى
وقيل للأمر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله
لجعلكم أمة واحدة متفقة على الإسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسألن عما كنتم
تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في قبح
المنهي فتزل قدم أي عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها والمراد أقدامهم وإنما وحد ونكر للدلالة على أن زلل
قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بسبب صدودكم عن الوفاء
فإن من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا
عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء المسلمين ويشترطون
لهم على الارتداد إنما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم إن كنتم تعلمون
إن كنتم من أهل العلم والتمييز ما عندكم من أعراض الدنيا ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته باق
لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على أن نعيم أهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا أي على الفاقة وأذى
الكفار أو على مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون بأحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من
أعمالهم كالواجبات والمندوبات أو بجزاء أحسن من أعمالهم من عمل صالحا من ذكر أو أنثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص
وهو مؤمن إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب وإنما المتوقع عليها تخفيف العذاب فلنحيينه حياة
طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فإنه إن كان موسرا فظاهر وإن كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا
بالقسمة وتوقع الأجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فإنه إن كان معسرا فظاهر وإن كان موسرا لم يدعه
الحرص وخوف الفوات أن يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من الطاعة
فإذا قرأت القرآن إذا أردت قراءته كقوله إذا قمتم إلى الصلاة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
فاسأل الله أن يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على أنه للاستحباب وفيه دليل على أن
المصلي يستعيذ في كل ركعة لأن الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد
عليه إيذان بأن الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل أعوذ بالله
من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبرائيل عن القلم عن اللوح المحفوظ إنه ليس له سلطان
تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على أولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فإنهم
لا يطيعون أوامره ولا يقبلون وساوسه إلا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك أمروا بالاستعاذة
فذكر السلطنة بعد الأمر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه أن له سلطانا إنما سلطانه على الذين يتولونه
يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله أو بسبب الشيطان مشركون وإذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ
فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا أو حكما والله أعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة
في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا أي الكفرة إنما أنت مفتر متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه
وهو جواب إذا والله أعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم
ويجوز أن يكون حالا بل أكثرهم لا يعلمون حكمة الأحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله روح
القدس يعني جبرائيل وإضافة الروح إلى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير
روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على أن إنزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي
التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الإيمان بأنه كلامه وأنهم إذا
سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم
وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت أي تثبيتا لهم
وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم أنهم
يقولون إنما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان
السيف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه
وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي
لسان الذي يلحدون إليه أعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه مأخوذ من لحد
القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لإبطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين أحدهما أن ما
يسمعه منه كلام أعجمي لا يفهمه هو ولا أنتم والقرآن عربي تفهمونه بأدنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه
منه وثانيهما هب أنه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لأن ذلك أعجمي وهذا
عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع أن العلوم الكثيرة التي في القرآن
لا يمكن تعلمها إلا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من

غلام سوقي سمع منه بعض أوقات مروره كلمات عجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القرآن
بأمثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون
أنها من عند الله لا يهديهم الله إلى الحق أو إلى سبيل النجاة وقيل إلى الجنة ولهم عذاب أليم في الآخرة
هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما أماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الأمر عليهم فقال إنما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لأنهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه وأولئك إشارة إلى الذين
كفروا أو إلى قريش هم الكاذبون أي الكاذبون على الحقيقة أو الكاملون في الكذب لأن تكذيب
آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات أعظم الكذب أو الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة
أو الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر إنما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد إيمانه بدل من الذين لا يؤمنون
وما بينهما اعتراض أو من الكاذبون أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز أن
ينتصب بالذم وأن يكون من شرطية محذوفة الجواب دل عليه قوله إلا من أكره على الافتراء أو كلمة
الكفر استثناء متصل لأن الكفر لغة يعم القول والعقد كالإيمان وقلبه مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته
وفيه دليل على أن الإيمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطابت
به نفسه فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم إذ لا أعظم من جرمه روي أن قريشا أكرهوا عمارا
وأبويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا إنك أسلمت من أجل
الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما أول قتيلين في الإسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا
مكرها فقيل يا رسول الله إن عمارا كفر فقال كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط
الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك إن عادوا
لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الإكراه وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه
إعزازا للدين كما فعله أبواه لما روي أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد قال رسول
الله قال فما تقول في قال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول
في فقال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله فقال أما الأول فقد أخذ برخصة
الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك إشارة إلى الكفر بعد الإيمان أو الوعيد بأنهم استحبوا
الحياة الدنيا على الآخرة بسبب أنهم آثروها عليها وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أي الكافرين
في علمه إلى ما يوجب ثبات الإيمان ولا يعصمهم من الزيغ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم
فأبت عن إدراك الحق والتأمل فيه وأولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة إذ أغفلتهم الحالة
الواهية عن تدبر العواقب لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون إذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها فيما أفضى
بهم إلى العذاب المخلد ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا أي عذبوا كعمار بالولاية والنصر

فتنه يفتنه أوقعه في الفتنة كفتنه وأفتنه
وهو مفتن ومفتون ويجيئان لازما ومتعديا
كافتتن فيهما قاموس

والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح أي بعد ما عذبوا المؤمنين
كالحضرمي أكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم أسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما أصابهم
من المشاق إن ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم بهم ينعم
عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم أو باذكر تجادل عن نفسها تجادل
عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما
عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون أجورهم وضرب الله مثلا قرية أي جعلها مثلا لكل قوم أنعم الله
عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا فأنزل الله بهم نقمته أو لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج أهلها خوف يأتيها رزقها
أقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بأنعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد
بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس فأذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار
الذوق لإدراك أثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف وأوقع الإذاقة
عليه بالنظر إلى المستعار له كقول كثير غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال
فإنه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه وأضاف
إليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا إلى المستعار له وقد ينظر إلى
المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا أخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك
فاعتجر منه بشطر استعار الرداء للسيف ثم قال فاعتجر نظرا إلى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم
ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لأهل مكة عاد إلى ذكرهم بعد ما
ذكر مثلهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون أي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما أصابهم من
الجدب الشديد أو وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا أمرهم بأكل ما أحل الله لهم وشكر ما
أنعم الله عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا
لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون تطيعون
أو إن صح زعمكم أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما
أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم لما أمرهم بتناول ما أحل لهم عدد عليهم
محرماته ليعلم أن ما عداها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل بأهوائهم فقال ولا تقولوا
لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة
لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بإنما حصر المحرمات في الأجناس الأربعة
إلا ما ضم إليها دليل كالسباع والحمر الأهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا هذا حلال وهذا
حرام بدل منه أو متعلق بتصف على إرادة القول أي ولا تقولوا الكذب لما تصف ألسنتكم فتقول

هذا حلال وهذا حرام أو مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية أي ولا تقولوا
هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به
ألسنتكم من غير دليل ووصف ألسنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كأن حقيقة
الكذب كانت مجهولة وألسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام
كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب
جمع كذوب أو كذاب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الذم أو بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا
على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان
المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل أي ما يفترون لأجله
أو ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب أليم في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا
عليك أي في سورة الأنعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا
أو بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه
تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وأنه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم إن ربك للذين
عملوا السوء بجهالة بسببها أو ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب
لغلبة الشهوة والسوء ليعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها
من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الإنابة إن إبراهيم كان أمة لكماله واستجماعه
فضائل لا تكاد توجد إلا متفرقة في أشخاص كثيرة كقوله ليس من الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وأبطل مذاهبهم الزائغة
بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة
وتحريم ما أحله أو لأنه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول
كالرحلة والنخبة من أمه إذا قصده أو اقتدى به فإن الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون
بسيرته كقوله إني جاعلك للناس إماما قانتا لله مطيعا له قائما بأوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم
يك من المشركين كما زعموا فإن قريشا كانوا يزعمون أنهم على ملة إبراهيم شاكرا لأنعمه ذكر بلفظ
القلة للتنبيه على أنه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه إلى صراط
مستقيم في الدعوة إلى الله وآتيناه في الدنيا حسنة بأن حببه إلى الناس حتى إن أرباب الملل يتولونه
ويثنون عليه ورزقه أولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة وإنه في الآخرة لمن الصالحين
لمن أهل الجنة كما سأله بقوله وألحقني بالصالحين ثم أوحينا إليك وثم إما للتعظيم والتنبيه على أن أجل
ما أوتي إبراهيم اتباع الرسول عليه السلام ملته أو لتراخي أيامه أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا في التوحيد

احتضر هرم بن حيان فقيل له أوص فقال إنما الوصية من المال ولا مال لي أوصيكم بخواتيم سورة النحل كشاف
من قوله كان إبراهيم أمة إلى آخر السورة

التوحيد والدعوة إليه بالرفق وإيراد الدلائل مرة بعد أخرى والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه
وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين إنما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة
على الذين اختلفوا فيه أي على نبيهم وهم اليهود أمرهم موسى عليه السلام أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فأبوا
وقالوا نريد يوم السبت لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والأرض فألزمهم الله السبت وشدد
عليهم الأمر وقيل معناه إنما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فأحلوا الصيد فيه
تارة وحرموه أخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بأنعم الله وإن
ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف أو بمجازاة كل فريق بما يستحقه
ادع من بعثت إليه إلى سبيل ربك إلى الإسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح
للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق
والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي أحسن بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة
من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر والمقدمات التي هي أشهر فإن ذلك أنفع في تسكين لهبهم
وتبيين شغبهم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أي إنما عليك
البلاغ والدعوة وأما حصول الهداية والضلالة والمجازاة عليهما فلا إليك بل الله أعلم بالضالين والمهتدين
وهو المجازي لهم وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما أمره بالدعوة وبين طرقها أشار إليه وإلى
من شايعه بالمخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فإن الدعوة لا تنفك عنه من حيث إنها
تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الأسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل إنه
عليه السلام لما رأى حمزة رضي الله عنه وقد مثل به فقال والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك
فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على أن للمقتص أن يماثل الجاني وليس له أن يجاوز وحث على العفو
تعريضا بقوله وإن عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو أي الصبر خير للصابرين من الانتقام
للمنتقمين ثم صرح بالأمر به بقوله واصبر وما صبرك إلا بالله إلا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين
أو على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر
وهما لغتان هنا وفي النمل كالقول والقيل ويجوز أن يكون الضيق تخفيف ضيق إن الله مع الذين اتقوا
المعاصي والذين هم محسنون في أعمالهم بالولاية والفضل أو مع الذين اتقوا الله بتعظيم أمره والذين هم محسنون
بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه
في دار الدنيا وإن مات في يوم تلاها أو ليلة كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية سورة
بني إسرائيل مكية وقيل إلا قوله وإن كادوا ليفتنونك إلى آخر ثمان آيات وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده ليلا

سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني
فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد اسرى
بعبده ليلا اسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي
بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عم قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت
بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرائيل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد او لانه محيط به
ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه عم كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع
من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه
استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال لقد صدق
فقالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا
الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن
عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون
الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة
بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده
الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه
والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا
وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام
ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة
السريعة في بدن النبي عم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن
ح وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى عم
ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من اياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس
وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات
وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد عم البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك واتينا موسى الكتاب
وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا اي لا تتخذوا وقرأ ابو عمرو بالياء على
لئلا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء
ان قرئ ان لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله
ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا
وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء ابائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة

السفينة انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه
ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عم وقضينا الى بني اسرائيل
واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التوراة لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف
او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولهما مخالفة احكام التوراة
وقتل شعياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عم وقيل ارمياء ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن
عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اولهما وعد عقاب اولهما بعثنا عليكم عبادا
لنا بختنصر عامل لهراسب على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنجاريب من اهل
نينوى اولي باس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء
وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة
وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع
وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على
الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من
جده كستاسب بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا
على من كان فيها من اتباع بختنصر او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال
وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب
الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اساتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكر باللام
ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم
ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره عليه اولا وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء
على التوحيد والضمير للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون
والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام
في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا
ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم
ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم
فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم
يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم
قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم
فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا

بتكذيب محمد عم وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية
على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد
الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة او الطريقة التي
هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرا
حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على
ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه بشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار
يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه
خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر
عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عم دفع
اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر
فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب
استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجيب له
فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان
غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود
وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان
اهله جبناء وقيل الآيتان الشمس والقمر وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا
الليل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذا شعاع يبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا
في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوسلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما
عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه
بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر
لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله
وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان
الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول
او حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج ويخرج وقرئ ويخرج
اي الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله
وقرا ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم

كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع
الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل
النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه
غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزر نفس اخرى بل انما
تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على
ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ
قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها
متنعميها بالطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق
لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه والتسبب
له بان صبت عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم
فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة
ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية
امرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان
غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابق بحلوله
او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها
وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب
عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة
مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة لانه لا يجد كل
متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن نريد بدل من له
بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله
به ذلك وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم
في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة وسعى
لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة
اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون
للشرائط الثلاثة كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا
اي كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه
هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا

لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق والأسباب كيف
كيف بفضلنا على الحال وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا أي التفاوت في الآخرة أكبر لأن التفاوت فيها
بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله إلها آخر الخطاب للرسول والمراد به أمته أو لكل
أحد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة أو فتعجز من قولك قعد عن الشيء إذا
عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه
أن الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وأمر أمرا مقطوعا به أن لا تعبدوا بأن لا تعبدوا
إلا إياه لأن غاية التعظيم لا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز
أن تكون أن مفسرة ولا ناهية وبالوالدين إحسانا وبأن تحسنوا أو وأحسنوا بالوالدين إحسانا
لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز أن يتعلق الباء بالإحسان لأن صلته لا تتقدم عليه إما
يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما إما إن الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوق النون
المؤكدة للفعل وأحدهما فاعل يبلغن أو بدل على قراءة حمزة والكسائي من ألف يبلغان الراجع إلى الوالدين
وكلاهما عطف على أحدهما فاعلا أو بدلا ولذلك لم يجز أن يكون تأكيدا للألف ومعنى عندك أن
يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما أف فلا تضجر مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وهو صوت
يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو أتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع
وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للإتباع كمنذ منونا
وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر أنواع الإيذاء قياسا بطريق الأولى وقيل عرفا كقولك
فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله عم حذيفة عن قتل أبيه وهو في صف المشركين
نهى عما يؤذيهما بعد الأمر بالإحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك بإغلاظ وقيل النهي والنهر
والنهم أخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل
تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة إذ أصبحت
بيد الشمال زمامها للشمال يدا أو للقرة زماما وأمره بخفضها مبالغة أو أراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين
وإضافته إلى الذل للبيان والمبالغة كما أضيف حاتم إلى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل
وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما
إلى من كان أفقر خلق الله إليهما وقل رب ارحمهما وادع الله أن يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف
برحمتك الفانية وإن كانا كافرين لأن من الرحمة أن يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي
وتربيتهما وإرشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي أن رجلا قال لرسول الله إن أبوي بلغا
من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان

٢٥٧

بقاءك وأنت تفعل ذلك وتريد موتهما ربكم أعلم بما في نفوسكم من قصد البر إليهما واعتقاد
ما يجب لهما من التوقير وكأنه تهديد على أن يضمر لهما كراهة واستثقالا إن تكونوا صالحين قاصدين
الصلاح فإنه كان للأوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من أذية أو تقصير وفيه تشديد
عظيم ويجوز أن يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على أبويه التائب من جنايته لوروده على إثره
وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال أبو حنيفة رحمه الله حقهم إذا كانوا محارم
فقراء أن ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى أقارب الرسول عم والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا
بصرف المال فيما لا ينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف وأصل التبذير التفريق وعن النبي عم أنه قال لسعد وهو
يتوضأ ما هذا السرف قال أفي الوضوء سرف قال نعم وإن كنت على نهر جار إن المبذرين كانوا
إخوان الشياطين أمثالهم في الشرارة فإن التضييع والإتلاف شر أو أصدقاءهم وأتباعهم لأنهم يطيعونهم
في الإسراف والصرف في المعاصي روي أنهم كانوا ينحرون الإبل ويتياسرون عليها ويبذرون أموالهم في السمعة
فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالإنفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر
فينبغي أن لا يطاع وإما تعرضن عنهم وإن أعرضت عن ذوي القربى والمساكين وابن السبيل حياء من
الرد ويجوز أن يراد بالإعراض عنهم أن لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها
لانتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك فتعطيه أو منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك
ترجوه أن يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لأنه مسبب عنه ويجوز أن يتعلق بالجواب الذي هو قوله
فقل لهم قولا ميسورا أي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم بإجمال القول لهم والميسور
من يسر الأمر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور هو اليسر مثل أغناكم الله ورزقنا وإياكم
ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبذر نهى
عنهما آمرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالإسراف
وسوء التدبير محسورا نادما أو منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر إذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول
صلى الله عليه وسلم جالس أتاه صبي فقال إن أمي تستكسيك درعا فقال من ساعة إلى ساعة فعد إلينا
فذهب إلى أمه فقالت قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه
وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروا للصلاة فلم يخرج فأنزل الله ذلك ثم سلاه بقوله إن ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الإضاقة إلا لمصلحتك
إنه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز أن يراد أن البسط والقبض
من أمر الله العالم بالسرائر والظواهر فأما العباد فعليهم أن يقتصدوا أو أنه تعالى يبسط تارة ويقبض تارة
فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وأن يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا

اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن
لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل
وانقطاع النوع والخطء الاثم يقال خطئ خطأ كأثم اثما وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان خطأ
وهو اسم من أخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمِثل ومَثل وحِذر وحَذر وقرأ ابن كثير بالمد
والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته
وخرطومه في منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا
ولا تقربوا الزنا بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدته
وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن
قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا
بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد
عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل
ما يعود اليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي
فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور
في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله نصره حيث اوجب القصاص
له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص والتعزير والوزر على المسرف
ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده
غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه
وغيره ان العهد كان مسؤلا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسؤلا عنه يسأل
الناكث ويعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت
فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه
وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان
الاعجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ
حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير واحسن تأويلا واحسن عاقبة تفعيل من
آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقفُ من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم
ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو
الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص

بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول
الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء
فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه
اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلا في ثلاثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسؤلا
عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه
كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ
بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال
وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة
وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل
كل ذلك اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما المكتوبة في الواح موسى كان
سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورات مأمورات ومناه وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انه خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما
نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان
ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام الدليل
القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته
والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله
او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال
فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله أفأصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار
والمعنى أفخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم
انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له
ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في
مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ
صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا
نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان
الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر في الثاني على ان الاول مما امر الرسول ان يخاطب به المشركين
والثاني مما نزه به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا
بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة سبحانه ينزه تنزيهه وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود
وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات والارض ومن فيهن وان
من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب

لزاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين
اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرا ابن كثير ونافع وابن
عامر وابو بكر يسبح بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرات القرآن جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالآخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعدا ماتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس او حجاب من
لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفي عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعدما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس
والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلال كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق
وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي
آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا
ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم
نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك
وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين
هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل
من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع المضمر للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر
وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق
في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن يوجه نحوه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا اذا كنا عظاما
ورفاتا حطاما ءانا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل
في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما
يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف
اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم
اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحياة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى
ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم
يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسير امرهما وان المقصود منهما الاحضار
للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين
لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حياتكم لما ترون من
الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم
المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ
يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر
مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا
فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره

دون احصائه ومن ذلك ما ذكر ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر و
البحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات
المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى
جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسألة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف
يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعوا على قلب الالف واوا في لغة من يقول
افعوا او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضمير وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها
ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل
بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي ينقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على
عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد
الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا
ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين
يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن
كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده
كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء
بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب
فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسط كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت
معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بين وان كادوا ليفتنونك
نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلوتنا وكل ربا لنا فهو
لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت
ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة
والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره
غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك اي
ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة
خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليهم وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم
مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف
الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطا الخطير اخطر وكان اصل الكلام
عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف
موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك
علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض اي ارض مكة

ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر
بعد هجرته وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي عم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن
بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على
انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا
قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها
الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله
عم اتاني جبرئيل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك
لا يستقر وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلع ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينه ليدفع شعاعها
واللام للتأقيت مثلها في لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وقرآن الفجر وصلوة الصبح
وسميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة
فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قرآن الفجر كان مشهودا
تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من
المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوة الليل وحدها ان
فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على
ان الوقت يبقى الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة
لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمدك القائم فيه وكل من عرفه
وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رض انه عم قال هو المقام الذي اشفع لامتي
ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك
معناه او الحال على ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث
مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها
آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل
ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج
خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب
الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك
من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عم دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلث مائة
وستون صنما فجعل ينكت بمخصرته في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم
خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو
في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى

من الانفاق وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيامة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو
انتم تملكون خزائن رحمة ربي رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات
سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق
لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذا بخيل
بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة
بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع
والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات
مكان الثلثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبي عم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا
تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات
الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة
والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم
فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة الرسول عم فسال على لفظ المضي بغير همز
وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فاسأل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون
اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة
كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او
باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط
عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرأ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السموات والارض
بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا
على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن
موسى عم يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة
فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستئصال
فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني
اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة يعني
قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل
شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق
الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا
بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر وآخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع
بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه

الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوم شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في نيف وعشرين سنة لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم لا يورثه نقصا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او رأوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمد عم على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال او السبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية فالمراد على الاول التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحد وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجوب لقوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتأكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقرائة صلوتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر رضه كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله عم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا وبالجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له شريك من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على

ان العبد وان بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد في العبادة والتمجيد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عم كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية بني اسرائيل فرق قلب عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية قيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتنافي في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر باسا شديدا اى لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اى بالولد او باتخاذه والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين يقولونه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل تخرج من افواههم صفة الكلمة تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا تولوا عن الايمان شبههم لما تداخله من الوجل على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتأسف عليهم او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع اذ جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض زينة لها من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلعم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله صعيدا املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حيوتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم

والقوم في الكهف فانحطت بيننا او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلثة خرجوا

يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته

فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته

في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الى بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه فقال ان لي عندك حقا وذكره

حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى راوا الضوء فقال الآخر كان لي فضل

فاصاب الناس شدة فجاءتني امراة فطلبت مني معروفا فقلت لا والله ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلثا ثم ذكرت لزوجها

فقال اجيبي له واغني عيالك فاتت وسلمت نفسها الي فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله فقلت لها خفتيه في

الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلت هذا لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي

ابوان كبيران همان وكان لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلي

واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح

فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف يعني فتية

من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق

والامن من العدو وهيء لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير به راشدين مهتدين او اجعل

امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى

انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امراته في الكهف سنين ظرف لضربنا عددا اي

ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا

حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط زمان لبثهم وما

في اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتداء واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه

المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المزلق

وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق انهم فتية آمنوا بربهم

شبان جمع فتى كصبي وصبية وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناهم بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال

والجراة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه

الها لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتداء قومنا عطف بيانه

اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار في معنى الانكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر

فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على

الله كذبا بنسبة الشرك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اي واذ

اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية

على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض

بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط الرزق ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيء لكم من

امركم

تريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تأديب من الله

لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطاء

عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله فيما يستقبل

الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان

استثناء اقتران المشية بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشية ربك وقل ان شاء الله كما روي انه

لما نزل قال عم ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رض ولو بعد سنة ما لم تحنث ولذلك جوز

تاخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتصور اقرار ولا طلاق ولا اعتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في

الآية ولا في الخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح و

الاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او واذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك واذكره اذا

اعتراك النسيان لتذكر المنسي وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه

الله اعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب

رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل

انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة سنين وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ

حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد وحسنه هنا ان علامة الجمع جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته

الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلثمائة قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما فلا خلق

يخفى عليه ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت

دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله تعالى ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي

صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش

والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه

من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي

كل احد من الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول على انه وحي معجز امره

بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل

لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك احبسها وثبتها مع الذين

يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على

تأويل التنكير يريدون وجهه رضا الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وعلا قوي

ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول ان يزدري بفقراء المؤمنين وتعدو عيناه عن رثاثة زيهم طمعا الى طراوة زي الاغنياء

تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا

كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات

وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال

الى الله تعالى والواو مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اى لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا فى قلوبهم الايمان
واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكروا لا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه
غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اى متقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط اى متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق
من ربكم الحق ما يكون من جهة الله تعالى لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر لا ابالى بايمان من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضى استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته انا اعتدنا هيأنا
للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التى تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها
وقيل حائط من النار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالنحاس المذاب وقيل كدردى الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا
بالصيلم يشوى الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهى صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير فى الكاف بئس الشراب المهل وساءت
النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هى الثانية بما فى حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم
او مستغنى عنه لعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه فى قولك نعم الرجل زيد او واقع موقع الظاهر فان من احسن لا يحسن على الحقيقة اطلاقه
الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استيناف لبيان
الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة الاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة
به وهو جمع اسورة او اسوار فى جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق
من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر
كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم للكافر والمؤمن مثلا رجلين مقدرين او موجودين
قيل هما اخوان من بنى اسرائيل احدهما كافر اسمه قرطوس والثانى مؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر
بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن فى وجوه الخيرات وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان من بنى مخزوم كافر وهو الاسود بن
عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة رضى الله عنها قبل رسول الله عم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب
من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه
القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون
كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير
لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه شيئا ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد فى سائر البساتين فان الثمار تتم فى عام وتنقص
فى عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال
سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثر وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك فى قوله
واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه فى الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا
ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة بعد التثنية لان المراد ما هو جنته وما
متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له فى الجنة التى وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان
الدخول يكون فى واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد هذه ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله

وتمادى

بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفى احضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفى الاعتضاد
بهم فى ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اى اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له فى العبادة فان استحقاق
العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع المضمر ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل
الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى
قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لا ينبغى لى ان اعتضد بالمضلين لدينى ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول وقرئ متخذا
المضلين بالتنوين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول اى الله تعالى
للكفار وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائى الذين زعمتم انهم شركائى او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابى واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد
ما عبد دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا
يشتركون فيه وهو النار او عداوة هى فى شدتها هلاك كقول عمر رضه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا
هلك وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون
فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان
اكثر شئ جدلا يتأتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعى
والقرآن المبين ويستغفروا ربهم من الاستغفار من الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين
وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين
وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو لغة ايضا يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب
وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال
عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم
للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتى يعنى القرآن وما انذروا وانذارهم او والذى انذروا به من
العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزءا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها فلم يتدبرها
ولم يتذكر بها ونسى ما قدمت يداه من الكفر والمعاصى فلم يتفكر فى عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم
مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفى آذانهم وقرا يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى
الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول صلعم على تقدير قوله ما لى لا
ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب
استشهادا على ذلك باهمال قريش مع افراطهم فى عداوة رسول الله صلعم بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا
منجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعنى قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به
والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف فى احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصى وجعلنا لمهلكهم موعدا
لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم
واللام اى لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيص واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يعنى يوشع بن نون بن افرائيم
ابن يوسف عم فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين

علي ان حتي ابلغ

من حيث انه يستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتي ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل
وان يكون لا ابرح بمعني لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقي بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد
لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسي والخضر عليهما السلام فان موسي كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم علي الشذوذ
من يفعل كالمشرق والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعني حتي يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتي ابلغ الا ان امضي زمانا
اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون سنة روي ان موسي عم خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة
بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم ان احدا اعلم منك فقال لا فاوحي الله تع اليه بل عبدنا الخضر وهو عند مجمع البحرين وكان الخضر في ايام
افريدون وكان علي مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الي ايام موسي وقيل ان موسي سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني
ولا ينساني قال فاي عبادك اقضي قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوي قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الي علمه
عسي ان يصيب كلمة تدله علي هدي او ترده عن ردي فقال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين
اطلبه قال علي الساحل عند الصخرة التي عندها ماء الحياة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال
لفتيه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه علي
الاتساع او بمعني الوصل نسيا حوتهما نسي موسي ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راي من حيوته ووقوعه في البحر
روي ان موسي عم رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسي او الخضر عم وقيل توضا يوشع من عين الحياة
فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة علي الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا
فاتخذ الحوت في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء علي الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه علي
المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتيه اتنا غداءنا ما نتغدي به
لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتي جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الي الظهر القي عليه الجوع و
النصب وقيل لم يعي موسي في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارايت ما دهاني اذ اوينا الي الصخرة يعني الصخرة التي
رقد عندها موسي وقيل هي الصخرة دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه
والحال وان كانت عجيبة لا ينسي مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند موسي والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه
في الاستبصار وانجذاب شراشره الي جناب القدس بما عراه من مشاهدة الايات الباهرة وانما نسبه الي الشيطان هضما
لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الاخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا
وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في اخر كلامه او موسي في جوابه عجبا
تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسي اي اتخذ موسي سبيل الحوت عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب
فارتدا علي اثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان اثارهما اتباعا او مقتصين حتي اتيا
الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور علي انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس اتيناه رحمة من عندنا هي الوحي
والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب والاخبار عنها قال له موسي هل اتبعك علي
ان تعلمن علي شرط ان تعلمن وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرا البصريان بفتحتين

وهما

ان تعلمن ومفعول
المحذوف

وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت العائد محذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون
علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين
فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعي في ذلك غاية التواضع
والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسال منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع
معي صبرا نفي عنه استطاعة الصبر معه علي وجوه من التاكيد كانها لا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر علي ما لم تحط
به خبرا اي وكيف تصبر وانت نبي علي ما اتولي من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط به خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعني
لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف علي صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص وتعليق الوعد
بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر علي خلاف المعتاد شديد فلا خلف منه وفيه دليل علي
ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تع قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم
وجه صحته حتي احدث لك منه ذكرا حتي ابتدئك ببيانه وقرا نافع وابن عامر فلا تسالني بالنون الثقيلة فانطلقا علي الساحل
يطلبان السفينة حتي اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها
لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الي غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرا حمزة والكسائي
ليغرق اهلها علي اسناد الفعل الي الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي
صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو
اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت
من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء اخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة
والمؤاخذة علي المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين
فانطلقا اي بعدما خرجا من السفينة حتي اذا لقيا غلاما فقتله قيل قلع عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة
علي انه لما لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله
اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به علي ان
القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراضه مستانفا وفي الثانية جعل قتله من
جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا
نكرا اي منكرا وقرا نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب
علي رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتي زاد في الاستنكار

ثانية مرة قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وإن سألت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وعن يعقوب فلا تصحبني أي فلا تجعلني صاحبك
قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلعم رحم الله أخي موسى استحيى فقال
ذلك لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب وقرأ نافع من لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني
من نصر الخبيبين قدي وأبو بكر بتحريك النون وإسكان الدال إسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية
أنطاكية وقيل أيلة بصرة وقيل باجروان أرمينية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من أضافه يقال
ضافه إذا نزل به ضيفا وأضافه وضيفه أنزله وأصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض إذا مال فوجدا فيها جدارا يريد
أن ينقض يداني أن يسقط فاستعير الإرادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر أبي براء ويعدل
عن دماء بني عقيل وقال إن دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالإحسان وانقض انفعل من قضضته إذا كسرته ومنه انقضاض
الطير والكوكب لهويه أو افعل من النقض وقرئ أن ينقض وأن ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن إذا انشقت طولا
فأقامه بعمارته أو بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا تحريضا على
أخذ الجعل لينتعشا به أو تعريضا بأنه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك
نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الأخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت أي لأخذت وأظهر ابن
كثير ويعقوب وحفص الذال وأدغمه الباقون قال هذا فراق بيني وبينك الإشارة إلى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني أو إلى
الاعتراض الثالث أو الوقت أي هذا الاعتراض سبب فراقنا أو هذا الوقت وقته وإضافة الفراق إلى البين إضافة المصدر
إلى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الأصل سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع عليه الصبر لكونه
منكرا من حيث الظاهر أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على أن المسكين يطلق على من يملك شيئا
إذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم دفع الملك أو لزمانتهم فإنها كانت لعشرة إخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فأردت أن
أعيبها أجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم أو خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منواز بن جلندى
الأزدي يأخذ كل سفينة غصبا من أصحابها وكان حق النظم أن يتأخر قوله فأردت أن أعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لأن
إرادة التعييب مسبب عن خوف الغصب وإنما قدم للعناية أو لأن السبب لما كان مجموع الأمرين خوف الغصب ومسكنة الملاك
رتبه على أقوى الجزئين وأدعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها وأما الغلام فكان
أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما أن يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره
فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وكافر أو يعديهما بعلته فيرتدا بإضلاله أو بممالأته على طغيانه وكفره حبا وإنما خشي ذلك لأن الله تع
أعلمه وعن ابن عباس رضه أن نجدة الحروري كتب إليه كيف قتله وقد نهى النبي عم عن قتل الولدان فكتب إليه إن علمت من حال
الولدان ما علمه عالم موسى عم فلك أن تقتل وقرئ فخاف ربك أي فكره كراهة من خاف سوء عاقبة ويجوز أن يكون فخشينا حكاية

قوله تعالى فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه أن يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والأخلاق الردية وأقرب رحما
رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به أمة من الأمم وقرأ نافع وأبو عمرو يبدلهما
بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة وأما الجدار فكان
لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما أصرم وصريم واسم المقتول جيسور وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك
مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من
كتب العلم وقيل كان لوح مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل و
عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وكان أبوهما صالحا تنبيه على أن سعيه
في ذلك كان لصلاحه وحفظه فيهما قيل كان بينهما وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه
كاشح فأراد ربك أن يبلغا أشدهما أي الحلم وكمال الرأي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز أن
يكون علة أو مصدرا لأراد فإن إرادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل إسناد
الإرادة أولا إلى نفسه لأنه المباشر للتعييب وثانيا إلى الله وإلى نفسه لأن التبديل بإهلاك الغلام وإيجاد الله تع بدله
وثالثا إلى الله وحده لأنه لا مدخل له في بلوغ الغلامين أو لأن الأول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج أو لاختلاف
حال العارف في الالتفات إلى الوسائط وما فعلته عن أمري وما فعلت ما رأيته عن رأيي وإنما فعلته بأمر الله
ومبنى ذلك على أنه متى تعارض ضرران يجب تحمل أهونهما لدفع أعظمهما وهو أصل ممهد غير أن الشرائع في تفاصيله
مختلفة ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا أي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة أن لا يعجب المرء
بعلمه ولا يبادر إلى إنكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وأن يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الأدب
في المقال وأن ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق إصراره ثم يهاجر عنه ويسألونك عن ذي القرنين يعني إسكندر
الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين أو لأنه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل
لأنه انقرض في أيامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل أنه لقب بذلك
لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كأنه ينطح أقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على إيمانه وصلاحه والسائلون
هم اليهود سألوه امتحانا أو مشركو مكة قل سأتلو عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين
وقيل لله إنا مكنا له في الأرض أي مكنا له أمره من التصرف فيها كيف يشاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء أراده
وتوجه إليه سببا وصلة توصله إليه من العلم والقدرة والآلة فأتبع سببا أي
فأراد بلوغ المغرب فأتبع سببا يوصله إليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الألف مخففة التاء حتى إذا بلغ
مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأة من حمئت البئر إذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي

وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمئة على ان ياءها مقلوبة
عن الهمزة لكسرة ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب
ولم يقل كانت تغرب قيل ان ابن عباس رض سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف
تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية ووجد عندها قوما عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود
الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيّره الله تع بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا
القرنين اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيّره الله بين القتل
والاسر وسمّاه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا
اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا
ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان
فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا
غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون
اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصرّ على الكفر والثاني
لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا
مما نأمر به يسرا سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع سببا طريقا يوصله
الى المشرق وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء وكذلك ما بعده حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني
الموضع الذي تطلع عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي بلغ مكان مطلع
الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم
لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان
وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف
لوجد او نجعل او صفة قوم اي قوم مثل ذلك القبيل الذين تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا
بما لديه من الجنود والآلات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك
بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا
من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية
واذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك منيفان ومن ورائهما يأجوج
ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان

وقيل

وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس
وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة
فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي لا يُفقهون اي لا يُفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه لان لغتهم غريبة
مجهولة قالوا يا ذا القرنين اي مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود رض قال الذين من دونهم ان يأجوج ومأجوج
قبيلتان من ولد يافث ابن نوح عم وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل
منع الصرف وقيل عربيان من أجّ الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتانيث
مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون
اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا
وقرأ حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر
على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي قال ما مكني
فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة لي اليه وقرأ ابن كثير
مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اي بقوة فعلة او بما اتقوى به من الآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا
حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع آتوني زبر الحديد قطعه والزبرة
القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة
ابي بكر ردما ايتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة بمعنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير
ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين
بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد
وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل قال
انفخوا اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله اي جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتوني
افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك
البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر
مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر ايتوني موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا
من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين ساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان
يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء
وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع

المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا
صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا اي السد او
الاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة
بان يشارف يوم القيمة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل اذك لمنبسط
السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو اخر حكاية ذي القرنين
وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض
مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة
فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم للكافرين عرضا وابرزناها واظهرناها لهم الذين كانت اعينهم
في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري
وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية
افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء
معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ
افحسب الذين كفروا اي افكافيهم في النجاة وان بما في حيزها مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على
الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم
وراءها ما تستحقرونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم
الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم واخرتهم ومحله
الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بايات ربهم بالقران او بدلائله المنصوبة على
التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها
فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به
اعمالهم لانحباطها ذلك اي الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة
خبره والعائد محذوف وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من
الموحدين والكفار لا حسنات لهم اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف
بيان للخبر بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت
لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان

الذي

الحبر الذي يكتب به الحبر خاص
والمداد عام لكل ما يكتب به

الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه
انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط
للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد
كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه وقرا حمزة والكسائي بالياء ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا
زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا
للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع
مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا وتقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما لا ادعي الاحاطة
على كلماته انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يامل حسن لقائه فليعمل عملا
صالحا يرتضيه الله تع ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا روي ان جندب بن زهير
قال لرسول الله عم اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه احد سرني فقال عم ان الله لا يقبل ما شورك فيه
فنزلت تصديقا له وعنه عم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال عم الرياء والاية جامعة
لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي عم من قراها عند مضجعه كان له
في مضجعه نورا يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له
نورا يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه
حتى يستيقظ وعنه عم من قرا سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من
قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء

تم الجلد الاول بعون الله وحسن توفيقه

ورد انه من قرا اخر سورة الكهف
من قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات ثم يقول يا مليكه رب
ايقظني في وقت كذا فانه يوقظ في
ذلك الوقت الذي يعينه وهو مجرب

سورة مريم مكية الا آية السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص أمال أبو عمرو الهاء لان ألفات أسماء التهجي ياآت
وابن عامر وحمزة الياء والكسائي اي هذا المتلو ذكر رحمت ربك
او مبتدأ حذف خبره اى فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمت ربك على
المضي وذكر على الامر عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على
الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى
ربه نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا
واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه
الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه ح فقيل ستون
وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قال رب انى وهن العظم
منى تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن ولانه
اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم
والكسر ونظيره كمل في الحركات الثلث واشتعل الراس شيبا شبه الشيب في بياضه
وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرج مخرج الاستعارة
واسند الاشتعال الى الراس الذى هو محل الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا
للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغنى عن التقييد
ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من
الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى
عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه وانى خفت الموالى
يعنى بنى عمه وكانوا شرار بنى اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم
دينهم من ورائى بعد موتى وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او
بمعنى الولاية في الموالى اى خفت فعل الموالى من ورائى او الذين يلون الامر من ورائى وقرئ
خفت الموالى من ورائى اى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدي او خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا
كان الظرف متعلقا بخفت وكانت امرأتى عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك فان مثله لا يرجى الا من

فضلك وكمال قدرتك فاني وامراتي لا تصلح للولادة وليا من صلبي يرثني ويرث من آل
يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع
والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا
ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب ابن اسحق وقيل يعقوب كان اخا
زكريا او عمران بن ماثان من نسل سليمان وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من
احد الضميرين واو يرث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا
يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا
وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته
تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي
الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم
والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به لانه حيي به رحم امه او لان
دين الله حيي بدعوته قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة
وقحولا في المفاصل واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت
الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائي وحفص عتيا بالكسر وانما
استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند
التحقيق ملغاة ولذلك قال اي الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك ويجوز ان يكون
الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ويؤيد الاول قراءة من قرأ
وهو علي هين اي الامر كما قلت او كما وعدت وهو على ذلك يهون علي او كما وعدت وهو علي هين لا
احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل
كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء قال رب اجعل لي آية علامة اعلم بها وقوع ما
بشرتني به قال آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر
الليالي هنا والايام في آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر
ثلثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله
الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله كان
مامورا بان يسبح ويامر قومه بان يوافقوه ويحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة يا يحيى

على تقدير القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا
يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنبأه وحنانا من لدنا
ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وزكوة وطهارة
من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس وكان
تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي
ربه وسلام عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب
القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار واهوال القيمة واذكر في الكتاب في القرآن مريم يعني
قصتها اذ انتبذت اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها
او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر
وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني فيكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا
شرقيا شرقي بيت المقدس او في شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا
ظرف او مفعول لان انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا سترا فارسلنا
اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة
بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا
طهرت فبينما هي في مغتسلها اتاها جبرئيل متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق
لتستأنس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت اني اعوذ
بالرحمن منك من غاية عفافها ان كنت تقيا تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة و
جواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فاني عائذة منك او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي
ويجوز ان يكون للمبالغة اي ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن
كذلك قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما لاكون سببا في هبته
بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله تعالى ويؤيده قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع
ويعقوب بالياء زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على
الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه
الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله
ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت العين اتباعا

ولذلك لم يلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم يلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق قال كذلك
قال ربك هو علي هين ولنجعله اى نفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا و
لنجعله وقيل عطف على لنهب على طريقة الالتفات آية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال
قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به قضاء الله
في الازل او قدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة فحملته
بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل
ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته
وسنها ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت
به فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور
في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها
المخاض فالجاءها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال
كآتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها
للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن
وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما
للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعل الله تعالى الهمها
ذلك ليريها من آياته ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو طعام خرسة
النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة
لومهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت وكنت نسيا ما
من شأنه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة
فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته
منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع فناديها من تحتها
عيسى وقيل جبرئيل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة و
الكسائي وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير
في تحتها للنخلة الا تحزني اى لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا
هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى وهزي اليك بجذع النخلة

وامليه

وأميليه اليك والباء مزيدة للتاكيد او افعلي الهز والامالة او هزي الثمرة بهزه و
الهز تحريك بجذب ودفع تساقط عليك تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها
حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط
وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا تمييز او مفعول روي انها كانت
نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا و
خوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها
لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها عليه على ان من قدر ان يثمر النخلة
اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب و
الطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي اى من الرطب وماء السري او من الرطب و
عصيره وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ بالكسر وهو لغة نجد
واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره
او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها
للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول
لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وبين حرف اللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ
به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري وانما
اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة و
الاكتفاء بكلام عيسى فانه قاطع في قطع الطاعن فاتت به مع ولدها قومها راجعة اليهم بعد ما طهرت
من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فري الجلد
يا اخت هرون يعنون هرون النبي وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت
من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما
رأوا قبل من صلاحها او شتموها به ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت
به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه الى عيسى اى كلموه
ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة
والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما
او بمعنى صار قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لانه اول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته

آتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ
الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل
الله عقله واستنبأه طفلا اينما كنت حيث ما كنت واوصاني وامرني بالصلوة
والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل ما دمت
حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به
او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر
عطفا على الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام على
يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض
التعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله والسلام
على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى بن مريم اي الذي
تقدم نعته هو عيسى بن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه
الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر
محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة
وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب
قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في امره
يمترون يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ
بالتاء على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها
عن شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب
على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة آل
عمران وقرأ الحجازيان والبصريان أن بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلوة
فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه
ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله
ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو
يوم القيمة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد

عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل
هو ما شهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم يوم
يأتوننا اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا او التهديد بما
سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق
بهم والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب لكن الظالمون اليوم
في ضلال مبين اوقع الظالمين موضع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع
والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس
المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر
الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون
حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون
حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم
ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه و
الينا يرجعون يردون للجزاء واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا ملازما للصدق
او كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله نبيا استنبأه
الله اذ قال بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه
يا ابت التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما يذكر
للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى
خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله
واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل
طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا
عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق
الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح
والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف
العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة و
الانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه

الى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي

فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه

بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق

ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة

للشيطان من حيث انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان ثم استهجن ذلك وبين

وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان

للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم ولذلك

عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن

فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن او العذاب تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر

من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة

او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جنايته لارتقاء همته

في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبهة عليها قال

اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة

العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره

بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال

لئن لم تنته عن مقالك فيها او الرغبة عنها لارجمنك بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت

او تبعد مني واهجرني عطف على ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من

الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي

لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان

فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره انه كان بي حفيا

بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وادعوا ربي واعبده

وحده عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي

تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير

واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام

وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة وقيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج

بساره

بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء او لانه

اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا

لهم من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس

ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان

ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم

احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل

الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والريا

او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه

وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص

واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى

او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف

شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة

وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا

من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل

لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول او بدل على تقدير ان يكون من للتبعيض

هرون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك

لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على

الذبح فقال ستجدني ان شاء الله صابرا فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم

ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة

اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى

وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان

الانبياء آباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في الكتاب ادريس

وهو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع

صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي

انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان

صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة

او الرابعة اولئك الذين اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع

النعم الدينية والدنيوية من النبيين بيان للموصول من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز

ان يكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي

ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية

ابراهيم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا و

يحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هديناهم الى الحق

واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان

جعلت الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له

مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى عند الله وعن النبي عم اتلوا القرآن

وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التانيث

غير حقيقي فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح

وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات من

كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي رض واتبعوا الشهوات

من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا شرا كقوله فمن يلق خيرا

يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء غي كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق

الجنة وقيل هو واد في جهنم يستعيذ منه اوديتها الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الآية

في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول

من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر

وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص شيئا من اجورهم جنات عدن بدل من

الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف التي

وعد الرحمن عباده بالغيب اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او

وعدهم بايمانهم بالغيب انه ان الله كان وعده الذي هو الجنة مأتيا يأتيها اهلها الموعود لهم

لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام

الا سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم

او تسليم

او تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا

يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان

معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام

ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل

المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم

من ثمرة تقواهم كما نبقي على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التملك

والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث

المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم

وعن يعقوب نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل

حين استبطأه رسول الله صلعم لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي

القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر

يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك

والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا والمعنى

وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء

والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن

والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا بامره

ومشيته وما كان ربك نسيا تاركا لك اي وما كان عدم النزول الا لعدم الامر به

ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها

فيه وقيل اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة

الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه

وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اي

وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله رب السموات

والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من

ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول عم مرتب عليه اي لما عرفت

ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا

عذي

تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما تعدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد
عليه من الشدايد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى
الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته
وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق
العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول
الانسان المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان
قتلوا فلانا والقائل بعض منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما
بالية ففتتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ءاذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض
او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كونه بعد الموت وقت الحيوة
وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد
مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف
الاستقبال وروي عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا يذكر الانسان
عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمهما
للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشا منه فانه لو تذكر وتامل
انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد
بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرا نافع وابن عامر وعاصم وقالون
عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم
اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول عم والشياطين
عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم
كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره
فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول
جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا
لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا
ساقطا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل
الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف

التقاول

التقاول فان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم
اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وان فسر الانسان بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون
عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة وقرا حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم
ثم لننزعن من كل شيعة من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان
اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان
ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب
او ندخل كلا طبقتها التي تليق بهم وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كساير
الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه
فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء
على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين
يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز للعلم او مستانفة والفعل
واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة
لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى
بها صليا اي نحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون
ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرا
حمزة والكسائي وحفص صليا بكسر الصاد وان منكم الا واردها وما منكم التفات الى الانسان
ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار
بغيرهم وعن جابر انه عم سئل عنه فقال اذا دخل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا
ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد
عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم
واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا
فيساقون الى الجنة وقرا الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء اي هناك ونذر
الظالمين فيها جثيا منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين
يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيآتهم واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين

كفروا للذين آمنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام او مكانا وقرأ
ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات
وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم
فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك
ايضا مع التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا فكم مفعول اهلكنا ومن قرن
بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا اي متقدما من قرن الدابة وهو مقدمها لانه يتقدم من بعدهم وهم احسن
صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث والرئي المنظر
فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة وزيا من الزي وهو
الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل و
النقص ما يكون في الآخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فيمده ويمهله
بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا للمعاذير
كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد
وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين خير حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية
قول الذين كفروا للذين آمنوا اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو
غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون
من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو
جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادي
باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على الشرطية
المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ
المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله تعالى اراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه
قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية والباقيات الصالحات الطاعات التي
تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما وما لها
النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا والخير هنا اما لمجرد الزيادة او على
طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله

لا اكفر

لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاذا بعثت جئتني فيكون ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية
اقوى سند الاخبار استعمل ارايت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث
اولئك وقرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب والعرب اطلع الغيب اقد بلغ من عظمة
شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى في الآخرة مالا وولدا وتالى عليه
ام اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين
وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ
فيما تصوره لنفسه سنكتب ما يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين
اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا يتاخر عن القول
لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستاهله
او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه
عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا
فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا
لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم
بها سيكفرون بعبادتهم سيجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا او
سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين و
يكونون عليهم ضدا يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز اي ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها
تكون معونة في عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدو
وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عم وهم يد على من سواهم
وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او
على معنى كل هذا الراي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر
انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم و
تغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله عم من اقاويل الكفرة وتماديهم
في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى
تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم ايام آجالهم عدا والمعنى
لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي

غمرهم برحمته ولاختصاص هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام
وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم
ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي
ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا من اتخذ
عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستأهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما
وعد الله او الا من اتخذ من الله اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير
الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اي الا شفاعة من
اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان
مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم
بالجرأة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وادني اثقلني وعظم علي تكاد السموات
قرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر
ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان
هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او
ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن
ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار
اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا
او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين
وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه
ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا
يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل
ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولي اصولها وفروعها فكيف
يمكن ان يتخذ ولدا ثم صرح به في قوله ان كل من في السموات والارض اي ما منهم الا آتي
الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على

الاصل

الاصل لقد احصيهم حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته
وعدهم عدا عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيمة
فردا منفردا من الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك
به ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في القلوب مودة
من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي عم اذا احب الله عبدا يقول لجبرئيل احببت فلانا
فاحبه فيحبه جبرئيل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل
السموات ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين ح بين الكفرة
فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد
فينزع ما في صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله
لتضمن يسرناه معنى انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر به قوما لدا
اشداء الخصومة آخذين في كل لديد اي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وكم اهلكنا
قبلهم من قرن تخويف للكفرة وتجسير للرسول عم على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم
وتراه او تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه
ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز للمال المدفون عن رسول الله صلعم من قرأ سورة مريم
اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وساير الانبياء المذكورين
فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله

سورة طه مكية وآيها مائة وأربع وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخمهما قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحدها ابو عمرو وورش
لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عك فان
صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله ان السفاهة طاها
في خلايقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه
على انه امر للرسول عم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده باحدى رجليه وان
اصله طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر وضم
اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية
الارض لكن يرد ذلك كتبتهما في صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى بشطري الكلمتين

وعبر عنها باسمها ما انزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه مأول بالسورة او القرآن والقرآن
فيه واقع موقع العايد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء واستينا فان كانت جملة فعلية
او اسمية باضمار مبتداء او طايفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط
تاسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا البلاغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقا
شايع بمعنى التعب ومنه اشقى من رايض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل
عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان
القرآن انزل عليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون
بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين
وقيل هو مصدر في موقع الحال من الكاف او القرآن او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو
صفة القرآن اى ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة يتاثر
بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله او بيخشى او
على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لان الشيء لا يعلل بنفسه
ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشان المنزل
بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدا بخلق الارض والسموات
التي هي اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تانيث
الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكاينات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام و
التقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته فقال
الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك
على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة
علمه بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اى وان تجهر
بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان
شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن
الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجوار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه
المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن خلق صلة لتنزيلا
او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله

الى

الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به
والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل والملايكة
النازلين معه وقرئ الرحمن بالجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان
رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض
وهي اخر طبقاتها والحسنى تانيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على ساير الاسماء في الحسن لدلالتها على
معان هي اشرف المعاني وافضلها وهل اتيك حديث موسى قفى تمهيد نبوته عم بقصة موسى ليأتم به في تحمل
اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدايد فان هذه السورة من اوايل ما نزل
اذ راى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استاذن شعيبا في الخروج الى امه وخرج
باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد
اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ راى من جانب الطور نارا فقال لاهله امكثوا اقيموا في مكانكم
اني انست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يونس به لعلي اتيكم منها
بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق او يهديني في
ابواب الدين فان افكار الابرار مايلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما
على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء
في على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد
انه لصوق بمكان يقرب منه فلما اتاها اى النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى
اني انا ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اى باني وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير
الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك
تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله فاني سمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو
اشارة الى انه عم تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك
فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب
ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل
معناه فرغ قلبك من الاهل والولد وانك بالواد المقدس طوى تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس
يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتاويل المكان وقيل هو كثنى من
الطي مصدر لنودي او المقدس اى نودي نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة

وقرأ حمزة وأنّا اخترناك فاستمع لما يوحى الذي يوحى اليك او للوحي واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين
انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم
والامر بالعبادة التي هي كمال العمل واقم الصلوة لذكري خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التي اناط بها
اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت
بها او لان اذكرك بالثناء او لذكري خاصة لا تراءي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري
وهي مواقيت الصلوة او لذكر صلوتي لما روي انه عم قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها
فان الله تع يقول واقم الصلوة لذكري ان الساعة آتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفاء وقتها
او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت
به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره لتجزى كل نفس بما
تسعى متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة او عن الصلوة
من لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لا ارينك ههنا تنبيها
على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان
صد الكافر انما يكون بسبب ضعف فيه واتبع هويه ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره
عن غيرها فتردى فتهلك بالانصداد بصده وما تلك بيمينك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه
فيها من العجائب بيمينك حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير لزيادة الاستيناس
والتنبيه قال هي عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت
على رأس القطيع واهش بها على غنمي واخبط الورق بها على رؤس غنمي وقرئ اهش وكلاهما من هش
الخبز اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها ولي فيها مآرب
اخرى حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين على شعبتيها
والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكانه
عم فهم ان المقصود من السؤال ان يتذكر حقيقتها او ما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف
تلك الحقيقة ووجد منها خصايص اخرى خارقة للعادة مثل ان يشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصير
دلوا عند الاستقاء ويطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب
بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها
الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس

العصا

العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي
حية تسعى قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها
جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي يعم الحالين
وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كانها جان قال خذها ولا تخف
فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الاولى
فننتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده في فمها
واخذ بلحييها واضمم يدك الى جناحك الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان
كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران تخرج
بيضاء كانها مشعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوءة عن
العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه آية اخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء
او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه
الآية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا
حال منها اذهب الى فرعون بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة انه طغى عصى وتكبر قال رب
اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امره الله تع بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره و
يفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر عليه باحداث الاسباب ورفع
الموانع وفائدة لي ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر ثانيا تاكيدا ومبالغة واحلل
عقدة من لساني يفقهوا قولي فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه
وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين
الياقوت والجمر فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبيض يده كان لذلك وقيل احترقت
يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد
عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل احتج
بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا
بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة
وان يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير
اما من الوزر لانه تحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجا لان الامير يعتصم برايه ويلجأ اليه في اموره

ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته كقلبها
في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال او لي وزيرا وهرون عطف
بيان للوزير او وزيرا من اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هرون او مبتدا خبره
اشدد به ازري واشركه في امري على لفظ الامر وقراهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر كي نسبحك كثيرا
ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا
وان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اي مسؤولك
فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المأكول ولقد مننا عليك مرة اخرى اي انعمنا عليك
في وقت آخر اذ اوحينا الى امك بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك لا على وجه
النبوة كما اوحي الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه
وفرط الاهتمام به ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول
فاقذفيه في اليم والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي
كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا
واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع فامره بذلك واخرج الجواب مخرج
الامر والاولى ان تجعل الضماير كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان
التابوت بالذات فموسى بالعرض يأخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول
باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته
في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في البستان وكان فرعون
جالسا على راسها مع امراته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها
فاحبه حبا شديدا كما قال والقيت عليك محبة مني اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد
يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بالقيت اي احببتك ومن احبه الله احبته
القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد
ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على عيني ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك
والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت
ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اي
وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل

من

من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل
ثدي المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت
هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها
بلقائك ولا تحزن هي بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطي الذي
استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة
والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او
فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله
في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير
ذلك اوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين في اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين
ومدين على ثماني مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته
المعين ولا مستأخرا او على مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية
للتنبيه على ذلك واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك و
استخلصه لنفسه اذهب انت واخوك باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء
في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به
اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحي الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله
فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة
حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلث
كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت لعله
يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان
الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة
وقطع المعذرة واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم
الاول اي ان لم يتحقق صدقكما فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا
بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل
وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسي
او جني على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية او ان يطغى ان يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك

فيك ما لا ينبغي لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب قال لا تخافا انني معكما بالحفظ والنصرة اسمع
وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز
ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سامعا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فاتياه فقولا
انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم
كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور اولادهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان
بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك
باية من ربك جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الاية وكان معه ايتان لان المراد
اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت باية او لو جئتك
بشيء مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة في الدارين لهم انا
قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم و
التصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر اهم وانجع وبالواقع اليق قال فمن ربكما يا موسى
اي بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشيء فعله لا محالة
وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون تابعه ووزيره او لانه عرف ان له رتة و
لاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا
الذي اعطى كل شيء من الانواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شيء
يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني لانه المقصود ببيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق
والصورة زوجا خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا
اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله
اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها
ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر الى الله
منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر وافحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف
الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال علمها
عند ربي اي انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به في كتاب مثبت فيه
وهو اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده
لا يضل ربي ولا ينسى والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث

لا يخط

لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله بالاشياء
كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها
والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم فكيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم
فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا
مرفوع صفة لربي او خبر لمحذوف او منصوب على المدح وقرأ الكوفيون مهدا اي كالمهد تتمهدونها
وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد وسلك لكم فيها سبلا وجعل
لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من
السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها
على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته
وعلى هذا نظايره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن
خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا اصنافا سميت
بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان وصفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان
يكون صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت
كمريض ومرضى اي متفرقات في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم
ولذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا اصناف
النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف اذنين فيه ان في ذلك لايات
لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب
اصل خلقة اول ابائكم واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى
بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها ولقد اريناه
اياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تاكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد
باياتنا ايات معهودة وهي الايات التسع المختصة بموسى او انه اراه وعدد عليه ما اوتي غيره من المعجزات
فكذب موسى من فرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض
مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف على ملكه فان الساحر
لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا
وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى

بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالضم وقيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضميرا اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستأصلكم وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب برواية ورش بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتداء وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتداء وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا وشدد ابن كثير نون هذان يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم

لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى اي بعدما اتوا مراعاة للادب وان بما بعده منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة التي في يدك او تعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثرا فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله واصله تتلقف فحذفت احدى التائين وتاء المضارعة تحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال او على الاستيناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته والبزي بتشديد التاء انما صنعوا كيد ساحر ان الذي زوروا وافتعلوا

كيد ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر
او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد
الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول
لتنكير المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس ما اعدت في سعي دنيا طالما قد مدت كانه قيل
انما صنعوا كيد سحري حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقي السحرة سجدا اي فالقي فتلقف
فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم
سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما راوا قالوا آمنا برب هرون وموسى قدم
هرون لكبر سنه او لروي الآية او لان فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم
ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع وروي انهم رأوا في سجودهم الجنة ومنازلهم
فيها قال آمنتم له اي لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرأ قنبل وحفص آمنتم له على الخبر والباقون
على الاستفهام قبل ان آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذي
علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل
اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب
على الحال اي لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع النخل
شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه
وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزء به فانه
لم يكن قط من التعذيب في شيء اشد عذابا وابقى وادوم عقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على
ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات والذي
فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه او حاكم به
انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الدنيا والآخرة خير
وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحيوة الدنيا كقولك
صيم يوم الجمعة انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا
عليه من السحر في معارضة المعجزة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه
تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه
والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا انه ان الامر من يأت ربه مجرما فان

وقيل رب موسى الذي آمنوا به

يموت

يموت على كفره وعصيانه فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة مهناة ومن
يأته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة
جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل
فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس الكفر والمعاصي
والآيات الثلث يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان يكون ابتداء كلام الله ولقد اوحينا الى موسى
ان اسر بعبادي اي من مصر فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او
فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا
ويبسا كسقم سقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ
يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد
مبالغة كقوله كأن قتود رحلي حين ضمت حوالب غرزا ومعا جياعا او لتعدده معنى فانه
جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من المأمور اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة
ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر ولا تخشى استينافا اي وانت
لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى
ولا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون
بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم
بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم
خلفهم فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي غشيهم
ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم
والفاعل هو الله تع او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورطهم للهلاك واضل فرعون قومه وما
هدى اي اضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم
في البحر وما نجا يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين
منهم على عهد النبي عم بما فعل بآبائهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم
جانب الطور الايمن بمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهي لموسى او له
وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم
لذائذه او حلالاته وقرأ حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم

في ء
من ط
للمناجاة

ووعدناكم والأيمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالإخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين إذا وجب أداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل إذا نزل وإني لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن بما يجب الإيمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور وما أعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها من حيث إنها نقيصة في نفسها انضم إليها إغفال القوم وإيهام التعظم عليهم فلذلك أجاب موسى عن الأمرين وقدم جواب الإنكار لأنه أهم قال هم أولاء على أثري ما تقدمتهم إلا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم إلا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت إليك رب لترضى فإن المسارعة إلى امتثال أمرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفا وأضلهم السامري باتخاذ العجل والدعاء إلى عبادته وقرئ وأضلهم أي أشدهم ضلالة لأنه كان ضالا مضلا وإن صح أنهم أقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيامها أربعين وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل وأن هذا الخطاب كان له عند مقدمه إذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك إخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فإن أصل وقوع الشيء أن يكون في علمه ومقتضى مشيئته والسامري منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من أهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى إلى قومه بعد ما استوفى الأربعين وأخذ التورية غضبان عليهم أسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا بأن يعطيكم التورية فيها هدى ونور أفطال عليكم العهد أي الزمان يعني زمان المفارقة أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة فأخلفتم موعدي وعدكم إياي بالثبات على الإيمان بالله والقيام على ما أمرتكم به وقيل هو من أخلفت وعده إذا وجدت الخلف فيه أي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الأربعين وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا بأن ملكنا أمرنا إذ لو خلينا وأمرنا ولم يسول لنا السامري لما أخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلثها في الأصل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم أحمالا من حلي القبط التي استعرنا منهم

حين هموا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة أن يعلموا به وقيل هي ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوه ولعلهم سموها أوزارا آثام فإن الغنائم لم تكن تحل بعد ولأنهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي فقذفناها أي في النار فكذلك ألقى السامري أي ما كان معه منها روي أنهم لما حسبوا أن العدة قد كملت قال لهم السامري إنما أخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالرأي أن نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف فأخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة له خوار صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به أول ما رآه هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور أو فنسي السامري أي ترك ما كان عليه من إظهار الإيمان أفلا يرون أفلا يعلمون ألا يرجع إليهم قولا أنه لا يرجع إليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لأن أن الناصبة لا تقع بعد أفعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على إنفاعهم وإضرارهم ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل رجوع موسى أو قول السامري كأنه أول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم إنما فتنتم به بالعجل وإن ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني وأطيعوا أمري في الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع إلينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الأول قال يا هرون أي قال له موسى لما رجع ما منعك إذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل ألا تتبعني أن تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به أو أن تأتي عقبي وتلحقني ولا مزيدة كما في قوله ما منعك ألا تسجد أفعصيت أمري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن أم خص الأم استعطافا وترقيقا وقيل لأنه كان أخاه من الأم والجمهور على أنهما كانا من أب وأم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي أي بشعر رأسي قبض عليهما يجره إليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عم حديدا خشنا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل لو قاتلت أو فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي وأصلح فإن الإصلاح كان في حفظ الدماء والمداراة بهم إلى أن ترجع إليهم فتدارك الأمر برأيك قال فما خطبك يا سامري أي ثم أقبل عليه وقال له منكرا أي ما طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء إذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب أي علمت

اي علمت بما لم تعلموه وفطنت بما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني محض
لا يمس اثره شيئا الا احياه او رايت ما لم تروه وهو ان جبرئيل جاءك على فرس الحيوة قيل
انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبرئيل يغذوه حتى استقل
فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض
واطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثاني
للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبرئيل ولعله لم يسمه لانه
لم يعرف انه جبرئيل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور فنبذتها
في الحلي المذاب او في جوف العجل حتى حيي وكذلك سولت لي نفسي زينته وحسنته لي قال
فاذهب فان لك في الحيوة عقوبة على ما فعلت ان تقول لا مساس خوفا من ان يمسك احد
فياخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر
وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا في الآخرة لن تخلفه لن يخلفك الله وينجزه
لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقراء ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف الواعد اياه
وستاتيه لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت
الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظللت
على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه اي بالنار
ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه
لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة
عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد
يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شيء علما وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ و
يحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ وسّع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه
وان انتصب على التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار
مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق من
اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا
للمستبصرين من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا
بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه عن الذكر الذي

هو

هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة
ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها
بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما خالدين فيه في الوزر او في حمله والجمع
فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيمة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير
مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في
هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب
حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في الصور وقراء ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما
له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور
بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون
زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوء الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم
كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال
ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزرق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ
صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا
يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتاسفهم عليها لما عاينوا
الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر لقوله
ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم
رايا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم ويسئلونك عن الجبال
عن مآل امرها وقد سال عنه رجل من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل
عليها الرياح فيفرقها فيذرها فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها
كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كان اجزاءها على صف واحد لا ترى
فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تاملت فيها بالقياس الهندسي وثلثتها احوال مترتبة
فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو
يخص المعاني والامت وهو النتو اليسير وقيل لا ترى استيناف مبين للحالين يومئذ اي يوم
اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة يتبعون
الداعي داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من

كل اوب الى صوته لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن خضعت لمهابته فلا
تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى
المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة اى الا شفاعة من اذن
او من اعم المفاعيل اى الا من اذن فى ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية
وعلى الثانى منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن او الاذن ورضى له قولا اى ورضى لمكانه
عند الله فى الشفاعة او رضى لاجله قول الشافع فى شانه او قوله لاجله فى شانه يعلم ما بين ايديهم ما
تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل
بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت
الوجوه للحى القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى فى يد الملك القهار وظاهرها
يقتضى العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من
حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات
بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط فى صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف
ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره
ولم يهضم حقه وقرا ابن كثير فلا يخف على النهى وكذلك عطف على كذلك نقص اى مثل ذلك الانزال
او مثل انزال هذه الايات المتضمنة للوعيد انزلناه قرانا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا
فيه من الوعيد مكررين فيه ايات الوعيد لعلهم يتقون المعاصى فيصير التقوى لهم ملكة او
يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى
اليهم والاحداث الى القران فتعالى الله فى ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه
كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده
الحق فى ملكوته يستحقه لذاته او الثابت فى ذاته وصفاته ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك
وحيه نهى عن الاستعجال فى تلقى الوحى من جبريل ومساوقته فى القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر
الانزال على سبيل الاستطراد وقيل عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتى بيانه وقل رب زدنى علما
اى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحى اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى ادم ولقد
امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما
عطف قصة ادم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بنى ادم على العصيان وعرقهم

راسخ

راسخ فى النسيان من قبل من قبل هذا الزمان فنسى العهد ولم يعن به حتى غفل
عنه او ترك ما وصى به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم راى وثباتا على الامر
اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان فى بدء امره
قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبى صلعم لو وزنت احلام بنى ادم بحلم
ادم لرجح حلمه وقد قال الله ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطا ولم يتعمد ولم نجد
له عزما قيل عزما على الذنب لانه ان كان من الوجود الذى بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان
من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم
مقدر باذكر اى اذكر حاله فى ذلك الوقت ليتبين لك انه نسى ولم يكن من اولى العزيمة والثبات
فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستانفة لبيان ما منعه من السجود وهو
الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى اظهر
الاباء عن المطاوعة فقلنا ~~على هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود~~ يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك
فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما من ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان
الى اخراجهما من الجنة فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشتراكهما فى الخروج اكتفاء
باستلزام شقائه شقاوتها من حيث انه قيم ومحافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء
التعب فى طلب المعاش وذاك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى
وانك لا تظما فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له فى الجنة من اسباب الكفاية واقطاب
الكفاف التى هى الشبع والرى والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعى فى تحصيل
اعواضها عسى ان ينقطع ويزول منها بذكر نقايضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر
منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع
دخوله على ان امتناع دخول ان عليه فوسوس اليه الشيطان فانهى اليه وسوسته قال يا ادم
هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة التى من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو
الخلود لانه سببه بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق على سواتهما للتستر وهو ورق التين وعصى ادم ربه
باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن الماموريه
او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن وفى النهى

عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتبيه ربه اصطفاه
وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل
الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة قال
اهبطا منها جميعا الخطاب لادم وحوا او له ولابليس ولما كانا اصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم
لبعض عدو لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلاف حال كل من النوعين بواسطة
الاخر ويؤيد الاول قوله فاما ياتينكم منى هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداى فلا يضل في الدنيا ولا يشقى
في الاخرة ومن اعرض عن ذكرى عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر
وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره
يكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للاخرة مع انه تعالى
قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل ولو ان اهل القرى امنوا الايات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ
بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى البصر
او القلب ويؤيد الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد امالهما حمزة والكسائي لان الالف من الياء
وفرق ابو عمرو بان الاول راس الاية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال
اتتك اياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك مثل تركك اياها اليوم تنسى
تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الايات ولم يؤمن
بايات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الاخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اي والنار بعد ذلك اشد
وابقى من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك
الايات والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون
اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة
بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون اثار هلاكهم ان في ذلك لايات لاولي النهى لذوي
العقول الناهية عن التغافل والمعاصي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى
الاخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم الة سمي به اللازم
لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا العدة بتاخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو
يوم القيمة او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن

في كان

في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل
وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص
حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل
غروبها يعني الظهر والعصر لانهما في اخر النهار او العصر وحده ومن اناء الليل ومن ساعاته
جمع اني بالكسر والقصر واناء بالفتح والمد فسبح يعني المغرب والعشاء وانما قدم الزمان فيه
لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة وكانت العبادة
فيه احمز ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطاء واقوم قيلا واطراف النهار تكرير
لصلوتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالتباس
كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من
النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع
في اخر النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به
ترضى نفسك وقرا الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك
اي نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة
اي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف
دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف
ودونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرا يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع
زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم
فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك
في الاخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع
وامر اهلك بالصلوة امره بان يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما
امر بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت
ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسئلك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن
نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الاخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى روي انه عليه
السلام اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الاية وقالوا لولا ياتينا باية من ربه
باية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او باية مقترحة انكارا لما جاء به من الايات او للاعتداد

بلغ — اصلي خ — مع خ — عن خ — دون الثاني خ — الى خ — اهلاكنا خ — بلغ — والمعاصي خ
اجزاء خ — بلغ — رواه الطبراني وغيرها

بعد تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة
اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل
واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذلك ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه
المختصة بهذا الباب فقال اولم ياتهم بينة ما في الصحف الاولى من التورية والانجيل وساير الكتب السماوية
فان اشتماله على زبدة ما فيها من العقايد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها
اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك
ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرا نافع وابو عمرو وحفص اولم تاتهم بالتاء
والباقون بالياء وقرى الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد او البينة
والتذكير لانها في معنى البرهان او المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
آياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة وقد قرى بالبناء
للمفعول قل كل اي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرى فتمتعوا
فستعلمون من اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرى السواء اي الوسط الجيد والمستوى والسوء و
السوء والسوءى اي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام
ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العايد فتكون معطوفة
على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على
ان المراد به النبي وعنه عليه السلام من قرا طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله
يستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان كل ما
هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تاكيد للاضافة واصله اقترب
حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله
وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان
يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما ياتيهم من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من
ربهم صفة لذكر او صلة لياتيهم محدث تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرى
بالرفع حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم

وفرط

وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك
لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكر فيه
ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير واسروا النجوى
بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو واسروا
للايماء بانهم ظلموا فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدا والجملة
المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا
على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون
باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه
بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه
ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط
ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والارض جهرا كان
او سرا فضلا عما اسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض و
لذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرا حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار
عن الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث
احلام بل افتراه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه
كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى او
للاضراب عن تحاورهم في شان الرسول وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن
والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات
اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه
فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من
كونه مفترى لانه مشحون بالحقايق والحكم ليس فيه ما يناسب قول الشاعر وهو من كونه
احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام
ولانهم جربوا رسول الله نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه
يجانسه من حيث انهما من الخوارق فلياتنا باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون
مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال

يتضمن الاتيان بالآية ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح الآيات لما جاءتهم
أفهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو
اتى به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم
فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم ان يسألوا
اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان
المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي عليه السلام ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب
العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام
وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا
مثلهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له
فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه
مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك
لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده
ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن
هو او احد من ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين في الكفر
والمعاصي لقد انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك
او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنون وكم قصمنا
من قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة
لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وانشأنا بعدها بعد اهلاك اهلها قوما آخرين مكانهم فلما احسوا
بأسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون
يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول اي قيل
لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثم من المؤمنين وارجعوا الى ما
اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسألون
غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل
قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما رأوا العذاب لم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور
من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله تعالى عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من

السماء

من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يرددون
ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك
ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود
ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك
جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال
من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وانما خلقناها مشحونة بضروب
البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش
والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا
ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا
من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها و
تسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى
ان كنا فاعلين ذلك يدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية
بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي بل من شأننا ان
نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك
القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ
بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب
كقوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف
على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما
تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او
موصوفة وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه
لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده بالذكر للتعظيم
او لانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والارض
او مبتداء خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها
وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان
يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون حال من

من الواو في يسبحون او مستأنف وهو استئناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا آلهة بل اتخذوا
والهمزة لانكار اتخاذهم من الارض صفة للآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير
دون التخصيص هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاءهم لها الالهية فان من لوازمها
الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص
الانشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله وصف بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها
ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها
على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون
في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينها من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت
عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذي
هو محل التدابير ومنشأ المقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لا يسأل عما يفعل
لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية وهم يسألون لانهم مملوكون
مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد ام اتخذوا من دونه آلهة كرره استفظاعا لكفرهم واستعظاما
لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل
على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا
في الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل
على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او من
النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر
من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك
والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي
امته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه
وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل
وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتوكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد
واتباع الرسل من اجل ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم
وهو الكتب الثلاثة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه

تنزيه

تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم عباد من حيث ~~قالوا الملائكة بنات الله سبحانه~~ انهم مخلوقون
وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه
بالقول لا يقولونه شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم
قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به
للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا او تجافيا عن تكرير الضمير
وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون قط
ما لم يأمرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا
واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون
انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم
من خشيته عظمته ومهابته مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف مع
تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه
اظهر وان عدي بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد
مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين
كفروا اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا ذات رتق
او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما
بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى
صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات
واقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت
ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق
او السموات باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون
من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا
من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات
وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى
المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق

كل دابة من ماء وذلك لانه اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا
كل شي حي بسبب من الماء لا يحيي دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف
لغو والشي مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات
من رسا اذا ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لامن
الالباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو
وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها
ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء
سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد او الانحلال الى الوقت المعلوم بمشيته او استراق
السمع بالشهب وهم عن آياتها احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي
حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين
وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات كل في فلك اي كل واحد
منهما والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون
على الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما
بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون
وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعلق
الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعدما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها
جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بالبلايا
والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد منكم
من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض للثواب و
العقاب تقريرا لما سبق واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا
مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر
العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسل
وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن هم كافرون منكرون فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير
الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان

من عجل

من عجل كانه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم
جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه وهو مبالغة في لزومه له ولذلك قيل
انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روي انها
نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل سأريكم آياتي نقماتي في الدنيا
كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي
عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت
وعد العذاب او القيمة ان كنتم صادقين يعنون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم
ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول به اي لو يعلمون
الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم
النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا
يمنعها لما استعجلوا او يعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه
موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تأتيهم العدة او النار او الساعة
بغتة فجأة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ
الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها لان
الوعد بمعنى النار او العدة والحين وكذا في قوله فلا يستطيعون بمعنى الساعة
ويجوز ان يكون للنار او البغتة ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا
ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله فحاق بالذين سخروا منهم ما
كانوا به يستهزؤن وعد له بان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين
بالانبياء ما فعلوه يعني جزاءه قل من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه
ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان
اندفاعه بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا
ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم
آلهة تمنعهم من دوننا بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من
عذاب يكون من عندنا والاضراب عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض

الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم
منا يصحبون استيناف بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه
نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب
عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او
عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم
حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل
على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط
المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله على ايدي المسلمين افهم الغالبون رسول الله والمؤمنين قل
انما انذركم بالوحي بما اوحي اليّ ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر ولا تسمع على خطاب النبي و
قرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم
وعدم انتفاعهم بما يسمعون اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام
في الانذار او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات
ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال
على المرة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا
عليها بالظلم ونضع الموازين القسط العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الميزان تمثيل
لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف
به للمبالغة ليوم القيمة لجزاء يوم القيمة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر
فلا تظلم نفس شيئا من حقها او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل
اي وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة
اتينا بها احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب
من اعطينا ومن المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء واثبنا من الثواب
وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد
آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل
وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه
من الشرائع وقيل الفرقان النصرة وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان الذين
يخشون ربهم صفة للمتقين

او مدح

او مدح لهم منصوب او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون
خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القرآن مبارك
كثير خيره انزلناه على محمد افانتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد آتينا ابراهيم رشده الاهتداء
لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهي لغة
من قبل من قبل موسى وهرون او محمد وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال اني وجهت
وجهي وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه
اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه متعلق
بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التي انتم
لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح فيها لا يضر ولا ينفع
واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز
ان يؤول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب
عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في
ضلال مبين منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل
والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين
كأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا اجد تقوله ام لعب
قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان
على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم
وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد
من تحقق الشيء وحققه وتالله لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في
التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين الى
عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو
القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا
جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس
على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره
بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه

عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه فى حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اى يرجعون
الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته
على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه فى حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم
يعيبهم فلعله فعله و يذكر ثانى مفعولى سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ
فى نسبة الذكر اليه يقال له ابرهيم هو ابرهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم قالوا
فاتوا به على اعين الناس بمراى منهم بحيث يتمكن صورته فى اعينهم تمكن الراكب على المركوب
لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا
ابرهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اسند
الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما راى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه
مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضى كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق
اانت كتبت هذا فقلت بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه فى المعنى متعلق بقوله
ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابرهيم وقوله كبيرهم هذا
هذا مبتداء وخبر ولذلك وقف على بل فعله وما روى انه عليه السلام قال لابرهيم ثلث كذبات
تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا
فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من
ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا
بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشىء مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا
اى نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تامرنا بسؤالها وهو على ارادة القول
قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم
بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافى الالوهية اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه
على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له
افلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذا فى المضارة لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار
اهول ما يعاقب به وانصروا آلهتكم بالانتقام ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا
والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هينون خسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كونى
بردا وسلاما ذات برد وسلام اى ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المحرقة

لقدرته

مامورة مطيعة واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه
مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اى وسلمنا سلاما عليه روى انهم بنوا حظيرة بكوثى و
جمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه فى المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبرئيل هل لك
حاجة فقال اما اليك فلا قال فاسل ربك فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى فجعل الله ببركة
قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال
انى مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان اذ ذاك ابن ستة عشر
سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من
معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكن الله تعالى دفع عنه اذيتها كما ترى فى السمندر ويشعر به
قوله على ابرهيم وارادوا به كيدا مكرا فى اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر
عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابرهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته و
استحقاقهم اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين اى من العراق الى الشام
وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرائعهم التى هى مبادى الكمالات
والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى انه نزل بفلسطين ولوط
بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة عطية فهى حال
منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فيختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة وكلا يعنى
الاربعة جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم
ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين
واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص
على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه
مقامها وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا
اتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغى للانبياء ونجيناه
من القرية قرية سدوم التى كانت تعمل الخبائث يعنى اللواطة وصفها بصفة اهلها
واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء
فاسقين كالتعليل له وادخلناه فى رحمتنا فى اهل رحمتنا او فى جنتنا انه من الصالحين
الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى دعا الله على قومه بالاهلاك

من قبل هولاء المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم
من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه مطاوع انتصر اي
جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم
اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ولم يجتمعا في قوم
الا واهلكهم الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم
تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم
الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمن الضمير للحكومة او الفتوى وقرى
فافهمناها روي ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمن وهو ابن احدى
عشرة سنة غير هذا ارفق بهما بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها
واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان
ثم يترادان ولعلهما بالاجتهاد والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني قول
الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب
ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط البهايم ليلا ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم
لما دخلت ناقة البراء حايطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل
الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان
الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار وكلا اتينا حكما وعلما
دليل على ان خطاء المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم
قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه
في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت
يتمثل له او يخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استيناف
لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا او يسبحن والطير عطف على الجبال او مفعول
معه وقرى بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين لامثاله
فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع وهو في الاصل
اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفايح فحلقها وسردها لكم متعلق
بعلم او صفة للبوس ليحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار

والضمير

والضمير لداود او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع
وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه في صورة
الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان
الخارق فيه عايد الى سليمن نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود
بالاضافة اليه الريح عاصفة شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في
مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل
كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تجري بامره بمشيته حال ثانية
او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعدما
سارت به بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين من
يغوصون له في البحار ويخرجون نفايسه ومن عطف على الريح او مبتداء خبره
ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر
كبناء المدن والقصور واختراع الصنايع الغريبة كقوله يعملون له ما يشاء من محاريب
وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى
جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر باني مسني الضر وقرى بالكسر على
اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شايع في كل ضرر وبالضم خاص بما
في النفس كمرض وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر
نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السوال وكان روميا من اولاد
عيص بن اسحق استنباه الله وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت
عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة او سبعا وسبعة
اشهر وسبع ساعات روي ان امراته ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت
افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت
ثمانين سنة فقال استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له
فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه واتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف
ما كان او احيي ولده وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة
لغيره ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم

واسمعيل وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله
او تكفل امته او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل كل
هولاء من الصابرين على مشاق التكاليف وشدايد النوب وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة
او نعمة الاخرة انهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن
كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم لطول دعوتهم
وشدة شكيمتهم مهاجرا عنهم قبل ان يومر وقيل وعدهم بالعذاب فلم ياتهم لميعادهم بتوبتهم و
لم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة
لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرى مغضبا فظن ان لن نقدر عليه لن نضيق عليه او لن نقضي
عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرى مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله
بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية
سبقت الى وهمه فسمي ظنا للمبالغة وقرى بالياء وقرا يعقوب على البناء للمفعول وقرى
به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر
والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك ان يعجزك شيء اني كنت من الظالمين
لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء
الا استجيب له فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات
كان في بطنه وقيل ثلثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطية وكذلك ننجي المؤمنين من
غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام نجي فلذلك اخفى النون الثانية الجماعة فانها تخفى
مع حروف الفم وقراه ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية
كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من المضارعة التي لمعنى ولا تبدح
فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع
الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن اخره تخفيفا
ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن اخره وزكريا اذ نادى ربه رب
لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي
به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او
لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة انهم يعني المتوالدين او المذكورين من الانبياء كانوا

يسارعون

يسارعون في الخيرات يبادرون الى ابواب الخير ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب
او راغبين في الثواب راجين الاجابة او في الطاعة وخايفين العقاب والمعصية
وكانوا لنا خاشعين مخبتين او دايبين الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا
بهذه الخصال والتي احصنت فرجها من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في
عيسى فيها احييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذي هو
هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبريل وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما ولذلك
وحد قوله اية للعالمين فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ان هذه امتكم
ان ملة التوحيد او الاسلام ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا عليها امة واحدة غير مختلفة
فيما بين الانبياء او لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرى امتكم بالنصب على البدل
وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون
لا غير وتقطعوا امرهم بينهم صرفه الى الغيبة التفاتا لينعي على الذين تفرقوا في الدين
وجعلوا امره قطعا موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة الينا راجعون
فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسوله فلا كفران لسعيه
فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة
وانا له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على اهلها
غير متصور منهم وقرى حرم اهلكناها حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى
التوبة او الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدا خبره حرام او فاعل له ساد مسد
خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حيوتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام
خبر محذوف اي وحرام عليها عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج
متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم
الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد ياجوج وماجوج وهي حتى التي يحكى الكلام
بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرا ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وهم يعني ياجوج وماجوج
او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض وقرى جدث وهو القبر ينسلون يسرعون
من نسلان الذيب وقرى بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيمة فاذا هي شاخصة
ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة وتسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم

يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد والضمير للقصة او مبهم
تفسيره الابصار يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم
الاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في
حكم عبدتهم لما روي انه عليه السلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب
الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام
بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون
الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مأوّلا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روى ان ابن الزبعرى قال هذا شيء
لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون
قوله ان الذين بيانا للتجوز او التخصيص تأخر عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به من
حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استئناف او
بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان
هؤلاء آلهة ما وردوها لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها
زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام
وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة اولئك عنها مبعدون
لانهم يرفعون الى اعلى عليين روي ان عليا رضه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر
وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة
فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة
في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دائمون في غاية التنعم
وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الاخيرة لقوله ويوم
ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض او الانصراف الى النار او حين
يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقاهم الملائكة تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم
ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر
او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والطي
ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم

فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالتاء وبالياء والبناء للمفعول كطي السجل للكتاب طيا كطي
الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي و
حفص على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال
اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلعم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل
وهما لغتان فيه كما بدأنا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة
مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود
بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية
وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول
لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف وعدا مقدر بفعله
تاكيدا لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا
فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور كتاب داود من بعد الذكر اي التوراة وقيل
المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة او
الارض المقدسة يرثها عبادي الصالحون يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها او امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا اي فيما ذكر من
الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همهم
العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم
وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ
وعذاب الاستيصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله
واحد وذلك لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشيء
والثانية على العكس فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله على مقتضى الوحي المصدق بالحجة
وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل آذنتكم اعلمتكم
ما امرت به او حربي لكم على سواء مستوين في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم
به او في المعاداة او ايذانا على سواء اي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير وان ادري وما
ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين او الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم
الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد

للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيته قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله رب بالضم وربي احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله فخيب امانيهم ونصر رسوله عليهم وعن النبي صلعم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في او اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت والضمير للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كانهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما او رايتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه مناب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي تعمه واضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه على الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل عليه على تقدير فشانه ان يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ

بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم من تراب اذ خلق آدم منه او الاغذية التي يتكون منها المني ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيه ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تاويل كل واحد او الدلالة على الجنس او لانه في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها جمع شدة في امور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظايره وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج رائق وهذه دلالة ثالثة كررها في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره

بان الله هو الحق اى بسبب انه الثابت فى نفسه الذى به تحقق الاشيا وانه يحيى الموتى
والا لما احيى النطفة والارض الميتة وانه على كل شئ قدير لان قدرته لذاته الذى نسبته
الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على
احياءكلها وان الساعة آتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلا يعه
وان الله يبعث من فى القبور بمقتضى وعده الذى لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل فى الله
بغير علم تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من
استدلال او وحي والاول فى المقلدين وهذا فى المقلَّدين والمراد بالعلم العلم الفطرى ليصح عطف
الهدى والكتاب عليه ثانى عطفه متكبرا وثنى العطف كناية عن التكبر كلى الجيد او معرضا عن
الحق استخفافا به وقرى بفتح العين اى مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة للجدال و
قراء ابن كثير وابو عمرو وورش بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال
على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له له
فى الدنيا خزى وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق المحرق وهو
النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اى يقال له يوم القيمة ذلك
الخزى والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى وان الله ليس بظلام للعبيد وانما
هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف
من الدين لا ثبات له فيه كالذى يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه
خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه روى انها نزلت فى اعاريب قدموا الى
المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سويا وولدت امراته غلاما سويا
وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر
بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابى سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصايب
فتشام بالاسلام فاتى النبى صلعم فقال اقلنى فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا
والاخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرى خاسرا بالنصب على الحال
او الرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر
محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا
ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن المقصود مستعار

من ضلال

من ضلال من ابعد فى التيه ضلالا يدعوا لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل فى
الدنيا والعذاب فى الاخرة اقرب من نفعه الذى يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل
بها الى الله واللام معلقة ليدعوا من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة
على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول اى يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين
يرى استضراره به او مستانفة على ان يدعوا تكرير الاول ومن مبتدا خبره لبئس
المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك
لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والاخرة كلام فيه اختصار و
المعنى ان الله ناصر رسوله فى الدنيا والاخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من
غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص
فى ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلى غيظا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا
الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد فى دفع نصره او تحصيل رزقه
فلينظر فليتصور فى نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى
ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذى يغيظه من نصر الله وقيل نزلت فى قوم مسلمين
استبطؤا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال
انزلناه انزلنا القران كله ايات بينات واضحات وان الله يهدى ولان الله يهدى او
يثبت على الهدى من يريد هدايته او اثباته انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم
واظهار المحق منهم عن المبطل او الجزاء فيجازى كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت
ان على كل واحد من طرفى الجملة لمزيد التاكيد ان الله على كل شئ شهيد عالم به مراقب لاحواله الم تر
ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض يتسخر لقدرته ولا يتابى عن تدبيره او يدل
بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس و
القمر والنجوم والجبال والشجر والدواب فرادها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرى والدواب
بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين ساكنين وكثير من الناس عطف عليها ان جوز اعمال
اللفظ الواحد فى كل من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان

تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قسيمه نحو حق
له الثواب او فاعل فعل مضمر اى يسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب
بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة فى تكثير المحقوقين
بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حُق بالضم وحقا
باضمار فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى
الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان اى فوجان مختصمان ولذلك
قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون فى ربهم فى دينه
او فى ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم
كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله امنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب
وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعنى
بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف
ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم حال من الضمير
فى لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما فى بطونهم والجلود اى يؤثر من فرط حرارته فى باطنهم
تأثيره فى ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او ضميرهم وقرئ
بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اى
يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار
اعيدوا فيها اى فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار
فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا اى قيل لهم ذوقوا عذاب الحريق
النار البالغة فى الاحراق ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من
تحتها الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده احمادا لحال المؤمنين و
تعظيما لشانهم يحلون فيها من حليت المرأة اذا لبست الحلى وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من
اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهى جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا
عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا
على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وقرئ ولؤلؤا بقلب الثانية
واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء ولِيليا بقلبهما يائين ولول كأدل ولباسهم فيها حرير
غير

غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى
الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه
او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان الذين
كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصدود
منهم كقولهم فلان يعطى ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضى وقيل هو حال من فاعل كفروا
وخبر ان محذوف دل عليه آخر الاية اى معذبون والمسجد الحرام عطف على اسم الله واوله
الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد اى المقيم
والطارى على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا
من ديارهم وشرى عمر دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه
ويكون للناس حالا والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول الثانى او الحال
والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله
ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما
حالان مترادفان او الثانى بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اى ملحدا بسبب الظلم
كالاشراك واقتراف الاثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا لابرهيم مكان البيت
اى واذكر اذ عيناه وجعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اى واذ انزلناه فيه
قيل رفع البيت الى السماء او انطمس ايام الطوفان فاعلم الله مكانه بريح ارسلها فكنست
ما حوله فبناه على بنائه القديم ان لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع
السجود ان مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة لاجل العبادة
او مصدرية موصولة بالنهى اى فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتى وطهر بيتى من الاوثان
والاقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعله عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل
واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن فى الناس
ناد فيهم وقرئ آذن بالحج بدعوة الحج والامر به روى انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس
حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من فى اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب
ممن سبق فى علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك فى حجة
الوداع يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بالضم مخفف الجيم ومثقله ورجالى

كما في وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر ياتين صفة لضامر
محمولة على معناه وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان او استينافا فيكون الضمير للناس
من كل فج طريق عميق بعيد وقرئ معيق بئر بعيدة العمق والمعق ليشهدوا ليحضروا
منافع لهم دينية ودنياوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة
ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح
المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله في ايام معلومات هي
عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه
بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة
وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا
في المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة الفقير المحتاج والامر
فيه للوجوب وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار
ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل
مواجب الحج وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحليل فانه قرينة قضاء التفث وقيل
طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط
الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير
منه دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين
كلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه وساير ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف
وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند
ربه ثوابا واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض
كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا
الرجس من الاوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة
في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة
الاوثان راس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه
من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة
الزور لما روي انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلثا وتلا هذه

الآية

الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان
الكذب منحرف منصرف عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من
الواو ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر
فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره او تهوي به الريح في مكان سحيق
بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع
فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد
ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد سلكت نفسه
هلاكا يشبه احد الهلاكين ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع
نسكه او الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختار
حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه عليه السلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل
في انفه برة من ذهب وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من
تقوى القلوب فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات
والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشاء التقوى والفجور والامرة بهما لكم فيها منافع
الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها
الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اي ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت
والتراخي في الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم
منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاول لكم
فيها وغير منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذي
يرفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع
التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة
بالاحلال بطواف الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا وقربانا يتقربون
به الى الله وقرا حمزة والكسائي بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله دون غيره و
يجعلون نسكهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود على
ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما فالهكم
اله واحد فله اسلموا اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين

المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة
منه لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من المصايب الكلف والمقيمي
الصلوة في اوقاتها وقرى المقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن
جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرى به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة
من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها عن سبعة بقوله عليه السلام البدنة
عن سبعة والبقرة عن سبعة تناولُ اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه
بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتداء من شعائر الله من اعلام دينه التي
شرعها الله لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند
ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قايمات قد صففن ايديهن
وارجلهن وقرى صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة
تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وصوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي
اي خوالص لوجه الله وصوافٍ على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها
فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع
الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده انه قرى القنع او السايل من قنعت اليه
قنوعا اذا خضعت له في السؤال والمعتر والمعترض بالسؤال وقرى والمعتري يقال عرّه
وعراه واعترّه واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها و
قوتها حتى تاخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوايمها ثم تطعنون في لباتها
لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لحومها ولا دماؤها لن يصيب
رضاه ولن يقع منه موقع القبول ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى
قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا
ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا
للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه
بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هداكم ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية
التقرب بها وما يحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمينه معنى الشكر وبشر
المحسنين المخلصين فيما ياتونه ويذرونه ان الله يدافع عن الذين غايلة المشركين وقراء

امنوا

في الدفع مبالغة

نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اي يبالغ من يغالب فيه ان الله لا يحب كل خوان في امانة
كفور للنعمة كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرضى فعلهم ولا ينصرهم اذن
رخص وقراء ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله
للذين يقاتلون المشركين والماذون فيه محذوف لدلالته عليه وقراء نافع وابن
عامر وحفص بفتح التاء اي للذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا
وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه
من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال
حتى هاجر فانزلت وهي اول اية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين اية وان
الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا من ديارهم
يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على
اهل الملل وقرى دفاع ولهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهبانية وبيع وبيع النصارى
وصلوات وكنايس اليهود وسميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرية فعربوه
ومساجد ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا
ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على
صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على نصرهم عزيز
لا يمانعه شي الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ
لم يجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى
حكمه وفيه تاكيد لما وعده وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم
وقوم لوط واصحاب مدين تسلية له بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب فان هؤلاء
قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل ولم
يكذبوه وانما كذبه القبط او لان تكذيبه كان اشنع واياته كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين
فامهلتهم حتى انصرمت اجالهم واخذتهم ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكاري

عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكناها باهلاك
اهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية على عروشها ساقطة
حيطانها على سقوفها بان تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق
السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون
خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها اي مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان
مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهي ظالمة فانها حال والاهلاك
ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كاين بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء
فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها
لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع او مجصص اخليناه
عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على عروشها خالية وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل
بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح
فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا
مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب
يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال
او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم فانها
الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت عقولهم
باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتاكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على ان
العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان في هذه اعمى قال ابن
ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك
بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم
به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
بيان لتناهي صبره وتانيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي عذابه وطول ايامه
حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
بالياء وكاين من قرية وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب

ورجع

ورجع الضماير والاحكام مبالغة في التعميم وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو
لان الاولى بدل عن قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان
المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تاخر لعادته تعالى امليت لها كما امهلتكم وهي
ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والي المصير والى حكمي مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا
لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر
الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة
في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما ندر منهم ورزق كريم هي الجنة
والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا في آياتنا بالرد والابطال معاجزين مسابقين
مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان
كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انه حال
مقدرة اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع
سابق كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام ولذلك شبه النبي صلعم علماء امته
بهم والنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة
وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة
كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال
له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اذا زور في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما
يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين
مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى
ما يزيحه ثم يحكم الله آياته ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في امر الآخرة والله عليم باحوال
الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان
قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم
فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى
ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد
في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل فاغتم به فعزاه الله بهذه

بهذه الاية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل
فيه وقيل تمنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمني داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء
الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي عليه السلام
وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القران ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم
الله اياته لانه ايضا يحتمله والاية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل
ما يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل
فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين وان الظالمين يعني الفريقين
فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق او عن الرسول والمؤمنين
وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك ان القران هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان
من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن ادم فيؤمنوا
به بالقران او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهادي الذين امنوا فيما اشكل
الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا في مرية في شك منه
من القران او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه حتى
تاتيهم الساعة القيامة او الموت او اشراطها بغتة فجاة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم
حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان
المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم و
منه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيمة على ان المراد
بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة التي
دلت عليه الغاية اي يوم تزول مريتهم يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين فالذين امنوا
وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين ادخال
الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان
عقاب الكافرين مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل في عذاب والذين هاجروا في سبيل الله
ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد
ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل روي ان بعض الصحابة قال يا نبي الله
هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا

فنزلت

فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة
فيها ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل بالعقوبة ذلك الامر ذلك ومن عاقب
بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه
ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في
الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض
بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك
اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك
النصر بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب ان الله قادر على تغليب
بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد
الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب
الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع قول بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف
بكمال العلم والقدرة بان الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده
ووحدته يقتضيان ان يكون مبدءا لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية
ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما وان ما يدعون من دونه الها وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر
وابو بكر ~~قادرا عالما وان ما تدعون من دونه الها وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر~~ بالتاء على
مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فانه في معنى الالهة هو الباطل
المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية وان الله هو العلي على الاشياء الكبير عن ان يكون له
شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير
ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار
كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي
للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل ما جل
ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان
الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر
لكم ما في الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع
على الابتداء تجري في البحر بامره حال منها او خبر ويمسك السماء ان تقع على الارض من ان تقع

على قراءة الرفع

على قراءة نصب الفلك

اوكرامة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيته وذلك يوم
القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لساير الاجسام في الجسمية فتكون
قابلة للميل الهابط قبول غيرها ان الله بالناس لروف رحيم حيث هيا لهم اسباب الاستدلال
وفتح لهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا
ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم يحييكم في الاخرة ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل
امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه ينسكونه فلا
ينازعنك ساير ارباب الملل في الامر في امر الدين او النسايك لانهم بين جهال واهل عناد اولان
امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة
المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهولاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربك
زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين مالكم
تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقرى فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة في
تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته وادع الى ربك الى توحيده وعبادته
انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمته الحجة فقل الله اعلم
بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل
بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والايات
فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء ان
ذلك في كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك ان
الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل
المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل على جواز عبادته
وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين وما للذين ارتكبوا
مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم واذا تتلى عليهم اياتنا من القران
بينات واضحات الدلالة على العقايد الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر
الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار
بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر يكادون يسطون بالذين
يتلون عليهم اياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين

وسطونكم

وسطوتكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو النار كانه جواب
سايل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدا خبره وعدها الله الذين كفروا وقرى بالنصب
على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة استينافا كما اذا رفعت خبرا او حالا
منها وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة او قصة
رايعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة فاستمعوا
له للمثل او لشانه استماع تدبر وتفكر ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام
وقرا يعقوب بالياء وقرى به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين
لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة
على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان
ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر في موضع حال جي بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه
مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد
بايجاد الموجودات كلها باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على
خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل
وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب
والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب
والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما يسلب من الصنم من الطيب والصنم
يطلب منه الذباب السلب او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه فلو
حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته
حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي على
خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شيء والهتهم التي يدعونها عجزة عن اقلها مقهورة من
اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي ومن الناس
يدعون سايرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية
ونفى ان يشاركه غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم
والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من

من الموجودات تعبيرا وتنزيها لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم عالم بوا قعها ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسال عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسئلون يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا في صلوتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما تاتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والاية اية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله صلى الله عليه وسلم فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراها وجاهدوا في سبيل الله لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه انه عليه السلام رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان نجعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم ابرهيم منتصبة على المصدر لفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا

على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل من قبل القران في الكتب المتقدمة وفي هذا وفي القران والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابرهيم وتسميتهم مسلمين في القران وان لم تكن منه كان بسبب تسميته ايأكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه قد بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة اية عند البصريين وثماني عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخل الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرا ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول الذين هم في صلوتهم خاشعون خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه راى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية

والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين
والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه او الثاني على تقدير المضاف والذين
هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم
وعلى صلة لحافظون من قولك احفظ على عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال
الا في حال التزوج او التسري وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل
شايع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى
الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى
فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون
ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير ههنا
وفي المعارج لامانتهم على الافراد لامن الالباس او لانها في الاصل مصدر والذين هم على صلواتهم
يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما للصلوة من التجدد والتكرر ولذلك
جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة
عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلوة تعظيم لشانها اولئك الجامعون لهذه الصفات
هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه
وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتاكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم
وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها
على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث
الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة
سلت من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من بيانية
او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة
سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد
بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا نسله فحذف
المضاف نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على
تاويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم وهو في الاصل
صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة بان

احلنا

احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم
فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة او مما
انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها
في الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن
الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر ثم انشاناه خلقا آخر هو صورة البدن او الروح
او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به
ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ
لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شانه في قدرته وحكمته احسن الخالقين
المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون
الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم
يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات
لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها
طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي
هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال
وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت
به المشية وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار
ما علمناه من صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض وانا على ذهاب
به على ازالته بالافساد او التصعيد بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا
قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به فلذلك
جعل ابلغ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم
به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها
من الجنات ثمارها وزروعها تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم
فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتهما انواع
من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه
وشجرة عطف على جنات وقرئ بالرفع على الابتداء اي ومما انشانا لكم به شجرة تخرج

وقريت

من طور سيناء جبل موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين
ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم
له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف
لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال
كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي
ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر
والقصر تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء
صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية
تُنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم
قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على
البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان
وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي
تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه
الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون
بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف فان اللبن يكون
منه فمن للتبعيض او للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها واصوافها وشعورها ومنها
تاكلون فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر
وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفاين البر قال ذو الرمة
سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون الضمير في بعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون
في البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص مسوق
لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله
غيره استيناف لتعليل الامر بالعبادة وقرئ غيره بالجر على اللفظ افلا تتقون افلا
تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم
نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا
الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء الله

ان يرسل

ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون نوحا اي ما
سمعنا به انه نبي او ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره او من دعوى
النبوة وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو الا رجل به جنة اي
جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروه حتى حين لعله يفيق من جنونه
قال بعد ما ايس من ايمانهم رب انصرني باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب
بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او بسببه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه
ان تخطئ فيه او يفسد عليك مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا
بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روي انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب
انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين
الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة ~~امراته فركب ومحله~~ من الشام وفيه وجوه
اخر ذكرتها في هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ما سلككم
في سقر من كل زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص
من كل بالتنوين اي من كل نوع زوجين واثنين تاكيد واهلك واهل بيتك او ومن آمن
معك الا من سبق عليه القول منهم اي القول من الله باهلاكه الكفرة وانما جيء بعلى لان
السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا
تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي
ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم
بقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم
الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني
في السفينة او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرئ منزلا
بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه
به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوي هو
ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم
ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار و
الاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه

بهذه الآيات وان هي المخففة واللام هي الفارقة ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد
او ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل
على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره تفسير لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول ان اعبدوا الله افلا تتقون
عذاب الله وقال الملاء من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام
الرسول بخلاف كلام قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال وكذبوا بلقاء الآخرة
بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعاده الى الحيوة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم
في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال يأكل مما
تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب
محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم
فيما يأمركم انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين
قاولوهم من قومه ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم و
الاعصاب انكم مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم
تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ خبره
الظرف المقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم
او انكم اذا متم وقع اخراجكم اذا متم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه
لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة هيهات هيهات بعد التصديق او الصحة لما توعدون
او بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل
فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره
لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون
تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي
الا حيوتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حيوتنا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية
عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها
تتحمل ومعناه لا حيوة الا هذه لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة
على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد بعض

بعضنا

وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله
له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم
لي منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى
القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم
الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا
واستدل به على ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله
كقولك فلان يقضي بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل
وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار
والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التي تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها
واللام لبيان من دعا عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم انشأنا من
بعدهم قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت
الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستأخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى
متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور
والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ ابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى التواتر
وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء
الى المرسل اليهم لان الارسال الذي هو مبدأ الامر منه والمجيء هو الذي منتهاه اليهم
فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها
وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون
ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة
ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها
معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون
من الحجر بضربها بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا
وان يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة
على ما يدعيه النبي الى فرعون وملائه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين
متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق

للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص
كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم
من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تامل فان النفوس البشرية وان تشاركت
في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان اغبياء
لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر في اكثر الاشياء
واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم واليه اشار بقوله
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون
خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد اتينا
موسى الكتاب التوراة لعلهم لعل بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان
التوراة نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه اية
بولادتها اياه من غير مسيس فالاية امر واحد مضاف اليهما او وجعلنا ابن مريم
اية بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات اخر وامه اية بان ولدت من غير مسيس فحذفت
الاولى لدلالة الثانية عليها واويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق
او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربى وقرا ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ
رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان
ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى
واصله الابعاد في الشيء او من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا
ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعين وصف ماءها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه
وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا
بذلك دفعة ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته
عيسى دخولا اوليا ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة
وان اباحة الطيبات شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات او حكاية
لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء
له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام
فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس

ويحفظ

ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم
فاجازيكم عليه وان هذه اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل
انه معطوف على ما تعملون وقرا ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستيناف
امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اي متحدة في العقايد واصول الشرايع او جماعتكم
جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة ونصب امة على الحال وانا ربكم
فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم فتقطعوا امر دينهم وجعلوه
اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير
لما دل عليه الامة من اربابها او لها زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة
بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن
معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل
كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين
فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي
يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا
ايحسبون انما نمدهم به ان ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له
فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات
والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم
بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج
لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما
ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون
حذرون والذين هم بايات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين
هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما اتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات
وقرئ ياتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا من الطاعات وقلوبهم وجلة خائفة ان لا يقبل
منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم
وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها
او يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فاتاهم الله

ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفى عن اضدادهم وهم لها سابقون لاجلها فاعلون السبق
او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة او سابقونها اى ينالونها قبل الآخرة حيث
عجلت لهم في الدنيا كقوله لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض على
ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب يعني اللوح او صحيفة الاعمال ينطق
بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او نقصان ثواب
بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي وصف به هؤلاء او من
كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم
عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب
يعني القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر
واجعل عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة اذا هم يجأرون
فاجؤا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتداء بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب
لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اى قيل لهم لا تجأروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اى
لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت
آياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها و
تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم
وافتخارهم بانهم قوامه اغنت عن سبق ذكره او لآياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة
بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله
سامرا اى يسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل
كالعافية وقرئ سمرا جمع سامر تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان
اى تعرضون عن القرآن او تهذون في شانه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع
تُهجرون من اهجر وقرئ تُهَجِّرون على المبالغة افلم يدبروا القول اى القرآن ليعلموا انه الحق
من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين من الرسول والكتاب
او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فآمنوا به
بالله وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال
العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم له منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه

اذ لا وجه

اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشئ قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او
الشخص او بحث عما عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون
انه ارجحهم واتقنهم نظرا بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم
فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه
او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان في الواقع آلهة
آلهة شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة الا
الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع
الحق الذي جاء به محمد اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة واهلك العالم من فرط غضبه
او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر
ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم
اى وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم
فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا
على اداء الرسالة فخراج ربك خير رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه ففيه
مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في
الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله
اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين
تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته
لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلة في هذه الآيات بان
حصر اقسام ما يؤدى الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة
وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط عن الصراط السوى لناكبون لعادلون عنه
فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من
ضر يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج التمادي في الشئ في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار
عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز
فجاء ابو سفين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك
بعثت رحمة للعالمين فقلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب

يعني القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم
واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته
وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني
الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم
يستعطفك وهو الذي انشاء لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الآيات والافئدة
لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنياوية قليلا ما تشكرون
تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها
من غير اشراك وما صلة للتاكيد وهو الذي ذراكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه
تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ويختص
به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته الى الشمس حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما
او انتقاص احدهما وازدياد الآخر افلا تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم
الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا
اي كفار مكة مثل ما قال الاولون آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون استبعادا ولم يتاملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن
وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه
يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها
ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم
حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن
جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم بادي نظر الى الاقرار
بانه خالقها قل اي بعد ما قالوه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قادر
على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل قل من
رب السموات السبع ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون لله لان العقل الصريح
قد اضطرهم قراه ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا
تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده
ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار

عليه

عليه ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون
سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور
الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون
حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه
من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب
محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما تقولون
لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ولظهر
بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء
واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات
الى واجب الوجود سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على
فساده عالم الغيب والشهادة خبر مبتداء محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر و
ابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم
في انه المنفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني
ان كان لا بد من ان تريني لان ما والنون للتاكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا والآخرة
رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس
او لان شوم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم لقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها
فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع
وجوار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم
يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له
استهزاء به وقيل اراد به وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو
الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل
هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر
وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل نحن اعلم بما يصفون
بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل

وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرايض
شبّه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس
او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون فيحوموا حولي في شيء من الاحوال وتخصيص
حال الصلوة وقراءة القران وحلول الاجل لانها احوال يخاف عليها حتى اذا جاء احدهم
الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله عن الشيطان
ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه
من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب
وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان
الذي تركته اي لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه عليه السلام
اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما
الى الله تعالى واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها
كلمة يعني قوله رب ارجعون الى اخره والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها
مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة
برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع
الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الاخرة
فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد تؤيد ان الصور ايضا
جمع الصورة فلا انساب بينهم ينفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء
الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون
اليوم ولا يتساءلون ولا يسال بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذاك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة
واهل النار النار فمن ثقلت موازينه موزونات عقايده واعماله اي ومن كانت له عقايد
واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات
ومن خفت موازينه ومن لم يكن له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها
لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها

والفح

واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح
تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول
اي يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تانيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب
لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا مجامع
احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقراء حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة
وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها من النار فان
عدنا الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا فيها اسكتوا سكوت هوان
فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ ولا تكلمون في دفع العذاب
او لا تكلمون راسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا
فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي
الله وحده كفرتم فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون
الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من قبل فيقولون الفا ربنا اخرجنا فيجابون
اولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها ثم لا يكون لهم الا زفير و
شهيق وعواء انه ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي يعني المؤمنين
وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين
فاتخذتموهم سخريا هزوا وقراء نافع وحمزة والكسائي هنا وفي ص بالضم وهما مصدرا
سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة
بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء فلم تخافوني في اوليائي
وكنتم منهم تضحكون استهزاء انهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون
فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم من قراءتهم بالكسر تنقف على
صبروا وقراء حمزة والكسائي بالكسر استينافا قال اي الله او الملك المامور بسؤالهم وقراءة
ابن كثير وحمزة والكسائي على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض
احياء وامواتا في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا
لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور
قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فاسئل العادين الذين يتمكنون

اخرج ابن ابي حاتم في تفسيره وابو يعلى الموصلي في الجزء الرابع والعشرين من مسنده والثعلبي في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه انه رقى رجلا مصابا بالعين في اذنه افحسبتم انما خلقناكم عبثا الى آخر السورة فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قرأها على جبل لزال وفي سندهما ابن لهيعة

من عدا ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال وفي قراءة حمزة والكسائي قل ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم فتعالى الله الملك الحق اي الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه عبيده رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها آخر يعبده لا برهان له به صفة اخرى لالها لازمة له فان الباطل لا برهان له جيء بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجاز له مقدار ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه السلام قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المومنون حتى ختم العشر وروي ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح

سورة النور مدنية وهي اثنان او اربع وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا انا قدر اتل او دونك ونحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها آيات بينات

واضحات

واضحات الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني اي فيما فرضنا وانزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة للامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص من ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحول سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا مقبولا او مردودا وله في العبد ثلثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود لرجمه عليه السلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد بالمحصن الذي يقتص له من المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة رحمة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان يكون حافة حول شيء من الطوف واقلها ثلثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ

بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال
اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطئ فيؤل الى نهي الزاني
عن الزنا الا بزانية والزانية ان يزني بها الا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات
يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة
شهداء بقوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق
ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ
والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات
لخصوص الواقعة او لان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند
الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة ولكن ضربه اخف من ضرب الزنا
لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ولا تقبلوا لهم شهادة اي شهادة كانت لانه
مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة فان
الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتب بينهما فيترتبان
عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد اسوء مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى آخر
عمره واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا
اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال عن المقذوف والاستثناء راجع الى
اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذا الحكم ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة
الاستسلام له والاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهي
ومحله الجر على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه عن موجب
وقيل منقطع متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثناء والذين يرمون
ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت في هلال بن امية راى رجلا
على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم
اربع شهادات فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على
المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات
لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا
واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا والخامسة و

والشهادة

والشهادة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين في الرمي وقرا نافع ويعقوب
بالتخفيف في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة
بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا و
بتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا
على المراة لقوله ويدرؤا عنها العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين
فيما رماني به والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين في ذلك ورفع الخامسة
بالابتداء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرا
نافع ان غضب الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم متروك الجواب
للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاؤا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب
من الافك وهو الصرف لانه قول مافوك عن وجهه والمراد ما افك به على عايشة وذلك انه عليه
السلام استصحبها في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة
ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه
فظن الذي كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها
لم تجد ثمه احدا فجلست كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن معطل السلمي قد عرس وراء
الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت
به عصبة منكم جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابي
وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر ان
وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستانف والخطاب للرسول وابي بكر وعايشة وصفوان والهاء للافك
بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله تعالى بانزال ثماني عشرة آية في براءتكم
وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرء منهم ما اكتسب
من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرا
يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابي فانه بدا به واذاعه عداوة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذي
بمعنى الذين له عذاب عظيم في الآخرة او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا
بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون

والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا
انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة
فى التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضى ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم
وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله
بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع
فى غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التخصيص على ان لا يتخلوا اوله وقالوا هذا افك
مبين كما يقول المتيقن المطلع على الحال لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا
بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا
حجة عليه فكذب عند الله اى فى حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم و
رحمته فى الدنيا والآخرة لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله
عليكم فى الدنيا بانواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته فى الآخرة بالعفو و
المغفرة المقدران لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر
دونه اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه بالسنتكم ياخذه بعضكم من بعض
بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه
من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض
وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته
فوجدته وتقفونه اى تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اى وتقولون كلاما
مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله يقولون
بافواههم ما ليس فى قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم فى الوزر
واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقى الافك بالسنتهم
والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم
ما يكون لنا ان نتكلم بهذا ما ينبغى وما يصح لنا سبحانك هذا يجوز ان يكون للاشارة الى
القول المخصوص وان يكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض
الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهتان عظيم تعجب ممن يقول
ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل

المستيقن خ

مكذب خ

بلغ

ما ينبغى وما يصح لنا

سبحانك

لكل

لكل متعجب او تنزيه لله من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل
بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله هذا بهتان عظيم لعظمة
المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ان تعودوا لمثله
كراهة ان تعودوا او فى ان تعودوا ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين
فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرايع
ومحاسن الآداب لتتعظوا وتتادبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم فى تدابيره
ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا تقريره عليها ان الذين يحبون يريدون ان تشيع
ان تنتشر الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة بالحد والسعير
الى غير ذلك والله يعلم ما فى الضماير وانتم لا تعلمون فعاقبوا فى الدنيا على ما دل عليه
الظاهر والله سبحانه وتعالى يعاقب على ما فى القلوب من حب الاشاعة ولولا فضل
الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة و
لذا عطف قوله وان الله رؤف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب
وهو مستغنى عنه بذكره مرة يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة
الفاحشة وقرأ نافع والبزى وابو بكر وحمزة بسكونها وقرئ بفتح الطاء ومن
يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهى عن اتباعه
والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته
بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها
منكم من احد ابدا آخر الدهر ولكن الله يزكى من يشاء بحمله على التوبة وقبولها
والله سميع لمقالهم عليم بنياتهم ولا ياتل ولا يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من
الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتال وانه نزل فى ابى بكر رضى الله عنه وقد حلف
ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين اولوا الفضل
منكم فى الدين والسعة فى المال وفيه دليل على فضل ابى بكر وشرفه ان يؤتوا على ان
لا يؤتوا او فى ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات اولى القربى والمساكين والمهاجرين
فى سبيل الله صفات لموصوف واحد اى ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان
كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ فى تعليل المقصود وليعفوا

تنفير عنه خ

كامراة نوح ولوط

يعظكم الله

ولذا خ

وابو عمرو خ

ما طهر خ

ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم و
احسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روى انه
عليه السلام قراها على ابى بكر رضى الله عنه فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ان الذين
يرمون المحصنات العفائف الغافلات مما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله استباحة
لعرضهن وطعنا فى الرسول والمؤمنين كابن ابى لعنوا فى الدنيا والاخرة لما طعنوا فيهن ولهم عذاب
عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبى ولذلك
قال ابن عباس لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل فى افك
عائشة رض يوم تشهد عليهم ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف
وقرا حمزة والكسائى بالياء للتقدم والفصل السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفى
ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون
لمعاينتهم الامر ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه
فى ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اى العادل الظاهر
عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون
للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اى الخبائث يتزوجن
الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله اولئك يعنى اهل بيت النبى
او الرسول وعائشة وصفوان مبرءون مما يقولون اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم تقرر
عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير فى يقولون
للآفكين اى مبرءون مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اى مبرءون من ان يقولوا قولهم او
للخبيثين والخبيثات اى مبرءون من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم يعنى
الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه الصلوة والسلام بشاهد من اهلها وموسى
من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة بهذه الآيات مع هذه
المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول واعلاء منزلته يا ايها الذين آمنوا لا
تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التى تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلان الا باذن حتى
تستانسوا تستاذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشىء اذا ابصره فان

آنس من جانب الطور نارا

المستاذن

~~المستاذن مستوحش خائف ان لا يؤذن فاذا اذن استانس وتعرفوا مستعلم للحال~~
مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن له او من الاستيناس الذى هو خلاف الاستيحاش فان
المستاذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن استانس او تتعرفوا هل ثم انسان من
الانس وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم ادخل وعنه عليه الصلوة والسلام
التسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم خير لكم اى الاستيذان
والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير
بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امراته فى لحاف وروى ان
رجلا قال للنبى صلعم استاذن على امى قال نعم قال لا خادم لها غيرى استاذن كلما دخلت قال اتحب
ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اى انزل عليكم او قيل
لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم
فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس
عادة مع ان التصرف فى ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق
او غرق او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع
اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروة او
انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تاتون وما تذرون مما خوطبتم
به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات
والحوانيت فيها متاع لكم استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة و
الجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات قل
للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اى ما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد
الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم انفع
لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه
اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا
على حذر منه فى كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن

الي مالا يحل لهن النظر اليه من الرجال ويحفظن فروجهن بالستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان
النظر بريد الزنا ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل ان
تبدى له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة
مواقعها علي حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة
والاظهر ان هذا في الصلوة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء
منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن علي جيوبهن سترا لاعناقهن ولا يبدين
زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل لها الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان
ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او
اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة
توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرايب ولهم ان ينظروا منهن ولهن ان
ينظرن منهم ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان او لان
الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن يعني المؤمنات فان الكافرات
لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف او ما ملكت ايمانهن
يعم الاماء والعبيد لما روي انه عليه الصلوة والسلام اتي فاطمة عليها السلام بعبد وهبه
لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه الصلوة
والسلام انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المراة كالاجنبي
او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي
المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور
النساء وقرا ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء
لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل
جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن
ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ من النهي عن
اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلو
احد منكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان
جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين

والتزيين بها مواضعها

ان الاباس عليكم من النساء

وقراء

وقراء ابن عامر ايه المؤمنون وفي الزخرف يا ايه الساحر وفي الرحمن ايه الثقلان بضم الهاء في
الوصل في الثلثة والباقون بفتحها ووقف ابو عمرو والكسائي عليهن بالالف ووقف الباقون بغير
الالف وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى ان يفضي الى السفاح المخل
بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة
فيه امر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية
والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المراة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب
على الولي والمولى وايامى مقلوب ايايم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا
قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم وتخصيص الصالحين لان
احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه
ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن
فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية عن المال فانه غاد و
رائح او وعد من الله بالاغناء لقوله عليه الصلوة والسلام اطلبوا الغنى في هذه
الاية لكن مشروط بالمشية لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله
ان شاء والله واسع عليم ذو سعة لا ينفد نعمته اذ لا تنتهي قدرته عليم يبسط
الرزق ويقدر على ما يقتضيه حكمته وليستعفف وليجتهد في العفة وقمع الشهوة
الذين لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن
منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة
وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه
اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتاجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه
يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة والموصول
بصلته مبتداء خبره فكاتبوهم او مفعول المضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط
والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها
واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان
العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم فيهم خيرا
امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين

مشروطة



وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط للامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز واتوهم
من مال الله الذي اتاكم امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفي معناه حط شيء
من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول وعن علي يحط الربع وعن ابن
عباس الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا او يعتقوا وقيل امر لعامة
المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه
لا ياخذه صدقة كالداين والمشتري ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام في حديث
بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغاء على الزنا كانت
كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب
فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ان اردن تحصنا تعففا
شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز
ان يكون ارتفاع النهي بارتفاع المنهي عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء
كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور
رحيم اي لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود من بعد اكراههن
لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير اثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه
لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص ولقد
انزلنا اليكم ايات مبينات يعني الايات التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام
والحدود وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي في الموضعين هنا وفي الطلاق بالكسر
لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها
بينت الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم اي قصة
عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عايشة فانها كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين
يعني ما وعظ به في تلك الايات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد
بالايات القرآن والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات والارض النور في الاصل
كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها ساير المبصرات كالكيفية الفايضة من
النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى
الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات

والارض

والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورها بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار او
بالملائكة والانبياء او مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم
يهتدون به في الامور او موجدها فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور
هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه موجود بذاته موجد لما عداه او الذي
به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له
في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها
من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف
فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذن
من سبب يفيضها عليها وهو الله ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك
سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون
واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية
والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما
مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه دليل على
ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكوة كصفة مشكوة وهي الكوة الغير
النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكوة الانبوبة في
وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة في
قنديل من الزجاج الزجاجة كانها كوكب دري مضيء متلالئ كالزهرة في صفائه
وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او
بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلب همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر
على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا توقد
من شجرة مباركة زيتونة اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر
نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة
عنها تفخيم لشانها وقرا نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد
وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف
وقرئ توقد بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب

دون حين خ

لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا بعد حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي
تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق
المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق
الشمس عليها دائما فتحرقها او في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير
في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه نور على نور نور متضاعف
فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكوة لاشعته
وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دلت عليه الآيات المبينات في جلاء
مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكوة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف
بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكوة لاشتمالها عليه وتشبيهه
به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكوة
المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله عباده من القوى
الدراكة الخمس المترتبة التي نيط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات
بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى
شاءت والعقلية التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات
لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت
المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء
من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكوة والزجاجة والمصباح
والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكوة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا تدرك
ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من
الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح
لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديها الى ثمرات
لا نهاية لها والزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية
لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة
من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف

بلغ
ما تضمنته خ
والعقلية خ
والعاقلة
في القبيلين

من غير

ولا تعلم خ

من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية
عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكوة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس
الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فيصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة
للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت
وان كان بقوة قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي
والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم
بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا
على نور يهدي الله لنوره اي لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاسباب دون مشيته
لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال للناس ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا
وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد
ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها في بيوت متعلق بما قبله اي كمشكوة في بيوت
او بيوقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل
المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلوة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي
جمع البيوت وحدة المشكوة اذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة
ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله
او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلايمها وقيل
المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم اذن الله ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها
اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه يسبح
له فيها بالغدو والاصال ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشيات
والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالاصال وهو جمع اصيل وقرئ
والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده
الى احد الظروف الثلثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتأنيث
الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو رجال لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم
معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به
مطلق المعاوضة او بافراد ما هو اهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع

بلغ
بعض خ
تحبيرا ظ
والعشايا خ
والعشيات خ
يطلق خ
وابو بكر خ

ويتوقع بالشري وقيل المراد بالتجارة الشري فانه اصلها ومبدؤها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار واقام الصلوة عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وايتاء الزكوة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة الاحسان والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة يحسبه الظمآن ماء اي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله عنده عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفاه حسابه استعراضا او مجازاة والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت في عتبة بن امية ربيعة بن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا والسراب في الآخرة في بحر لجي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر موج من فوقه موج اي امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثاني سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى او باضافة السحاب

من الاموال

او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار صح

بلغ

اليها

اليها اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح والضماير للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق الذي له نور على نور الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال ان الله يسبح له من في السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلوته وتسبيحه اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله والله عليم بما يفعلون او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع الم تر ان الله يزجي سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام يشبه الجبال في عظمها او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم يحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع

بلغ

وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل
اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل
منه المطر والثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة
لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من
يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرى بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال
في السين وبرقه بفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها
للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال
القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرى يذهب على زيادة الباء يقلب الله
الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر او بتغيير احوالهما
بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار
لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيته وتنزهه
عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب
على الارض وقرا حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته
او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات
ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على
بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة للمشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين
كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ماله اكثر من اربع كالعناكب
فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف
ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء
مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات
والطبايع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيته ان الله على كل شيء
قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا ايات مبينات للحقايق بانواع الدلايل والله
يهدي من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام
الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون امنا بالله وبالرسول نزلت في بشر
المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي عليه الصلوة

والسلام وقيل في مغيرة بن وايل خاصم عليا في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول واطعنا اي
واطعناهما ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا
وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله بان
جميعهم وان امنوا بلسانهم لم يؤمن قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم
لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون
في الايمان او الثابتون عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي ليحكم النبي فانه
الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله اذا
فريق منهم معرضون فاجاء فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم
لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق اي لهم الحكم لا عليهم ياتوا اليه
مذعنين منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة لياتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص
افي قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان راوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم بك
ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة بل اولئك هم الظالمون اضراب
عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل
فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب
نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم
الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان قول المؤمنين
اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون
على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرى
قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم
ومن يطع الله ورسوله فيما يامرانه او في الفرايض والسنن ويخشى الله على ما
صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره وقرا يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء
وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف
وخفف والهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم
واقسموا بالله جهد ايمانهم انكارا للامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج
عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة

طاعة معروفة اى المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة
او طاعة معروفة امثل منها او لتكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة
ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول
امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة فى تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على
محمد ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه فى حكمه تهتدوا
الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما
بقى ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
خطاب للرسول والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم فى الارض ليجعلنهم خلفاء
متصرفين فى الارض تصرف الملوك فى ممالكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم
الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد فى تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين
من قبلهم يعنى بنى اسرائيل استخلفهم فى مصر والشام بعد الجبابرة وقراء ابو بكر بضم
التاء وكسر اللام واذا ابتدى ضم الالف والباقون بفتحها واذا ابتدوا كسروا الالف
الالف وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت
وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء وقراء ابن كثير وابو عمرو وابو بكر بالتخفيف امنا منهم
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين
ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده
فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار
عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه
لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه فى الاخرة يعبدوننى حال من الذين
لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استيناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن
لا يشركون بى شيئا حال من الواو اى يعبدوننى غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر
هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون
الكاملون فى فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الايات او كفروا تلك النعمة
العظيمة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول فى ساير ما امركم به ولا
يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور به فيكون تكرير الامر

بطاعة

بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هى فيه بقوله لعلكم ترحمون
كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين ولا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم
واهلاكهم وفى الارض صلة معجزين وقراء ابن عامر وحمزة بالياء على ان الضمير فيه لمحمد والمعنى كما هو
فى القراة بالتاء او الذين كفروا فاعل والمعنى لا تحسبن الكفار فى الارض احدا يعجز الله فيكون
معجزين فى الارض مفعوليه او لا يحسبوهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين
كشئ واحد فاكتفى بذكر الاثنين عن الثالث وماويهم النار عطف عليه من حيث المعنى كانه
قيل الذين كفروا ليسوا معجزين وماواهم النار لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز
ولبئس المصير المأوى الذى يصيرون اليه يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم
رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف
من الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب
فيه الرجال لما روى ان غلام اسماء بنت ابى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصارى وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر
فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا
وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبى فوجده وقد
انزلت عليه هذه الاية والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار
فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ثلث مرات فى اليوم والليلة من قبل صلوة الفجر
لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا
من ثلث مرات او الرفع خبرا لمحذوف اى هى من قبل وحين تضعون ثيابكم اى ثيابكم لليقظة
للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف
باللحاف ثلث عورات لكم اى هى ثلث اوقات لانه وقت التجرد عن اللباس يختل فيها تستركم
ويجوز ان يكون مبتدا وخبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور وقراء
حمزة والكسائى وابو بكر بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه
الاوقات فى ترك الاستيذان وليس فيه ما ينافى اية الاستيذان فينسخها لانه فى
الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك فى الاحرار البالغين طوافون عليكم
اى هم طوافون استيناف ببيان العذر المرخص فى ترك الاستيذان وهو المخالطة

وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلث وغيرها
بانها عورات بعضكم على بعض بعضكم طايف على بعض او يطوف بعضكم على بعض
كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات اى الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما
يشرع لكم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم الذين
بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استيذان العبد البالغ
على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون
فيهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان
والقواعد من النساء العجايز التى قعدن عن الحيض والحمل اللاتى لا يرجون نكاحا
لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اى الثياب الظاهرة
كالجلباب والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتى او لوصفها بها غير متبرجات بزينة
غير مظهرات زينة مما امر باخفائه في قوله ولا يبدين واصل التبرج التكلف في اظهار
ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها
محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شئ الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها
للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن
للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
نفى لما كانوا يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع
اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان
لا يكون ذلك من طيبة او من اجابة من يدعوهم الى بيوت ابائهم واولادهم واقاربهم
فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضاء صاحب البيت باذن
او قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم
الى طعام وقيل نفى الحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلايم ما قبله وما بعده ولا على
انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم من البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها
بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه الصلوة والسلام انت ومالك
لابيك وقوله ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت اباءكم
او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم

اوبيوت

٢٢٢

او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم
وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح
جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم
ارضى بالتبسط في اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط
هذا كله انما يكون اذا علم رضاء صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك
خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا
احتجاج للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تاكلوا
جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت في بنى ليث بن عمرو من كنانة
كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف
لا ياكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطاعم
في الغزارة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم اى
على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله ثابتة بامره مشروعة
من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانه طلب الحيوة وهى من عنده وانتصابها
بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب طيبة
يطيب بها نفس المستمع وعن انس رضى الله عنه عليه الصلوة والسلام قال متى لقيت
احدا من امتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك
وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات
كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضى
لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اى الحق والخير في الامور انما
المؤمنون اى الكاملون في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم و
اذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في الامور و
وصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا
رسول الله فياذن لهم واعتداده في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته
والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في
الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه ولذلك اعاده

رواه البيهقى في شعب الايمان
والثعلبى وحمزة بن يوسف
الجرجانى في تاريخ جرجان عن
انس رضى الله عنه وفيه البسيع بن زيد
بن سهل وهو ضعيف

جميع ح
واعتباره ح

موكدا على اسلوب بلغ فقال ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فانه
يفيد ان المستاذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك فاذا استاذنوك لبعض
شانهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فاذن لمن شئت منهم تفويض
للامر الى راى الرسول واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رايه ومن منع ذلك قيد
المشية بان يكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فاذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر
لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله
غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة
والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل
لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء
الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض
الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب
او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب
قد يعلم الله الذين يتسللون منكم ينسلون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج و
تدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كانه
تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك
مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمينه معنى الاعراض او يصدون عن امره
دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف
والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة
محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان
ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام
المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها
المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد ويوم
يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على
طريق الالتفات فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شيء عليم

لا يخفى

لا يخفى عليه خافية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية

وآيها سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد
عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة يتضمن معنى الزيادة وترتيبه
على انزاله الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك
الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا
لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق
والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال
وقرئ على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته لقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان
اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين للجن والانس نذيرا
منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها
اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات والارض بدل من الاول
او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك في الملك
كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه
على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه
الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا وهياه لما
اراد منه من الخصايص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر
والتدبير واستنباط الصنايع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك
او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه
الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا
واتخذوا من دونه آلهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد
على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم
ولا يملكون ولا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون
موتا ولا حياة ولا نشورا ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا

ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه
تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا
الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه واعانه عليه قوم اخرون اي
اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس
وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاؤا ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا
من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل
فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه
او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام
وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه
فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او
ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم عن اخركم بفصاحته
وتضمن اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار
فكيف يجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون
مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا وقالوا ما لهذا الرسول
ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم ياكل الطعام كما ناكل ويمشي في الاسواق
لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم و
قصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية
وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما
الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا لنعلم صدقه بتصديق الملك
او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش او تكون له جنة ياكل منها
هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين
والمياسير فيتعيش بريعه وقرا حمزة والكسائي بالنون وقال الظالمون وضع الظالمين
موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون ما تتبعون الا رجلا مسحورا
سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرية اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك
الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا عن

الطريق

الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء فلا
يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك الذي ان شاء
جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا ولكن اخره الى الاخرة لانه خير وابقى جنات
تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرا ابن كثير
وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله
وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استينافا
بوعد ما يكون له في الاخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت
انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك لفقرك او
فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب
ويصدقونك بما وعد الله لك في الاخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه
واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم جهنم
فيكون صرفه باعتبار المكان اذا راتهم اذا كانت بمراى منهم كقوله عليه الصلوة
والسلام لا تتراءى نارهما اي لا تتقاربان بحيث يكون احديهما بمراى من الاخرى
على المجاز والتانيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد سوا قصيها يمكن ان يرى منه
سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره
وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية
امكن ان يخلق الله فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب
اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا
ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله
الجنة بان عرضها السموات والارض مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل
دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون
يا ثبوراه تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك وادعوا
ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة وكل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد لقوله تعالى
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو في كل
وقت ثبور قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب

والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او للدلالة على خلودها او للتميز عن جنات الدنيا كانت لهم في علم الله او اللوح او لان ما وعده الله في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شيئا او الكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسؤلا الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسال ويطلب او مسؤلا ساله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين وقراء ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف ولانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح لقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقراء ابن عامر بالنون أانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله اضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه محقق لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد ما كان ينبغي لنا ما يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء للعصمة

او عدم

للعصمة او عدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله واتخذ الله ابرهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفي ولكن متعتهم وآباءهم بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون اي المعبودون وقراء حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هي النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق اي الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا وقرئ اكتفى بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون اي تمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ما افتتنوا به وكان ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلي به وغيره وقال الذين

لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على

لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه الوصول الى المرئي

والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا هلا

انزل علينا الملائكة فيخبرون بصدق محمد وقيل فيكونون رسلا الينا او نرى

ربنا فيامرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في انفسهم اي في شانها حتى

ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتها و

ما هو اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث

عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت

دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستيناف بالجملة

حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس ابانا بنابها كليبا

غلت ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب في يوم نصب

باذكر او بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها و

يومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى ان

قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمهم من

طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة

في وقت اخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى

والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اي ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة

استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه

او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه

لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه

محجورا للتاكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا

اي وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه

لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم

الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة

من الهبوة وهو الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور

منه في انتثاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به او مفعول

ثالث من حيث انه كالخبر لقوله كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا

مكانا يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى

اليه للاستروح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه

او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور

وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم

اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى

ما للمترفين في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في

الجنة واهل النار في النار ويوم تشقق السماء واصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير

ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون

الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام وهو الغمام بصحائف

اعمال العباد وقرا ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وانزل ونزل الملائكة ونزل الملائكة بحذف

نون الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه

فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر او صفة والخبر يومئذ

او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض

اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد

بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي صلعم فدعاه الى ضيافته فابى ان ياكل طعامه

حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبات فقال لا ولكن

ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي

فقال لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطا قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة

ففعل ذلك فقال عليه الصلوة والسلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف

فاسر يوم بدر فامر عليا بقتله وطعن ابيا باحد في المبارزة فرجع الى مكة ومات يقول يا ليتني

اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بي

طرق الضلالة يا ويلتى وقرئ بالياء على الاصل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله و

فلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او كتابه

وقرا ابو عمرو والكوفيون بالتخفيف

او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وكان الشيطان يعني الخليل المضل
او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن وانس للانسان خذولا
يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول محمد يومئذ او في
الدنيا بثا الى الله يا رب ان قومي قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا بان تركوه وصدوا
عنه وعنه عليه الصلوة والسلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر
فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه او
هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف
الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا
الى الله قومهم عجل الله لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر
كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا
الى طريق قهرهم ونصيرا لك عليهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن اي انزل كخبر بمعنى
اخبر لئلا يناقض قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلثة وهو اعتراض
لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما
اشار اليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك
على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا وكانوا يكتبون
فلو القي اليه جملة لتعيى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا
فشيئا ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه لما انزل
منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل
حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن
الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف
والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة ويحتمل
ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب
السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك كي يكون
شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلث وعشرين واصل الترتيل
في الاسنان وهو تفليجها ولا يأتونك بمثل سؤال عجيب كانه مثل في البطلان

يريدون

يريدون به القدح في نبوتك الا جئناك بالحق الدامغ له في جوابه واحسن تفسيرا وبما هو
احسن بيانا او معنى من سؤالهم او لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه
حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له
الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم
بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه الصلوة والسلام يحشر الناس يوم
القيمة على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف
على الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره اولئك
شر مكانا واضل سبيلا والمفضل عليه هو الرسول على طريقة قوله قل هل انبئكم
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم
على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون انهم شر مكانا واضل
سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل
بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه
اخاه هرون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في
النبوة لان المتشاركين في الامر متوازران عليه فقلنا اذهبا الى القوم الذين
كذبوا بآياتنا يعني فرعون وقومه فدمرناهم تدميرا اي فذهبا اليهم فكذبوهما
فدمرناهم فاختصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام
الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع
وقرئ فدمرتهم على التأكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا
ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة
اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس آية عبرة واعتدنا للظالمين
عذابا اليما يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم وعادا
وثمودا عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود
على تأويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم
شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت فخسف بهم و
بديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه وهلكوا

فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة
بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول
عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم
اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها صاعقة
ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اي دسوه في بئر وقرونا واهل
اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اشارة
الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص
الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه
التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني
بتبرنا لانه فارغ له ولقد اتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام على القرية التي
امطرت مطر السوء يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة افلم يكونوا
يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله بل كانوا لا يرجون
نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا
بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب او لا يخافونه على
اللغة التهامية واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزؤ او مهزوا
به اهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج
بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه
لقالوا اهذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا ان كاد انه كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان
صبرنا عليها ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورده مما يسبق
الى الذهن انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا
في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب
من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه
وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى
عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به افانت
تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير

والتعجب

والتعجب والثاني للانكار ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي
لهم الايات والحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب
عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا
او خوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام في عدم انتفاعهم بقرع الايات آذانهم وعدم
تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها تنقاد
لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها
وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون
الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولانها ان لم
تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان
جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها
غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون
اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف
بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول
من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب
ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته
علمك الى ان ربك كيف مد الظل وذلك فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال
فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر
ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير
متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه
دليلا فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت
الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا اي ازلناه بايقاع الشمس موقعه لما عبر عن احداثه
بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف قبضا يسيرا
قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى
من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي اوقات ظهورها
وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحى الارض تحتها فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله

ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليها دليلا اى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا قليلا قليلا الى ان ينتهى غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها وهو الذى جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس فى ستره والنوم سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل لانه قطع الحيوة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمن عليه السلام يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر وهو الذى ارسل الرياح وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدى رحمته يعنى قدام المطر وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ ويوقد به قال عليه الصلوة والسلام التراب طهور المؤمن وطهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفعول وان غلب فى المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغى ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لنحيى به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة فى معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا يعنى اهل البوادى الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وساير الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الايات كما هو للدلالات على عظيم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية

معايشهم

معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحيوتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسى بحذف ياء وهو جمع انسى او انسان كظرابى فى ظربان على ان اصله اناسين فقلب النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وساير الكتب او المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس ما عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الاية او فى الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فى ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسايط وامارات بجعله تع ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على ساير الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقران او بترك طاعتهم الذى يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف ولان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذى مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل فلعل اصله مالح فخفف كبرد فى بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كأن كلا منهما يقول للاخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض

فيكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان
تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا
يعني الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل
الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي
نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله وجعل منه الزوجين
الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة
وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين
ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل
ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر الجنس او
ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف
ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
للمؤمنين والكافرين قل ما اسألكم عليه على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا
ونذيرا من اجر الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب
اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث
انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا كليا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة
حيث اعتد بانتفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا
به مقصورا عليه واشعارا بان طاعاتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته و
قيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي
الذي لا يموت في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون
الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات
النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه وكفى به
بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا الذي خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه
ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف
فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره

في كل

في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ وللمحذوف
ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فسأل به خبيرا
فسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل او من
وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه
على الله فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا
يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش
يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك
قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرناه يعني تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان
وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم
اي الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج
الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها
واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس لقوله وجعل الشمس
سراجا وقرأ حمزة والكسائي سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا
بالليل وقرئ وقمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد
والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل
منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله واختلاف
الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر ان يتذكر آلاء الله
ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد او اراد
شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للذاكرين والشاكرين من
فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك
ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة
او لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين
او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسليما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر

تسلما

او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه
فان المراد به الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما في الصلوة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل
احمز وابعد من الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر أجري
مجراه والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما
لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق و
اجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم
لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا و
مقاما اي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير
محذوف به ترتبط الجملة باسم ان او احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا
حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية
والابتداء من الله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا
ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم
والتقتير منع الواجب وقرأ نافع وابن عامر (والكوفيون) ولم يقتروا بضم من اقتر وقرى
بالتشديد والكل واحد وكان بين ذلك قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة
الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرى بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل
عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا
وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون
كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي
حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالفعل المحذوف او بلا يقتلون ولا
يزنون نفي عنهم امهات المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم و
اشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك
عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء اثم او اثاما باضمار الجزاء
وقرى اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل
من يلق لانه في معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرأ

ابو بكر

ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب
يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضعف وقرى
ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرى مثقلا ونضعف له العذاب ومضاعفة العذاب
لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل
الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم
او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه
او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات
ويثيب على الحسنات ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى
به ما فرط او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك
متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي
يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم
بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون
محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان
يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه
ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح
به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم بالوعظ والقراءة لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها
غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية
مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد
مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا
وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله
في طاعة الله سر بهم قلبه وقر بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم
به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رأيت منك اسدا وقرأ حمزة وابو عمرو و
الكسائي وابو بكر وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد
اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا
في امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله

بافاضة نخ

ثم نخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد اجعل كل واحد منا او لانهم كنفس
واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصايم وصيام ومعناه قاصدين
لهم مقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به
الجمع لقوله وهم في الغرفات آمنون وللقراءة بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا
بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات و
يلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة اي تحييهم الملائكة ويسلمون عليهم
او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة
والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا
ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبؤا بكم ربي ما يصنع بكم
من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان
وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وساير الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع
بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر
كانه قيل اي عبء يعبأ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم
في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون منكم لان
توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون
لزاما يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار
وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم
بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل
الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى اخرها وهي مائتان وست او سبع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم قرأ حمزة والكسائي وابو بكر
بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في
الاصل منفصل عما بعده تلك ايات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى
السورة او القران على ما مر في اول البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ

بالذبح

بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة
ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا
او خيفة ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية دلالة ملجئة الى الايمان او
بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا لها خاضعين
فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق
بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا
عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف واكن على فاصدق
لانه لو قيل انزلنا بدله لصح وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القران من الرحمن
بوحيه الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين
الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم
وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا في قوله فسيأتيهم
اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة انباء ما كانوا به يستهزؤن من انه كان حقا
ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى
الارض ولم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج كريم محمود كثير المنفعة وهو
صفة لكل ما يحمد ويرضى في بابه وههنا يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة
وان تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل للاحاطة
بالازواج وكم لكثرتها ان في ذلك ان في انبات تلك الاصناف او في كل واحد لاية على ان
منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله و
قضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الايات العظام وان ربك لهو العزيز الغالب القادر
على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وامن
واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت او بان ائت القوم الظالمين
بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان له
ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك الا يتقون استئناف اتبعه
ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات
اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل

اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن
تدبره وتامل مورده وقرى بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى
الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب انى اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا
ينطلق لسانى فارسل الى هرون رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له فى الامر على الامور
الثلثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة فى اللسان بانقباض
الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة
الى معين يقوى قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر
حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا فى تلقى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله
وتمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب يضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان
من جملة ما خاف عنه ولهم على ذنب اى تبعة ذنب فحذف المضاف او سمى باسمه والمراد
قتل القبطى وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى مواضع فاخاف
ان يقتلون به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة
كما ان ذاك استمداد واستظهار فى امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا باياتنا اجابة
له الى الطلبتين بوعده للدفع اللازم ردعه عن الخوف وضم اخيه اليه فى الارسال و
الخطاب فى فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذى يدل عليه كلا كانه قيل
ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذى طلبته انا معكم يعنى موسى وهرون وفرعون
مستمعون سامعون لما يجرى بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة
قوم استماعا لما يجرى بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة ولذلك تجوز
بالاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو
خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين افرد الرسول
لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون
ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثنى تارة وافرد اخرى او لاتحادهما
فى الاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا ان ارسل معنا بنى
اسرائل اى ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا
معنا الى الشام قال اى فرعون لموسى بعدما اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا فى منازلنا

وليدا

وليدا طفلا سمى به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين
سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين ثم بقى بعد الغرق خمسين
وفعلت فعلتك التى فعلت يعنى قتل القبطى وبخه به معظما اياه بعدما عدد عليه نعمته
وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتى حتى عمدت الى قتل
خواصى او ممن تكفرهم الآن فانه عليه الصلوة والسلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال
من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مستأنفا عليه بانه من الكافرين بالهيته او بنعمته
لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون فى دينهم قال فعلتها اذا وانا من الضالين
من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه او من المخطئين
لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التاديب او الناسين
من قوله ان تضل احديهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما حكمة وجعلنى من
المرسلين ردا اولا بذلك ما وبخه به قدحا فى نبوته ثم كر على ما عد عليه من النعمة ولم
يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على انه كان فى الحقيقة نقمة
لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائل اى وتلك التربية
نعمة تمنها على ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرائل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب
فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اى او تلك نعمة تمنها
على وهى ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء
او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها
والمعنى تعبيدك بنى اسرائل نعمة تمنها على وانما وحد الخطاب فى تمنها وجمع فيما قبله لان المنة
كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب
ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع فى الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن
حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع
تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اى ان كنتم
موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها
وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بد وان يكون مبدأ لسائر الممكنات
ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه

محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو
داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته قال لمن حوله الا تستمعون جوابه سالته عن حقيقته
وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب
الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر قال ربكم ورب ابائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن
ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند
التأمل قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا
على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم انه يأتي بالشمس من المشرق
ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور
الكائنات ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم
لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالتهم قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج
واستدل به على ادعائه للالوهية وانكاره للصانع وان تعجبه بقوله الا تستمعون
من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره بقوة
طالعه استحق العبادة من اهله واللام في المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني
فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال اولو
جئتك بشيء مبين اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين صدق دعواي يعني المعجزة
فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته
فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فأت به ان كنت من الصادقين في ان لك
بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له من حجة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر
ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر ونزع يده
فاذا هي بيضاء للناظرين روي ان فرعون لما رأى الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج
يده قال فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق
قال للملأ حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع حالا ان هذا لساحر عليم فائق في علم السحر
يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى
الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره

واستيلائه

واستيلائه على ملكه قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن
حاشرين شرطا يحشرون السحرة يأتوك بكل سحار عليم يفضلون عليه في هذا الفن
وامالها ابن عامر وابو عمرو والكسائي وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم
لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة وقيل للناس
هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تابط شرا
هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق اي ابعث
احدهما الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم
ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا
موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا
موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم و
انكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذن على
ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون اي بعدما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر
والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق فالقوا حبالهم
وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط
اعتقادهم في انفسهم او لاتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه
فاذا هي تلقف تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف ما يأفكون ما يقلبونه
عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم
تسمية للمأفوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر
وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له وان التبحر
في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما رأوا ما رأوا
لم يتمالكوا انفسهم فكأنهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خولهم من
التوفيق قالوا امنا برب العالمين بدل من القي بدل الاشتمال او حال باضمار
قد رب موسى وهرون ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب
لايمانهم ما اجراه على ايديهما قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم

السحر

فعلكم شيئا دون شئ ولذلك غلبكم او فواد عكم ذلك توا طاتم عليه اراد به التلبيس
على قومه لئلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر
وروح أأنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك انا الى ربنا
منقلبون بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله او
بسبب من اسباب الموت وقتلك انفعها وارجاها انا نطمع ان يغفر لنا ربنا
خطايانا ان كنا لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة
في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ إن كنا على الشرط
لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره ان احسنت اليك
فلا تنس حقي واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم
يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرأ نافع وابن كثير ان
اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون يتبعكم
فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم حتى اذا اتبعكم مصبحين كان لكم
تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر
فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بسراهم في المداين
حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة القول وانما استقلهم
وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روي انه خرج وكانت مقدمته
سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون
باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع
حذرون وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم
من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شانهم حثا عليهم
واعتذر بذلك الى اهل المداين كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر والكوفيون
حاذرون والاول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا
من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اي اقوياء قال احب الصبي السوء من
اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر او تاموا السلاح فان ذلك يوجب حدارة في

اجسامهم

فاجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون
وكنوز ومقام كريم يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو
مصدر او مثل ذلك المقام الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبر المحذوف
واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس
فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث راى كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب
موسى انا لمدركون لملحقون وقرئ لمدّركون من ادّرك الشئ اذا تتابع ففني اي لمتتابعون
في الهلاك على ايديهم قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم ان معي ربي بالحفظ والنصرة
سيهدين طريق النجاة منهم روي ان مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال اين امرت
فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق اي فضرب فانفلق وصار
اثني عشر فرقا بينها مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في
مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب وازلفنا وقربنا ثم الآخرين فرعون وقومه
حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة
الى ان عبروا ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان في ذلك لآية واية آية وما كان اكثرهم
مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل
بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم على مشركي
العرب نبأ ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم ان ما يعبدونه
لا يستحق العبادة قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم وشرح
حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار
دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة
اذ تدعون عليه وقرئ يُسمعونكم اي يُسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا
مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون
من اعرض عنها قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان يكون لهم سمع او
يتوقع منهم ضر او نفع والتجأوا الى التقليد قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم

الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا فانهم عدو لي يريد انهم
اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او
ان المغري لعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر في نفسه تعريضا لهم
فانه انفع في النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدا بها نفسه ليكون ادعى
الى القبول وافراد العدو لانه في الاصل مصدر او بمعنى النسب الا رب العالمين استثناء
منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من ابائهم من عبد الله الذي
خلقني فهو يهدين فانه يهدي كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذي
قدر فهدى هداية مدرجة من مبداء ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع و
دفع المضار مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث
من الرحم ومنتهيها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذايذها والفاء للسببية ان جعل
الموصول مبتداء وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم
الخلق واستمرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني ويسقين على الاول مبتداء محذوف
الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة
على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم واذا مرضت فهو يشفين
عطف على يطعمني ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض في
الاغلب يتبعان الماكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد
النعم في مقدماته وهي المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التي تستحقر
دونها الحيوة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض في غالب الامر
انما يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان
من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص
عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين في الاخرة والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا
المعاصي ويكونوا على حذر وطلبا لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر
منه من الصغاير وحمل الخطيئة على كلماته الثلث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله
هي اختي ضعيف لانها معاريض وليست خطايا رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل

استعد به

استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل
لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا
صغيره واجعل لي لسان صدق في الاخرين جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى
اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقا من
ذريتي يجدد اصل ديني ويدعوا الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله
عليه وسلم واجعلني من ورثة جنة النعيم في الاخرة وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر
لابي بالهداية والتوفيق للايمان انه كان من الضالين طريق الحق وان كان هذا الدعاء
بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمروذ ولذلك وعده به اولانه
لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن
رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي
او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم
يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى
الله بقلب سليم لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وساير
افاته او لا ينفعان الا مال من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البر وارشد بنيه
الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيمة وقيل
الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اي لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن
سلامة من اتى الله بقلب سليم ينفعه وازلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف
فيتبجحون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون
على انهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم اينما كنتم
تعبدون من دون الله اين الهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع
العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم لانهم والهتهم يدخلون النار كما قال
فكبكبوا فيها هم والغاوون اي الالهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه
كان من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وجنود ابليس
متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد للجنود ان جعل مبتداء
خبره ما بعده والا فللضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله
قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين على ان الله ينطق
الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله

اذ نسويكم برب العالمين اى فى استحقاق العبادة ويجوز ان يكون الضماير للعبدة كما فى قالوا والخطاب للمبالغة فى التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم فى مبداء ضلالهم معترفون بانهماكهم فى الضلالة متحسرون عليها وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين من الملائكة والانبياء ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا فى مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه فى الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة تمن للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما فى معنى التقدير او شرط حذف جوابه فنكون من المومنين جواب التمنى او عطف على كرة اى لو ان لنا ان نكر فنكون ان فى ذلك فيما ذكر من قصة ابرهيم لاية لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلايلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم مومنين اكثر قومه مومنين به وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكى يؤمنوا هم او واحد من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مونثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام فى تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره انى لكم رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله وما اسئلكم عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص بفتح الياء فى اجرى فى الكلمات الخمس قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون جاها ومالا

جمع

جمع الارذل على الصحة وقراء يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رايهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة ولذلك قال وما علمى بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا فى طعمة وما على الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربى ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما انا بطارد المومنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيفا يمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اى ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصى سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما على الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا على ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المضروبين بالحجارة قال رب ان قومى كذبون اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح بينى وبينهم فتحا فاحكم بينى وبينهم من الفتاحة ونجنى ومن معى من المومنين من قصدهم او شوم عملهم فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون المملو ثم اغرقنا بعد بعد انجائه الباقين من قومه ان فى ذلك لاية شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو فى الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وان الانبياء متفقون على ذلك وان اختلفوا فى بعض التفاريع مبرؤون عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها اية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم

حار

في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر
عليهم او قصورا يفتخرون بها وتتخذون مصانع مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم
تخلدون فتحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين
غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الاشياء
واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون كرره مرتبا على
امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد
والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول
عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم
بانعام وبنين وجنات وعيون ثم اوعدهم فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في
الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت
ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة
للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذي جئتنا
به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيي ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خُلُق بضمتين اي ما هذا الذي جئت به الا عادة
الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين و
عادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة
قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه فاهلكناهم
بسبب التكذيب بريح صرصر ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني
لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين اتتركون فيما ههنا آمنين انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في
تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون وزروع
ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع اناث النخل
الطف ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة
الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من

نحن م

وطلع اناث النخل الطف وهو ما يطلع منها

الاشجار

الاشجار ~~الجنات او لان المراد بها غيرها من~~ وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين
او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ
وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا
امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر
الى امره مجازا الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف
ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما انت من المسحرين
الذين سحروا حتى غلب على عقولهم او من ذوي السحر وهي الرئة اي من الاناسي فيكون
ما انت الا بشر مثلنا تأكيدا له فأت بآية ان كنت من الصادقين في
دعواك قال هذه ناقة اي بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها
شرب نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم و
لكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمسوها بسوء
كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم
العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا
جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة
العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا
المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا
انما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم
لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من
اجر ان اجري الا على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين اي اتأتون من
بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتأتون الذكران من اولاد
آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول
كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم من ازواجكم
لبيان ما ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون
تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متجاوزون عن حد

كثيرا ء

مثل ،

الشهوة حيث زادوا على ساير الناس بل الحيوانات او معرطون في المعاصي وهذا من جملة
ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه
او عن نهينا او تقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا
يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض
لا اقف عن الانكار عليه بالا يعاد وهو ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لدلالته على انه معدود
في زمرتهم مشهور بانه من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون اي من شومه وعذابه
فنجيناه واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول
العذاب بهم الا عجوزا هي امراة لوط في الغابرين مقدرة في الباقين في العذاب اذ
اصابها حجر في الطريق فاهلكها لانها كانت مايلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كاينة
فيمن بقيت في القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم وامطرنا عليهم
مطرا قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس
حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة
غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا
كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم
شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرا ابن كثير ونافع وابن
عامر بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي كذلك
اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص بغير الالف اتباعا للفظ اني لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اتموه
ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان
السوي وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرا
حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا شيا
من حقوقهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي
خلقكم والجبلة الاولين وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلايق قالوا انما انت
من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين

متنافين

متنافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا
كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرا حفص
بفتح السين ان كنت من الصادقين في دعواك قال ربي اعلم بما تعملون وبعذابه منزل عليكم
ما اوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما
اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم فاظلتهم سحابة فاجتمعوا
تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا اخر القصص السبع المذكورة على سبيل
الاختصار تسلية لرسول الله صلعم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب
الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان
بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مواخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل رب العالمين
نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القران ونبوة
محمد صلعم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد
به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على
الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها
لوح المتخيلة والروح الامين جبرئيل فانه امين الله على وحيه وقرا ابن عامر وابو بكر وحمزة
والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح الامين لتكون من المنذرين عما يؤدي الى عذاب من
فعل او ترك بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق
بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح
واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم الصلوة والسلام وانه لفي زبر الاولين وان ذكره او معناه
لفي الكتب المتقدمة اولم يكن لهم اية على صحة القران او نبوة محمد عليه الصلوة والسلام ان
يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرا ابن
عامر تكن بالتاء واية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل
ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة واية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على بعض
الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم
واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف



ولذلك جمع السلامة كذلك سلكناه ادخلناه في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه
بقوله ما كانوا به مؤمنين فيدل الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن اي ادخلناه فيها فعرفوا معانيه
واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان فيأتيهم بغتة
في الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتأسفا افبعذابنا
يستعجلون فيقولون انظر علينا حجارة فاتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة
افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون لم يغن
عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون انذروا
اهلها الزاما ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار او الرفع على انها
صفة منذرين باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية (اي هذه ذكرى)
وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار وما تنزلت به الشياطين كما زعمت المشركون
انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة وما ينبغي لهم وما يصلح لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون
وما يقدرون انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة في صفات
الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة
بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة
فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين
وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روي انه لما نزلت
صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل
خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك
لمن اتبعك من المؤمنين لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط
ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون
للايمان او المصدقون باللسان فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه او من
اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك
منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم الى
التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض
قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة

طاعاتهم

طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك فيما
بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله
التي بها يستأهل ولايته بعد وصفه بان من شأنه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا
للتوكل وتطمينا لقلبه عليه انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه هل انبئكم على من تنزل
الشياطين تنزل على كل افاك اثيم لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين
وفي اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة
حال الرسول لحال اربابها وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين
العين تشبيها لبعه بعضد الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا
من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر
اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار
ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان
وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عليه
الصلوة والسلام قال اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وسيعلم الذين
ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا
من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلا
ابو بكر لعمر رضه حين عهد اليه وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات والنجاة والمعنى
ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ليس لهم وجه من وجوه الانفلات
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من
صدق بمحمد عليه الصلوة والسلام

سورة النمل مكية وهي ثلاث او اربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين الاشارة الى آي السورة والكتاب المبين
اما اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره
باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه
من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على
الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه

مقامه هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الايات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او
خبران آخران او خبران لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة الذين يعملون الصالحات
من الصلوة والزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير
النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحديون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل
وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة فان تحمل المشاق انما
يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين
لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس
او الاعمال ~~زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع~~ الحسنة التي وجب عليهم
ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او
نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الاخرة
هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القرآن لتؤتاه
من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة
الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما
ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ قال
موسى لاهله اني آنست نارا اي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير
ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة
او الوعد بالاتيان وان ابطأ او آتيكم بشهاب قبس شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب
اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه
او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة
الترجي في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر
وثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا
بها والصلا النار العظيمة فلما جاءها نودي ان بورك اي بورك فان النداء فيه
معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى
التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة من في
النار ومن حولها من في مكان النار وهو البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه

عام

الاوحدون خ

زين اعمالهم خ

بلغ

عام في كل من في تلك الوادي وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء
وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة
الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام
وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب
من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشان
وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان
لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل
كل ما يفعله بحكمة وتدبير والق عصاك عطف على بورك اي نودي ان بورك من في النار
وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير
ان فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب كأنها جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة
من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل
اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله يا موسى
لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله اني لا يخاف لدي المرسلون حين يوحى اليهم
من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس اي من الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة
فيخافون منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك
به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان
فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد تعريض
موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف اي من ظلم
ثم بدل ذنبه بالتوبة وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل
الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات
في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من
التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به او اذهب في
تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين
يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم

بلغ

الى فرعون خ

ايٰاتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط
اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها
تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة
اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا بها و
استيقنتها انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان
وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا
والاحراق في الاخرى ولقد اتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع
او علما اي علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة
هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله ~~بعض ما اتيا به~~ الذي فضلنا
على كثير من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله
حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي
لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما اتاه من فضله وعلى ان يتواضع و
يعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة او العلم
او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس علمنا
منطق الطير واوتينا من كل شيء تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق
بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق
في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت
به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان
والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة
العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما من جنسه
ولعل سليمان عليه الصلوة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية
التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يصوت
ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال
انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال
وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا له

ولابيه

ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما
اوتي كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على
احد وحشر وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون
يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على واد النمل واد بالشام كثير النمل وتعديه
الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا
انفذه وبلغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا
مساكنكم كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت النملة عنهم مخافة حطمهم فتبعها
غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة
العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع خلق الله فيها العقل والنطق.
لا يحطمنكم سليمن وجنوده نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم
لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا تدخل في السعة
وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم
والايذاء وقيل استيناف اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا
من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله به من ادراك
همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اجعلني
ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه وقرأ البزي
وورش بفتح ياء اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة
او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وان
اعمل صالحا ترضاه تماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
في عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد
ام كان من الغائبين ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره
فقال ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب
كانه يسأل عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث
النمل يأكله او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان
مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى

ذلك ووقوع احد الامور الثلثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير اوليأتينني بنونين
الاولى مفتوحة مشددة فمكث غير بعيد زمانا غير بعيد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه
خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبأ وفي مخاطبته
اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى خلق الله من احاط علما بما لم تحط به لتتحاقر اليه
نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق وجئتك
من سبأ وقرأ ابن كثير برواية البزي وابو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة
او البلدة والقواس بهمزة ساكنة بنبأ يقين بخبر محقق روي انه عليه السلام لما اتم
بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام بها ما شاء ثم توجه اليمن فخرج من مكة
صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد
رائده لانه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا
واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ولعل في
عجايب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها و
يستنكرها من ينكرها اني وجدت امرأة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان
والضمير لسبأ او لاهلها واوتيت من كل شيء يحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم عظيم
بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلثين ذراعا في ثلثين عرضا وسمكا او
ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله كانهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان اعمالهم عبادة الشمس
وغيرها من مقابح افعالهم فصدهم عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم
لا يهتدون اليه ان لا يسجدوا لله فصدهم لان لا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه
بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب الا
بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كقوله
وقالت الا يا اسمع نعظك بخطة فقلت سمعا فانطقي واصيبي وعلى هذا صح ان يكون
استئنافا من الله او من سليمن والوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى
الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ
هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في

السموات

السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون وصفه بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود
من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في
غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء
فانه اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب
والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالتاء
الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين
العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف من النظر بمعنى التامل اصدقت ام كنت من
الكاذبين اي ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا فالقه
اليهم ثم تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم
الى بعض من القول قالت اي بعد ما القي اليها يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه
او مرسله او لانه كان مختوما او لغرابة شأنه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب
فدخل الهدهد في كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمن استيناف
كانه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي ان الكتاب او العنوان من سليمن وانه وان
المكتوب او المضمون وقرئا بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه بسم الله
الرحمن الرحيم الا تعلوا علي ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف
اي هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب واتوني مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا
كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على
ذات الصانع وصفاته صريحا او التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر
بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على
رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من
اعظم الدلالة قالت يا ايها الملأ افتوني في امري اجيبوني في امري الفتي واذكروا ما تستصوبون
فيه ما كنت قاطعة امرا ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم
بذلك ليمالئوها على الاجابة قالوا نحن اولوا قوة بالاجساد والعدد واولوا باس شديد
نجدة وشجاعة والامر اليك موكول فانظري ماذا تامرين من المقاتلة والصلح نطعك
ونتبع رايك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييفا لما احست منهم من

من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة
ان يتخطى سليمن خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب
سجال لا يدرى عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم
الى غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان
ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله عز وجل وانى مرسلة اليهم بهدية
بيان لما ترى تقديمه فى المصالحة والمعنى انى مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكى
فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روي انها بعثت منذر بن عمرو فى
وفد وارسلت معهم غلمانا على زي الجوارى وجوارى على زي الغلمان وحقا فيه
درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى
وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره وراوا
عظم شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال وطلب
الحق واخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فى الدرة وامر دودة
بيضاء فاخذت الخيط ونفذت فى الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ بيدها
فيجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم
رد الهدية فلما جاء سليمن اى الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا قال اتمدوننى
بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرا حمزة
ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحد وبنونين وحذف الياء فما اتانى الله من
النبوة والملك الذى لا مزيد عليه خير مما اتاكم فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندى
بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فتفرحون بما
يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن
انكار الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم
فى قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس وقومها
فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها وقرئ بهم
ولنخرجنهم منها من سبا اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون اسراء
مهانون قال يا ايها الملؤا ايكم ياتينى بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله به من

العجايب الدالة على عظم القدرة وصدقه فى دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها
فينظرا تعرفه ام تنكره قبل ان ياتونى مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه
الا برضاها قال عفريت خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث
المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك
مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وانى عليه على حمله لقوى امين لا اختزل
منه شيا ولا ابدله قال الذى عنده علم من الكتاب اصف بن برخيا وزيره او الخضر
او جبريل او ملك ايده الله به او سليمن نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على
شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب فى انا اتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك للعفريت كانه استبطاه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة فى نقله
فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتاتى له ما لا يتهيا لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد
بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح واتيك فى الموضعين صالح للفعلية والاسمية
والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف
كما فى قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد
الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شى فقبل ان ترده احضر عرشها
بين يديك وهذا غاية فى الاسراع ومثل فيه فلما راه راى العرش مستقرا عنده حاصلا
بين يديه قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله هذا من فضل
ربى تفضل به على من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش فى مدة ارتداد
الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام فى امكان مثله قد مر فى اية الاسراء
ليبلونى ءاشكر بان اراه فضلا من الله بلا حول منى ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان
اجد نفسى فى البين او اقصر فى اداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من الياء ومن
شكر فانما يشكر لنفسه لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب
ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر فان ربى غنى عن شكره كريم بالانعام عليه ثانيا قال
نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف
اتهتدى ام تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان
بالله ورسوله اذا رات تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه

الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده
بسخافة العقل قالت كانه هو ولم تقل هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها
واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك
اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت واوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك
قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمن وقومه عطفوه
على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون
ذاك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا
يظهر الا على الانبياء اي واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها
وكنا مسلمين منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من
التقدم في ذلك شكرا له وصدها ما كانت تعبد من دون الله اي وصدها عبادتها الشمس
عن التقدم الى الاسلام او صدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان انها كانت من
قوم كافرين وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اي صدها نشؤها بين
اظهر الكفار او التعليل له قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما راته
حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روي انه امر قبل قدومها فبني قصر صحنه من
زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره
في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقراء ابن كثير
برواية قنبل سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤوق واسؤق قال انه ان ما ظننته ماء
صرح ممرد مملس من قوارير من الزجاج قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة الشمس وقيل
بظني سليمان فانها حسبت انه يغرقها في اللجة واسلمت مع سليمن لله رب العالمين
فيما امر به عباده وقد اختلف في انه تزوجها او زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد
ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها
الباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو
لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا
قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده
تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم ترحمون بقبولها فانها لا تقبل حينئذ قالوا

اطيرنا

اطيرنا تشاءمنا بك وبمن معك اذ تتابع علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق
منذ اخترعتم دينكم قال طائركم سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره
او عملكم المكتوب عنده بل انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء
والاضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو
الداعي اليه وكان في المدينة تسعة رهط تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة
باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلثة او السبعة الى العشرة
والنفر من الثلثة الى التسعة يفسدون في الارض ولا يصلحون اي شانهم
الافساد الخالص عن شوب الصلاح قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر
مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله
ليلا وقراء حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان
تقاسموا خبر ثم لنقولن فيه القراءات الثلاث لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله
فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة
حفص فان مفعلا مصدر كمرجع وقراء ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون
ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشيء
غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما
رأيت ثم رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلناها
سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روي انه كان لصالح في الحجر مسجد في
شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلث فنفرغ منه ومن اهله
قبل الثلث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت
عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار
اليه قوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين
وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استيناف او خبر محذوف
لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقراء الكوفيون ويعقوب
انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف
حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة

منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه
خبر مبتداء محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لاية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا
الذين امنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا
واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول ظرف
على الثاني اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف
القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصر بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فيكون
افحش ائنكم لتاتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة
على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر من دون النساء
اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها
لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى
المخاطب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون
يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا
امراته قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا
فساء مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر به
رسول الله صلعم بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شانه
وما خص به رسله من الايات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام
على المصطفين من عبيده شكرا على ما انعم عليهم وعلمه ما جهل من احوالهم وعرفانا
لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم
على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك آلله خير اما يشركون
الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرايهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه راسا حتى
يوازن بينه وبين من هو مبدا كل خير وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء امن
بل امن خلق السموات والارض التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ
امن بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم لاجلكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق
ذات بهجة عدل به عن الغيبة الى التكلم لتاكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه
على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد ⁄⁄

المتشابهة

المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق
وهي البساتين من الاحداق وهي الاحاطة ءاله مع الله اغيره يقرن به ويجعل له شريكا
وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ االها باضمار فعل تدعون او تشركون وبتوسيط
مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون عن الحق الذي هو
التوحيد امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها
بعضا من الماء وتسويتها بحيث يتاتى استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها
وسطها اوساطها انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا يتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها
المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا وقد
مر بيانه في الفرقان ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون به امن
يجيب المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجا الى الله من الاضطرار وهو افتعال
من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر
ويكشف السوء ويدفع عن الانسان ما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها
بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم ءاله مع الله الذي حفكم بهذه النعم
العامة والخاصة قليلا ما تذكرون اي تذكرون الاءه تذكرا قليلا وما مزيدة
والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرا ابو عمرو وهشام وروح بالياء
وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال امن يهديكم في ظلمات البر والبحر للملابسة
او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا
بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة
الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب
الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب ءاله مع الله
يقدر على مثل ذلك تعالى الله عما يشركون تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز
المخلوق امن يبدؤا الخلق ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون
بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية ⁄⁄
ءاله مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك
ان كنتم صادقين في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم من في

اختلفوا في بل ادارك فقرأ ابن كثير والبصريان وابو جعفر بقطع الهمزة مفتوحة واسكان الدال من غير الف بعدها وقرأ الباقون بوصل الهمزة وتشديد الدال مفتوحة والف بعدها نشر
علم اكثر القراء اصلا في كتابه

في السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولي العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وما يشعرون ايان يبعثون متى ينشرون مركبة من اي وان وقرئ بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة بل ادرك علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك منها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصله تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبلى ادرك وبلى أأدرك وام ادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور لوقت القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك

بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصله تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبلى ادرك وام ادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح او مضمر من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائي اننا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل من قبل وعد محمد وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اي امر ضيق مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس بتاخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعها فضول وفواضل ولكن

اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم
وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اى
سترت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة فى السماء و
الارض خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما فى الراوية او اسمان
لما يغيب ويخفى كالتاء فى عاقبة وعافية الا فى كتاب مبين بين او مبين ما فيه
لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة ان هذا القران يقص
على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة
والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم المنتفعون به ان
ربك يقضى بينهم بين بنى اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه
انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة ما يقضى فيه وحكمه
فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق المبين وصاحب الحق حقيق
بالوثوق بحفظ الله ونصره انك لا تسمع الموتى تعليل اخر للامر بالتوكل من حيث
انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم راسا وانما شبهوا بالموتى لعدم
انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم فى قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا
ولوا مدبرين فان اسماعهم فى هذه الحالة ابعد وقرا ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت
بهادى العمى عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرا حمزة وحده وما
انت تهدى العمى ان تسمع اى ما يجدى اسماعك الا من يؤمن باياتنا من هو فى علم الله
كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم اذا دنا وقوع
معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب اخرجنا لهم دابة من الارض
وهى الجساسة روى ان طولها ستون ذراعا ولها قوايم وزغب وريش وجناحان
لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروى انه عليه الصلوة والسلام سئل عن
مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعنى المسجد الحرام تكلمهم من
الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروى انها تخرج ومعها عصى موسى وخاتم
سليمن فتنكت بالعصا فى مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم
فى انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ان الناس كانوا باياتنا خروجها

وساير احوالها فانها من ايات الله وقيل القران وقرا الكوفيون ان الناس بالفتح
لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله او علة خروجها
او تكلمها على حذف الجار ويوم نحشر من كل امة فوجا يعنى يوم القيمة ممن يكذب باياتنا
بيان للفوج اى فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبى واهل كل قرن
شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا وهو
عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم حتى اذا جاؤا الى المحشر قال اكذبتم باياتى
ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اى اكذبتم بها بادى الراى غير ناظرين فيها نظرا يحيط
علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اى جمعتم بين التكذيب
بها وعدم القاء الاذهان لتحققها اماذا كنتم تعملون ام اى شئ كنتم تعملونه بعد ذلك وهو
للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا
يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم
فى النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فهم لا ينطقون باعتذار
لشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل
لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة
وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور فى مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة فى مواد
الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو
مناط جميع مصالحهم فى معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار
والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله
المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور
الثلثة ويوم ينفخ فى الصور الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث
الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ فى البوق ففزع من فى السموات ومن فى الارض
من الهول وعبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه الا من شاء الله ان لا يفزع بان يثبت
قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش
وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه حاضرون
الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرا حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ

على التوحيد للفظ الكل

اتاه لتوحيد لفظ الكل داخرين صاغرين وقرى دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة
في مكانها وهي تمر مر السحاب في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد
لا تكاد تتبين حركتها صنع الله مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله
الذي اتقن كل شيء احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما يفعلون عالم بظواهر
الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها اذ ثبت له الشريف
بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحد وقيل خير منها اي خير حاصل من جهتها
وهو الجنة وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء
وهم من فزع يومئذ امنون يعني به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق الانسان
من التهيب لما يرى من الاهوال والعظايم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرا الكوفيون
بالتنوين لان المراد فزع من افزاع ذلك اليوم وامن يعدى بالجار وبنفسه كقوله
افامنوا مكر الله وقرا الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها
ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك فكبت وجوههم في النار فكبوا فيها على وجوههم
ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدي في قوله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات او باضمار القول اي
قيل لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها امر الرسول
بان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبداء والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا
بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشانه والاستغراق
في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشانها
وقرى التي حرمها وله كل شيء خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين
المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام وان اتلوا القران وان اواظب
على تلاوته لينكشف لي حقايقه في تلاوته شيا فشيا او اتباعه وقرى
واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياي في ذلك فانما يهتدي لنفسه
فان منافعه عائدة اليه ومن ضل بمخالفتي فقل انما انا من المنذرين فلا
علي من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل
الحمد لله على نعمة النبوة او على ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم اياته القاهرة في الدنيا

كوقعة

كوقعة بدر وخروج دابة الارض او في الاخرة فتعرفونها فتعرفون انها ايات الله
ولكن حين لا ينفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم
لغفلته عن اعمالكم وقرى في السبعة بالياء عن النبي صلعم من قرا سورة طس كان له
من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وصالح وابرهيم
وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله سورة القصص مكية وقيل
الا قوله الذين اتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون اية
بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلوا
عليك نقرؤه عليك بقراءة جبريل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا من نبا موسى وفرعون
بعض نبائهما مفعول نتلوا بالحق محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان
فرعون علا في الارض استيناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر وجعل اهلها شيعا
فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه استعمل
كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة
منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استيناف وقوله
يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال يولد مولود في بني
اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع
بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين فلذلك اجترا على قتل خلق
كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في
الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من باسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة
على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبا او حال من يستضعف
ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد لجواز ان يكون تعلق
الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة
الوقوع منه جاز ان تجري مجرى المقارن ونجعلهم ايمة مقدمين في امر الدين
ونجعلهم الوارثين لما كان في ملك فرعون وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام
واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر
ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب

ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع
واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت
عليه بان يحس به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي عليه ضيعة ولا
شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تامن عليه وجاعلوه
من المرسلين روي انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات
بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه
وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية فارضعته
ثلثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاتخذت
له تابوتا فقذفته في النيل فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه
وقرأ حمزة والكسائي حزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين
في كل شيء فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر
ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم
على ايديهم فالجملة اعتراض لتاكيد خطاهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به
وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطاء
وقالت امراة فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة
عين لي ولك هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج من التابوت احباه
او لانه كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه
الانسان فلطخت برصها بريقه فبرأت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو
قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم
عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من
نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه
او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين
او من القائلة والمقول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطاء في التقاطه
او في طمع النفع منه والتبني له او من احد ضميري نتخذه على ان الضمير

للناس اي وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا
من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى وافئدتهم هواء
اي خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر
او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او بسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت
لتبدي به انها كادت لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط الضجرة او الفرح
بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر او الثبات لتكون من المؤمنين من
المصدقين بوعد الله او الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ مؤسى
اجراء الضمة جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة
الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت لاخته مريم قصيه اتبعي
اثره وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب
وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص او انها اخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه
ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي
من قبل من قبل قصصها اثره فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم
وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه
قال انها لتعرفه واهله خذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون
فامرها فرعون بان تأتي بمن يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو
يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدي
الا ثديك قالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه
اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه الى امه كي
تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد
علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه
في يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلثين الى
اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا على رأس
الاربعين واستوى قده او عقله اتيناه حكما نبوة وعلما بالدين او علم

الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق
لنظم القصة لانه استنباه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا
بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصرا آتيا من قصر فرعون
وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد
دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد
فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه اي احدهما ممن شايعه
على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية
فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة و
لذلك عدى بعلى وقرئ استعانه فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ
فلكزه اي فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حيوته من قوله و
قضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار
او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه
خطاء وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه على عادتهم في
استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال
رب اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له لاستغفاره انه هو الغفور
لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي قسم محذوف الجواب اي
اقسم بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف
اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن
ابن عباس رض لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت علي من
القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة
خائفا يترقب يترصد الاستقادة فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه
يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين بين الغواية
لانها تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو
لهما لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل
قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قاله الاسرائيلي لانه لما

سماه

سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطي وكانه توهم من قوله انه الذي قتل القبطي
بالامس لهذا الاسرائيلي ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض تطاول
على الناس ولا تنظر العواقب وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فتدفع
التخاصم بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه
فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من اقصى
المدينة يسعى يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة
له لا صلة لجاء لان تخصيصه يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملاء يأتمرون
بك ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ائتمارا لان كلا من
المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان
وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من
المدينة خائفا يترقب لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني
منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب
سميت باسم مدين بن ابرهيم ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين
مصر مسيرة ثمان قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله
وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرق فاخذ في اوسطها
وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الآخرين ولما ورد ماء مدين وصل اليه وهو
بئر كانوا يسقون منها وجد عليه فوق شفيرها امة من الناس جماعة
كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم
امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما عن الماء لئلا تختلط باغنامهم قال ما خطبكما
ما شأنكما تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء يصرف الرعاة مواشيهم
عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما
يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر
اي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير كبير السن
لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما
قيل كانت الرعاء يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر

[illegible] وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا اخرى
عليها صخرة [illegible] ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي اي لاي شيء انزلت من خير
قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام فقير محتاج سائل ولذلك عدي باللام
وقيل معناه اني لما نزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا
لانه كان في سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك
فجاءته احداهما تمشي على استحياء اي مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما
وقيل الكبرى واسمها صفوراء او صفراء وهي التي تزوجها موسى قالت ان ابي
يدعوك ليجزيك ليكافيك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا ولعل موسى
انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر
بل روي انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا
نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا
هذا وان من فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم اخذه فلما جاءه وقص
عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون
وقومه قالت احديهما يعني التي استدعته يا ابت استاجره للرعي
ان خير من استاجرت القوي الامين تعليل شايع يجري مجرى
الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما وذكر
الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر مجرب معروف روي ان شعيبا
قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب راسه
حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى
ابنتي هاتين على ان تأجرني نفسك مني او تكون لي اجيرا او تثيبني من
اجرك الله ثماني حجج ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار
مضاف اي رعية ثماني حجج فان اتممت عشرا عملت عشر حجج فمن عندك
فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء
العقد لا نفسه فلعله جرى على معينة ومهر آخر او برعية الاجل الاول
ووعد له ان يوفي الاخير ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة

مع

مع انه يمكن اختلاف الشرايع في ذلك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر
او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق
فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ورايك في مزاولته
ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة
قال ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه ايما
الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي لا يعتدى
علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني
او فلا اكون متعديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة
وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي
وقرئ ايما كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره
واي الاجلين ما قضيت فيكون ما مزيدة لتاكيد الفعل اي اي الاجلين جردت
عزمي لقضائه وعدوان بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد
حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله بامراته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث
بعد ذلك عنده عشرا اخر ثم عزم على الرجوع آنس من جانب الطور نارا ابصر من
الجهة التي تلي الطور قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر بخبر الطريق
او جذوة عود غليظ سواء كانت في راسه نار او لم تكن قال كثير باتت حواطب
ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر والقى على قبس من النار جذوة شديدا
عليه حرها والتهابها ولذلك بينه بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة
بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما اتاها نودي من شاطئ
الوادي الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى في البقعة المباركة
متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال
لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اي يا موسى اني انا الله رب
العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه في المقصود وان الق
عصاك فلما راها تهتز اي فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما راها
تهتز كانها جان في الهيئة والجثة او في السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف

ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين عن المخاوف
فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك ادخلها تخرج بيضاء من غير
سوء عيب واضمم اليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف
الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالها في الجيب فيكون تكريرا
لغرض آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو واظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة
ويجوز ان يكون المراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة
من حال الطاير فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمان ضمهما اليه من الرهب
من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرا ابن
عامر وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرا
حفص بالفتح والسكون والكل لغات فذانك برهانان حجتان وبرهان فعلان
لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء
وبرهرهة للمراة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا الى فرعون
وملائه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان يرسل اليهم قال رب اني قتلت
منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله
معي ردءا معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرا نافع ردا بالتخفيف
يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون
ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره و
توضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرا عاصم وحمزة يصدقني
بالرفع على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك باخيك
سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه
باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون
اليكما باستيلاء او حجاج بآياتنا متعلق بمحذوف اي اذهبا بآياتنا او بنجعل
اي نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون او بيان
للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه (المقدر بعده) او صلة له
على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي (اي تغلبون بآياتنا) فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما

اشارة الى العصا واليد
وشدده ابن كثير وابو
عمرو ورويس صح

هذا

ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله
او سحر موصوف بالافتراء كساير انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء
(اي عند هذا او الاشارة الى الجنس)
النبوة في آبائنا الاولين كائنا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده
فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرا ابن كثير قال بغير واو لانه قالوه جوابا لمقالهم ووجه العطف
ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة
الدار العاقبة المحمودة فان قلت المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها
خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصدت
بالعرض وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في
الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري نفى
علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح
ليصعد اليه ويتطلع على الحال بقوله فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا
لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال
واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منها اوضاع الكواكب
فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم
كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن
وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها
انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر
باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من التعظيم ولذلك نادى هامان
باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق بغير استحقاق
وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور وقرا نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر
الجيم فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشان الآخذ
واستحقار للماخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا
الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر
يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها وجعلناهم ائمة قدوة للضلال
بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا

قصد ح
ويطلع ح

أو بمنع الألطاف الصارفة عنه يدعون إلى النار إلى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم
القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طرداً عن الرحمة
أو لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين
أو ممن قبح وجوههم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما أهلكنا القرون
الأولى أقوام نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس أنواراً لقلوبهم يتبصر بها الحقائق
ويميز بين الحق والباطل وهدى إلى الشرائع التي هي سبيل الله ورحمة لأنهم لو عملوا بها
نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالإرادة و
فيه ما عرفت وما كنت بجانب الغربي يريد الوادي أو الطور فإنه كان في شق الغرب
من مقام موسى أو الجانب الغربي منه والخطاب للرسول أي ما كنت حاضراً إذ قضينا
إلى موسى الأمر إذ أوحينا إليه الأمر الذي أردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين
للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة
على أن إخباره عن ذلك من قبيل الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا بالوحي ولذلك
استدرك عنه بقوله ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر ولكنا أوحيناه
إليك لأنا أنشأنا قروناً مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الأخبار
وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك وأقام سببه مقامه
وما كنت ثاوياً مقيماً في أهل مدين شعيب والمؤمنين به تتلو عليهم تقرأ عليهم
تعلماً منهم آياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين إياك ومخبرين لك بها وما كنت
بجانب الطور إذ نادينا لعل المراد به وقت ما أعطاه التورية وبالأول حيث
استنبأه لأنهما المذكوران في القصة ولكن رحمة من ربك ولكن علمناك
رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوماً متعلق بالفعل المحذوف ما
أتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون
سنة أو بينك وبين إسمعيل على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل وما
حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم
فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين لولا الأولى
امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لأنها مما أجيبت بالفاء تشبيهاً

لها

لها بالأمر مفعول فيقولوا تقديراً المعطوف على تصيبهم بالفاء مما يجاب به وأنه لا يصدر
عنهم حتى يلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم إذا أصابتهم عقوبة
بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً يبلغنا آياتك فنتبعها
ونكون من المصدقين ما أرسلناك أي إنما أرسلناك قطعاً لعذرهم وإلزاماً
للحجة عليهم فلما جاءهم الحق يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات من عندنا قالوا
لولا أوتي مثل ما أوتي موسى من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرهما اقتراحاً
وتعنتاً أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل يعني أبناء جنسهم في الرأي والمذهب
وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربياً من أولاد عاد قالوا ساحران يعنون
موسى وهرون أو موسى ومحمداً تظاهرا تعاونا بإظهار تلك الخوارق أو بتوافق
الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف أو جعلهما سحرين مبالغة أو
إسناد تظاهرهما إلى فعلهما دلالة على سبب الإعجاز وقرئ اظاهرا على الإدغام
وقالوا إنا بكل كافرون أي بكل منهما أو بكل الأنبياء قل فأتوا بكتاب من عند الله
هو أهدى منهما مما نزل على موسى وعلي وإضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد أن المراد
بالساحرين موسى ومحمد أتبعه إن كنتم صادقين أنا ساحران مختلقان وهذا
من الشروط التي يراد بها الإلزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم فإن
لم يستجيبوا لك دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى فحذف المفعول للعلم به ولأن
فعل الاستجابة يعدى بنفسه إلى الدعاء وباللام إلى الداعي فإذا عدي إليه حذف
الدعاء غالباً كقوله وداع دعا يا من يجيب إلى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فاعلم أنما يتبعون أهواءهم إذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها ومن أضل ممن اتبع هواه استفهام
بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد أو التقييد فإن هوى النفس
قد يوافق الحق إن الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك
في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول أتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال ليتصل
التذكير أو في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر
لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون
نزلت في مؤمني أهل الكتاب وقيل في أربعين من أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر

من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن كالمستكن في واذا يتلى عليهم
قالوا امنا به اى بانه كلام الله انه الحق من ربنا استينافٌ لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا
من قبله مسلمين استينافٌ آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو
امر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن
او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم
ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن
قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة السيئة
ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلوة والسلام اتبع الحسنة السيئة
تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا
للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعائهم بالسلامة عما هم
فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من احببت لا تقدر ان
تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين
بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله
صلعم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك
لصادق ولكني اكره ان يقال خرع عند الموت اى ضعف وجبن وقالوا ان نتبع الهدى
معك نتخطف من ارضنا نخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف
اتى النبي عليه الصلوة والسلام فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك
وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن
لهم حرما امنا اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله
وهم امنون فيه يجبى اليه تحمل اليه وتجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات
كل شيء من كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم
للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة
لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اى قليل منهم يتدبرون
فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله واكثرهم لا يعلمون ذلك اذ لو علموا لما خافوا غيره و
انتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين

ان الامر

ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا
من قرية بطرت معيشتها اى وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم في الامن وخفض العيش
حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم
من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من
شوم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم و
ساير متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك
زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت
وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث في امها في اصلها التي
هي اعمالها لان اهلها تكون افطن وانبل رسولا يتلو عليهم اياتنا لالزام الحجة وقطع
المعذرة وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر
وما اوتيتم من شيء من اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون و
تتزينون به مدة حياتكم المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من
ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه ابدي افلا تعقلون فتستبدلون
الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرئ بالياء وهو ابلغ في الموعظة افمن وعدناه وعدا حسنا
وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف
في وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا
الذي هو مشوب بالالام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم
القيمة من المحضرين للحساب او العذاب وثم للتراخي في الزمان او الرتبة وقرأ نافع
في رواية والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الاية كالنتيجة
للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم
تزعمون اى الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام
عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد ربنا هؤلاء
الذين اغوينا اى هؤلاء الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول اغويناهم
كما غوينا اى اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استينافٌ للدلالة

على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان
يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاده زيادة على الصفة
وهو وان كانت فضلة لكنه صار من اللوازم تبرانا اليك منهم ومما اختاروه
من الكفر هوى منهم وهي تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العواطف
وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون
اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اي تبرانا من عبادتهم ايانا
وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن
الاجابة والنصرة وراوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه
من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما راوا العذاب وقيل لو للتمني
اي تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
عطف على الاول فانه تعالى يسال اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم
الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم لا
تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان
ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطاه لم يكن له
حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا
كانت الرسل يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون
الامر الى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه
معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة
او العلم بانه مثله فاما من تاب من الشرك وامن وعمل صالحا وجمع بين
الايمان والعمل فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة
الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء
ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة
بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم راسا والامر كذلك عند التحقيق
فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها
وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف

ويؤيده

ويؤيده ما روي انه [illegible] هذا الكلام على [illegible]
عظيم وقيل [illegible]
الذي كان لهم فيه الخيرة [illegible]
احدا ويزاحم اختياره اختياره [illegible]
ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم [illegible]
يعلنون كالطعن فيه والله المستحق للعبادة لا اله الا هو [illegible]
الا هو له الحمد في الاولى والاخرة [illegible]
المؤمنون في الاخرة كما حمدوه في الدنيا [illegible] الحمد لله
الذي صدقنا وعده [illegible]
في كل شيء واليه ترجعون بالنشور قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
دائما من السرمد [illegible] الى يوم القيمة باسكان
الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله ياتيكم بضياء
كان حقه هل اله فذكر [illegible]
افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها فوق الافق من اله غير الله
ياتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال [illegible] لم يصف
الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه [illegible] الليل
ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا
تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن
رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في
النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه
عليها ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع
للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول لتقرير فساد رايهم
والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى ونزعنا واخرجنا
من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم

وان كان ام

عن العاطف

نفي للتخيير

صفوانه

تابع لظهور ان نوى ان يكالي ليس سؤالا عن اشراكهم

اي يترددون

ولو جمع للنا الرسل فيقول ماذا اجبتم ما لو اعلم النا انك انت علام الغيوب

ملع

وهو الاجوس الصحيح نفي الرجاح [illegible] والنحاس [illegible] الوقف

تخيره اختاره

به

لكونه مقررا للجملة السابق

[illegible] تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها
[illegible] عنهم [illegible] ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون
كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي وكان ممن آمن به
[illegible] الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل
[illegible] فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روي انه قال لموسى لك الرسالة
[illegible] غير شيء [illegible] وآتيناه من الكنوز من الاموال
[illegible] مفاتح [illegible] جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل
[illegible] المفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة
صلتها وهو [illegible] مفعول [illegible] الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة و
العصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء
المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر
والفرح [illegible] مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضاء بها والذهول عن ذهابها
فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقه لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندي
في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل
النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين اي
بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها
لكن [illegible] المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي نصيبك
من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله كما
احسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام
ولا تبغ الفساد في الارض بامر يكون علة للظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء
افعالهم قال انما اوتيته على علم عندي فضلت به على الناس واستوجبت به
التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم
بها وقيل علم الكيميا وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم
بكنوز يوسف وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي
اي في ظني واعتقادي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من

هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع
علمه بذلك لانه قراه في التورية وسمعه من حفاظ التواريخ او رد لادعائه
العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه اي اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى
ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون
سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها
بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى
اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم
معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه في زينته كما قيل انه خرج على
بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف
على زيه قال الذين يريدون الحيوة الدنيا على ما هو عادة الناس من الرغبة
يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد انه لذو
حظ عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا العلم باحوال الآخرة للمتمنين ويلكم
دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي
قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقاها الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء
او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة
والطريقة الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الارض روي
انه كان يؤذي موسى عليه الصلوة والسلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى
نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح
موسى بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى
فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن زنا غير محصن جلدناه
ومن زنا محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني
اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق
فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا عنه الى
ربه فاوحي الله ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى
ركبته ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه
ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال

فلم يرحمه فأوحى الله اليه ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي لو دعاني
مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعى الله حتى خسف بداره
وامواله فما كان له من فئة اعوان مشتقة من فأوت راسه اذا ميلته ينصرونه
من دون الله فيدفعوا عنه عذابه وما كان من المنتصرين الممتنعين منه من
قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه
منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر يبسط ويقدر بمقتضى مشيته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان
يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى
ما اشبه الامر ان الله لولا ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا لتوليده
فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون
برسله وبما وعد لهم من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم كأنه قال
تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون والعاقبة
المحمودة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير
اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام
مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك
تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد اي معاد وهو المقام المحمود الذي
وعدك ان يبعثك فيه او مكة التي اعتدت بها على انه من العادة رده اليها يوم
الفتح كأنه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين
وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين روي انه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق الى مولده
ومولد آبائه فنزلت قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر
ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من
العذاب والاذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما
كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما

كنت

كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على
المعنى كأنه قال وما القي اليك الكتاب الا رحمة فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم
والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله عن قراءتها والعمل بها بعد
اذ انزلت اليك وقرئ يصدنك من اصد وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا
تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج و
قطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته
فان ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ في الخلق و
اليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص
كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب لم يبق ملك في السموات والارض
الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا سورة العنكبوت مكية
وهي تسع وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الم سبق القول فيه في وقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه او بما
يضمر معه احسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة
ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله ان يتركوا
ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين
لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين لقولهم من تمامه وكقولهم
هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتاديب او انفسهم متروكين غير مفتونين
لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة و
رفض الشهوات ووظايف الطاعات وانواع المصائب في الانفس و
الاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه
ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن
خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب روي انها نزلت في ناس من
الصحابة جزعوا من اذى المشركين في عمار وقد عذب في الله وقيل في مهجع
مولى عمر بن الخطاب رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه
ابواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون

والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها فلا ينبغى ان يتوقع خلافه
فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلق علمه بالامتحان تعلقا
حاليا يتميز به الذين صدقوا فى الايمان والذين كذبوا فيه وينوط بهم ثوابهم و
عقابهم ولذلك قيل المعنى وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام
اى وليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه
وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصى فان العمل يعم افعال
القلوب والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم
وهو ساد مسد مفعولى حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان
ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون اى بئس الذى يحكمونه
حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجوا لقاء الله فى الجنة وقيل المراد
بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب
والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع
السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضى من افعاله او بسخط لما سخط
منها فان اجل الله فان الوقت المضروب للقائه لآت لجاء واذا كان وقت
اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه
او ما يستوجب القربة والرضا وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقائد
وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن
الشهوات فانما يجاهد لنفسه لان منفعته لها ان الله لغنى عن
العالمين فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة
لصلاحهم والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم الكفر
بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذى كانوا
يعملون اى احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان بوالديه حسنا بايتاء
فعلا ذا حسن او كانه فى ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجرى مجرى امر
معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اى وقلنا له احسن جزاء اعمالهم بوالديه
حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية

اى قلنا

اى قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو وفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه
وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم بالاهيته عبر
عن نفيها بنفى العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه
فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما فى ذلك فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق
ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل الى مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك
ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والآية نزلت فى
سعد بن ابى وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح
ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلثة ايام كذلك وكذا التى فى لقمان والاحقاف
والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين فى جملتهم والكمال فى الصلاح
منتهى درجات المومنين ومتمنى انبياء الله المرسلين او فى مدخلهم وهى الجنة ومن الناس
من يقول امنا بالله فاذا اوذى فى الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس ما يصيبهم
من اذيتهم فى الصرف عن الايمان كعذاب الله فى الصرف عن الكفر ولئن جاء نصر
من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم فى الدين فاشركونا فيه والمراد
المنافقون او قوم ضعف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول
اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين من الاخلاص والنفاق وليعلمن
الله الذين آمنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازى الفريقين وقال الذين كفروا
للذين امنوا اتبعوا سبيلنا الذى نسلكه فى ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك
خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على
امرهم بالاتباع مبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار
عنهم ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم
بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون من الاولى للتبيين والثانية
مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم اثقال
ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا له
بالاضلال والحمل على المعاصى من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شئ وليسئلن
يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون من الاباطيل التى اضلوا

بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد
المبعث اذ روي انه بعث على راس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين
عاما وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على
كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف
من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول
الله صلعم وتثبيته على ما يكابد من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير
من البشاعة فاخذهم الطوفان طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من
سيل او ظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر فانجيناه اي نوحا واصحاب
السفينة ومن ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية
وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اى
السفينة او الحادثة اية للعالمين يتعظون ويستدلون بها وابرهيم عطف
على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم
اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا اي ارسلنا حين كمل عقله وتم نظره
بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر
واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما
هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل انما
تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون كذبا في تسميتها
الهة وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال
على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلّقون من خلّق للتكثير
وتخلقون من تخلّق للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى
خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان
على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا
يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله
الرزق كله فانه المالك له واعبدوه واشكروا له متوسلين الى مطالبكم
بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره او مستعدين للقائه بهما فانه

اليه

اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا وان تكذبوني فقد كذب امم من
قبلكم من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضروا انفسهم حيث تسبب لما حل بهم
من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الذي زال معه
الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالاية وما بعدها من جملة قصة ابرهيم
المقولة لما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شان النبي صلى الله عليه
وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي
قصته من حيث ان مساقها لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم
وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابرهيم في قومه اولم يروا كيف يبدئ
الله الخلق من مادة ومن غيرها وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير
القول وقرئ يبدا ثم يعيده اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا
لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يأول الاعادة بان ينشئ
في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما و
يعطف على يبدئ ان ذلك الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على
الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شئ قل سيروا في الارض حكاية كلام الله
لابرهيم او محمد عليهما الصلوة والسلام فانظروا كيف بدا الخلق على اختلاف الاجناس
والاحوال ثم الله ينشئ النشاة الاخرة بعد النشاة الاولى التي هي الابداء
فانه والاعادة نشاتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح
باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره في بدا والقياس عكسه للدلالة على ان
المقصود بيان الاعادة لانها اهون والكلام في العطف ما مر وقرئ النشاءة
كالرافة ان الله على كل شئ قدير لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات
على سواء فيقدر على النشاة الاخرى كما قدر على النشاة الاولى يعذب من يشاء
تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين
ربكم عن ادراككم في الارض ولا في السماء ان فررتم من قضائه بالتواري في
الارض او الهبوط في مهاويها والتحصن في السماء او القلاع الذاهبة فيها

وقيل ولا من في السماء كقول حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وما
لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء و
يدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك
يئسوا من رحمتي اي ييأسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او ايسوا
في الدنيا لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه قوم
ابرهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول
بعضهم لكن لما قيل فيهم او رضي به الباقون اسند الى كلهم فانجاه الله من النار اي قذفوه فيها
فانجاه منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لآيات هي حفظه من
اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها لقوم يؤمنون
لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا
مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها
وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف
او بتأويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأها نافع وابن عامر
وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس
مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودة او سبب مودة بينكم
والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو
المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ
انما مودة بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يقوم
التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون
عليهم ضدا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط هو ابن
اخته واول من آمن به وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر
من قومي الى ربي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي
لا يأمرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته
سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له
اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل

ردعا الزمخشري

وجعلنا

وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب
الاربعة وآتيناه اجره على هجرته اليه في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية
الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى آخر
الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف
على ابرهيم او على ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة
في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون
على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام في الثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين
استيناف مقرر لفحشها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه
النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل
وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق
او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتأتون
في ناديكم في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي الا لما فيه اهله المنكر كالجماع و
الضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل الخذف ورمي
البنادق فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
في استقباح ذلك او في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ قال رب انصرني
على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم
بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت
رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه
القرية قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين
تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها
لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي
بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد
العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله
او تأقيت الاهلاك باخراجهم منها وفيه تأخير البيان عن الخطاب الا امرأته كانت
من الغابرين الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم

جاءه [illegible] والغم بسببهم [illegible] قومه بسوء وان صلة لتاكيد الفعلين
[illegible] بهم ذرعا وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت
يده [illegible] رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له [illegible] طويل الذراع ينال ما لا ينال
قصير [illegible] لما راوا فيه الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك و
اهلك الا [illegible] من الغابرين [illegible] والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك
بالتخفيف [illegible] ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع الكاف جر على المختار ونصب
اهلك [illegible] او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية
رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي
اضطرب وقرا ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد
تركنا منها آية بينة هي حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها
كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في
الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او آية والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم
اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام
السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم
الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبرئيل لان القلوب ترجف لها فاصبحوا في
دارهم في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا
وثمودا منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرا حمزة وحفص
ويعقوب وثمود غير مصروف على تاويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اي تبين
لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين
لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي وكانوا مستبصرين
متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم
باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوفون على عادا
وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما
كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين
اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها حصباء

رماهم

رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به
الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم
ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا
ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذاك اوهن فان لهذا
حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا
من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء
طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت لبيت
العنكبوت لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون الى
علم لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت
دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان
الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم و
قرا عاصم وابو عمرو ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة
بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون
او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائده المحذوف
والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم
تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه وان الجماد
بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان
من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال يعني هذا المثل ونظائره نضربها للناس
تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفائدتها الا العالمون الذين
يتدبرون الاشياء على ما ينبغي وعنه عليه الصلوة والسلام انه تلا هذه الآية فقال
العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض
بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقها افاضة الخير والدلالة
على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لآية للمؤمنين لانهم المنتفعون بها اتل
ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه

في القاموس جمعه عنكبوتات وعناكب والعكاب والعكب والاعكب اسماء الجمع

مفعولة ليعلم

فان القارئ المتامل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اولا كما قرع سمعه واقم
الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال
الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه
فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب ولذكر
الله اكبر وللصلوة اكبر من ساير الطاعات وانما عبر عنها به
للتعليل فان اشتمالها على ذكره هي العمدة في كونها مفضلة على الحسنات
ناهية عن السيئات او لذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه
بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن ساير الطاعات فيجازيكم
بها احسن المجازات ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا بالخصلة
التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة
بالنصح وقيل هو منسوخ باية السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه
اخر الدواء وقيل المراد به ذو والعهد منهم الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء
والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية
وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هو من المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلعم
لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان
قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن
له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب وحيا
مصدقا لساير الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم الكتاب
يؤمنون به هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول من اهل
الكتاب ومن هؤلاء ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول من
الكتابيين من يؤمن به بالقرآن وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها
الا الكافرون الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التامل فيها

يفيد

يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول كما اشار اليه بقوله وما كنت
تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع
العلوم الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة
تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يخط
ويقراء لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين
لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب
اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع
دون المعتقد بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر احد تحريفه
وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح
دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل ناقة
صالح وعصى موسى ومائدة عيسى وقراء نافع وابن عامر والبصريان وحفص
آيات قل انما الآيات عند الله ينزلها كما يشاء لست املكها فآتيكم بما تقترحونه
وانما انا نذير مبين ليس من شاني الا الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات
اولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم تدوم
تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف ساير الآيات
او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك
الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم
يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا
رسول الله صلعم بكتف كتب فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان
يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم
شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي
ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه
حالي وحالكم والذين امنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك
هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم
امطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلا

وليأتينهم بغتة فجاءة كوقعة بدر او الاخرة عند نزول الموت بهم وهم لا يشعرون باتيانه
يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب
او هي كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع
الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس
على حكمهم يوم يغشاهم العذاب ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن
تحت ارجلهم من جميع جوانبهم ويقول الله او بعض ملائكته بامره لقراءة ابن كثير وابن
عامر والبصريين بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين امنوا ان ارضي
واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا
الى حيث يتمشى لكم وعنه عليه الصلوة والسلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا
استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة
ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة ثم
الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء
والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرأ حمزة والكسائي
لنثوينهم اي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع
الخافض او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم
اجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين
صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم
يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله وكاين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره
وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم
سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على
معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت
وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس
والقمر المسئول عنهم اهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب
الوجود فانى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من
عباده ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب

وان يكون

وان لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل شيء عليم
يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد
موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به
بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة
او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدأ
لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه
الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما
يلهى به ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان
الدار الاخرة لهي الحيوان لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او هي في ذاتها حيوة
للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية
واوا وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم
للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا
التي اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك
متصل بما دل عليه شرح حالهم اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر
دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين
حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو
فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما اتيناهم
اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم
على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير
وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة
ذلك حين يعاقبون اولم يروا يعني اهل مكة انا جعلنا حرما امنا اي جعلنا
بلدهم مصونا عن النهب والتعدي امنا اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس
من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب
افبالباطل يؤمنون ابعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله
بالصنم او الشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره

وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول او الكتاب
وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى
التكذيب وكما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله
الستم خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل
هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا
ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجرأة والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبل
الخير وتوفيقا لسلوكها لقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما
علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بالنصرة والاعانة قال عليه
الصلوة والسلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد كل المؤمنين والمنافقين سورة الروم مكية الا قوله تعالى فسبحان
الله حين تمسون وهي ستون او تسع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم في ادنى الارض ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم
او في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وهم من بعد غلبهم من اضافة
المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب سيغلبون في
بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل
بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح
المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس
اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر
لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له
ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلايص من
كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلعم فقال
البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة

ونحن نقاطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه

قلوص

بعد
قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله
من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي
وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية
على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والاية
من دلايل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم
ومعناه ان الروم غلبوا ريف الشام والمسلمين سيغلبونهم وفي السنة التاسعة
الريف ارض فيها زرع وخصب
من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا تكون اضافة الغلب الى الفاعل
لله الامر من قبل ومن بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم
مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما
الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا
وبعدا اي اولا وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له كتاب
على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين
وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين
باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر
هولاء تارة وهولاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم
تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر موكد لنفسه لان ما قبله في
معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
وعده ولا صحته وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الاخرة التي هي غايتها والمقصود منها
هم غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره
والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الاخرة المحققة
لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات
المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقايقها
وصفاتها وخصايصها وافعالها واسبابها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا
واما باطنها فانها مجاز الى الاخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعار بانه لا فرق
انها

والمسلمون

وكيفية صدورها منها

بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم اولم يحدثوا التفكر
فيها اولم يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلي فيها للمستبصر
ما يجتلي له في الممكنات باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها قدرته على ابدائها
ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بقول او علم محذوف يدل عليه
الكلام واجل مسمى تنتهي عنده ولا تبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء
جزائه عند انقضاء وقيام الاجل المسمى او قيام الساعة لكافرون جاحدون
يحسبون ان الدنيا ابدية وان الاخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة من قبلهم تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى آثار
المدمرين قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا وجهها
لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا
الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط
لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا
فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في اقطار
الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى واد لا نفع لها وجاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم
من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم
كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اي ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى او الخصلة فوضع الظاهر
موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى
تأنيث اسوأ كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت بها ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها
يستهزؤن علة او بدل او عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا
او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا
بالآيات واستهزؤا بها ويجوز ان يكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر
محذوفا للابهام والتهويل وان تكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب
والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب
على ان الاسم السوأى او ان كذبوا على الوجوه المذكورة الله يبدأ الخلق ينشئهم

ثم يعيده بعد بعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود
وقرأ ابو بكر وابو عمرو وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون
يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه
الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم
من شركائهم ممن اشركوهم بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله [illegible]
لتحققه وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بالهتهم حين يئسوا منهم [illegible]
في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعواء [illegible]
السوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون يسرون سرورا تهللت له
وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب
محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر بتنزيه
الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها
نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه
الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح
لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار
من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد
النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله
وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس رضي الله عنه ان
الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوتا المغرب والعشاء
وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة
الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب
بمكة ركعتين في اي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة
والاكثر انها فرضت بمكة وعنه عليه السلام من سره ان يكال

لها ... فسبحان الله حين تمسون الاية وعنه من قال حين
يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في
ليلته ومن قال حين يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا
تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان
من النطفة والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة و
البيضة او يعقب الحياة الموت وبالعكس ويحيي الارض بعد موتها ييبسها
وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحيوة
الموت وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء ومن آياته ان خلقكم من تراب
اي اصل الانسان لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجاء
وقت كونكم بشرا تنتشرون في الارض ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم
ازواجا لان حوا خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال
او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتالفوا بها
فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر وجعل بينكم اي بين
الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج حال
الشبق وغيرها بخلاف ساير الحيوان نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان
متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية
عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله ورحمة منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف
السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس
نطقكم واشكاله فانه لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية والوانكم بياض
الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع
التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور
الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ان في ذلك لآيات للعالمين
لا يكاد يخفى عليهم من ملك او انس او جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما
يعقلها الا العالمون ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم

في

في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب
معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين
والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما
فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه ان في ذلك لآيات
لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن آياته يريكم
البرق مقدر بان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغا وان اشهد اللذات
هل انت مخلدي او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير
من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله وما الدهر الا تارتان
فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح خوفا من الصاعقة وللمسافر وطمعا
في الغيث وللمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له
على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع
كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء
وقرئ بالتشديد فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لآيات
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال
قدرة الصانع وحكمته ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره قيامهما باقامته
لهما وارادته لقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر
للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون
عطف على ان تقوم على تاويل مفرد كانه قيل ومن آياته قيام السموات والارض
بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا
والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج
الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه وثم اما للتراخي زمانه او لعظم
ما فيه ومن الارض متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون
لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله واذا الثانية للمفاجاة ولذلك نابت مناب الفاء
في جواب الاولى وله من في السموات والارض كل له قانتون منقادون لفعله فيهم لا
يمتنعون عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون عليه والاعادة

اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والاهما
عليه سواء او لذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكيره هو لاء
لاهون او لان الاعادة بمعنى ان يعيد وله المثل الوصف العجيب الشان
كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف
بالوحدانية الاعلى الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه في السموات والارض وصف
به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته
الحكيم الذي يجري الافعال على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا من
احوالها التي هي اقرب الامور اليكم هل لكم مثلا من انفسكم منتزعا مما ملكت
ايمانكم من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء
فتكونون انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة
لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري
مجرى النفي تخافونهم ان يستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار بعضهم
من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الايات نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني
ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك
اهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي
من اضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم
عن آفاتها فاقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل
للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به فطرة الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر
لما دل عليه ما بعدها التي فطر الناس عليها خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او
ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد الماخوذ من آدم و
ذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك اشارة الى الدين
المامور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه راجعين
اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير
في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الاية خطاب للرسول والامة لقوله

وانقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير انها صدرت بخطاب الرسول صلعم
تعظيما له من الذين فرقوا بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف
اهوائهم وقراء حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا فرقا
يشايع كل امامها الذي اضل دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بانه الحق
ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر
شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة
خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجاء فريق منهم بالاشراك بربهم
الذي عافاهم ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا
غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء
على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان
فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق بما كانوا به يشركون
باشراكهم وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون في الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة
من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشوم
معاصيهم اذا هم يقنطون فاجاؤا القنوط من رحمته وقراء ابو عمرو والكسائي بكسر النون
او لم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء
والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة
والحكمة فات ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم
وهو غير مشعر به والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبي صلعم
او لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته
او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك
هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما اتيتم من ربا زيادة محرمة في
المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقراء ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء
ربا ليربو في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله فلا يزكو عنده ولا يبارك
فيه وقد قراء نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا اذا ربوا وما اتيتم من زكوة تريدون
تبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف من الثواب ونظير

المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعّفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة
وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارةً ونظماً للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم
كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك
هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به او
فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء
له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه
الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال سبحانه وتعالى عما
يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه
بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال
والثالثة مزيدة لتعميم المنفي به وكل منها مستقلة بتأكيد لتعجيز الشركاء والافعال
وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة
الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة
والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدي الناس
بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه هابيل وفي
البحر بان جلندى ملك عمان كان يأخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا
بعض جزائه فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب
لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين
استئنافا للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك
في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة
من قبل ان يأتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق بيأتي ويجوز
ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ
يصدعون يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال
من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون

يسوون

يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون او
ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود
بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات
البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتأكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك
ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل
محض وتأويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن آياته
ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور
فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر و
ليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر
المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها
مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري
الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا
نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات
فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار
بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه
عليه السلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد
عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام
الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في
سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب
الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على انه
مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق يخرج من خلاله في
التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم
يستبشرون بمجيء الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد

والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب
او الارسال لمبلسين لآيسين فانظر الى اثر رحمت الله اثر الغيث من النبات والاشجار
وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها
وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء الارض بعد
موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في موادّ ابدانهم من القوى
كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل
ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من موادّ ما تفتتت وتبددت من
جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى جميع
الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا فرأوا الاثر او الزرع
فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة
للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون جواب سد مسد
الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم
تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي
ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا
من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته
ولم يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار
ولم يكفروا نعمه فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم ولا
تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم
المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيئا وقرأ ابن كثير بالياء
مفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم
المقصود الحقيقي من الابصار او لعمي قلوبهم وقرأ حمزة وحده تهدي العمي ان تسمع
الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد
بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون لما تأمرهم به الله الذي خلقكم من ضعف اي
ابتداكم ضعفا وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان ضعيفا اي خلقكم
من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق

بابدانكم

بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح
عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما
قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف وهما
لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم
يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة وشبيبة وهو العليم القدير
فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ويوم
تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات
الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم
المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث
وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو
يحتمل الساعات والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة
الى مدة عذابهم في الآخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق
والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان
من الملائكة او من الانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه
لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث
ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم
لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم
منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع
الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان
تأنيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما
يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا
من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات
التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة فيما يقولون
وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل

رواه ابو داود والترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما

رواه الشيخان بلفظ ما بين النفختين اربعون

مثل بنبيهم على التوحيد والبعث وصدق الرسول ولئن جئتهم باية من آيات
القرآن ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون
الرسول والمؤمنين الا مبطلون مزورون كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على
قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان
الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله
بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك الذين
ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون
ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك
اى لا يزيغونك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن النبى صلعم من قرا سورة الروم كان
له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما
ضيع فى يومه وليلته **سورة لقمان مكية** وقيل الا آية
وهى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف
لانه لا ينافى شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلثا من قوله ولو ان ما فى الارض من شجرة
اقلام وآيها اربع وثلثون وقيل ثلث وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم
الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه فى يونس هدى ورحمة للمحسنين
حالان عن الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر
او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون
بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتدادها
وتكريرا الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم
واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن
الناس من يشترى لهو الحديث ما يلهى عما يعنى كالاحاديث التى
لا اصل لها والاساطير التى لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام
والاضافة بمعنى من وهى تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية
ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت فى النضر بن الحارث اشترى كتب
الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث

عاد

في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك
تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين
اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال عليه السلام لمن قال له من ابر
امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك
وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل
اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا معروفا
يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد و
الاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون بان
اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية
لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر
الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلوا الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز
تقليدهما في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولها في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت
لاسلامه ثلثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب اليه ابوبكر رضي الله عنه فانه اسلم
بدعوته يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان
ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة
وتانيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقول الشاعر كما شرقت صدر القناة من الدم
او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض في
اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض
وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها فيحاسب
عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة
وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد
سيما في ذلك ان ذلك من عزم الامور اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم
الامور مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز
ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس ولا تمله
ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو داء يعتري البعير فيلوي

رواه ابوداود والترمذي ذكره

تلوا الباري

تكميلا لنفسك

امره



عنقه وقراء نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل
علاه واعلاه وعالاه ولا تمش في الارض مرحا اى فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح
مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهى وتاخير الفخور وهو
مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا ليوافق رؤس الآى واقصد في مشيك توسط فيه بين
الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عايشة رضى الله
عنها كان عمر رضا اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد
الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات
اوحشها لصوت الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل
الاذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة
مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون الاحاد
او لانه مصدر في الاصل الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعلها اسبابا محصلة
لمنافعكم وما في الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح
النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع
الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر وقرا نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع و
الاضافة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد
من دليل ولا هدى راجع الى الرسول ولا كتاب منير انزله الله بل بالتقليد كما قال
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وهو منع صريح
من التقليد في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير لهم
ولابائهم الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف
مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض
امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة
بالتشديد وحيث عدى باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو محسن في عمله فقد
استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل
بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي

منه

منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا
ولا في الاخرة وقرئ ولا يحزنك من احزن وليس بمستفيض الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم بما
عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر
نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم
الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او نضم الى الاحراق الضغط ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره
بحيث اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان
معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض لا يستحق
العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة
لان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مداد ممدود
بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل
ان ومعمولها ويمده حال او للابتداء على انه مستانف او الواو للحال ونصبه البصريان
بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء ما نفدت
كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي
بالقليل فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر
والاية جواب لليهود سالوا رسول الله صلعم او امروا وفد قريش ان يسالوه عن قوله
وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شان لانه يكفي لوجود الكل
تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك
لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق الم تر ان الله يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري كل من النيرين يجري في فلكه
الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر
الى اخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل هنا

منتهى الجري وثمه غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات وان الله بما تعملون
خبير عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجايب الصنع
واختصاص الباري بها بان الله هو الحق بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع
جهاته او الثابت الهيته وانما تدعون من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد
ولا يتصف الا بجعله او الباطل الهيته وقرأ البصريان والكوفيون غير ابي بكر
بالياء وان الله هو العلي الكبير مترفع عن كل شيء ومتسلط عليه الم تر ان
الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على
باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل
وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من
آياته دلائله ان في ذلك لآيات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر
في الآفاق والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل
كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال
دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد
بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق
القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار
وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او لما كان في البحر
والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد
عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف
محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن والده
شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع
من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب
حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان
بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة
علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلعم فقال متى قيام

الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر
ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب
خمس وتلا هذه الآية وينزل الغيث في ابانه المقدر له والمحل المعين له في علمه
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام
ام ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شيء
وتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت
تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم
النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح
ان يحملني ويلقيني بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ
امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية
للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان اعمل
حيلة وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف
بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيثها
بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم عليم يعلم الاشياء كلها خبير يعلم بواطنها كما
يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا
يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل ان جعل الم اسما
للسورة او القرآن فمبتدأ خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان
جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف او مبتدأ خبره لا ريب فيه فيكون
من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز
ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه
لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتراه فانه انكار لكونه من رب العالمين
وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى
اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب

رواه البخاري

رواه الامام احمد…

ان عمل

وقرئ

عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجبا منه فان
ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله
فقال لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون
بانذارك اياهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش مر بيانه في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم
رضاء الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي
يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا
خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء الى
الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة اثارها الى
الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة
ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به الملك
ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه
مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة
وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج اليه بعد الالف
لالف اخر يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه الامر كله يوم
القيمة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض
بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة
المخلصين والاعمال الخلص وقرئ يُعرج ويعدون ذلك عالم الغيب
والشهادة فيدبر امرها على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم
على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي
احسن كل شيء خلقه خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق
الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه
من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرأ
نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل

وعلى

وعلى الثاني بمتصل وبدأ خلق الانسان يعني آدم من طين ثم جعل نسله من
ذريته سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل من سلالة من ماء مهين
ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه
الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شانا له مناسبة ما الى
الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون
تشكرون شكرا قليلا وقالوا ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا
مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضلِلنا بالكسر من ضل
يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل
فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائي
ويعقوب انا على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء
ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفاكم يستوفي
نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا
كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته ملك الموت الذي وكل بكم بقبض
ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي ربنا قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا
وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق
لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرأيت امرا فظيعا ويجوز ان يكون
للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول
لان المعنى لو يكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ما تهتدي به
الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي
وهو لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشية
المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يرفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن
نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه

من الوسايط والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب ترك
المنسي وفي استينافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب
الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله
بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيها
دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا
سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم
حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان و
الطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع الفرش و
مواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي صلى الله
عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه السلام اذا جمع الله الاولين والاخرين
جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع
فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع
فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل
فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب ساير الناس وقيل كان اناس من الصحابة يصلون
من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما
اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة اعين مما تقر به عيونهم وعنه عليه السلام
يقول الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وقرا حمزة ويعقوب اخفي على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفي واخفى والفاعل للكل
هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية
معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء او اخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه
وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم افمن كان مومنا كمن كان فاسقا
خارجا عن الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة تاكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى
اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى فانها المأوى الحقيقي والدنيا
منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان نزلا سبق في آل عمران بما كانوا

رواه ابو يعلى الموصلي في مسنده

رواه بمعناه ابو داود

رواه الشيخان

هذا القوم

يعملون

النهي ذوا القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعيّ الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون
لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله ابن محمد او المراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر
عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في
جوف لادائه الى تناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوي وغير اصل لم يجعل
الزوجة والدعي اللذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة
وقرأ ابو عمرو اللاي بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما
وعن يعقوب بالهمزة وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في
الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون
من ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من اظهر ومعنى الظهار ان يقول للزوجة
انت علي كظهر امي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته
بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي
الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر
للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ
في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء وادعياء جمع دعي على الشذوذ
وكانه شبهه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم
لا حقيقة له في الاعيان كقول الهازل والله يقول الحق ماله حقيقة عينية مطابقة له وهو
يهدي السبيل سبيل الحق ادعوهم لآبائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة
وقوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد
به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق فان لم تعلموا آباءهم
فتنسبونهم اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا
هذا اخي ومولاي بهذا التاويل وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولا اثم عليكم فيما فعلتموه
من ذلك مخطئين قبل النهي او بعده على النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم
ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن ما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه
عن المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة له عندنا وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت
النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في الامور كلها فانه

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية

لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاتهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب ان يكون
احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي
انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن اباءنا وامهاتنا
فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة
الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق
التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عايشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء
واولوا الارحام وذووا القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر
الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزل وهو هذه
الاية او اية المواريث او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام بحق القرابة
اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى
اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية
او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الايتين ثابتا في اللوح او القران وقيل
في التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر في الايتين وميثاقهم عهودهم بتبليغ
الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم خصهم بالذكر
لانهم مشاهير ارباب الشرايع وقدم نبينا تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان
او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسال الصادقين عن صدقهم اي فعلنا ذلك
ليسال الله يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم
تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين
صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين عذابا اليما
عطف على اخذنا من حيث ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل
عليه ليسال كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء
اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا لم تروها الملائكة روي انه لما سمع
باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلثة الاف والخندق بينه وبينهم ومضى
على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة

في ليلة

في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفات نيرانهم وقلعت
خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن
خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما
تعملون من حفر الخندق وقرا البصريان بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب
والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من
قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش
واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت
القلوب الحناجر رعبا لان الرئة تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها
الى راس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله
الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده
في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب و
المنافقون ما حكي عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد
اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو و
حمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا
فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا
من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا
غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس
والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت
طائفة منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل مدينة وقيل اسم
ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لا موضع قيام لكم هنا وقرا
حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين
وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او
لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم
النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز

ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما هي بعورة بل هي
حصينة ان يريدون الا فرارا اي ما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم
دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول
هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه
ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر
بمعنى لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة اي باعطائها الا يسيرا ريثما يكون السؤال
والجواب وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من
قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسئولا عن الوفاء به مجازى عليه
قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او
قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي
وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا
قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء
ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على
الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا
يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله صلعم
وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا
وقد ذكرنا صله في الانعام ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا
فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون
الا قليلا كقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي اصحاب
محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة
في سبيل الله او الظفر او الغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون او
او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم
كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه من
الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم

سلقوكم

سلقوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او باللسان اشحة
على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من
وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال
فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة
به وعدم ما يمتنع عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون
ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب
كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون
بين الاعراب يسألون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا
فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا
من التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان
يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في نفسه قدوة يحسن التأسي
به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ
عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر اي ثواب الله او
لقاءه ونعيم الآخرة او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا
وفضله فان اليوم الآخر يوم الله بحسب الحكم والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان
صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه
وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسي
بالرسول صلى الله عليه وسلم من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم الآية وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم
والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وقرأ
حمزة وابو بكر بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله وظهر صدق خبر الله
ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في [illegible] الا ايمانا بالله و
مواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقني اذا قال الصدق

المعاهد
فان العاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد
كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم
فى رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه
تبديلا شيئا من التبديل روى ان طلحة ثبت مع رسول الله صلعم يوم احد حتى
اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض
القلب بالتبديل وقوله ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء
او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به وكان المنافقين قصدوا بالتبديل
~~وقوله ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب~~
عليهم عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى
والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد بها التوفيق للتوبة ان الله كان
غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين كفروا يعنى الاحزاب بغيظهم متغيظين
لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب وكفى الله المؤمنين
القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا على
كل شئ وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعنى
قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهى ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن
الثور والظبى وشوكة الديك وقذف فى قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون
وتأسرون فريقا وقرئ بضم السين روى ان جبرئيل اتى رسول الله صلعم صبيحة
الليلة التى انهزم فيها الاحزاب فقال اتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح
ان الله يأمركم بالمسير الى بنى قريظة وانا عامد اليهم فاذن فى الناس ان لا يصلوا
العصر الا ببنى قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم
الحصار فقال لهم تنزلون على حكمى فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم
سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبى صلعم فقال لقد حكمت بحكم الله
من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم سبعمائة واورثكم ارضهم
مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم روى انه عليه السلام
جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم فى منازلكم وقال عمر اما تخمس كما

خمست

خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لى طعمة وارضا لم تطؤها كفارس والروم
وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شئ قديرا فيقدر
على ذلك يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة و
التنعم فيها وزينتها زخارفها فتعالين امتعكن اعطكن المتعة واسرحكن
سراحا جميلا واطلقكن طلاقا من غير ضرار وبدعة روى انهن سألنه ثياب
الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدا بعايشة رضى الله عنها فخيرها فاختارت
الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل
لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن
الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك
واحدى الروايتين عن على ويؤيده قول عائشة خيرنا رسول الله صلعم فاخترناه ولم
يعد طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل
لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا
وبائنة عند ابي حنيفة واختلف فى وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ
امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستيناف وان كنتن تردن الله ورسوله والدار
الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها
ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة
بكبيرة مبينة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وابي بكر والباقون بكسر الياء يضاعف
لها العذاب ضعفين ضعفى عذاب غيرهن اى مثليه لان الذنب منهن اقبح فان
زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفى
حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصرى يضعف
وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب وكان ذلك
على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبى وكيف وهو سببه و
من يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم او لقوله وتعمل
صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضاء النبى بالقناعة
وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائى يعمل بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها

رواه الواقدى

على ان فيه ضميرا اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها يا نساء
النبي لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام
مستويا فيه المذكر والمونث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من
جماعات النساء في الفضل ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورضاء رسوله فلا تخضعن
بالقول فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع الذي في قلبه مرض
فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي مريض القلب عن الطمع
عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة
وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن
ونقلت كسرتها الى القاف فاستغني عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح
من قررت اقر لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن
في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية
القديمة وقيل هي ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابرهيم كانت المراة
تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية
الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل
الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه
السلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن
الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله في سائر ما امركم به ونهاكم عنه انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على
الاستيناف ولذلك عمم الحكم اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم عن
المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها
وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما عليهم السلام لما روي انه
عليه السلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة
رضي الله عنها فادخلها ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم
قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون
اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والحديث

يقتضى

يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات
الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن حيث
جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما
يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والايتمار فيما كلفن
به ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن
او يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل بيته ان المسلمين
والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات
المصدقين بما يجب ان يصدق والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة
والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين والصابرات على
الطاعات وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم
وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين و
الصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا
من الصغاير لانهن مكفرات واجرا عظيما على طاعاتهم والآية وعد لهن ولامثالهن
على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي ان ازواج النبي صلعم قلن يا رسول الله ذكر
الله الرجال في القران بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل
قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف
الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك
ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعدادا المعد لهم للجمع بين هذه
الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له اذا قضى الله ورسوله امرا اي قضى
رسول الله وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب
بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلعم لزيد بن
حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي
فزوجها من زيد ان يكون لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم
ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول

تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف ومحاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه
ماكان محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده
من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم و
ابرهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله
وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير و
الطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على
انه خبر مبتدأ محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله
اب من غير وارث اذ لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين وآخرهم الذى ختمهم
او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا
كما قال عليه السلام في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول
عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ وكان الله بكل
شئ عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين آمنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس
والتحميد والتهليل والتمجيد وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار وآخره خصوصا
وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على ساير الاوقات لكونهما مشهودين
كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل
المراد بالتسبيح الصلاة هو الذى يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم
والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور
شرفكم مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلوة
المشتملة على الانعطاف الصوري الذى هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة
ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة
ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة
وكان بالمؤمنين رحيما حتى اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في
ذلك ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اى يحيون يوم
يلقونه يوم لقائه عند الموت او الخروج عن القبر او دخول الجنة سلام اخبار

بالسلامة عن كل مكروه وآفة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم
لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على
من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته باذنه
بتيسيره اطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب
لا يتأتى الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات
الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا
كبيرا على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال
امتك ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع اذاهم
ايذائهم اياك ولا تحتفل به او ايذاك اياهم مجازاة او مؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه
منسوخ وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال
كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل
الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة
المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره
بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله برهانا على جميع
خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائي بالالف وضم التاء
فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من
عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال
للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا
على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره
يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على
ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم ازاحة ما عسى
يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة فمتعوهن
اي ان لم تكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة ويجوز

ان

ان يأول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة
للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا
من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير
لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن مهورهن
لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار
الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء
الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدو امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب
بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات
خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول
ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلعم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله
هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها
للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي
للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك
نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر
اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر
وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام
زيد جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان
هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن
الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون
المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله
واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى
وقد خص عليه السلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة
فيه وخالصة مصدر مؤكد اي خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على القيود
المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف اي
هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب

القسم والمهر بالوطئ حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها انه
كيف ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج
ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك
لا لمجرد قصد التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس اخرى وكان الله غفورا
لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها
وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق
من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى
واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك
في شيء من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن
ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لان حكم كلهن
فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن
انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر
بالبناء للمفعول وكلهن تاكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن والله
يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما
لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع
غير حقيقي وقرأ البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع وهو في حقه كالاربع
في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن
من ازواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق
ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله
وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان
الآية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء
على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا تحل لك
النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن
ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول
الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا

ماحد

ما حد لكم يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لانه متضمن معنى
يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر
به قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا
او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز
الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر
انى الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا
تمكثوا والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد
ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستأنسين
لحديث لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين
او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او ولا تمكثوا مستأنسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي
النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من
اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك
حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى
والقاء حركتها على الحاء واذا سالتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسالوهن المتاع
من وراء حجاب ستر روي ان عمر رضه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر
فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه
بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي ذلك فنزلت ذلكم اطهر
لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا
رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد
وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة
في ايام عمر فهم برجمها فاخبر بانه عليه السلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير
ان ذلكم يعني ايذائه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم
من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال
ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء

لنكاحهن ح

لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا
الى طعام متعلق بيؤذن

اي يضبطون وقت ادراك الطعام وحينه

تنتفعون به

رواه النسائي

رواه البخاري في الادب والنسائي

عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل
ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن
ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي
انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا
من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين و
لذلك سمي العم ابا في قوله واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه كره
ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفا لابنائهما ولا نسائهن يعني نساء
المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء
خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء
شهيدا لا تخفى عليه خافية ان الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون
باظهار شرفه وتعظيم شأنه يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا
فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك
ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والآية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه
في الجملة وقيل يجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه السلام رغم انف رجل ذكرت
عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله
وتجوز الصلوة على غيره تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسول
ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا وجليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله
يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم
شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين
فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة واعد
لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا قيل انها نزلت في المنافقين كانوا
يؤذون عليا رضه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات
يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين
وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخي بعض
اي ترسل

جلبابها

جلبابها وتتلفع ببعض ذلك ادنى ان يعرفن يميزن من الاماء والقينات فلا يؤذين
فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف رحيما بعباده
حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم
والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم
في الدين او فجورهم والمرجفون في المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا
المسلمين ونحوها عن ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به
الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم و
اجلائهم او ما يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك وثم
للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة الا
قليلا زمانا او جوارا قليلا ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل
له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من
قبل مصدر مؤكد اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا
الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله
تبديلا لانه لا يبدلها او لا يقدر احد ان يبدلها يسألك الناس عن الساعة عن
وقت قيامها استهزاء وتعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا
ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب
وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه
تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا
نارا شديدة الايقاد خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب
عنهم يوم تقلب وجوههم في النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار
او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب
ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا آتهم

استيناف

عنهما

رواه الترمذي وابن حبان

رواه الطبري

اي تستتر

اي اولى واجدر بان يعرفن

الكاذبة

الرسل

ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كثيرا
كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين امنوا لا
تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه
ومضمونه وذلك ان قارون حرض امراة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص
او اتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا
به عليهم حتى راوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قذفوه بعيب في
في بدنه من برص وادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه وكان عند الله
وجيها ذا قربة ووجاهة منه وقرئ وكان عبدا لله وجيها يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا
الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد
يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر
لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله
في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الاخرة سعيدا
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث
انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام
العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعي لها والقايم بحقوقها بخير الدارين
انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف
للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية
وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره
وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن
لا يؤديها فتبرا ذمته فيكون الاباء عنها اتيانا بما يمكن ان يتاتى منه والظلم والجهالة
للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها
اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات

على

على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه
مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته
ولعل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة
الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وب
حمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة
الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل
ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم
مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من
حيث انه نتيجته كالتاديب للضرب في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد
اشعارا بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا
رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه السلام من
قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبا مكية وقيل الا ويرى الذين اوتوا العلم الاية وايها خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الحمد في السموات
الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد في الاخرة لان ما في الاخرة ايضا كذلك وليس
هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف بما يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد
الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بوساطة من يستحق
الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الاخرة وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين الخبير ببواطن الاشياء
يعلم ما يلج في الارض كالغيث ينفذ في موضع وينبع في اخر وكالكنوز والدفائن والاموات
وما يخرج منها كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء
كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة
واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم الغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها
او في الاخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تاتينا

الساعة انكار لمجيئها او استبطاء ... بالوعيد قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه
وربي لتأتينكم عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات
تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة
ونافع وابن عامر ورويس عالم بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقرأ الكسائي لا يعزب بالكسر ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة
بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح في موضع
الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير في عنه للغيب
وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل
عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات علة لقوله
لتأتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا منّ
عليه والذين سعوا في اياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كي
يفوتونا وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك
لهم عذاب من رجز من سيء العذاب اليم مولم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين
اوتوا العلم ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن تابعهم من الامة او من مسلمي اهل الكتاب
الذي انزل اليك من ربك القرآن هو الحق ومن رفع الحق جعل هو ضميرا مبتدأ والحق
خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولي العلم على
الجهلة الساعين في الايات وقيل منصوب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم
عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا ويهدي الى صراط العزيز
الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعضهم
لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه السلام ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب
اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد انكم تنشأون خلقا جديدا بعد ان تمزق
اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة
فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف
اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم

السيول

السيول كل مذهب وطرحته كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد كحديد من حد وقيل بمعنى
مفعول من جدّ النساج الثوب اذا قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة جنون يوهمه
ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه
على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه
بيّن لان الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال
البعيد رد من الله عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال
البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب و
جعله رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعد
في الاصل صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين
ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم
كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة
لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا
الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشأ
نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة
والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا وحفص كسفا
بالتحريك ان في ذلك النظر والتفكر فيهما وما يدلان عليه لآية لدلالة لكل عبد منيب
راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل في امره ولقد آتينا داود منا فضلا اي على سائر الانبياء
فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال اوبي معه رجعي معه التسبيح
على الذنب او النوحة وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح
اذا تأمل ما فيها او سيري معه حيث سار وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح
كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا باضمار قولنا او قلنا والطير عطف على
محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة
بحركة الاعراب او على فضلا او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف
على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل به هذا
النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شانه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال

والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها والنا له الحديد جعلناه
في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالاته او بقوته ان اعمل امرناه
ان اعمل وان مفسرة او مصدرية سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو
اول من اتخذها وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر
مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة
ويؤيده قوله والنا له الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود واهله اني بما تعملون بصير
فاجازيكم عليه ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وقرئ الريح بالرفع اي ولسليمان
الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر و
بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اسال له
من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن
الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتداء وخبر
باذن ربه بامره ومن يزغ منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما امرنا من طاعة سليمان وقرئ
يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الاخرة يعملون له ما يشاء من محاريب
قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت به لانها يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل
وصورا وتماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا
نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه
ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران
باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية وهي من الصفات الغالبة
كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا ال داود شكرا
حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اي اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان
العمل له شكر او الوصف له او الحال او المفعول به وقليل من عبادي الشكور المتوفر
على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه
للشكر نعمة تستدعي شكرا اخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر
فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل اله الا دابة
الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال

ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان
اكلا تاكل منساته عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها تطرد بها وقرئ
بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين
ومنساته على مفعالة كميضاءة في ميضاءة ومن سأته اي من طرف عصاه مستعار من
سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة وقحة فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس
الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين انهم لو كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا في العذاب المهين انهم كما يزعمون لعلموا موته حيثما وقع فلم يلبثوا بعده حولا
في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما في حيزه بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان داود اسس بيت المقدس في موضع فسطاط
موسى عليهما السلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم
بعد اذ دنا اجله واعلم به فاراد ان يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه
صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكيا على عصاه فقبض روحه وهو متكي
عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته
فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه
قد مات منذ سنة وكان عمره ثلثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلث عشرة سنة
وابتداء عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبا لاولاد سبا بن
يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم
القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوي
كما وجب في مساكنهم في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء
مسيرة ثلث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ
من القياس كالمسجد والمطلع اية علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر
على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في
قصتي داود وسليمان جنتان بدل من اية او خبر محذوف تقديره الاية جنتان وقرئ
بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم
وجماعة عن شماله كل واحد منهما في تقاربها وتضايقها كانها جنة واحدة او بستانا كل

رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال
لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب
غفور استيناف للدلالة على موجب الشكر اى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة
طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب
على المدح قيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا
عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اى الصعب من عرم
الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف
اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر و
تركت فيه نقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التى عقدت سكرا على انه
جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك
بين عيسى ومحمد عليهما السلام وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط ثمر
بشيع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا
شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فى كونه بدلا او عطف بيان واثل وشئ من سدر قليل معطوفان على اكل
لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين
ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك
يغرس فى البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقرأ
ابو عمرو ذواتى اكل بغير تنوين اللام وقرأ الحرميان بتخفيف اكل ذلك
جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روى انه بعث اليهم
ثلثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل
نجازى الا الكفور وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ فى الكفران او
الكفر وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص نجازى بالنون والكفور
بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها بالتوسعة على اهلها
وهى قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن
الطريق ظاهرة لابناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادى

في قرية

في قرية ويبيت الرائح فى قرية الى ان يبلغ الى الشام سيروا فيها على
ارادة القول بلسان الحال او المقال ليالى واياما متى شئتم من ليل ونهار
آمنين لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان
طالت مدة سفركم فيها او سيروا فيها ليالى اعماركم واياما لا تلقون فيها
الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية
كبنى اسرائيل فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا
فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله تعالى بتخريب
القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا باعد بلفظ
الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا فى الترفه وعدم الاعتداد بما
انعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ ربنا بعد او بعد على النداء واسناد
الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فجعلناهم
احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدى سبا
ومزقناهم كل ممزق ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام
وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان فى ذلك فيما ذكر لآيات لكل
صبار عن المعاصى شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اى صدق
فى ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه
بنفسه كما فى صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق
ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى
وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم
وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين رأى انهماكهم فى
الشهوات او ببنى آدم حين رأى اباهم النبى ضعيف العزم او ما ركب فيهم من
الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها وقال ولاضلنهم ولاغوينهم
فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم
بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه فى العصيان
وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان تسلط واستيلاء بالوسوسة

والاستغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا
يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك
من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين
نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ محافظ والزنتان متآخيتان قل للمشركين
ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطوله بصلته
والثاني لقيام صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم
مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه من دون الله والمعنى ادعوهم
فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم
اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون بانفسهم
واختيارهم مثقال ذرة من خير او شر في السموات ولا في الارض في امر ما
وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها
ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية و
الجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا
وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا تنفعهم
شفاعتهم ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له اذن
له ان يشفع او اذن له ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول
كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في قولك جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي
بضم الهمزة حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا للاذن
اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن
وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء
للفاعل وقرئ فرغ اي نفي الوجل من فرغ الزاد اذا فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا
قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن
ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو و
الكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض
يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او

تلعنوا

او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى او في
ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية
بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى
والضلال المبين وهو بعدما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في
الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول
حسان أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر
واختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا
يركضه حيث يشاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا او محبوس في
مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون
هذا ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين
قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين
النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني
الذين الحقتم به شركاء لارى باي صفة الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وهو استفسار
عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة
بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمة بالذلة
متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا والضمير لله او للشان وما ارسلناك الا كافة للناس الا
ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في
الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا
ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى هذا
الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون
به رسول الله والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده
انه قرئ على البدل وقرئ يوما باضمار اعني لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجاكم
وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا
القرآن ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب
عن الرسول فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيمة ولو ترى اذ

اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي في موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون القول
يقول الذين استضعفوا يقول الاتباع للذين استكبروا للرؤسا لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان
لكنا مؤمنين باتباع الرسول قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى
بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا
انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا
ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعاطف يعطفه على
كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل
بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة لما رأوا العذاب واضمر الفريقان الندامة
على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من خرجهم متى هذا
الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون
به رسول الله والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد واضافته الى اليوم للتبيين
ويؤيده انه قرئ على البدل وقرئ يوما باضمار اعني لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون
من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات وللسلب كما في اشكيته وجعلنا الاغلال في اعناق الذين
كفروا اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا ما
كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعديته يجزى اما لتضمين معنى يقضى او لنزع
الخافض وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلعم مما مني به من قومه
وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا الانهماك
في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما
ارسلتم به كافرون على مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن
وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل ردا لحسبانهم ان
ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات
ولو كان لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيته ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال
والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا
زلفى قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم والاولاد او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ

بالذي اي بالشيء الذي يقربكم الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال والاولاد لا تقرب
احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم
واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة
اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب
الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم بما عملوا وهم في الغرفات آمنون من المكاره
وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن
فيها معاجزين سابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون قل ان
ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا في شخص واحد
باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا
او آجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط في ايصال رزقه ولا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا المستكبرين
والمستضعفين ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا
لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم
ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله وقرأ حفص بالياء فيهما قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم
انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم
ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين
حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويتخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم
اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك
بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازي وحده ونقول
للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد
آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعنون القرآن الا افك
لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله تعالى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم
لامر النبوة او الاسلام او القرآن والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ان هذا
الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة
الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ

منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اليهم قبلك من
نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه
الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم
كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة
وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى
فكذبوا رسلي فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان
نكيري لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب
او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم
وانصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام من مجلس رسول الله
صلعم او الانتصاب في الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى
متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا
في امر محمد وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب
باضمار هو او اعني ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استيناف
منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى
لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤوس الاشهاد
ويلقي نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى
ثم تتفكروا اي شيء به من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه لانه
مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد
نفي السؤال كأنه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوي عليه لانه
اما ان يكون لغرض او غيره واياما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما
سألهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله لا اسألكم عليه اجرا الا
المودة في القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد
مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي باسكان الياء قل ان ربي يقذف
بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق
فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل

من

من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرأ
حمزة وابو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت والباقون بالضم كالعشور وقرئ بالفتح كالصبور على انه مبالغة
غايب قل جاء الحق اي الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق
له اثر ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله عبيد فاليوم
لا يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدي خيرا لاهله
ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قل ان ضللت عن الحق فانما اضل على نفسي فان وبال
ضلالي عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله
وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب يدرك قول
كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو
محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب
من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا
او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اي فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به
بمحمد وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم وانى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا
سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان
بعدما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة
وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمزة على قلب الواو لضمتها او انه من نأشت الشيء
اذا طلبته وقال رؤبة اقحمني جار ابي الخاموش اليك نأش القدر النؤوش او من نأشت اذا تأخرت
ومنه قوله تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى التناول
من بعد وقد كفروا به بمحمد او بالعذاب من قبل من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب
ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول صلعم من المطاعن او في العذاب من البت
على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من امره وهو الشبهة التي تمحلوها في امر الرسول او حال
الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال
للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على
وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في
تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة به

من النار وقراء ابن عامر والكسائي باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة
الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة او ذا ريبة منقول من المشكك او الشاك
نعت به الشك للمبالغة عن رسول الله صلعم من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له
يوم القيمة رفيقا ومصافحا سورة الملائكة مكية واياها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض
مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه
بمعنى الماضي جاعل الملائكة رسلا وسايط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده
يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم
آثار صنعه اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت
ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما
امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روي انه عليه السلام رأى جبريل
ليلة المعراج وله ستمائة جناح يزيد في الخلق ما يشاء استيناف للدلالة على ان تفاوتهم
في ذلك مقتضى مشيته ومؤدى حكمته لا امر يستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع
بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية
متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل و
سماحة النفس ان الله على كل شيء قدير وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة
الارادة ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة كنعمة وامن
وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك فلا مرسل له مطلقه واختلاف الضميرين لان
الموصول الاول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت
غضبه من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه
الحكيم لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق
امر الناس بشكر انعامه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف
بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله
يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فاني تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به
ورفع غير للحمل على محل من خالق فانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وجره حمزة

والكسائي حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استيناف مفسر له
او كلام مبتداء وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله وان
يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اي فتاس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت
موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية يا ايها الناس
ان وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فيذهلكم التمتع
بها عن طلب الآخرة والسعي لها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع
الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا
على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو عداوة
عامة قديمة فاتخذوه عدوا في عقايدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم
انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه
في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن
خالفه وقطع للاماني الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله افمن
زين له سوء عمله فرآه حسنا تقرير له اي افمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه
على عقله حتى انتكس رايه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق
حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف الجواب لدلالة
فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله
ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب
والفاءات الثلث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت
على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوي
افعالهم المقتضية للتاسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه
بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه و
الله الذي ارسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح فتثير سحابا على
حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال

الحكمة او لان المراد بيان احداثها لهذه الخاصية ولذلك اسند اليها ويجوز ان يكون
اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت وقرأنا فع وحمزة
والكسائي وحفص بتشديد الياء فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر
السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصاير مطرا بعد موتها بعد يبسها
والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كذلك
النشور اي مثل احياء الموات نشور الاموات في صحة المقدورية اذ ليس بينهما
الا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك لا مدخل فيها وقيل في كيفية الاحياء
فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة
الشرف والمنعة فلله العزة جميعا اي فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى
بالدليل عن المدلول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح وصعودهما اليه
مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم
فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان
ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناء من
والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء
وقراءة القرآن وعنه عليه السلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح
لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات يعني مكرات قريش للنبي عم
في دار الندوة وتداورهم الرأي في احدى ثلث حبسه وقتله واجلائه لهم عذاب شديد
لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر اولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة
لا تتغير به كما دل عليه بقوله والله خلقكم من تراب بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق
ذريته منها ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا
معلومة له وما يعمر من معمر وما يمد في عمر من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره
من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره
بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة
بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وقيل الزيادة والنقصان

في عمر

في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكون فيه ان حج عمرو فعمره
ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب
في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على بناء الفاعل الا في كتاب هو
علم الله او اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة
والنقص وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب
مثل للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره
والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف وملح على فعل ومن
كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها استطراد في صفة البحرين وما
فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان
من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما
ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما
في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصة العظمى وبقاء
احدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك
العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت وترى الفلك فيه في كل مواخر
تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر
ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي
باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجري لاجل مسمى هي مدة دوره او منتهاه او يوم القيمة ذلكم الله ربكم له الملك
الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار
المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ في قران والذين تدعون من دونه ما
يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ان
تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم
قدرتهم على الانفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم
لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك
بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله سبحانه فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر

الخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال الهتهم ونفي ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقراء
الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم و
كثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به
ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني على الاطلاق المنعم على
سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد بقوم آخرين
اطوع منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر ولا تزر
وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك
اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة نفس اثقلها الاوزار الى حملها تحمل بعض
اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب بحمل شيء منه نفي ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها
ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على
حذف الخبر وهو اولى من جعل كان التامة فانها لا تلائم نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون ربهم
بالغيب غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا الصلوة فانهم
المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصي
فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم
الصلوة لانها من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم على تزكيهم وما يستوي الاعمى والبصير
الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق
ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتاكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين
لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما
يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول
ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته
والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات
ومبالغة في اقناطه عنهم ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة
لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز
ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة

اهل

اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة
قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل او لان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان
يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على
نبوتهم وبالزبر كصحف ابرهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل على ارادة التفصيل
دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم اخذت الذين كفروا فكيف
كان نكير اي انكاري بالعقوبة الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات
مختلفا الوانها اجناسها واصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيآتها من
الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرائق يقال جدة الحمار
للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو
الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على
بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون
وهو تاكيد مضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تاكيد للاسود ومن حق التاكيد ان يتبع
المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير وفي مثله مزيد تاكيد
لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه
كذلك كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة
المخشي والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال عم اني اخشاكم
لله واتقاكم له ولذلك اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود
حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة
للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب
للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون قراءته او
متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون
ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون
تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة
وقوله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلوله اي ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة

ليرجون ويزيدهم من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي مجازيهم عليها
وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو وانفقوا والذى اوحينا اليك من الكتاب
يعنى القران ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا
لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه فى العقايد واصول
الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان فى احوالك ما ينافى النبوة
لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة
فى ذلك الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضى
لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذى اوحينا اليك من الكتاب
اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعنى علماء الامة من الصحابة ومن
بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير فى العمل به
ومنهم مقتصد يعمل به فى اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم والارشاد
الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى
خلط الصالح بالسيء والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى
قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما
الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحاسبون يحبسون
فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة
الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان
ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق جنات عدن يدخلونها مبتداء
وخبر والضمير للثلثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن و
منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقراء ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان
او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المراة فهى حال من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض
والثانية للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب اى من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب فى صفاء
اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله
الذى اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وافاته او من وسوسة
ابليس وغيرها وقرئ الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذى احلنا دار

المقامة

المقامة دار الاقامة من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب
تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد واتبع نفى النصب نفى ما يتبعه مبالغة
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا فيستريحوا ونصبه
باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها
بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك مثل ذلك الجزاء نجزى كل كفور مبالغ فى الكفر او الكفران وقراء ابو عمرو
يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون من الصراخ
وهو الصياح استعمل فى الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل
باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار
بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والان تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه متناول لكل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر
وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه عليه السلام العمر الذى اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون سنة والعطف على معنى
اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبى او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب
فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه
احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهى اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها
هو الذى جعلكم خلائف فى الارض يلقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء
جمع خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين
كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه
ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الاخرة قل ارايتم شركاءكم الذين
تدعون من دون الله يعنى الهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله او لانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا
خلقوا من الارض بدل من ارايتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبرونى كانه قال اخبرونى عن هؤلاء الشركاء اروني
اى جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك فى السموات ام لهم شركة مع الله فى خلق السموات فاستحقوا
بذلك شركة فى الالوهية ذاتية ام اتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة
من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرا نافع وابن
عامر ويعقوب وابو بكر والكسائى على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لابد فيه من تعاضد الدلائل بل ان
يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج فى ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف

الاخلاف او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك
منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله او من بعد الزوال والجملة
سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين
بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم
نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن
الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم
او من الامة التي يقال فيها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير
يعني محمدا عم ما زادهم اي النذير او مجيئه على التسبب الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض
بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا المكر السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل
ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرا حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل ولا يحيق ولا يحيط المكر
السيء الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرى ولا يحيق المكر اي لا يحيق الله فهل ينظرون
ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله
تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها
بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم استشهاد عليه بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن و
العراق من اثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء
ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض انه كان عليما بالاشياء كلها
قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها
ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل
المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل
مسمى هو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا
فيجازيهم على اعمالهم عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة
ان ادخل من اي باب شئته

سورة يس

سورة يس مكية وعنه عم يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه
كل سوء وتقضي له كل حاجة وآيها ثلث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله
يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل من الله في ايمن الله وقرئ
بالكسر كجير وبالفتح على البناء كاين او الاعراب على اتل يسين او باضمار
حرف القسم والفتح لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث واعرابا على هذه يسين
وامال الياء حمزة والكسائي وابو بكر وروح وادغم النون في واو
والقران الحكيم ابن عامر والكسائي وابو بكر وورش ويعقوب وهي واو
القسم او العطف ان جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم
لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة
في الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن
في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه
لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب على اضمار اعني او فعله
على اصله وقرئ بالجر على البدل من القران لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى
لمن المرسلين ما انذر اباؤهم قوما غير منذر اباؤهم يعني اباءهم الاقربين لتطا
ول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لحاجتهم الى ارساله او الذي انذر به
او شيئا انذر به اباؤهم الابعدين فيكون مفعولا ثانيا لتنذر
او انذار اباءهم على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول اي لم ينذروا
فبقوا غافلين او بقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اي ارسلتك اليهم لتنذرهم
فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله لاملان جهنم من
الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون انا
جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني
عنهم الايات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان

فالاغلال واصلة الى الاذقان فلا تخليهم يطأطئون رؤسهم له فهم مقمحون رافعون
رؤسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم
نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا
فاغشيناهم فهم لا يبصرون وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون
قدامهم ووراءهم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الايات
والدلايل وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس
فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الايتان في بني مخزوم
حلف ابو جهل ان يرضخ رأس النبي عم فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده
انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي
آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون سبق في البقرة تفسيره انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرومة
من اتبع الذكر اي القرآن بالتأمل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل
حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار
فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب
ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة وآثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس
وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتأسيس ظلم وكل شيء احصيناه في امام مبين يعني في
اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال
واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف
مضاف اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر
بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية
والمرسلون رسل عيسى الى اهلها واسناده الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه
فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرأه ابو بكر
مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث
هو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى
اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما فاخبراه فقال امعكما

آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ
فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله
سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال قوما حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وضربوهما
وقيل حبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به
واوصلوه الى الملك فأنس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه
قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال
صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام
مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا
مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت لو سألت آلهتك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله
الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما
على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال اني ادخلت
في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت
شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى ان
قوله قد اثر فيه نصحه فآمن في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا قالوا ما انتم
الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي
اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء وحي او رسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا
ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة
لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا البلاغ المبين الظاهر البين بالآيات الشاهدة
لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك
لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم
وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم
وقرئ طيركم أئن ذكرتم وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب
وقد زيد ألف بين الهمزتين وبفتح أن بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم وإن وأن بغير استفهام وأين ذكرتم
بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف في
العصيان فمن ثم جاءكم الشوم او في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به

وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى وهو حبيب النجار وكان ينحت أصنامهم وهو ممن آمن
بمحمد ﷺ وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسول أظهر دينه
قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون
إلى خير الدارين وما لي لا أعبد الذي فطرني على قراءة غير حمزة فإنه يسكن الياء في الوصل تلطف
في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح حيث أراد لهم ما أراد لها والمراد
تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم إلى عبادة غيره ولذلك قال وإليه ترجعون مبالغة
في التهديد ثم عاد إلى المساق الأول أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن
عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصرة والمظاهرة إني إذا لفي ضلال
مبين فإن إيثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر وإشراكه به
ضلال بين لا يخفى على عاقل وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء فاسمعون فاسمعوا إيماني وقيل
الخطاب للرسل فإنه لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحوهم قبل أن يقتلوه قيل ادخل الجنة
قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بأنه من أهل الجنة أو إكراما وإذنا في دخولها كسائر الشهداء
أو لما هموا بقتله رفعه الله إلى الجنة على ما قاله الحسن وإنما لم يقل له لأن الغرض بيان المقول
دون المقول له فإنه معلوم والكلام استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء
ربه بعد تصلبه في نصر دينه ولذلك قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكر
مين فإنه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول له وإنما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم
على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والطاعة على دأب الأولياء
في كظم الغيظ والترحم على الأعداء أو ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على حق
وقرئ المكرمين وما خبرية أو مصدرية والباء صلة يعلمون أو استفهامية جاءت على
الأصل والباء صلة غفر لي أي بأي شيء غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على
أذيتهم وما أنزلنا على قومه من بعده من بعد إهلاكه أو رفعه من جند من السماء لإهلاكهم
كما أرسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا أمره بصيحة ملك وفيه استحقار لإهلاكهم وإيماء
بتعظيم الرسول ﷺ وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا أن ننزل جندا لإهلاك قومه إذ قدرنا
لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند
أي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة إن كانت ما كانت الأخذة

أو العقوبة إلا صيحة واحدة صاح بها جبريل وقرئ بالرفع على كان التامة فإذا هم خامدون
ميتون شبهوا بالنار رمزا إلى أن الحي كالنار الساطع والميت كرمادها كما قال لبيد وما
المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالي فهذه من
الأحوال التي من حقها أن تحضري فيها وهي ما دل عليها ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون
فإن المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين أحقاء بأن يتحسروا ويتحسر
عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز أن يكون تحسرا
من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على أنفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا
ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل بإضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة
العباد بالإضافة إلى الفاعل أو المفعول ويا حسره على العباد بإجراء الوصل مجرى الوقف
ألم يروا ألم يعلموا وهو معلق عن قوله كم أهلكنا قبلهم من القرون لأن كم لا يعمل فيما قبلها
وإن كانت خبرية لأن أصلها الاستفهام أنهم إليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى أي
ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف
وإن كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيامة للجزاء وإن مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى إلا فيكون إن نافية
وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له أو لمحضرون وآية لهم الأرض الميتة وقرأ نافع بالتشديد
أحييناها خبر للأرض والجملة خبر آية أو صفة لها إذ لم يرد بها معينة وهي الخبر أو المبتدأ والآية
خبرها أو استئناف لبيان كونها آية وأخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون قدم الصلة
للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب من
أنواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فإن الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا
كذلك الدال على الأنواع وذكر النخل دون التمور ليطابق الحب والأعناب لاختصاص شجرها
بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى
من العيون أي شيئا من العيون فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة
عند الأخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات و
الإضافة إليه لأن الثمر خلقه وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه أو جمع ثمار
وقرئ بضمة وسكون وما عملته أيديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس

ونحوها وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الأول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء وان حذفه من الصلة احسن من غيرها أفلا يشكرون امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي خلق الأزواج كلها الأنواع والأصناف مما تنبت الأرض من النبات والشجر ومن أنفسهم الذكر والأنثى ومما لا يعلمون وأزواجا مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا إلى معرفته وآية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق فإذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي إليه دورها فشبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه يوجد ابطاء بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود إليهما إلى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها أي لا سكون فانها متحركة دائما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي يكل الفطن عن احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل او سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس حتى عاد كالعرجون القديم كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل ان تدرك القمر في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول إلى محله او سلطانه فتطمس نوره وإيلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما

آيتاهما

آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس فيكون عكسا للأول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض عن المضاف اليه والضمير للشموس والأقمار فان اختلاف الأحوال يوجب تعددا ما في الذات او إلى الكواكب فان ذكرها مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط وآية لهم انا حملنا ذريتهم أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن أشق وتماسكهم فيها أعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم في الفلك المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل آباءهم الأقدمين وفي أصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا اغاثة كقولهم أتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت به الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة ولتمتيع بالحياة إلى حين زمان قدر لآجالهم وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم الوقائع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة او نوازل السماء ونوائب الأرض كقوله أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب إذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كأنه قال وإذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الأمور بمشيئته أنطعم من لو يشاء الله أطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الأغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد البعث ما ينظرون

الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم
لا يخطر ببالهم امرها كقوله فأخذتهم الصاعقة بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت
التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن
كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو وقالون به مع الاختلاس
وعن نافع الفتح والاسكان والتشديد وكأنه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ
حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ولا الى اهلهم
يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة ونفخ في الصور اي مرة ثانية وقد سبق
في سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون
يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من
اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم
لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر
وسكت حفص عليها سكتة لطيفة والوقف عليها في سائر القرآن حسن هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة والمؤمنين عن سؤالهم
معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال عن البعث
دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل
فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس ببعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو
البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة هي النفخة الاخيرة
وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك
تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه
فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا
للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون
في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه
اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون
ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون
وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف

وشغل

وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب
او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل على الارائك على السرر المزينة متكئون وهم مبتدأ
خبره في ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او تأكيد
للضمير في شغل او في فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة
في الاحكام الثلاثة وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون
ما يدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه او ما
يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي او
ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم
خبرها وقوله تعالى سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف
او مبتدأ محذوف الخبر ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا
قولا من رب رحيم اي يقول الله تعالى او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم
عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل
نصبه على الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين
يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير
او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان
لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم
من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان
لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة واحهد واحد على لغة بني تميم
انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني
عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته والجملة
استئناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بشقه الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان
التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون
رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل
ورأي والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن
عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق

وجبلة واحد الاجبال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها
اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها من الكلام وتكلمنا ايديهم وتشهد
ارجلهم بما كانوا يكسبون لظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على افعالها او بانطاق الله اياها
وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم ولو
نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق
الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار او جعل المسبوق
اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو
نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرا
ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه
للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب
الواو ياء كالعتي ومضيا كصبي والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل
بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره ومن نطل
عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فلا تزال ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره
وابن كثير على هذه يشبع ضمة الهاء على اصله وقرا عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس
اشهر افلا يعقلون ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه
على تدرج وقرا نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله
وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القران فانه غير مقفى ولا
موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما
يصح له الشعر ولا يتاتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله عم
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان
الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي انه حرك البائين وكسر التاء الاولى
بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقران اي وما يصح للقران ان يكون شعرا ان هو الا ذكر
عظة وارشاد من الله تعالى وقران مبين وكتاب سماوي يقرا في المحاريب ويتلى في المعابد
ظاهر انه ليس كلام البشر لما فيه من الاعجاز لينذر القران او الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن

عامر ويعقوب

عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا
في علم الله فان الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول
ويجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم في
مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم
تاملهم اموات في الحقيقة او لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه
ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي واسناد الفعل اليها استعارة تفيد مبالغة
في الاختصاص والتفرد بالاحداث انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة
المنافع فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها
بتسخيرنا اياها لهم قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا وذللناها لهم
وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة
وقيل جمعه وركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ومنها يأكلون اي
ما يأكلون لحمه ولهم فيها منافع من الجلود والاصواف والاوبار ومشارب
من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر وامال الشين ابن عامر وحده برواية هشام
افلا يشكرون نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف امكن التوسل الى تحصيل
هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة اشركوها به في العبادة بعد ما راوا منه تلك القدرة
الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم
من الامور والامر بالعكس لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند محضرون معدون
لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم في النار فلا يحزنك فلا يهمنك وقرئ بضم
الياء من احزن قولهم في الله بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما
يسرون وما يعلنون فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستئناف
ولذلك لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز او لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة
فاذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ
لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا في الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على
ما هو اهون مما عمله في بداية خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس شيء
وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روي ان ابي بن خلف اتى النبي عم بعظم بال

وقال

بفتّه بيده فقال أترى الله يحيي هذا بعد ما رمّ فقال نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى
فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا مميّز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه و
ضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفي القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا
عنه ونسي خلقه خلقنا اياه قال من يحيي العظام وهي رميم منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلي
من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رمّ الشيء ثم صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول
من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء قل يحييها الذي انشأها
اول مرة فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها
وهو بكل خلق عليم يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة
اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى البعض على النمط السابق واعادة الاعراض
والقوى التي كانت فيها او احداث مثلها الذي جعل لكم من الشجر الاخضر كالمرخ والعفار نارا بان
يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون
في انها نار خرجت منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها
بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله
فمالئون منها البطون اوليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما بقادر على ان يخلق
مثلهم في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم في اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب
يقدر بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات
والمعلومات انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن اي تكوّن فيكون فهو يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته
في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال
آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا
على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه
مالكا للامر كله قادرا على كل شيء واليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب
بفتح التاء وعن ابن عباس رضي الله عنه كنت لا اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فاذا
انه لهذه الآية وعنه عم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له
واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس
نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون

غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مؤمن قرأ يس في سكرات الموت وهو
لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان الجنة بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض
روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة

سورة الصافات مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية وكلماتها ثمانمائة وستون كلمة وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وست وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم سبحانه بالملائكة الصافين في مقام العبودية
على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير
المأمور فيها او الناس عن المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا
قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر
القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين في العبادات
الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزا
جرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مباراة العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات
والفاء لترتيب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان الصف كمال والزجر تكميل
بالمنع عن الشر او الاشاقة الى قبول الخير والتلاوة افاضته او الرتبة كقوله عم رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه
لفضل المتقدم على المتأخر وهذا بالعكس وادغم ابو عمرو التاءات فيما يليها لتقاربها فانها من طرف
اللسان واصول الثنايا ان الهكم لواحد جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه
على ما هو المألوف في كلامهم واما اثبات وجوده فبقوله رب السموات والارض وما بينهما
ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل على وجود
الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف
وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق
الشمس وهي ثلاث مائة وستون تشرق في كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك
اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو
لم تختلف اوقات الانتقال انا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب والاضافة
للبيان ويعضده قراءة يعقوب بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه او بزينة هي لها
كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر فانها كما جاءت اسما
الى المفعول

كالنسبة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان زينتها الكواكب
على المضاف الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة
بينها وبين سماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالئة
على سطحها الازرق باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه
قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا خارج من الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملا الاعلى
كلام مبتدأ لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي
ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان
واهدارها كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغا فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية
السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي
وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب السماع والملا الاعلى الملائكة واشرافهم ويقذفون ويرمون
من كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده دحورا علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه
والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه
القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اي قذفا دحورا ولهم عذاب
عذاب آخر واصب دائم او شديد وهو عذاب الآخرة الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون
ومن بدل منه اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام
الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما
اختطف فاتبعه شهاب تبعه والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير
فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا السماء
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض
وزينة في السماء من حيث انه يرى كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث لما ذكر في بعض الاوقات
رجما للشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي ان صح
فلعل المراد كثرته او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتاذى به فيرجع او يحترق به
لكن قد يصيب الصاعد وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا
لا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب
الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها فاستفتهم يعني ما ذكر من الملائكة

والسماء والارض وما بينهما والمشارق والمغارب والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل
عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرا ام من عددنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب فان الفارق
بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه
بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم
الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام
بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة آدم وشاهدوا
تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة
الفاعل فان من قدر على خلق هذه الاشياء يقدر على ما لا يعتد به بالاضافة سيما ومن ذلك بدؤهم اولا وقدرته
ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله انكارهم البعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرا
حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي اني تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون
منها او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على الفرض
والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه
مقدر بالقول اي قل لهم يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به او اذا
ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم واذا راوا آية معجزة تدل على صدق
القائل به يستسخرون به يبالغون في السخرية وقالوا ان هذا ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم
من بعض ان يسخر منها الا سحر مبين ظاهر سحريته ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا
بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحال اشد قرا ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقرا نافع والكسائي
ويعقوب بطرح الثانية اوآباؤنا الاولون عطف على ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول
بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا اباؤنا على زيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع وابن عامر الواو
على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون صاغرون وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل
على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال الله او رسوله ونعم بالكسر وهي لغة فانما هي
زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية من زجر
الراعي غنمه اذا صاح عليها وامرها بالاعادة كامر كن في الابداء ولذلك رتب عليها فاذا هم ينظرون
فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي

يجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة
لهم وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء احشروا
الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم
وازواجهم واشباههم عابد الاصنام مع عبدة الاصنام وعابد الكواكب مع عبدتها كقوله وكنتم
ازواجا ثلثة او نساؤهم اللاتي على دينهم او قرناؤهم من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله
من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الاية وفيه دليل على ان الذين ظلموا المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها
ليسلكوها وقفوهم واحبسوهم في الموقف انهم مسؤلون عن عقايدهم واعمالهم والواو لا توجب
الترتيب مع ان توقفهم متأخر عن توبيخهم مالكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا وهو توبيخ
وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة
او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة
والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين
عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من
يمين الانسان هو اقوى الجانبين وانفعه ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا
على الضلال او عن الحلف فانهم يحلفون انهم على الحق قالوا يعني اتباع الرؤساء بل لم تكونوا مؤمنين
وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا
ضالين في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما
مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين ثم بينوا ان ضلال الفريقين
ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا
على الغي فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم فان الاتباع
والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل
بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه و
يقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا عليه السلام بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بان
ما جاء به حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسول و
قرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين وهو ضعيف في غير المحلى باللام

وعلى الاصل لذائقون العذاب وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين
استثناء منقطع الا ان يكون الضمير لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف
والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق معلوم خصايصه من الدوام وتمحض اللذة ولذلك فسره
بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة
محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه
رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر
ثان لاولئك على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او في مكرمون وان يتعلق بمتقابلين
فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكأس باناء فيه خمر او خمر كقوله وكأس شربت على لذة من معين
من شراب معين او نهر معين اي ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة الماء وصف به خمر الجنة لانها
تجري كالماء او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة وكذلك قوله
بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تأنيث لذ بمعنى
لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول
غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف
الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفي وعطفه على ما يعمه لانه من اعظم فساده
كانه جنس براسه وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاء من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه واصله للنفاد
يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن
على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه
في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف
على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام
على المدام والتعبير عنه بالماضي للتاكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل
وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول ائنك لمن المصدقين
يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمدينون
لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اي ذلك القائل هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين
وقيل القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين
فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه

جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث انه ادب المجالسة ان لا يستبد بامر او خاطب الملائكة على وضع
المتصل موضع المنفصل كقوله هم الآمرون الخير والفاعلونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم
فرآه اي قرينه في سواء الجحيم اي في وسطه قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين
وان هي المخففة واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها افما نحن بميتين
عطف على محذوف اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ممن شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا
الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل و
قيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة
جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو الفوز العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون
من كلام الله تع لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل العا
ملون اي لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام
وهو ايضا يحتمل الامرين اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا
على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم
ما وراء ذلك ما يقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة
تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء
لهم في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار
ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في
قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع
من الشجر كانه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك
وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك فانهم لآكلون منها من
الشجر او من طلعها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او الجبر على اكلها ثم ان لهم عليها اي بعد ما شبعوا منها وغلبهم
العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا
من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمي به
ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اي الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها
لقوله تع هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون
الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد

الآباء

شيعة الرجل اتباعه وانصاره والفرقة على حدة ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث قاموس

الآباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع على اثرهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك
من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم
من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الفضاعة الا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا
دينهم لله وقرئ بالفتح اي الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم
ورأوا آثارهم ولقد نادانا نوح شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اي فاجبناه
احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق واذى قومه و
جعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيمة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه و
ازواجهم وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه
ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء في العالمين هذا الكلام جيء على الحكاية كقولك قرأت سورة انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو
سلام من الله ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين
جميعا انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان
لاظهار جلالة قدره واصالة امره ثم اغرقنا الآخرين يعني كفار قومه وان من شيعته لابراهيم ممن شايعه في الايمان واصول الشريعة ولا يبعد
اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى
المشايعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من آفات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به
اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم ائفكا آلهة دون الله تريدون اي اتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول
للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك
في نفسها للمبالغة والمراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين
حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي الامن من عقابه
على طريق الالزام وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة في النجوم فرأى مواقعها واتصالاتها او في علمها او كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم
وذلك حين سألوه ان يعيد معهم فقال اني سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب اسقام
الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد اني سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال فلا يخلو منه وبصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة
داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم
فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة فقال اي للاصنام استهزاء الا تأكلون يعني الطعام الذي كان عندهم ما لكم لا تنطقون
بجوابي فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه
بمعنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل

وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم فأقبلوا إلى إبرهيم بعدما رجعوا فرأوا أصنامهم مكسرة
وبحثوا عن كاسرها فظنوا أنه هو كما شرحه في قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية يزفون يسرعون من زفيف النعام
وقرأ حمزة على بناء المفعول من أزفه أي يحملون على الزفيف ويزفون من أزف أي يزف بعضهم بعضا ويزفون ويزفون
من وزف يزف إذا أسرع ويزفون من زفاه إذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم إليه قال أتعبدون
ما تنحتون من الأصنام والله خلقكم وما تعملون أي وما تعملونه فإن جوهرها بخلقه وشكلها
وإن كان بفعلهم لذلك جعل من أعمالهم فبإقداره إياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي و
العدد أو عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون أو أنه بمعنى الحدث فإن فعلهم إذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف
على فعلهم أولى بذلك وبهذا المعنى تمسك أصحابنا على خلق الأعمال لله تعالى ولهم أن يرجحوا على الأولين لما فيهما
من حذف أو مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التأجج واللام بدل
الإضافة أي جحيم ذلك البنيان فأرادوا به كيدا فإنه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه لئلا يظهر للعامة
عجزهم فجعلناهم الأسفلين الأذلين بإبطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا و
سلاما وقال إني ذاهب إلى ربي إلى حيث أمرني ربي وهو الشام أو حيث أتجرد فيه لعبادته سيهدين إلى ما فيه صلاح
ديني أو إلى مقصدي وإنما بت القول لسبق وعده أو لفرط توكله أو البناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال
موسى عليه السلام حين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين
بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لأن لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه
بغلام حليم بشره بالولد وبأنه ذكر يبلغ أوان الحلم فإن الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليما وأي حلم مثل حلمه حين
عرض عليه أبوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني إن شاء الله تعالى من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده
غير إبرهيم وابنه وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه فلما بلغ معه السعي أي فلما وجد وبلغ أن يسعى معه في
أعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لأن الأب أكمل في الرفق
والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل أوانه أو لأنه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة قال
يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك يحتمل أنه رأى ذلك وأنه رأى ما هو تعبيره
وقيل إنه رأى ليلة التروية أن قائلا يقول له إن الله يأمرك أن تذبح ابنك فلما أصبح
روّى أنه من الله أو من الشيطان فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله ثم رأى مثله
في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الأيام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والأظهر أن المخاطب إسمعيل
لأنه الذي وهب له إثر الهجرة ولأن البشارة بإسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله عم أنا ابن

الذبيحين

الذبيحين فأحدهما جدي إسمعيل والآخر أبوه عبد الله فإن عبد المطلب نذر أن يذبح ولدا إن سهل الله له حفر
بئر زمزم أو بلغ بنوه عشرا فلما سهل الله فخرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الإبل ولذلك سنت
الدية مائة ولأن ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في أيام ابن
الزبير ولم يكن إسحق ثمه ولأن البشارة بإسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الأمر
بذبحه مراهقا وما روي أنه عليه السلام سئل أي النسب أشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب
إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبرهيم خليل الله فالصحيح أنه قال يوسف بن يعقوب بن إسحق بن
إبرهيم والزوائد من الراوي وما روي أن يعقوب كتب إلى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرأ ابن
كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى من الرأي وإنما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده
فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه إن جزع ويأمن عليه إن سلم وليوطن نفسه عليه فيهون
ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائي ماذا تري بضم التاء وكسر الراء
خالصة والباقون بفتحها وأبو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون بإخلاص فتحها
قال يا أبت وقرأ ابن عامر بفتح التاء افعل ما تؤمر أي ما تؤمر به فحذفا دفعة أو على الترتيب
كما عرفت أو أمرك على إرادة المأمور به والإضافة إلى المأمور ولعله فهم من كلامه أنه رأى أنه
يذبحه مأمورا به أو علم أن رؤيا الأنبياء حق وأن مثل ذلك لا يقدمون عليه إلا بأمر ولعل الأمر به
في المنام دون اليقظة فيكون مبادرتهما إلى الامتثال أدل على كمال الانقياد والإخلاص وإنما ذكر بلفظ
المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني إن شاء الله من الصابرين على الذبح أو على قضاء الله تعالى وقرأ نافع
بفتح الياء فلما أسلما استسلما لأمر الله أو سلم الذبيح نفسه وإبرهيم ابنه وقد قرئ بهما وأصلهما
سلم هذا لفلان إذا خلص له فإنه سلم من أن ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع
جبينه على الأرض وهو أحد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه بإشارته كيلا يرى فيه تغيرا يرق
له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى أو في الموضع المشرف على مسجده أو المنحر الذي ينحر فيه اليوم
وناديناه أن يا إبرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والإتيان بالمقدمات وقد روي أنه أمر السكين
بقوته حلقه مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به
الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما الله تعالى على ما أنعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله
والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله وإظهار فضلهما به على العالمين مع إحراز الثواب العظيم إلى غير
ذلك إنا كذلك نجزي المحسنين تعليل لإفراج تلك الشدة عنهما بإحسانهما واحتج به من جوز النسخ

قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدي به الله تعالى نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابرهيم عليه السلام وانما قال وفديناه لانه المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابرهيم سبق بيانه في قصة نوح عليه السلام كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حيثما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابرهيم عليه السلام في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين سبق مثل ذلك وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين سبط هرون اخي موسى بعث بعده وقيل ادريس عليهم السلام لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي وان ابليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف

عنه بحذف همزة الياس اذ قال لقومه الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين لغة في الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد عليه السلام او القرآن او غيره من كتب الله تعالى والكل لا يناسب نظم ساير القصص ولا قوله انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون افليس فيكم عقل تعتبرون به وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون المملوء فساهم اهله فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا هنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر

او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح حتى
انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون
وقيل اربعون وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه
شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا
اقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه
انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس عليه السلام
وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وارسلناه الى مائة الف
هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى
غيرهم او يزيدون في مرائ الناظر اي اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة
وقرئ بالواو فامنوا فصدقوه او فجددوا الايمان به بمحضره فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله
انما ختم قصته وقصة لوط عليهما السلام بما ختم به ساير القصص تفرقة بينهما وبين ارباب
الشرايع الكبر واولي العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في اخر السورة
فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله باستفتاء اولا
قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا لما يلايمه من القصص موصولا
بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين
في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفناء على الله
فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع
الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله
في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار
ههنا مقصور على الاخرين لاختصاص هذه الطايفة بهما ولان فسادهما مما يدركه العامة بمقتضى
طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما
خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا بها فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته
بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم
الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما يتدينون
به وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى

البنات

البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء وعن نافع كسر
الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول
اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل
افلا تذكرون انه منزه عن ذلك ام لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من
السماء بان الملائكة بناته فاتوا بكتابكم الذي انزل عليكم ان كنتم صادقين في دعواكم و
جعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا
هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان
اخوان ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة او الانس والجنة ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون
في العذاب سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثناء من
المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون فانكم وما تعبدون
عود الى خطابهم ما انتم عليه على الله تعالى بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال الجحيم
الا من سبق في علمه انه من اهل النار يصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولالهتهم غلب فيه المخاطب
على الغايب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اي انكم والهتكم
قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين باعثين على طريقة الفتنة الا ضالا
مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين
او تخفيف صايل على القلب كشاك في شائك او المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم ما باليت به بالة فان
اصلها بالية كعافية وما منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم
والمعنى وما منا احد الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله تعالى في تدبير العالم ويحتمل
ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم
خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيه لا يتجاوزونها
فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون في اداء الطاعة ومنازل الخدمة
وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعات
وهذا في المعارف وما في ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون
على ذلك دايما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله تعالى في القيمة وانا لنحن الصافون

له في الصلوة والمنزهون له عن السوء وان كانوا ليقولون اى مشركوا قريش لوان عندنا ذكرا من
الاولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة له ولم نخالف
مثلهم فكفروا به اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة
كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اى وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم
المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات وانما سماه كلمة
وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد لنصرك عليهم
وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك
كائن قريب كانه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا لك من التاييد والنصرة والثواب في الاخرة
وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا
فنزلت فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة
وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اى العذاب فساء صباح المنذرين
فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت
نزول ولما كثرت منهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت في اخر وتول عنهم
حتى حين وابصر فسوف يبصرون تاكيد الى تاكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون
ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الاخرة
سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما حكى في السورة واضافة الرب
الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية
مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله
رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن
التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه من احب
ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الى اخر
السورة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الجن والشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه
يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين سورة ص مكية واياتها ست وثمان وثمانون ار
بسم الله الرحمن الرحيم ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل

لانه

لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القران
بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح في موضع الجر
فانها غير مصروفة لانه علم السورة وبالجر على تاويل الكتاب والقرآن ذي الذكر الواو للقسم
ان جعل صاد اسما للحرف او مذكورا للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق محمد او السورة خبر المحذوف
او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي
او الامر بالمعادلة اى انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا لصادق او قوله بل الذين كفروا
في عزة وشقاق اى ما كفر به من كفر لخلل وجد فيه بل الذين كفروا به في عزة اي استكبار
عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب
المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف والشهرة او ذكر ما
يحتاج اليه في الدين من العقايد والشرايع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة
على شدتهما وقرئ في غرة اى غفلة عما يجب عليهم النظر فيه كم اهلكنا قبلهم من قرن وعيد
لهم على كفرهم بها استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين
مناص اى ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما
زيدت على رب وثم وخصت بلزوم وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اى ولا حين
مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم
لا او مبتدا محذوف الخبر اى ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كاين لهم وبالكسر
كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان
لولا تجر الضماير في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة
اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله
حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفيون عليها بالهاء
كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه
لان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل و
لقوله العاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص المنجا من
ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال الكافرون
وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول

هذا ساحر فيما يظهره من معجزة كذاب فيما يقوله على الله تعالى اجعل الآلهة الها واحدا بان جعل
الالوهية التي كانت لهم لواحد ان هذا لشئ عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه
آباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو
ابلغ ككرام وكرام روى انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب وقالوا
انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسالونك السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال
عليه السلام ماذا تسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك ارأيتم ان اعطيتكم
ما سالتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال
قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس
ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امشوا قايلين بعضهم لبعض امشوا
واصبروا واثبتوا على آلهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس
التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت
ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشئ يراد ان هذا
الامر لشئ من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة
والترفع على العرب والعجم لشئ يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا بهذا بالذي
يقوله في الملة الآخرة في الملة التي ادركنا عليها آباءنا او في ملة عيسى عليه السلام التي هي آخر الملل فان
النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد
كاينا في الملة المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه ءانزل عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحي
وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف والرياسة لقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي بل هم في
شك من ذكري من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون
به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه
زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزاين رحمة ربك
العزيز الوهاب بل اعندهم خزاين رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض
صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله تعالى يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز

الغالب

اي الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي ~~لا يغلب الوهاب الذي~~ له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء من عباده
لا مانع له فانه العزيز ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما ~~كانه لما انكر عليهم التصرف~~
كانه لما انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزاين رحمته التي لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس
لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزاينه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا
في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش
حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلون الوحي الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب
في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك
مهزوم من الاحزاب اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن
اين لهم التدابير الالهية والتصرف في الامور الربانية او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل
كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلايم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا
فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت
بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من ثبات البيت المطنب
باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع
سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم
لوط واصحاب الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب اولئك الاحزاب يعني المتحزبين على الرسل
الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل
على انواع من التاكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو اما
مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك او
الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم في علم الله تعالى الا صيحة واحدة هي النفخة
ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع وترداد فان فيه ترجيع اللبن الى
الضرع وقرأ حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي
توعدنا به او الجنة التي تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجايزة قط لانها قطعة
من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك
استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته في اعينهم تعظيما للمعصية في اعينهم
فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه

الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما ظنك بالكفرة واهل الطغيان
او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهمال عنان نفسه ادنى
اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد وآد وآياد بمعنى انه اواب رجاع الى مرضات
الله تعالى وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة في الدين كان يصوم يوما ويفطر يوما
ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قدم ويسبحن حال وضع موضع
مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشي
والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت
الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ انه عليه السلام
صلى صلوة الضحى وقال هذا صلوة الاشراق وعن ابن عباس ما عرفت صلوة الضحى
الا بهذه الآية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان
الحشر جملة ادل على القدرة منه متدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له
اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ما
قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة عليها او كل منهما ومن داود مرجع
لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة
وقيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فاوحى الله اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال
صدقت اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته وآتيناه الحكمة النبوة وكمال
العلم واتقان العمل وفصل الخطاب فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذي ينبه
المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف
والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق
مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل
كما جاء في وصف كلام الرسول عليه السلام فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك نبأ الخصم استفهام
معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك اطلق على الجمع اذ تسوروا
المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اي نبأ
تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد الواقع في عهد داود عليه السلام وان اسناد اتى
اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه

الرسول لم يكن حينئذ واذا الثانية اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم
نزلوا عليه فانه عليه السلام كان جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال
بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة انسان في يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان
متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد التعريض
ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط
اي ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا
الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخي بالدين او الصحبة له تسع وتسعون نعجة
ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضان وقد يكنى بها عن المراة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض
ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرأ حفص بإسكان ياء لي نعجة
فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي
وعزني في الخطاب وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر رده او في مغالبته
اياي في الخطبة يقال خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث زوجها دوني وقرئ وعازني
اي غالبني وعزني على تخفيف عزني قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف
قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير
صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمينه معنى
الاضافة وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدى وقرئ
بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء
اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي وهم قليل وما
مزيدة للابهام والتعجيب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب وامتحناه بتلك الحكومة
هل يتنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه
او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار واناب ورجع الى الله بالتوبة
واقصى ما في هذه الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله
بهذه القضية فاستغفر واناب عنه وما روي ان بصره وقع على امراة فعشقها وسعى حتى تزوجها
وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا
فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر

ان يتقدم حتى قتل فتزوجها هراء وافتراء ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث
داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا
المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم
منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله تعالى له فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اى ما
استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق
فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة
الى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسائلته فيضلك عن سبيل الله دلائله التي نصبها على الحق ان الذين
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل
فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا
لا حكمة فيه او ذوي باطل بمعنى مبطلين اى عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين او للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع
كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين
كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن
ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار
التسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله ام نجعل المتقين
كالفجار فانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم
ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين اخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية
تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضي
الحكمة فيه او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك
نفاع وقرئ بالنصب على الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التاويلات
الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اى انت وعلماء امتك وليتذكر
اولوا الالباب وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم
من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما
لا يستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثاني ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اي نعم

العبد

العبد سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله تعالى بالتوبة او الى
التسبيح مرجع له اذ عرض عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد
الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات
المحمودة في الخيل لا تكاد تكون الا في العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه
وقيل الذي يجود في الركض وقيل جمع جيد روى انه عليه السلام غزا دمشق ونصيبين واصاب
الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت
الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها مقربا لله تعالى فقال
اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب
مناب انبت عدي تعديته وقيل بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذا احبا اى برك وحب
الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها
قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح
الياء حتى توارت بالحجاب اى غربت الشمس شبه غروبها بتوارى المخباة بحجابها واضمارها
من غير ذكر لدلالة العشي عليه ردوها علي الضمير للصافنات فطفق مسحا فاخذ يمسح السيف
مسحا بالسوق والاعناق اى بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه
وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما
قبلها كموءق وعن ابى عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد
فتنا سليمن والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما روى مرفوعا انه قال لاطوفن
الليلة على سبعين امراة تاتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف
عليهن فلم يحمل الا امراة جاءت بشق رجل فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا
فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر
به الا ان القى على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من
الجزاير فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين
فمثلوا لها صورته وكانت تغدوا اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبره
آصف فكسر الصورة وضرب المراة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة
اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه

صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته وكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جايزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطي احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة وقرا نافع وابو عمرو بفتح الياء انك انت الوهاب المعطي ما تشاء لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته كالمامور المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطا الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا اصفده قيده واصفده اعطاه عكس وعدوا وعد وفي ذلك نكتة هذا عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم نسلط به غيرك عطاؤنا فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا تكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم والقاؤهم في القيود وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن ماب وهو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ابن عيص بن اسحق اذ نادى ربه بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له اني مسني بان مسني

وقرا الشيطان

وقراء حمزة باسكان الياء واسقاطها في الوصل باني مسني الشيطان بنصب بتعب وعذاب الم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولا هي لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك بما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسواله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقراء يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل اركض برجلك حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك الارض هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اي تغتسل به وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولي الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجاء الى الله تعالى فيما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث روي ان زوجته ليا بنت يعقوب عليه السلام وقيل رحمة بنت افرايم بن يوسف عليهم السلام ذهبت لحاجة وابطات فحلف ان برا ان يضربها مائة ضربة فحلل الله له يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله تعالى من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه في الدين نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب وقراء ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع او على ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار تذكرهم للآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة

بسببها او ذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الآخرة واطلاق
الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف نافع وهشام بخالصة الى ذكرى
للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن
المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خيّر وخيّر على
تخفيفه كاموات في جمع ميت وميّت واذكر اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه
الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقرا حمزة
والكسائي والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب
واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل
بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكلّ اي وكلهم من الاخيار هذا اشارة الى ما
تقدم من امورهم ذكر شرف لهم او نوع من الذكر وهو القران ثم شرع في بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال
وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة
كقوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال
والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران
لمحذوف متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان او متداخلان
من الضمير في لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استيناف لبيان حالهم فيها
ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ
فان التغذي للتحلل ولا تحلل ثمه وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرن الى غير ازواجهن
اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا
صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب
لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله
ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا وان
للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد
المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم
مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز
ان يكون مبتدأ خبره حميم وغساق وهو على الاولين خبر محذوف اي هو حميم

والغساق

والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرا حفص وحمزة والكسائي
غساق بتشديد السين واخر اي ومذوق او عذاب آخر وقرا البصريان واخر اي ومذوقات
او انواع عذاب اخر من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير على انه
لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهو لغة ازواج اجناس خبر
لآخر او صفة له او للثلثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال
لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول
فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال اي مقولا فيهم لا مرحبا اي ما
اتوا بهم رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلوا النار باعمالهم مثلنا قالوا اي الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا
بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب او الصلي
لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمه من العقايد الزايغة والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر
جهنم قالوا اي الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار مضاعفا اي ذا ضعف
وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا اي
الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم و
يسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرا الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام
على انه انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار منهم وقرا نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم
وقد سبق مثله في المؤمنين ام زاغت مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى
على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا ولا تخذناهم على القراءة
الثانية بمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على
معنى انكارها على انفسهم او منقطعة والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ
ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم
بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل
من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا الله الواحد الذي لا يقبل
الشركة والكثرة في ذاته القهار لكل شيء رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها
العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب الغفار الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف
تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو

هو الانذار قل هو اى ما انبأتكم به من انى نذير من عقوبة من هذا صفته وانه واحد فى الوهيته وقيل
ما بعده من نبأ آدم عليه السلام نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله
كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لى من علم بالملاء
الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما وردت فى الكتب المتقدمة من
غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام
الملاء الاعلى ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين اى لانما كانه لما جوز ان الوحي يأتيه بين بذلك ما هو المقصود
به تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية اذ قال
ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التى دخلت اذ
عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس فى خلق آدم عليه السلام واستحقاقه للخلافة والسجود
على ما مر فى البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود منها وهو انذار
المشركين على استكبارهم على النبي عليه السلام بمثل ما حاق ابليس على استكباره على آدم هذا ومن الجائز
ان يكون مقاولة الله اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملاء الاعلى بما يعم الله والملائكة فاذا سويته
عدلت خلقته ونفخت فيه من روحي واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته
فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد مر فيه فى البقرة فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا
ابليس استكبر تعظم وكان صار من الكافرين باستكباره امر الله تعالى واستكباره عن المطاوعة
او كان منهم فى علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي خلقته بنفسى من غير توسط
كاب وام والتثنية لما فى خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار
عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم او بانه الذى تشبث به فى تركه وهو لا يصلح للمانعية اذ للسيد
ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من العالين تكبرت
من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين
وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا خير منه ابداء للمانع وقوله
خلقتنى من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة او
السماء او من الصورة الملكية فانك رجيم مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وان عليك لعنتى الى يوم
الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه فى الحجر
قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصهم الله

لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله تعالى على اختلاف القرائتين قال فالحق والحق اقول
اى فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله
ان تبايعا وجوابه لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول
جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اى الحق يمينى
او قسمى او الخبر اى انا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين
على اضمار حرف القسم فى الاول وحكاية لفظ المقسم به فى الثانى للتوكيد وهو شايع فيه اذا شارك الاول
وبرفع الاول وجره بنصب الثانى وتخريجه على ما ذكرنا والضمير فى منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد
منك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تاكيد له او للضميرين قل ما اسألكم
عليه من اجر اى على القرآن او تبليغ الوحي وما انا من المتكلفين المتصنعين بما ليسوا من اهله على ما
عرفتم من حالى فانتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نبأه
وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيان ذلك بعد حين بعد الموت او يوم القيمة او عند
ظهور الاسلام وفيه تهديد وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله
لداود عليه السلام عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا وكبيرا

سورة الزمر مكية

الا قوله قل يا عبادي الآية وآيها خمس وسبعون او اثنتان وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم
تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاول صلة التنزيل
او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة وعلى الثانى القرآن
وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات
الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والريا وقرئ برفع الدين
على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه
مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال الا لله الدين الخالص اى الا هو الذي وجب اختصاصه
بان يخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضماير والذين اتخذوا
من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع
واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى باضمار القول او ان الله يحكم بينهم وهو متعين على الثانى وعلى هذا يكون القول المضمر بما فى حيزه
حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا

به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير
والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبودهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء
الى الحق من هو كاذب كفار فانهما عادما البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء
اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه
ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقامه الولد له ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار
فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لان كل
واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج
الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل
يغشي كل واحد منهما الاخر كانه يلف عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه
كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته الا
هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنايع
من الرحمة وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها نوع استدلال اخر بما اوجد في
العالم السفلي مبدوا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلث دلالات
خلق آدم اولا من غير اب وام ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف على
محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها
بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الايتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته
كالذر ثم خلق منها حواء وانزل لكم وقضى وقسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب
في اللوح واحدث لكم باسباب نازلة كاشعة الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل
والبقر والضان والمعز يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما فيها
من عجايب القدرة غير انه غلب اولي العقل وخصهم بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا
سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلمات
ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم هو المستحق
لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه في الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى
الاشراك ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا
يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقراه ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت

بحذف

بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابي عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر
اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور
فلا تخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع
العقل في الدلالة على ان مبدا الكل منه ثم اذا خوله اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو
الافتخار نعمة منه من الله تعالى نسي ما كان يدعوا اليه اي الضر الذي في قوله وما خلق الذكر و
الانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وقراه ابن كثير وابو عمرو وورش بفتح
الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا
امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشه لا سند له واقناط للكافرين من التمتع في الاخرة ولذلك
علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة ام من هو قانت قائم بوظايف الطاعات
آناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى
بل امن هو قانت كمن هو بضده وقراه الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل
له اندادا ساجدا وقايما حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين



يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه في موقع الحال او الاستيناف للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيها باعتبار القوة العملية على وجه
ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اي لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي
القانتون والعاصون انما يتذكر اولوا الالباب بامثال هذه البينات وقرئ يذكر بالادغام قل
قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي للذين احسنوا
بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة
والعافية وفي هذه الدنيا بيان لمكان حسنة وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان
في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء
ومهاجرة الاوطان لها اجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب وفي الحديث انه تنصب
الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب
عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء
من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت
بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لان قصب السبق في الدين بالاخلاص او لانه اول من اسلم

وجهه لله تعالى من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثانى الاول بتقييده بالعلة والاشعار
بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه لما يلزمه من السبقة
فى الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما فى اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم فى الاخلاص والبدء بنفسه
فى الدعاء اليه بعد الامر به قل انى اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك
والرياء عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون
مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مامورا بالعبادة والاخلاص خايفا على المخالفة من العقاب قطعا
لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين الكاملين
فى الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيمة حين يدخلون النار بدل الجنة
لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا
من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة فى خسرانهم لما فيه
من الاستيناف والتصدير بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار
شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اطباق من النار هى ظلل للاخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذى
يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عبادى فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى والذين اجتنبوا الطاغوت
البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة فى المصدر كالرحموت ثم وصف به
للمبالغة فى النعت ولذلك اختص بالشيطان ان يعبدوها بدل الاشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه
بشراشرهم عما سواه لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل والملائكة عند حضور الموت فبشر عبادى الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبداء
اجتنابهم وانهم نقاد فى الدين يميزون بين الحق والباطل ويوثرون الافضل فالافضل اولئك الذين
هديهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب العقول السليمة عند منازعة الوهم والعادة وفى ذلك
دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من
فى النار جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره انت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب
فانت تنقذه فكررت الهمزة فى الجزاء لتاكيد الانكار والاستبعاد ووضع من فى النار موضع الضمير لذلك
وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول فى دعائهم
الى الايمان سعي فى انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستانفة للدلالة على ذلك و
الاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية
بُنيت

بُنيت بناء المنازل على الارض تجرى من تحتها الانهار اى من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر موكد لان
قوله لهم غرف فى معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله تعالى محال الم تر ان الله
انزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع فى الارض هى عيون ومجار كاينة فيها او مياه
نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه
اصنافه من بر وشعير وغيرها او هيأته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج يتم جفافه لانه اذا تم جفافه
حان له ان يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا ان فى ذلك لذكرى لتذكيرا
بانه لا بد له من صانع حكيم دبره وسواه وبانه مثل الحيوة الدنيا فلا يغتر بها لاولي الالباب اذ لا يتذكر
به غيرهم افمن شرح الله صدره للاسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر به عن خلق نفسه شديدة
الاستعداد لقبوله غير متابية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس
القابل للاسلام فهو على نور من ربه يعنى المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه عليه السلام اذا دخل النور
القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب
للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره وهو
ابلغ من ان تكون عن مكان من لان القاسي من اجل الشيء اشد تابيا من قبوله من القاسي عنه
لسبب آخر وللمبالغة فى وصف اولئك بالقبول وهولاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله
وقابله بقساوة القلب واسنده اليه اولئك فى ضلال مبين يظهر للناظر بادنى نظر والاية نزلت
فى حمزة وعلى رضى الله عنهما وابى لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعنى القران روي ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفى الابتداء باسم الله وبناء
نزل عليه تاكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من احسن او حال
منه وتشابهه تشابه ابعاضه فى الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة
مثانى جمع مثنى او مثنى على ما مر فى الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القران سور
وآيات والانسان عروق وعظام واعصاب او جعل تمييزا من متشابها كقولك رايت رجلا حسنا
شمايل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل فى شدة الخوف
واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا
كتركيب قمطر من القمط وهو الشدة ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق
للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون

والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك اى الكتاب هدى الله يهدى به من يشاء
هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلال افمن يتقى بوجهه يجعله درقة
يقى به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقى الا بوجهه سوء العذاب يوم القيمة
كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في نظايره وقيل للظالمين اى لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا
عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون اى وباله والواو للحال وقد مقدرة
كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا تخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها
فاذاقهم الله الخزى الذل في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب الاخرة المعد لهم
اكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به قرآنا
عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج
لا اختلال فيه بوجه ما وهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله وقد
اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب تخصيص له ببعض مدلوله لعلهم يتقون
علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا رجلا للمشرك والموحد فيه شركاء متشاكسون ورجلا
سالما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعى كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون
فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد
بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس
الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون العين
وثلثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذا ورجل سالم اى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن
للضر والنفع هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه على التميز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار
باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل
الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون
فيشركون به غيره من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ
مائت ومائتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيمة عند ربكم تختصمون
فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك واجتهدت في الارشاد
والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا اباءنا وقيل

المراد

المراد بالاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة
الولد والشريك اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه من غير توقف وتفكر
في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به
على تكفير المبتدعة فانهم مكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجاء ما علم مجيء الرسول به
بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله اولئك هم المتقون
وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن معه كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون
وقيل الجائي هو الرسول عليه السلام والمصدق ابو بكر رضي الله عنه وذلك يقتضي اضمار الذي وهو غير
جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف اى صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل او صار صادقا بسببه لانه
معجزة تدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم في الجنة ذلك جزاء
المحسنين على احسانهم ليكفر الله عنهم اسوء الذي عملوا اخص لا سوء للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى
بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان ما فرط منهم من
الصغاير اسوء ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيء كقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقرئ
اسواء جمع سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم
باحسنها في زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف عبده استفهام انكار للنفي مبالغة في
الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر
بالانبياء ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا لعيبك
اياها وقيل انه بعث خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها فان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم
انفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الآمر له بما خوف عليه ومن يضلل الله حتى غفل عن كفاية
الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديهم الى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد
لفعله كما قال اليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان
ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اى ارايتم بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله تعالى ان آلهتكم
ان ارادني الله ان يصيبني ضرا هل يكشفنه او ارادني برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها
عني وقرأ ابو عمرو كاشفات ضره ممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته قل حسبي الله
كافيا في اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير او شر

روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها
به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم انى عامل اي على
مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة
ونصرة ولذلك توعدهم لكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه فان خزي
اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم دايم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك
الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا به فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه
اذ نفع به نفسه ومن ضل فانما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم
[فان التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار]
لتجبرهم على الهدي وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي
يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو
في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرا حمزة والكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد
والموت بالرفع ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو
غاية جنس الارسال وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع
الشمس فالنفس التي بها العقل والتميز والروح التي بها النفس والحيوة فيتوفيان عند الموت وتتوفى
النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ان في ذلك من التوفي والامساك والارسال لايات على كمال قدرته
وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها
باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا
بعد حين الى توفي آجالها ام اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله تعالى قل اولو كانوا
لا يملكون شيئا ولا يعقلون ا يشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم
قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى
انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات
والارض فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة
فيكون الملك له ايضا حينئذ واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة
انقبضت ونفرت واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم
حق الله تعالى ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلي قلبه سرورا حتى تنبسط

له

له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلي غما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل في اذا المفاجاة قل اللهم فاطر
السموات والارض عالم الغيب والشهادة التجي الى الله تعالى بالدعاء لما تحيرت في امرهم وعجزت في عنادهم
وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به
من سوء العذاب يوم القيمة وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم في الوعد وبدا لهم سيئات
ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحايفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم
جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله
وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون
بذكر الالهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمازوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض موكد
لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه نعمة اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به قال انما اوتيته على علم
على علم مني بوجوه كسبه او باني ساعطاه لما لي من استحقاقه او من الله تعالى بي واستيجابي والهاء لما ان
جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شيء منها بل هي فتنة امتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد
لما قاله وتانيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل على ان
الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم عندي لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير
والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضي به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا
فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم
السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين ومن للبيان او التبعيض
سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر
صناديدهم وما هم بمعجزين فائتين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم
الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من الله تعالى بوسط
او غيره قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة
العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن لا تقنطوا من رحمة الله لا تياسوا من مغفرته
اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر
ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية والتعليل بقوله انه

هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة بما في
عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط
مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته
على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي انه عليه السلام قال ما احب ان يكون الدنيا لي
وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلث مرات وما روي
ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف نهاجر وقد عبدنا الاوثان
وقتلنا النفس بغير حق لم يغفر له فكيف نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش و
الوليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا او في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له
من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني
عن التوبة والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم القران او المامور به
دون المنهي عنه او العزايم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة
على الطاعة من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركون ان تقول نفس كراهة
ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني
كريم ينفض الراس مغضبا يا حسرتا وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت بما قصرت في جنب الله في جانبه
اي في حقه وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهو كناية
فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير
مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله تعالى وان كنت لمن الساخرين
المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد
الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين في
العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا او تعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك اياتي
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من
معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القراين وتاخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر
بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد
الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان
وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال

اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى مقام للمتكبرين عن الايمان
والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا وقرئ وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من
الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصها باهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرا الكوفيون
غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
وهو حال او استيناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى
التصرف فيه له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته
وحفظه لها وفيه مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزاين لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو
جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان
رضي الله عنه انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن مقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله
وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت
وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض
من تكلم بها اصابه والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما
بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في
فلاح المومنين فضل الله تعالى وفي هلاك الكافرين بان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية
للكرم او بما يليه والمراد بايات الله دلايل قدرته واستبداده بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده
وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اي افغير الله
اعبد بعد هذه الدلايل والمواعيد وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض
الهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تامروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني
على ان اصله تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله احضر الوغا ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرا ابن
عامر تامرونني باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى الذين
من قبلك اي من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج
الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم
والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصايصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت
كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه
من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروا به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن

وكن من الشاكرين انعامه عليه وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته في
انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم
القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة
الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة
واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهو
المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها
للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ
مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى
من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة الاولى فصعق
من في السموات ومن في الارض خروا ميتا او مغشيا عليهم الا من شاء الله قيل جبرئيل وميكائيل واسرافيل
فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد بالاول ونفخ في الصور
نفخة واحدة كما صرح به في مواضع واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون
وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى تقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او
ينظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق
كما يسمى الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها
بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافها الى نفسه ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب
المحاسبة بين يديه او صحايف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ
يقابل به الصحايف وجيء بالنبيين والشهداء للامم عليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي
بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس
ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شئ من افعالهم ثم فصل التوفية وقال وسيق الذين كفروا
الى جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة جمع زمرة واشتقاقها
من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة وهي
الجمع القليل حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرا الكوفيون فتحت بالتخفيف
النار وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء
يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم

باتيان

باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو
الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة
وقيل هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القايل لتهويل
ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثواهم
في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لاجل ان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وساير
مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه السلام ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى
يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على
عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل
سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت
ابوابها حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة
تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين وقرا الكوفيون فتحت بالتخفيف وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه
طبتم طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم
وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب
واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او
تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل منا في اي مقام
اراده من جنته الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة
حافين محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او للابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده
والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى
درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم
النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي
على ما قضى بيننا بالحق والقايلون هم المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم
وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه الله ثواب
الخائفين وعنه عليه السلام كان يقرأ عليه كل ليلة بني اسرائيل والزمر سورة المؤمن مكية وآيها
خمس وثمانون وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم امالة ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح

الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف
والتأنيث او لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل
تخصيص الوصفين لما في القران من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من
الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد
بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج
وامن الالباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع
بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان
الغفر هو الستر فيكون لذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل
بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو
فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل في ايات الله الا
الذين كفروا لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث
اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عم ان جدالا في القران كفر
بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك
امهالهم واقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة
فانهم ماخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من
بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة
من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها لياخذوه ~~وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له~~
ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل
بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهم
فكيف كان عقاب فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت
كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار بدل
من كلمة ربك بدل الكل او بدل الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين يحملون العرش
العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم

حوله

حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم
عنده وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء
من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى
حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما
لاهله ومساق الاية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين امنوا واشعارا
بان حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم
شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة
في الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال
الله تعالى انما المؤمنون اخوة ربنا اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال
وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق في
وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات
ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم
عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد والدلالة على شدة العذاب
وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم اياها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم
عطف على هم الاول اي ادخلهم معهم هؤلاء ليتم سرورهم او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ
جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد انك انت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور
الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات
او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصي في الدنيا
لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في
الاخرة كانهم طلبوا السبب بعد ما سالوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعني الرحمة او
الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر من
مقتكم انفسكم اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء اذ تدعون الى
الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه وقد فصل بينه
وبين اذ خبره اكبر فلا يجوز ولا للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا جزاء
اعمالهم الخبيثة الا ان يؤول بنحو الصيف ضيعت اللبن وتعليل الحكم وزمان المقتين واحد

قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا
امواتا عند انقضاء اجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة ابتداء او بتصيير
كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص
بالتصيير فاختيار الفاعل المختار احد مقدوريه تصيير وصرف عن الآخر واحييتنا
اثنتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل
والثانية في القبر ~~والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا~~ بعد
الاحياء للسؤال والاحياءان ما في القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة
بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اقترافهم
لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم بالبعث فهل الى خروج نوع خروج من النار من
سبيل طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا
بقوله ذلكم الذي انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعي الله وحده متحدا او توحد وحده
فحذف الفعل واقيم مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك
فالحكم لله المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلي الكبير من ان يشرك
به ويسوى بغيره حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وعلى من اشرك وسوى به بعض
مخلوقاته في استحقاق العبادة هو الذي يريكم آياته الدالة على التوحيد وساير
ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من السماء رزقا اسباب رزق كالمطر مراعاة
لمعاشكم وما يتذكر بالآيات التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك
في التقليد واتباع الهوى الا من ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان
الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ولو كره
الكافرون اخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران آخران للدلالة
على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الوهيته فان من
ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو اصل العالم
الجسماني في قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات
او مصاعد الملائكة الى العرش او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب
على المدح يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده خبر رابع للدلالة على ان

الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة
بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن امره بيانه لانه امر بالخير او مبدأه والامر
هو الملك المبلغ مختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية لينذر غاية الالقاء والمستكن
فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد الثاني يوم التلاق يوم القيمة
فانه فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض والمعبودون والعباد
والاعمال والعمال يوم هم بارزون خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء
او ظاهر نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرايرهم لا يخفى على الله
منهم شيء من اعمالهم واعيانهم واحوالهم وهو تقرير لقولهم بارزون وازاحة
لنحو ما يتوهم في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه
في ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب و
ارتفاع الوسايط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دايما اليوم تجزى كل نفس بما
كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقايد والاعمال
هيآت توجب لذتها والمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوايق تشغلها فاذا قامت
قيامتها زالت العوايق وادركت لذتها والمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة
العقاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه
سريعا وانذرهم يوم الآزفة اي القيمة سميت بها لازوفها اي قربها او الخطة
الآزفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب لدى الحناجر فانها ترتفع
عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين
على الغم حال من اصحاب القلوب حملا على المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها
في لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها
خاضعين او من مفعول انذرهم على انه حال مقدرة ما للظالمين من حميم قريب
مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع والضماير ان كانت للكفار وهو الظاهر
كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم
يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى المحرم واستراق النظر
اليه او خيانة الاعين وما تخفي الصدور من الضماير والجملة خبر خامس للدلالة

على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا
يقضي بشيء الا وهو حقه والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه
انه يقضي او لا يقضي وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع
البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون
وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة
وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع
دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع والمداين
الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان
لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات او الاحكام الواضحة فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريده غاية التمكن
شديد العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني المعجزات
وسلطان مبين وحجة قاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات كالعصا
تفخيما لشانه الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم
زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم
اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كي يصدوا عن مظاهرة موسى وما كيد الكافرين
الا في ضلال في ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة وقال
فرعون ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه من قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر
ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا في اهون شيء
دليل على انه تيقن انه نبي فخاف من قتله او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع
ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم
عليه من عبادته وعبادة الاصنام لقوله ويذرك والهتك او ان يظهر في الارض الفساد
ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير و
نافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء

ودفع

ودفع الفساد وقال موسى اي لقومه لما سمع بكلامه اني عذت بربي وربكم من كل متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان تاكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد في دفع
الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافه
اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم
يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة
على الحامل له على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي عت فيه وفي الدخان بالادغام
وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله
يكتم ايمانه والرجل اسرائيلي او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون
قتله ان يقول لان يقول او وقت ان يقول من غير روية وتامل في امره ربي الله
وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد وقد جاءكم بالبينات احتجاج
عليهم واستدراج لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال
وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان
يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة
في التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصيبكم
ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم
وتفسير البعض بالكل كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض
النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب
احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات
ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله
ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون
بانه مسرف كذاب لا يهديه سبيل الصواب وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهرين غالبين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا اي فلا
تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما
ادرج نفسه في الضميرين لانه كان منهم في القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما
ينصح لهم قال فرعون ما اريكم الا ما ارى ما اشير اليكم الا بما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم

وما أعلمكم إلا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطئان عليه إلا سبيل الرشاد
طريق الصواب وقرئ بالتشديد على أنه فعال للمبالغة من رَشِد كعلام أو من رَشَد
كعباد لا من أرشد كجبار لأنه مقصور على السماع أو للنسبة إلى الرُّشْد كعوّاج وبتات
وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الأحزاب
مثل أيام الأمم الماضية يعني وقايعهم وجمع الأحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم
مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وإيذاء الرسل
والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا
يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث
إن المنفي فيه نفي حدوث تعلق إرادته بالظلم ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد
يوم القيمة ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور أو
يتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار كما حكي في الأعراف وقرئ بالتشديد وهو أن
ينِدّ بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من أخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين
منصرفين عنه إلى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه
ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب على أن
فرعونه فرعون موسى أو على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد أو سبطه يوسف بن
ابرهيم بن يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك
مما جاءكم به حتى إذا هلك مات يوسف قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما
إلى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده أو جزما بأن لا يبعث بعده رسول
مع الشك في رسالته وقرئ ألن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث
كذلك مثل ذلك الإضلال يضل الله في العصيان من هو مسرف في عصيان مرتاب
شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون
في آيات الله بدل من الموصول الأول لأنه بمعنى الجمع بغير سلطان بغير حجة بل إما
بتقليد أو شبهة داحضة أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضمير
من وإفراده للفظ ويجوز أن يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف
أي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا أو بغير سلطان وفاعل كبر كذلك أي كبر مقتا

مثل

مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استينافا للدلالة على الموجب
لجدالهم وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان قلبٍ بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما
كقولهم رأت عيني وسمعت أذني أو على حذف مضاف أي على كل ذي قلب متكبر وقال
فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء إذا ظهر لعلي أبلغ
الأسباب الطرق أسباب السموات بيان لها وفي إبهامها ثم إيضاحها تفخيم لشأنها
وتشويق للسامع في معرفتها فأطلع إلى إله موسى عطف على أبلغ وقرأ حفص بالنصب
على جواب الترجي ولعله أراد أن يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه أحوال
الكواكب التي هي أسباب سماوية تدل على الحوادث الأرضية فيرى هل فيها ما يدل على
إرسال الله إياه أو أن يرى فساد قول موسى بأن إخباره من إله السماء يتوقف
على اطلاعه ووصوله إليه وذلك لا يتأتى إلا بالصعود إلى السماء وهو مما لا يقوى عليه
الإنسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه وإني لأظنه كاذبا في دعوى الرسالة
وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد
والفاعل على الحقيقة هو الله ويدل عليه أنه قرئ وزَيَّن بالفتح وبالتوسط الشيطان
وقرأ الحجازيان والشامي وأبو عمرو وصَدّ على أن فرعون صد الناس عن الهدى
بأمثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون إلا في تباب إلا في خسار
وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون أهدكم بالدلالة
سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه إلى المقصود وفيه تعريض بأن ما عليه فرعون و
قومه سبيل الغي يا قوم إنما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها وإن
الآخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها عدلا من الله وفيه
دليل على أن الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك
يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا
مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة
باسم الإشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والإيمان
حالا للدلالة على أنه شرط في اعتبار العمل وأن ثوابه أعلى من ذلك ويا قوم ما لي
أدعوكم إلى النجوة وتدعونني إلى النار كرر نداءهم إيقاظا لهم عن سنة الغفلة

واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثاني
الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل
فيه تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء
كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي
المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان
وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف
عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم
لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله انما تدعونني اليه ليس له دعوة في
الدنيا ولا في الآخرة اي حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها
ما يقتضي الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله
مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان
دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق
والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا
ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد وان مردنا الى الله بالموت
وان المسرفين في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار
ملازموها فستذكرون فيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصيحة
وافوض امري الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم
فكانه جواب توعدهم المفهوم من قوله فوقيه الله سيئات ما مكروا شدائد
مكرهم وقيل الضمير لموسى وحاق بآل فرعون بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم
عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل
فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء
العذاب الغرق او القتل او النار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة
او النار خبر محذوف ويعرضون استئناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من
الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون
فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به

وذلك

١

وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على
النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد وفيه
دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اي هذا ما دامت الدنيا فاذا
قامت الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون يا آل فرعون اشد العذاب عذاب جهنم فانه
اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرا نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص
ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار واذ يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم
فيها ويحتمل عطفه على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل له انا كنا لكم
تبعا اتباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز فهل انتم
مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون
اوله بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغني
عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن
المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدم كما
يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل
اهل الجنة الجنة والنار النار ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم اي
لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها اذ يحتمل ان يكون
جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم
من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب
بيانه قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم الحجة وتوبيخهم على
اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ
فيه اذ لم نؤذن في الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة وما دعاء الكافرين
الا في ضلال في ضياع لا يجاب انا لننصر رسلنا والذين آمنوا بالحجة والظفر و
الانتقام لهم من الكفرة في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين ولا ينقض ذلك
بما كان لهم من الغلبة امتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد
كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس من الملائكة

والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها
باطلة او لانها لا يؤذن لهم فيعتذرون وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللعنة البعد
من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد اتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين من المعجزات
والصحف والشرايع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده من ذلك التورية هدى
ذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولى الالباب لذوى العقول السليمة فاصبر على اذى
المشركين ان وعد الله حق بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك
واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى
كافيك في النصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ودم على التسبيح والتحميد
لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا ان
الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتيهم عام في كل مجادل مبطل وان نزلت في مشركي
مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر و
يسير معه الانهار ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او
ارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يكون الا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الايات او المراد
فاستعذ بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقهما مع عظمهما اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان
ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه من امر التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى والبصير الغافل
والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن والمسيء فينبغي ان يكون
لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي
مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف
عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل
قليلا ما تتذكرون اي تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرأ الكوفيون
بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة ان الساعة لآتية لا ريب
فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر
الناس لا يؤمنون لا يصدقون لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني

اعبدوني

اعبدوني استجب لكم اثبكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا
منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرأ ابن كثير وابو بكر
سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا
فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدو الحواس والنهار مبصرا
يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل
الى الحال ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل ولكن
اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص
الكفران بهم ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم
خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ
خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استينافا بما هو كالنتيجة للاوصاف
المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون من عبادته الى عبادة غيره كذلك
كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد باياته
ولم يتأملها الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة
وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء
والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنايع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اللذايذ
ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض
للزوال هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية لا اله الا هو اذ لا موجود يساويه او يدانيه
في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والريا
الحمد لله رب العالمين قائلين له قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني
البينات من ربي من الحجج والايات او من الايات فانها مقوية لادلة العقل منبهة
عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له او اخلص له ديني هو الذي خلقكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة
الجنس او على تأويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره
ثم يبقيكم لتبلغوا وقرئ شيوخا بالكسر وقرأ نافع وحفص وهشام شيوخا بضم الشين

وقرئ شيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ
الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم
القيمة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت فاذا
قضى امرا فاذا اراده فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه الى عدة و
تجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه
يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد الم تر الى الذين يجادلون
في آيات الله انى يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل
او المجادل فيه او للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن او بجنس الكتب السماوية
وبما ارسلنا به رسلنا من ساير الكتب او الوحي والشرايع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم
اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ الماضي لتيقنه
والسلاسل عطف على الاغلال او مبتداء خبره يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم
المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في
اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه القراة به ثم في النار
يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا ملاءه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر
بالحب اي ملئ والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض
ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل
ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع بل لم نكن ندعوا من قبل
شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك
حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل هذا الضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا
الى شئ ينفعهم في الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال
بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان
وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ
ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين الخلود
فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين
ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله حق

بهلاك

بهلاك الكفار حق كاين لا محالة فاما نرينك فان نريك وما مزيدة لتاكيد الشرطية
ولذلك لحقت النون الفعل ولا يلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل و
الاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب
نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم
في حيوتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر
الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من
لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم
اشخاص معدودة وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا
قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كساير القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها
والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والآخرة
قضي بالحق بانجاء المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون
باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا
منها ومنها تاكلون فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل
ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم
بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال على الفلك ولم
يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه
يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية
واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم آياته دلايله الدالة على كمال
قدرته وفرط رحمته فاي آيات الله اي فاي آية من تلك الآيات تنكرون فانها
لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى
رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات لابهامه افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في
الارض ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار اقدامهم في الارض لعظم
اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى
والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات

او الآيات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقايدهم
الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادرك علمهم في الآخرة وهو قولهم لا نبعث ولا
نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او من علم الطبايع
والتنجيم والصنايع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به
ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا تمادي
جهل الكفار واستهزايهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه
وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزايهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا قالوا آمنا
بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا
باسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى
لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير
لقوله فما اغنى والباقيان لان رؤية الباس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان
مسبب عن الرؤية سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية
في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس
اسم مكان استعير للزمان عن النبي عليه السلام من قرا سورة المؤمن لم يبق روح
نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له سورة السجدة مكية
وآيها ثلث او اربع وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم
حم ان جعلته مبتدا فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا للحروف
فتنزيل خبر محذوف او مبتدا لتخصصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاولين بدل
منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها
مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم
للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت آياته ميزت باعتبار اللفظ
والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها من بعض باعتبار الفواصل والمعاني او فصلت
بين الحق والباطل قرآنا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته
وفهمه لقوم يعلمون لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى
لقرآنا او صلة لتنزيل او لفصلت والاولى اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا

للعاملين به والمخالفين له وقرئ بالرفع على صفة الكتاب او الخبر لمحذوف فاعرض
اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تامل وطاعة وقالوا قلوبنا في
اكنة مما تدعونا اليه اغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ
بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان
الحجاب مبتدئ منهم ومنك بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ
وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم ومج اسماعهم
له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول فاعمل على دينك او في ابطال امرنا
اننا عاملون على ديننا او في ابطال امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم
اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول
والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل
وشواهد النقل فاستقيموا اليه فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا
اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم
هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون
الزكوة لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذايل وفيه دليل على ان الكفار
مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم
بالآخرة هم كافرون حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم في طلب الدنيا
وانكارهم للآخرة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم
من المن واصله الثقل او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى
والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في كل نوبة
ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام
البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها
صارت انواعا وكفرهم الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا ولا يصح ان يكون
له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين خالق جميع ما وجد من الممكنات
ومربيها وجعل فيها رواسي استيناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة

من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للناظر ما فيها من وجوه الاستبصار ويكون منافعها معرّضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوان وقدّر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عيّن لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خصّ حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرى وقسّم فيها اقواتها في تتمة اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك في يومين للاشعار باتصالهما لليومين الاولين والتصريح على الفذلكة سواء اى استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او فيها وقرى بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدّر اى وقدّر فيها الاقوات للطالبين لها ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجّه اليه توجها لا يلوى على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك دحيها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر ابرزاما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوّة وقد عرفت ما فيه او ليأت كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المؤاتاة اى ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تاثير قدرته فيهما وتاثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبين كقوله ساجدين فقضيهن سبع سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول

وتميز

وتميز على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها شانها وما يتاتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وزيّنا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كانها تتلألأ عليها وحفظا اى وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرى صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق والصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعدّ لهم في الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتاخرين داعيين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى ياتيها رزقها رغدا من كل مكان الا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اى لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقلعها بيده اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا باياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اى يجمع ويقبض او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا يوم الاربعاء

متتابعات

ما عذب قوم الا يوم الاربعاء

لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله
ولعذاب الاخرة اخزى وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي
للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب
الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم
الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة
العذاب الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون
للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون
من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو
الله عز وجل وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء فهم يوزعون
يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار حتى اذا ما جاؤها
اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترف بها
فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد
به نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا
الله الذي انطق كل شيء او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول
الجواب والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة
واليه ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استينافا وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي كنتم تستترون الناس عند ارتكاب
الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها
وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن
ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى
ظنهم هذا وهو مبتداء وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم خبران له ويجوز ان يكون
ظنكم بدلا وارديكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد به في
الدارين سببا لشقاء المنزلين فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان
يستعتبوا يسألوا العتبى وهي الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين اليها

ونظيره

ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين
اي ان يسئلوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا اي قدرنا لهم للكفرة قرناء
اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل
القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع
الشهوات وما خلفهم من امر الاخرة وانكاره وحق عليهم القول اي كلمة العذاب في امم في جملة
امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا ففي آخرين قد افكوا وهو حال من الضمير المجرور
قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم
العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وعارضوه
بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارى وقرئ بضم الغين والمعنى واحد
يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قرائته فلنذيقن
الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوء
سيئات اعمالهم وقد سبق مثله الذي كانوا يعملون ذلك اشارة الى الاسوء جزاء اعداء
الله خبره النار عطف بيان للجزاء او خبر محذوف لهم فيها في النار دار الخلد فانها دار
اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة
جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو
وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس يعني شيطاني النوعين
الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف كفخذ
في فخذ وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا ندوسهما انتقاما
منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين قالوا
ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم لتراخيه
عن الاقرار في الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة او لانها عسر قلما يتبع الاقرار وما
روي عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل
واداء الفرائض فجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع
عنهم الخوف والحزن او عند الموت او الخروج عن القبر الا تخافوا ما تقدمون عليه ولا

ولا تحزنوا على ما خلفتم وأن مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة وابشروا بالجنة
التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا نلهمكم الحق
ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة وفي الآخرة بالشفاعة والكرامة
حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها في الآخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها
ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم حال من
ما تدعون للاشعار بان ما يتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل
للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه
وقال انني من المسلمين تفاخرا به او اتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول
فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي عليه السلام
وقيل في المؤذنين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية
مزيدة لتاكيد النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي احسن منها وهي
الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما
اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع
الحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق
مثل الولي الشفيق وما يلقيها وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين
صبروا فانها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقيها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس
وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته
لانها بعثت على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوء وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده
او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه
هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك ومن آياته الليل والنهار و
الشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مامومان مثلكم واسجدوا
لله الذي خلقهن الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا
بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات
وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة رح آخر الآية الاخرى
لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون

له بالليل والنهار اي دائما لقوله وهم لا يسأمون اي لا يملون ومن آياته انك ترى
الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت اي
زادت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير من الاحياء و
الاماتة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتحريف
والتاويل بالباطل والالغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على الحادهم افمن يلقى في النار
خير امن ياتي آمنا يوم القيمة قابل الالقاء في النار بالاتيان آمنا مبالغة في
احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة
ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون في آياتنا او مستانف
وخبر ان محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر القرآن وانه لكتاب
عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتاتى ابطاله وتحريفه لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار
الماضية والامور الآتية تنزيل من حكيم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال
لك اي ما ~~يقال الله لك~~ يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا مثل ما قال
لهم كفار قومهم او ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو
عقاب اليم لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك و
اليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب
لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته بينت بلسان
نفقهه ااعجمي وعربي اكلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر للتحضيض والاعجمي يقال للذي
لا يفهم كلامه والكلامه وقرئ اعجمي ~~ومخاطب عربي انكار مقرر للتخصيص والاعجمي يقال~~
للذي لا يفهم كلامه وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام اعجمي على الاخبار وعلى هذا يجوز
ان يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا
لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور او الدلالة على انهم
لا ينفكون عن التعنت في الآيات كيف جاءت قل هو للذين آمنوا هدى
الى الحق وشفاء لما في الصدور من الشك والشبه والذين لا يؤمنون مبتدا

خبره في آذانهم وقر على تقدير هو في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامّهم عن ذلك
عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوّز العطف على عاملين عطف ذلك
على للذين آمنوا هدى أولئك ينادون من مكان بعيد أي هم تمثيل لهم في عدم قبولهم و
استماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة
بالقيمة وفصل الخصومة حينئذ أو تقدير الآجال لقضي بينهم باستيصال المكذبين
وإنهم وإن الذين لا يؤمنون لفي شك منه من التورية أو القرآن مريب موجب
للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن أساء فعليها ضرره وما ربك بظلام
للعبيد فيفعل بهم ما ليس له أن يفعله إليه يرد علم الساعة أي إذا سئل عنها إذ لا
يعلمها إلا هو وما تخرج من ثمرة من أكمامها من أوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن
عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الأنواع وقرئ بجمع الضمير أيضا وما نافية و
من الأولى مزيدة للاستغراق ويحتمل أن تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة
بخلاف قوله وما تحمل من أنثى ولا تضع بمكان إلا بعلمه إلا مقرونا بعلمه واقعا حسب
تعلقه به ويوم يناديهم أين شركائي بزعمكم قالوا آذناك أعلمناك ما منا من شهيد من
أحد يشهد لهم بالشركة إذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ أو من أحد
يشاهدهم لأنهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء أي ما منا من يشهد لهم بأنهم كانوا محقين وضل
عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم أو لا يرونه وظنوا وأيقنوا ما لهم من محيص
مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الإنسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة
في النعمة وقرئ من دعاء بالخير وإن مسه الشر الضيقة فيؤس قنوط من فضل الله ورحمته
وهذا صفة الكافر لقوله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من
جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور أثر اليأس ولئن أذقناه رحمة منا من بعد
ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل أو لي دائما لا يزول
وما أظن الساعة قائمة تقوم ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى أي ولئن قامت على
التوهم كان لي عنده الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم
الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة أعمالهم

ولنذيقنهم

ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصي
عنه وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه
أو ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب
في جنب الله وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له عرض متسع
للإشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل إذ الطول أطول الامتدادين
فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قل أرأيتم أخبروني إن كان من عند الله
أي القرآن ثم كفرتم به من غير نظر واتباع دليل من أضل ممن هو في شقاق بعيد
أي من أضل منكم فوضع الموصول موضع الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم
سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما أخبرهم النبي عم من الحوادث الآتية وآثار
النوازل الماضية وما يسره الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك
الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وفي أنفسهم ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل
بهم أو ما في بدن الإنسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة حتى يتبين لهم أنه
الحق الضمير للقرآن أو الرسول أو التوحيد أو الله أولم يكف بربك أي ربك والباء
مزيدة للتأكيد كأنه قيل أولم يحصل الكفاية ولا تكاد تزاد في الفاعل إلا مع كفى أنه على
كل شيء شهيد بدل منه والمعنى أولم يكفك أنه تعالى على كل شيء شهيد محقق فيحقق أمرك
بإظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة أو مطلع فيعلم حالك وحالهم
أو أولم يكف الإنسان رادعا عن المعاصي أنه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية ألا إنهم
في مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء
ألا إنه بكل شيء محيط عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها عن النبي
عم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات **سورة حم عسق**
مكية وتسمى سورة الشورى **وهي ثلث وخمسون آية** بسم الله الرحمن الرحيم
حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وإن كان اسما واحدا
فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك
الله العزيز الحكيم أي مثل ما في هذه السورة من المعاني أو إيحاء مثل إيحائها أوحى الله إليك
وإلى الرسل قبلك وإنما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار

قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء
مثله عادته وقرا ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتداء ويوحى خبره المسند الى ضميره او
مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان
لعلو شان الموحى به كما مر في السورة السابقة او بالابتداء كما في قراءة نوحى بالنون والعزيز
وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات وما في الارض وهو
العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه الاخر استيناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات
وقرا نافع والكسائي بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء
الولد وقرا البصريان وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع
فطر وقرئ تنفطرن بالتاء لتاكيد التانيث وهو نادر من فوقهن اي يبتدي الانفطار
من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان اعظم الايات وادلها على علو شانه
من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل
الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن
في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب
المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي
فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به
الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته
والاية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان
عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه و
رحمته والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداد الله حفيظ عليهم رقيب
على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه
امرهم وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا الاشارة الى مصدر يوحي او الى معنى الاية
المتقدمة فانه مكرر في القران في مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرانا عربيا
حال منه لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم
الجمع يوم القيمة تجمع فيه الخلائق او الارواح والاشباح او العمال والاعمال وحذف ثاني
مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل

للقران

للقران لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد
جمعهم في الموقف تجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين
لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين
بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله
لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين ولكن يدخل من يشاء في رحمته
بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير اي ويدعهم
بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعل تغييره للمقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام
في الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو الولي جواب
شرط محذوف مثل ان ارادوا اولياء بالحق فالله هو الولي بالحق وهو يحيي الموتى وهو
على كل شيء قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار فيه من
شيء من امر من امور الدين او الدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق من المبطل
بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل متشابه فارجعوا
فيه الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع الامور واليه انيب
ارجع في المعضلات فاطر السموات والارض خبر اخر لذلكم او مبتداء خبره جعل
لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالي الله من انفسكم من جنسكم ازواجا
ومن الانعام ازواجا اي وخلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام
اصنافا او ذكورا واناثا يذروكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو
والذر فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد
فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه
والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه
فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة
بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته ومن قال الكاف فيه
زايدة لعله عنى انه يعطي معنى ليس مثله غير انه اكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته اي ليس
كصفته صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض
خزاينها يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيته انه بكل شيء

عليم فيفعله على ما ينبغي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك
وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن
بينهما من ارباب الشرايع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا
الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله النصب على
البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر
على البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرايع
فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم
ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء يجتلب اليه والضمير لما
تدعوهم او للدين ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما
تفرقوا يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءهم العلم العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث
الرسول او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة
او طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال الى اجل مسمى هو يوم القيمة او آخر
اعمارهم المقدرة لقضي بينهم باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان
الذين اورثوا الكتاب من بعدهم يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول او المشركين
الذين اورثوا القرآن من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا لفي شك منه من كتابهم
لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من القرآن مريب مقلق او مدخل في الريبة
فلذلك فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة
الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في موضع الى لافادة الصلة
والتعليل واستقم على الدعوة كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل
الله من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة على الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت
لاعدل بينكم في تبليغ الشرايع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة
الى كمال القوة العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
وكل مجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر
ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدا سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة

واليه

واليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الآية ما يدل على متاركة الكفار
راسا حتى تكون منسوخة باية القتال والذين يحاجون في الله في دينه من بعد
ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره
يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم
داحضة عند ربهم زايلة باطلة وعليهم غضب بمعاندتهم ولهم عذاب شديد
على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل
او بما يحق انزاله من العقايد والاحكام والميزان والشرع الذي يوازن به الحقوق
ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن بان اوحى باعدادها
وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب
على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاءك وقيل
تذكير القريب لانه بمعنى ذات قريب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها
الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين امنوا مشفقون منها خايفون منها مع
اعتنائها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق الكاين لا محالة الا ان الذين يمارون في
الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة
للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال
بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغايبات الى المحسوسات فمن لم يهتد
لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءها الله لطيف بعباده بر بهم بصنوف
من البر لا يبلغها الافهام يرزق من يشاء اي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده
بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع الذي
لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فايدة
تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث في الاصل القاء البذر
في الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطيه بالواحد عشرا الى سبعمائة
فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له وما له
في الآخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ام لهم شركاء بل الهم
شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شرعوا لهم بالتزيين

من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها
اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا
به او صور من سنه لهم ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق بتأجيل الجزاء او العدة
بان الفصل يكون يوم القيمة لقضى بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم
وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولولا كلمة الفصل و
تقدير عذاب الظالمين فى الاخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب
الاخرة ترى الظالمين فى القيامة مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع
بهم اى وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا والذين امنوا وعملوا الصالحات فى
روضات الجنات فى اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اى ما يشتهونه
ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير الذى يصغر دونه
ما لغيرهم فى الدنيا ذلك الذى يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات
ذلك الثواب الذى يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذى يبشره
الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشره وقرئ يبشر من
ابشره قل لا اسألكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم الا المودة
فى القربى ان تودونى لقرابتى منكم او تودوا قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا
اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى ذوى القربى
متمكنة فى اهلها او فى حق القرابة ومن اجلها كما جاء فى الحديث الحب فى الله والبغض فى الله روى
انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال على وفاطمة وابناهما وقيل
القربى التقرب الى الله اى الا ان تودوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح
وقرئ الا مودة فى القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول
وقيل نزلت فى ابى بكر ومودته لهم نزد له فيها فى الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب
وقرئ يزد اى يزد الله وحسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب
والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل ايقولون افترى على الله كذبا افترى محمد بدعوى
النبوة او القران فان يشاء الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار
على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة

ومعرفة

ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشاء الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه
وقيل يختم على قلبك يمسك القران والوحى عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم
ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استيناف لنفى
الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفترى لمحقه اذ عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق
بوحيه او بوعده بمحق باطلهم واثبات حقه بالقران او بقضائه الذى لا مرد له
وسقوط الواو من يمح فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله ويدع الانسان
وهو الذى يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى
مفعول ثان بمن وعلى لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة
وعن على رضى الله عنه هى اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع
الفرايض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية و
اذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته
ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن شاء ويعلم ما يفعلون فيجازى و
يتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ حمزة وحفص والكسائى ما تفعلون بالتاء ويستجيب
الذين امنوا وعملوا الصالحات اى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف فى واذا كالوهم
والمراد اجابة الدعاء او الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه
قوله عم افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم
من فضله على ما سألوا او استحقوا او استوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم
عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا فى الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض
استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما
يتحرى كمية وكيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشاء ما اقتضته مشيته انه
بعباده خبير بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب
شأنهم روى ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل فى العرب كانوا اذا
اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذى ينزل الغيث المطر الذى
يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد

[margin] يختم على قلبك
[margin] او بقضائه
[margin] دعائهم
[margin] الراغب البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى تجاوزه او لم يتجاوزه فتارة تعتبر فى القدر الذى هو الكمية وتارة تعتبر فى الوصف الذى هو الكيفية يقال بغيت الشئ اذا طلبت اكثر ما يجب وابتغيت كذلك
[margin] تجنعوا انتوعوا

بكسر النون

من بعد ما قنطوا ايسوا منه وقرئ بفتح النون وينشر رحمته في كل شئ من السهل والجبل
والنبات والحيوان وهو الولي الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق
للحمد على ذلك ومن آياته خلق السموات والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع
قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات او خلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب
للسبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة وهو على
جمعهم اذا يشاء في اي وقت يشاء قدير متمكن منه واذا كما يدخل الماضي يدخل المضارع
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة
معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفوا عن كثير من
الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر
منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من
المصايب وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته
الجوار السفن الجارية في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة
به كانه علم في راسه نار ان يشأ يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره
فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور لكل من وكل همته
وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكر في الآية او لكل مؤمن كامل فان الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الرياح العاصفة
المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن
فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها فيوبقهن لانه
عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستيناف
ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء
ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرأه نافع وابن عامر
بالرفع على الاستيناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم
وانجاء قوم وتحذير آخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل
فما اوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا تتمتعون به مدة حيوتكم وما عند الله من ثواب
الآخرة خير وابقى لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط

للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون

من

من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها
بخلاف الثانية وعن علي رضي الله عنه تصدق ابو بكر رضه بماله كله فلامه جمع فنزلت
للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش واذا
ما غضبوا هم يغفرون والذين بما بعده عطف على للذين آمنوا او مدح منصوب او مرفوع
وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ
حمزة والكسائي كبير الاثم والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار
دعاهم رسول الله الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى لا ينفردون
برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي
مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والذين اذا
اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة
بعد وصفهم بساير امهات الفضايل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز
المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم
لانه اجراء واغراء على البغي ثم عقب وصفهم بالانتصار بالمنع عن التعدي فقال
وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل
به فمن عفى واصلح بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود
انه لا يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر بعد
ظلمه بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما
السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدؤنهم بالاضرار او يطلبون ما لا يستحقونه
تجبرا عليهم ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم
ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه
فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له من ولي
من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب
حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل اي الى رجعة
الى الدنيا وتريهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها العذاب خاشعين من الذل
متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم

متصاغرين

الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين امنوا
ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف
لخسروا والقول في الدنيا او لقال اى يقولون اذا راوهم على تلك الحال الا ان الظالمين
في عذاب مقيم تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم
من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم
من قبل ان ياتى يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل
صلة ياتى اى من قبل ان ياتى يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجا يومئذ مفر
وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه مدون فى صحايف اعمالكم يشهد عليه السنتكم
وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك
الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان
الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفران
ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتامل سببها وهذا وان اختص
بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى
باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة متحققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات
بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر
في الثانية للدلالة على ان الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والارض
فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا
ويهب لمن يشاء الذكور من غير لزوم ومجال اعتراض او يزوجهم ذكرانا واناثا
ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد
في الاولاد مختلفة على مقتضى المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او
انثى او الصنفين جميعا ويعقم اخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل
او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشية الله لا مشية
الانسان والاناث كذلك او لان الكلام فى البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب
قلوب ابائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير
وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع

لافصاحه

لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما يفعل
بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك
بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف على تموجات
متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما روي فى حديث المعراج وما وعد به فى حديث
الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء
حجاب عليه يخصه بالاول فالاية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل
المراد به الالهام والالقاء فى الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون
المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل اليه نبيا فيبلغ اليه
وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحى الى الرسول ووحيا
بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال
نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا
وقعت احوالا وقرا نافع او يرسل برفع اللام انه علي عن صفات المخلوقين
حكيم يفعل ما يقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا
او من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه
وسماه روحا لان القلوب تحيي به وقيل جبرائيل والمعنى ارسلناه اليك
بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اى قبل الوحي وهو دليل على انه
لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا
السمع ولكن جعلناه اى الروح او الكتاب او الايمان نورا نهدي به من نشاء
من عبادنا بالتوفيق للقبول والنظر فيه وانك لتهدي الى صراط مستقيم هو
الاسلام وقرى لتهدي اى ليهديك الله صراط الله بدل من الاول الذي له ما في
السموات وما في الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور بارتفاع الوسايط
والتعلقات فيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي عم من قرا حم عسق
كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له سورة الزخرف
مكية وقيل الا قوله واسئل من ارسلنا وايها تسع وثمانون
بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا

جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالقرآن على انه قرآنا عربيا وهو من البدايع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه في الديانة او بين للعرب يدل على انه تعالى صيره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه عطف على انا في ام الكتاب في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرأ حمزة والكسائي ام الكتاب بالكسر لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلي رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا تمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال من ام الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرايب عن الحوض قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف اي انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولي الشيء صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرأ نافع وحمزة والكسائي ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون تسلية لرسول الله عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكأنهم قالوا الله كما حكى عنهم في مواضع اخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استيناف الذي جعل لكم الارض مهدا فتستقرون فيها وقرأ غير الكوفيين مهادا بالالف وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع

بالنظر في ذلك والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا مال عنه الماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء والذي خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال لتستووا على ظهوره اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه السلام انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم اي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمي بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد اليه لانها من فرط الجهل به والتحقير لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين معنى الهمزة في ام الانكار والتعجيب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته جزءا اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم به اشتد غمهم كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا اذ الولد لا بد وان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملو قلبه من الكرب وفي ذلك دلالة على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا او من ينشأ في الحلية اي

اي جعلوا له او اتخذوا من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام في المجادلة غير مبين
مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اي
او من هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه كما عرفت وقرأ حمزة
والكسائي وحفص ينشأ اي يربى وقرئ ينشؤ ويناشأ بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم
وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ
الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا
خلقهم احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة
وهو تجهيل وتهكم بهم وعن نافع أؤشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة
بين بين وآشهدوا بمدة بينهما ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة
ويسألون اي عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ سيكتب بالياء والنون وشهاداتهم
وهي ان لله ولدا وانه بنات وهن الملائكة ويساءلون من المسائلة وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء الرحمن عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي
مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشيئة
ترجيح بعض الممكنات على بعض مامورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك
جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز
ان يكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم
المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان
يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن
او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب متمسكون
بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اي لا حجة لهم على
ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة
التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي عليها الام اي تكون
القاصد ومنها الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال
مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون تسلية لرسول
الله ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان متقدميهم ايضا لم يكن لهم سند

منظور

منظورا اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر
الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي اتتبعون اباءكم ولو
جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحي الى النذير او خطاب
لرسول الله ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم
به كافرون اي وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا او يتفكروا فيه فانتقمنا
منهم بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال
ابرهيم واذكر وقت قول ابرهيم هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل
او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من تقليد فانه اشرف آبائهم لابيه وقومه انني براء مما
تعبدون بريء من عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد و
المتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام الا الذي فطرني استثناء
منقطع او متصل على ان ما يعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان
او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه
سيهدين سيثبتني على الهداية او سيهديني الى وراء ما هداني اليه وجعلها وجعل ابرهيم
عرم او الله كلمة التوحيد كلمة باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله و
يدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم
يرجعون يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء وآباءهم بالمد في العمر
والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه اعترض به على
ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد او القرآن
ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والآيات ولما
جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر مبين وانا به كافرون زادوا شرارة فضموا
فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا
الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين من احدى القريتين عظيم بالجاه
والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان الرسالة منصب عظيم لا يليق
الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات
القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل

وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا
وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يدبروا امر
النبوة التي هي اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة تقتضي ان تكون حلالها وحرامها من
الله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ
بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تألف وتضام وينتظم بذلك
نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا
تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمة ربك يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من
حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا ان يكون الناس امة واحدة لولا ان
يرغبوا في الكفر اذا راوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج وقرئ ومعاريج
جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال
او علة له كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع
البيوت بالتخفيف وقرئ سقوفا وسقفا وسقفا وهو لغة في سقف ولبيوتهم
ابوابا وسررا عليها يتكؤن اي ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على
سقفا او ذهبا عطف على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هي المخففة
واللام هي الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية
وقرئ به مع ان وما والاخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على
ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين
حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الآخرة مخل به
في الاغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش
عن ذكر الرحمن يتعامى ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات
وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي اذا كان في بصره آفة وعشا اذا تعشى بلا آفة
كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه
ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي
ان يرفعه وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي من حقه ان يسبل وجمع

الضميرين

الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له ويحسبون انهم
مهتدون الضمائر الثلثة الاول له والباقيان للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي
وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاءانا اي العاشي والشيطان قال العاشي للشيطان
يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين بعد المشرق والمغرب فغلب المشرق وثني
واضيف البعد اليهما فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من
التمني اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم انكم في العذاب
مشتركون لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم تشتركون
في سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما
ينفع الواقعين في امر صعب معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسمهم بمكابدة عنائه
اذ لكل منكم ما لا يسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول افانت تسمع
الصم او تهدي العمي انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم
بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا
بالصمم كان رسول الله عم يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت
ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار
بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان
نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة فانا
منهم منتقمون بعذاب في الدنيا والآخرة او نرينك الذي وعدناهم او ان اردنا
ان نريك ما وعدناهم من العذاب وقرأ يعقوب برواية رويس او نرينك
باسكان النون وكذا نذهبن فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا فاستمسك
بالذي اوحي اليك لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف تسئلون اي عنه يوم
القيمة وعن قيامكم بحقه واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسئل
اممهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون هل حكمنا بعبادة
الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء
على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعته فتكذب وتعادى له فانه كان
اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه

فقال اني رسول رب العالمين يريد باقتصاصه تسلية الرسول ومناقضة قولهم
لولا نزل على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عم الى التوحيد فلما جاءهم
باياتنا اذا هم منها يضحكون فاجؤا وقت ضحكهم منها اي استهزؤا بها اول ما راوها ولم
يتاملوا فيها وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى درجات الاعجاز
بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك
رايت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي
يسري بها الساري او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار
واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم يرجعون على وجه يرجى رجوعهم
وقالوا يا ايها الساحر نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم
يسمون العالم الباهر ساحرا وقرا ابن عامر بضم الهاء ادع لنا ربك فيكشف عنا العذاب
بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب
عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة اننا لمهتدون فلما كشفنا
عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجؤا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه
او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم
قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر
طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي تحت قصري او امري او بين يدي في جناتي
والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك فتجري حال منها او واو حال وهذه مبتداء والانهار
صفتها وتجري خبرها افلا تبصرون ذلك ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي
هو مهين ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين الكلام لما به من
الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب
فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون
فتعلمون اني خير منه فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي فهلا القي اليه مقاليد الملك
ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب اساورة
جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به وقرا يعقوب وحفص
اسورة وهي جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة والقي عليه اسورة واساور على البناء

للفاعل

للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه
من قرنته به فاقترن او متقارنين بمعنى تقارنوا فاستخف قومه فطلب
منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا
قوما فاسقين فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا بالافراط
في العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم
اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في
استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وقرا حمزة و
الكسائي بضم السين واللام جمع سليف كرغف او سالف كصبر او سلف كخشب
وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة سلفت ومثلا
للآخرين وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم
فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله في قوله
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب
وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله فالملائكة اولى بذلك او على قوله واسئل من
ارسلنا من قبلك من رسلنا او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك
قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به وقرا
نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون عن الحق ويعرضون عنه
وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا ءالهتنا خير ام هو اي الهتنا خير عندك
ام عيسى فان كان في النار فليكن الهتنا معه او الهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز
ان يعبد ويكون ابن الله كانت الهتنا اولى بذلك او الهتنا خير ام محمد فنعبده
وندع الهتنا وقرا الكوفيون ءالهتنا بتحقيق الهمزتين والالف بعدهما و
يعقوب برواية روح ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل
الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة
حراص على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل
امرا عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو
نشاء لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب لجعلنا بدلكم

ملائكة في الارض يخلفون يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان
كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث
انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق
الالوهية والانتساب الى الله سبحانه وانه وان عيسى لعلم للساعة لان
حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها او لان احياءه الموتى يدل على قدرة
الله عليه وقرئ لعَلَم اي علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث
ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل
الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه
عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب
ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن
فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعوني
واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول امر بان يقوله هذا
اي هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان
عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم عن الجنة وعرضكم للبلية
ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرايع الواضحات قال قد
جئتكم بالحكمة بالانجيل او الشريعة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون
من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عم انتم
اعلم بامر دنياكم فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغه عنه ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه
بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرايع هذا صراط مستقيم
الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى او استيناف من الله يدل على ما هو
المقتضي للطاعة في ذلك فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى
او اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين
من عذاب يوم اليم هو يوم القيمة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقريش او للذين
ظلموا ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة فجاءة
وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء الاحباء

يومئذ

يومئذ بعضهم لبعض عدو اي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور
ما كانوا يتحابون له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت في الله
تبقى نافعة ابد الآباد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية
لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
بغير الياء الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو
اي الذين آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة آكد وابلغ ادخلوا الجنة انتم
وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره
على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الوجه والهيئة او تكرمون اكراما
يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بالجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب
واكواب الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها
في الجنة ما تشتهي الانفس وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحفص تشتهيه على
الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوايد في
التنعم والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل نعيم زايل موجب لكلفة الحفظ وخوف
الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون
وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى
الجنة المذكورة وقعت مبتداء والجنة خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون
وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون بعضها
تاكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القران
وهو حقير بالاضافة الى ساير نعايم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين
الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص
بالكفار في عذاب جهنم خالدون خبران او خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر
عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه في العذاب
مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله
غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا ومضموما
ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون تادية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا

ربنا

فقالوا ليقض علينا ربك والمعنى سل ربك ان يقضي علينا من قضى عليه اذا اماته
وهو لا ينافي ابلاسهم فانه جؤار وتمني للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون
لا خلاص لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب
ان كان في قال ضمير الله تعالى ولكن اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب النفس وآداب الجوارح ام ابرموا
امرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهيته فانا مبرمون امرا في مجازاتهم
والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوأ من كراهتهم او ام احكم المشركون
امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون انا
لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجويهم وتناجيهم بلى نسمعها ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمة لهم يكتبون ذلك قل ان كان للرحمن ولد فانا
اول العابدين منكم فان النبي يكون اعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم
ما يوجب تعظيمه ومن حق تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة
الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه
كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعر بانتفاء الطرفين
وان هنا لا يشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال
على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان
اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله
الموحدين له او الآنفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه
او ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم
وسكون اللام سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه
ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به
سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم
ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي يوم القيمة وهو دلالة
على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق
به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ

الله

الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز
جعله خبرا اله لانه لا يبقى عايد لكن لو جعل صلة وقدر لانه مبتدأ محذوف
يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى الالوهية دون
الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق
الالوهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السموات
والارض وما بينهما كالهواء وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم القيامة
فيها واليه ترجعون للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء
على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا
انهم شفعاؤهم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء
متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح
فيه ومنفصل ان خص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم سألت العابدين
او المعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون
يصرفون من عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف
على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اي فقال قيله وجره عاصم وحمزة
عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره يا رب ان هؤلاء قوم
لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب
بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يا رب قسمي وان
هؤلاء جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وقل سلام
تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ
نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله عن النبي عم من قرأ سورة
الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم ولا انتم
تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب سورة الدخان مكية الا قوله
انا كاشفوا العذاب وهي سبع او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فللقسم

والجواب قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر او البراءة ابتداء فيها انزاله
او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول عليه السلام
نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية او
لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية
انا كنا منذرين استيناف يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر
حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها
القرآن الذي هو من عظايمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما
اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل الملائكة
والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرّق بالتشديد ويفرق كل اي يفرقه
الله ونفرق بالنون امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من
عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او
امر او ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهي وقع مصدرا
ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه بمعنى
آمرين او مامورا انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين اي انا
انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم
ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه
اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اي يفصل
فيها كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من شاننا ان نرسل رحمتنا فان
فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب
الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة انه هو السميع العليم يسمع اقوال
العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن
هذه صفاته رب السموات والارض وما بينهما خبر آخر او استيناف
وقراء الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل
الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم
الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله

الا هو اذ لا خالق سواه يحيي ويميت كما تشاهدون ربكم ورب ابائكم
الاولين قرئا بالجر بدلا بل هم في شك يلعبون رد لكونهم موقنين
فارتقب فانتظر لهم يوم تاتي السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة
فان الجايع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره او
لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر
الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان
الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود في اشراط
الساعة لما روى انه عم لما قال اول الايات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج
من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله
الاية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن
فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه
ودبره او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط بهم صفة
للدخان وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون مقدر
بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى
من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة وقد جاءهم رسول مبين بين لهم
ما هو اعظم منها في ايجاب الادكار من الايات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم
مجنون قال بعضهم يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون انا كاشفوا
العذاب بدعاء النبي فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو
ما بقي من اعمارهم انكم عائدون الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط
قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين فريثما
يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش
البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون
فان ان يحجزه عنه او بدل من يوم تاتي وقرئ نبطش اي نجعل البطشة الكبرى باطشة
بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
امتحناهم بارسال موسى اليهم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق

عليهم وقرى بالتشديد للتاكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله او على
المؤمنين او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ان ادّوا الي عباد الله بان ادوهم
الي وارسلوهم معي او بان ادّوا الي حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد
الله ويجوز ان تكون ان مخففة او مفسرة لان مجيء الرسول يكون برسالة
ودعوة اني لكم رسول امين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان
الله اياه على وحيه ورسوله وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه
بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كالاولى في وجوهها اني آتيكم بسلطان
مبين علة النهي ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شان لا يخفى
واني عذت بربي وربكم التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذوني
ضربا او شتما او ان تقتلوني وقرى عتّ بالادغام وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون
فدعا ربه اي بعد ما كذبوه ان هؤلاء قوم مجرمون هو تعريض بالدعاء عليهم
بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرى بالكسر على اضمار القول فاسر
بعبادي ليلا اي فقال اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر وقرأ الحرميان
بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا
بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد
ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيئا ليدخله القبط انهم جند
مغرقون وقرى بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون و
زروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها
فاكهين متنعمين وقرى فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها
او الامر كذلك واورثناها عطف على الفعل المقدر او على تركوا قوما آخرين
ليسوا منهم في شيء وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فما
بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد
بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك
ومنه ما روى في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد
عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض وما كانوا

منظرين

منظرين ممهلين الى وقت آخر ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون
وقتل ابناءهم من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه
في التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرى من فرعون على الاستفهام تنكيرا له
لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان عاليا متكبرا من المسرفين في العتو والشرارة وهو
خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد
اخترناهم اخترنا بني اسرائيل على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون
في بعض الاحوال على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق
البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر ان هؤلاء
يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار
على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية
الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما في قولك حج زيد
الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا
ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي من شانها كذلك الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين
بمبعوثين فاتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين ان كنتم صادقين
في وعدكم ليدل عليه اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع تبع الحميري الذي سار بالجيوش
وحيّر الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم
دونه وعنه عليه الصلوة والسلام ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وقيل لملوك اليمن
التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم
استيناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول
ان استونف به انهم كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرى وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على
صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذي اقتضاه
الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم
الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه واحبائه
ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرى ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اي ان ميعاد

او منصوب باضمار اعني

جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيا شيا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينتصر منه من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الاثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت تغلي في البطون وقرا ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غليا مثل غليه خذوه على ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وقرا الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء وتقريعا على ما كان يزعمه وقرا الكسائي انك بالفتح اي ذق لانك او عذاب انك ان هذا ان هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين في مقام في موضع اقامة وقرا نافع وابن عامر بضم الميم امين يامن صاحبه عن الافة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من الماكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستانس بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك او اتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان امنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للاخرة والموت اول احوالها او الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده وكانه فيها او الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت فكانه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل

ووقيهم

ووقيهم عذاب وقرئ ووقيهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الدخان ليلة الجمعة اصبح مغفورا له والحمد لله رب العالمين والله اعلم بالصواب سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدا خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدا وخبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلايل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون محمول على محل ان واسمها وقرا حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرا حمزة والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه قراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء او ان الا ان يضمر في او ينصب آيات على الاختصاص او يرفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلثة لاختلاف الايات في الدقة والظهور تلك آيات الله اي تلك الايات دلايله نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فباي حديث بعد الله وآياته تؤمنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن كقوله تعالى الله نزل احسن الحديث وآياته دلايله المتلوة او القرآن والعطف

لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما
قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثام يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر على كفره مستكبرا عن
الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها
كان لم يسمعها اي كانه فخفف وحذف ضمير الشان والجملة في موقع الحال اي يصر مثل غير
السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم واذا علم من آياتنا شيئا
واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين لذلك
من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزؤ والضمير لآياتنا وفايدته الاشعار بانه اذا
سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه
او لشيء لانه بمعنى الآية من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من
خلفهم لانه بعد آجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا
من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام ولهم عذاب عظيم
لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله تعالى والذين كفروا
بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم و
الرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما
يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم
راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون رب
هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا بان خلقها نافعة لكم منه حال
من ما اي سخر هذه الاشياء كاينة منه او خبر ثان لمحذوف اي هي جميعا منه او لما
في السموات وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما في الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على
انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
في صنايعه قل للذين آمنوا يغفروا حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم
اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقايعه
باعدائه من قولهم ايام العرب لوقايعهم او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر
المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت في عمر شتمه غفاري فهم ان يبطش به
وقيل انها منسوخة باية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم

هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب
المغفرة والاساءة او ما يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ
ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزى الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان
الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد آتينا
بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات
والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من
اللذايذ وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم وآتيناهم بينات
من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبي صلى الله
عليه وسلم مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة
الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر امر الدين فاتبعها فاتبع
شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون آراء الجهال التابعة للشهوات
وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا
مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع
اهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا اي القرآن او اتباع الشريعة
بصاير للناس بينات تبصرهم وجه الفلاح وهدى من الضلال ورحمة ونعمة من الله
لقوم يوقنون يطلبون اليقين ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم
ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان
يكون حياتهم ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة
حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف
او المفعولية والكاف حال وان كان للثاني فحال منه او استيناف يبين المقتضي
للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا

بعد الممات في الكرامة او ترك المواخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحيوة او استيناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرى مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثواب او تضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعل الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار افرايت من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده وقرى آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه رفضه اليه واضله الله على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرا حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون وقرى تتذكرون وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيي اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيي بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيي ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيي بعض او يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء

ولكن

ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسبونه ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اي ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرى جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها وقرا يعقوب كل على انه بدل الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا اضاف صحايف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان انا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوايب واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم الم ياتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كاين هو او متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرا حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرف النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما نحن الا نظن او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيرا بعد ما سمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في امر الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزاتم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون

منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم ان
يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين
اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات والارض اذ ظهر فيها آثارها
وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له عن النبي صلعم
من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب سورة الاحقاف

مكية وآيها اربع او خمس وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما يقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود
الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهى
اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما
انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان يكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه
ولا يستعدون لحلوله قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض
ام لهم شرك في السموات اى اخبروني عن حال آلهتكم بعد تامل فيها هل يعقل ان يكون
لها في نفسها مدخل في خلق شيء من اجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك
بالسموات احترازا عما يتوهم ان للوسايط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ائتوني
بكتاب من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القرآن فانه ناطق بالتوحيد او اثارة من علم
او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر
به ان كنتم صادقين في دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد
الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اى مناظرة فان المناظرة تثير
المعاني واثرة اى شيء اوثرتم به واثرة بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون الثاء
فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة
اسم ما يؤثر به ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له انكار المجيب القادر
الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعي
مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات

واما

واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء
يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير
للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات
او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شانه والمراد به الآيات ووضعه موضع
ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم
بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين ما جاءهم من غير نظر وتامل هذا سحر
مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتريه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر
ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله
شيئا اى ان عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف اجترئ
عليه واعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما
تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في آياته كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد
لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور
الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم
قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على
ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف
وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اى ذا بدع وما ادري ما يفعل بي ولا بكم
في الدارين على التفصيل اذ لا علم لي بالغيب ولا لتاكيد النفي المشتمل على ما يفعل بي
وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اى يفعل الله ان
اتبع الا ما يوحى الي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه
من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما انا الا نذير عن
عقاب الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل ارأيتم ان
كان من عند الله اى القرآن وكفرتم به اى وقد كفرتم به ويجوز ان يكون الواو عاطفة
على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل الا انها تعطفه بما عطف عليه على
جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما في
التوراة من نعت الرسول عليه الصلوة والسلام على مثله مثل القرآن وهو ما في التوراة

للمعاني المطابقة لها

من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة له او مثل ذلك وهو كونه من عند الله فآمن اي بالقرآن
لما رآه من جنس الوحي مطابقا للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين
استيناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل الستم
ظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم لو كان الايمان او ما اتى به محمد عليه الصلوة والسلام خيرا
ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموالي ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو
عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود حين
اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون
هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب
موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق او منه لتخصصه بالصفة
وعاملها معنى الاشارة وفايدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتوراة كما دل على انه حق
دل على انه وحي وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق اي يصدق ذا لسان عربيا باعجازه
لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله تعالى او الرسول عليه الصلوة
والسلام ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء وبشرى
للمحسنين عطف على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي
هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تاخر رتبة
العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم عن لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات
محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون
من اكتساب الفضايل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن في اصحاب وجزاء
مصدر لفعل محذوف دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا
وقرا الكوفيون احسانا وقرئ حسنا ووضعته كرها اي ايصاء حسنا حملته امه
كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرا الحجازيان و
ابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح
مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة
يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد
عن المدة قال كل حي مستكمل عدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلثون شهرا كل ذلك بيان لما

تكابده

تكابده الام في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل
ستة اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان
يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع
لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل
واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد اربعين قال رب
اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر لانه لم يكن
احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا ترضاه نكره للتعظيم
او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضاء الله عز وجل واصلح لي في ذريتي واجعل لي
الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك عما لا ترضاه
او يشغل عنك واني من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني
طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه ويتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرا حمزة والكسائي
وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم وعد الصدق
مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال
لوالديه اف لكما مبتدا خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن ابن ابي بكر
قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراآت ذكرت في سورة بني اسرائيل
اتعدانني ان اخرج ابعث وقرا هشام اتعداني بنون واحدة مشددة وقد خلت القرون
من قبلي فلم يرجع واحد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك او يسئلانه
ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك آمن اي يقولان له ويلك وهو دعاء بالثبور
بالحث على ما يخاف على تركه ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين
اباطيلهم التي كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو يرد
النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان
لاسلامه في امم قد خلت من قبلهم كقوله في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان
للامم انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على الاستيناف ولكل من الفريقين
درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا

مراتب مما عملوا

والدرجات غالبة في المثوبة وههنا جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم جزاءها وقرأ نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي وابن ذكوان بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا على النار
يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم
وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما
يقرآن بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم في حيوتكم الدنيا باستيفائها واستمتعتم بها فما بقي لكم
منها شيء فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون في الارض
بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ
تفسِقون بالكسر واذكر اخا عاد يعني هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو
رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين
رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه
قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض ان لا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا او بان لا تعبدوا
فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب
شرككم قالوا اجئتنا لتأفكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا
من العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين في وعدك قال انما العلم عند الله
لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته
المقدر له وابلغكم ما ارسلت به وما على الرسول الا البلاغ ولكني اراكم قوما تجهلون
لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين فلما رأوه عارضا
سحابا عرض في افق السماء مستقبل اوديتهم متوجه اوديتهم والاضافة فيه
لفظية وكذا في قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اي يأتينا بالمطر بل هو اي قال هود بل هو ما
استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هي ريح ويجوز ان يكون بدل ما فيها عذاب اليم صفتها
وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها اذ لا يوجد نابضة حركة ولا قابضة
سكون الا بمشيته وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ
يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء في ربها ويحتمل ان
يكون استئنافا للدلالة على ان لكل ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر وتكون الهاء لكل شيء فانه
بمعنى الاشياء فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت

بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائي لا يُرى الا مساكنهم بالياء
المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم المجرمين روي ان هودا لما احس بالريح
اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها
سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما
ان مكناكم فيه ان نافية وهي احسن من ما ههنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت
الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي او في شيء
ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله يرجي المرء ما ان لا يراه وتعرض دونه
ادناه الخطوب والاول اظهر واوفق لقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة
واثارا وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها و
يواظبوا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء من الاغناء وهو
القليل اذ كانوا يجحدون بآيات الله صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب
على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا
اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الايات بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم
الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله عز وجل حيث
قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولي اتخذ الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل او عطف
بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم
وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم وذلك الاتخاذ الذي هو اثره صرفهم
عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وافكهم اي جعلهم آفكين وآفكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك وما كانوا
يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار يستمعون القرآن حال
محمولة على المعنى فلما حضروه اي القرآن او الرسول عليه الصلوة والسلام قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا
لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلوة والسلام ولوا الى
قومهم منذرين اي منذرين اياهم بما سمعوا روي انهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي النخلة
عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك
لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق من العقائد والى طريق
مستقيم من الشرائع يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله

فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة رح
باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف
كبني آدم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي منه مهرب وليس له من
دونه اولياء يمنعونه منه اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة من هذا
شانه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب
ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابدا بقادر على ان يحيي
الموتى اي قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتاكيد النفي فانه مشتمل
على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة
على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدا اراد ختمها
باثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله اليس هذا
بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في
الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات
والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا
في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح
نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا
يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد
الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون
قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة
ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم في وقته لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة
بلاغ هذا الذي وعظتم به او هذه السورة بلاغ اي كفاية او تبليغ من الرسول عليه الصلوة
والسلام ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل مبتدا خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون
اليه كانهم اذا بلغوه وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل
يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها
من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي صلعم من قرا سورة الاحقاف

كتب

كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا **سورة محمد وتسمى سورة القتال**
وهي مدنية وقيل مكية وآيها سبع او ثمان وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه
او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش او المصرين من اهل
الكتاب او عام في جميع من كفر وصد اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى
وحفظ الجوار ضالة اي ضايعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في
اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله تعالى او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلعم
والصد عن سبيله بنصر رسوله عليه الصلوة والسلام واظهار دينه على الدين كله
والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والانصار والذين آمنوا من اهل الكتاب
وغيرهم وآمنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان
الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا
على طريقه وحقيته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على
البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح
بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتاييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير
والاصلاح وهو مبتدا خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا
الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهذا تصريح بما اشعر به
ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم
امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل
مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين وتكفير السيئات
مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب
ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التاكيد
الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن
وتصوير له باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو
الغليظ فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به

فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن
وبين الاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام
بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم
قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها الاتها واثقالها
التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي ينقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها
والمعنى حتى تضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او للمن والفداء
او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول
عيسى عليه السلام ذلك اي الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم
بالاستيصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان
يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض
عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا وقرأ البصريان وحفص
قتلوا اي استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء
للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها
لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم
كل احد منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه مذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة
او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ان تنصروا
دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة
مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس
اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة
لناصبه واضل اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القرآن لما فيه من التوحيد
والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن
للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استاصل
عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر
امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله

سنة

سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله مولى الذين امنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين
لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى
فيه بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا وياكلون كما تاكل الانعام
حريصين غافلين عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك
التي اخرجتك على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب
اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من
ربه حجة من عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين كمن زين له سوء عمله
كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة مثل الجنة التي
وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار
وتقدير الكلام امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد او امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري عن
حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك
بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره
افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض
لبيان ما يمتاز به من على بينة في الاخرة تقريرا لانكار المساواة فيها انهار من ماء غير آسن
استئناف لشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن
الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على الحدوث وقرأ ابن كثير اسن وانهار
من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة للشاربين
لذيذة لا يكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار تانيث لذ او مصدر
نعت به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار وبالنصب على العلة
وانهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك
تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد
عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم فيها
من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف على الصنف
المحذوف او مبتدأ خبره محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا

ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك
يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا للذين
اوتوا العلم اي لعلماء الصحابة ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا
له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعارا من الجارحة ومنه استانف
وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الذين
طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فلذلك استهزؤا بها وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا
زادهم هدى اي زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول عليه الصلوة والسلام
وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقويهم او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون
الا الساعة فهل ينتظرون غيرها ان تاتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة
وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ ان تاتهم على انه شرط مستانف
جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم والمعنى ان تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر
اماراتها كمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم
اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك
اي اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم
بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك و
للمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة
الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب
ماله تبعة ما بترك الاولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها
ومثواكم في العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم ويقول
الذين آمنوا لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت سورة
محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اي الامر به رايت الذين في قلوبهم مرض
ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة
فاولى لهم فويل لهم افعل من الولي وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان
يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم طاعة وقول معروف استيناف اي امرهم طاعة او طاعة
وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم لقراءة ابي يقولون طاعة فاذا عزم الامر اي جد

وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله اي فيما زعموا من
الحرص على الجهاد او الايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس و
تامرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية
وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى انهم لضعفهم في
الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على
لغة الحجاز فان لغة بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب
توليتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع
وقرئ وتقطعوا من التقطع اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام
فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون القران يتصفحونه وما
فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي ام على قلوب اقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف
لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار
بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط جهالتها او نكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة
على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا
على ادبارهم اي ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلايل الواضحة والمعجزات الظاهرة
الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكباير من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول
وهو التمني وفيه ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم
هما يتساولان وقد قرئ سول على تقدير مضاف اي كيد الشيطان سول لهم واملى لهم ومد لهم في الآمال
والاماني او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب واملي لهم اي وانا املي لهم فيكون الواو للحال
او الاستيناف وقرا ابو عمرو واملي لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا
للذين كرهوا ما نزل الله اي قال اليهود الذين كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون
لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض الامر في بعض اموركم او في بعض ما تامرون به كالقعود عن
الجهاد والموافقة في الخروج معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول عليه الصلوة والسلام والله يعلم
اسرارهم ومنها قولهم هذا الذي افشاه الله عليهم وقرا حمزة والكسائي وحفص اسرارهم
على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم
وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم

تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجتنبون عن القتال له ذلك اشارة الى التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول عليه الصلوة والسلام و عصيان الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيره من الطاعات فاحبط اعمالهم لذلك ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين اضغانهم احقادهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلايل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطي لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد وساير التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها ونبلوا اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها وقراء ابو بكر الافعال الثلثة بالياء لتوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلوا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك او مكايدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكباير ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في كل من مات على كفره وان صح نزوله في اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره ساير ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرى ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقراء ابو بكر وحمزة بكسر السين وانتم الاعلون الاغلبون والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب وحميم فافردته عنه

من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسئلكم اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره ان يسئلكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استاصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويضغنكم على رسول الله والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان وقرى وتخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء اى انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الاية المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضرر البخل عايدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق والله الغني وانتم الفقراء فما يامركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا يستبدل قوما غيركم يقم مكانكم قوما اخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي والزهد في الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه الصلوة والسلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه فقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قراء سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه او بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سالوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لساير العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية اية عظيمة وهي انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس في تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول عليه الصلوة والسلام في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اى قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا

ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدى الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تاخر جميع ما فرط
منك مما يصح ان تعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما
فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور
فوصف بوصفه مبالغة هو الذى انزل السكينة الثبات والطمانينة فى قلوب المؤمنين حتى تثبتوا
حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة و
اطمينان النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول عليه الصلوة والسلام ليزدادوا ايمانا
بالشرايع مع ايمانهم بالله عز وجل واليوم الآخر ولله جنود السموات والارض يدبر امرها فيسلط بعضها
على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما يقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر
ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار علة بما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود
السموات والارض من معنى التدبير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله ويشكروها فيدخلوا
الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه
بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيآتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اى الادخال والتكفير عند الله
فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل الظانين بالله ظن السوء
ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله عليه الصلوة والسلام والمؤمنين عليهم دائرة السوء دائرة
ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرا ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان
غير ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما فى الاصل مصدر
وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه فى الآخرة على ما استوجبوه فى الدنيا و
الواو فى الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل فى الوعيد
بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما
انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله
الخطاب للنبى عليه الصلوة والسلام والامة او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه
وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة
واصيلا غدوة وعشيا او دايما وقرا ابن كثير وابو عمرو والافعال الاربعة بالياء وقرى تعزروه
بسكون العين وبفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه وتوقروه من اوقره بمعنى وقره

ولعززوه بالزايين

الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استيناف موكد له
على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد
عليه الله وفى فى مبايعته فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرى عهد وقرا حفص عليه بضم الهاء وابن كثير
ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت فى بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون
من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم وانما
خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف عن مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا
اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرى بالتشديد للتكثير فاستغفر
لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم تكذيب لهم فى الاعتذار
والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا من مشيته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم
كقتل او هزيمة وخلل فى المال والاهل وعقوبة الاثم على التخلف وقرا حمزة والكسائى
بالضم او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم
تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنكم
ان المشركين يستاصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان
اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك فى قلوبكم فتمكن فيها وقرى على البناء
للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل
عليه بالسوء او هو وساير ما يظنون بالله تعالى وبرسوله من الامور الزايغة وكنتم
قوما بورا هالكين عند الله تعالى لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله و
رسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم
يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا
للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء يغفر لمن
يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة
من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء فى الحديث الالهى سبقت
رحمتى على غضبى سيقول المخلفون يعنى المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعنى
مغانم خيبر فانه عليه الصلوة والسلام رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست واقام

بالمدينة بقيتها واوايل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا
كثيرة فخصها بهم ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل
الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معى ابدا والظاهر انه فى تبوك والكلام اسم للتكليم غلب فى الجملة
المفيدة وقرا حمزة والكسائى كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا نفى فى معنى نهى
كذلكم قال الله من قبل من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا
ان نشارككم فى الغنايم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا
وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول ردمنهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم
واثبات الحسد والثانى رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب
كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة فى الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولى باس شديد
بنى حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركين فانه قال تقاتلونهم
او يسلمون اى يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عدا هم
يقاتل حتى يسلم او يعطى الجزية وهو يدل على امامة ابى بكر اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم
ثقيف وهوازن فان ذلك كان فى عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول
تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة فى الدنيا والجنة فى الاخرة وان تتولوا
كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة
فى الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب
ههنا انفع من الترغيب وقرا نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون لقد رضى الله عن المؤمنين اذ
يبايعونك تحت الشجرة روى انه عليه الصلوة والسلام لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية
الخزاعى الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فحبسوه فارجف بقتله فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا
قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما فى قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم
الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم
كثيرة ياخذونها يعنى مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة

تاخذونها

تاخذونها وهى ما يفئ على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعنى مغانم خيبر وكف ايدى الناس عنكم ايدى اهل
خيبر وحلفائهم من بنى اسد وغطفان او ايدى قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة اية للمؤمنين امارة
يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول فى وعدهم فتح خيبر فى حين رجوعه عن الحديبية او وعد المغانم
او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا او لتاخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل
ذلك ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه
او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب لم تقدروا
عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها استولى فاظفركم بها وهى مغانم هوازن او فارس وكان الله على
كل شئ قديرا لان قدرته ذاتية لا تختص بشئ دون شئ ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا لولوا
الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التى قد خلت من قبل اى سن
غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال لاغلبن انا ورسلى ولن تجد لسنة الله تبديلا
تغييرا وهو الذى كف ايديهم عنكم ايدى كفار اهل مكة وايديكم عنهم ببطن مكة فى داخل مكة من بعد ان اظفركم
عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح و
استشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم
اولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرا ابو عمرو بالياء بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا و
صدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله يدل على ان ذلك عام الحديبية والهدى ما يهدى
الى مكة وقرئ الهدى وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى
لا مكانه الذى لا يجوز ان ينحر فى غيره والا لما نحره رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث احصر فلا ينتهض
حجة للحنفية على ان مذبح هدى المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم
باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال ووطئتنا وطا على حنق وطا
المقيد نابت الهرم وقال عليه الصلوة والسلام ان اخر وطاة وطاها الله بوج وهو واد بطايف كان
اخر وقعة النبى عليه الصلوة والسلام بها واصله الدوس وهو بدل الاشتمال من رجال ونساء او من
ضميرهم فى تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتاسف
عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير فى البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه بغير علم
متعلق بان تطؤهم اى تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا

ناساً مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم
عنهم ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي من اهل مكة صوناً لمن فيها من المؤمنين
اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير او الاسلام من يشاء من
مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا
الذين كفروا منهم عذاباً اليماً بالقتل والسبي اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف
لعذبنا او صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التي تمنع اذعان الحق فانزل
الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين انزل عليهم الوقار والثبات وذلك ما روي انه
عليه الصلوة والسلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى و
مكرز بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان يخلي له قريش مكة من القابل ثلثة ايام
فاجابهم وكتبوا بينهم كتاباً فقال عليه الصلوة والسلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن
الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه
وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب
هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه الصلوة والسلام اكتب ما يريدون فهم
المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا و
والزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله
اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها
وكانوا احق بها من غيرها واهلها والمستأهل لها وكان الله بكل شيء عليماً فيعلم اهل كل شيء
وييسره له لقد صدق الله رسوله الرؤيا رأى عليه الصلوة والسلام انه واصحابه
دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك
يكون في عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا وما قصرنا وما رأينا البيت فنزلت
والمعنى صدقه في رؤياه بالحق ملتبساً به فان ما رآه كاين لا محالة في وقته المقدر له وهو العام
القابل ويجوز ان تكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقاً ملتبساً به وهو القصد الى التمييز
بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسماً اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل
وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق
للعدة بالمشية تعليماً للعباد او اشعاراً بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك

الرؤيا او النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه آمنين حال من الواو والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين
اي محلقاً بعضكم ومقصراً آخرون لا تخافون حال مؤكدة او استيناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا
من الحكمة في تاخير ذلك فجعل من دون ذلك من دون دخولكم المسجد الحرام او فتح مكة فتحاً قريباً هو فتح
خيبر ليستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبساً به
او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ
ما كان حقاً واظهار فساد ما كان باطلاً او بتسليط المؤمنين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم
المسلمون وفيه تاكيد لما وعده من الفتح وكفى بالله شهيداً على ان ما وعده كاين او على نبوته باظهار
المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف
او مبتدأ والذين معه معطوف عليه وخبرهما اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد
ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة
على المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم ركعاً سجداً لانهم مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم يبتغون
فضلاً من الله ورضواناً الثواب والرضا سيماهم في وجوههم من اثر السجود يريد السمة
التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن
اثر السجود بيانها او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها
كزرع مثلهم في التوراة صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها ومثلهم في الانجيل عطف عليه اي ذلك مثلهم
في الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستانف او تفسير او مبتدأ وكزرع خبره اخرج شطأه فراخه
يقال اشطأ الزرع اذا افرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو
لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه
بقلبها واواً فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرأ ابن عامر
برواية ابن ذكوان فأزره كأجر في آجر فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه
فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه
وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى
امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجراً عظيماً فان الكفار لما سمعوه غاظهم
ذلك ومنهم للبيان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وآيها ثماني عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان
المقصود نفي التقديم راسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا
وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان
تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعظيم له
واشعار بانه من الله بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم
بافعالكم يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن
صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض
من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم
بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الاتعاظ والدلالة على
استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان
تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان في الرفع والجهر استخفافا قد يؤدي الى الكفر
المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان في اذنه وقر
وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله
لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عليه الصلوة و
السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة
ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة النهي قيل كان
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بعد ذلك كانا يسرانه حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة
محذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى
فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من
خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وساير طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان
او استيناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدا
اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلته دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في
الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ان

الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة
نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد وان يختلف المبدأ
والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة
بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات
نساء النبي عليه الصلوة والسلام وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما
بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض
الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج
الينا وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم
لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب
ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت
بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر
ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة
حتى راسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم
ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم
من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول عليه الصلوة والسلام الموجبين للثناء
والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف
وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب
التاركين تعظيم الرسول يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا
روي انه عليه الصلوة والسلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه
وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين
بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وفي تعليق الامر
بالتبين على فسق المخبر ما يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان
عدم عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب

يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم
الحال ان تصيبوا كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين
مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائر مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول
الله ان بما في حيزه ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير
من الامر لعنتم فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استينافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم
رسول الله على حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون ان يتبع رايكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اي
لوقعتم في الجهد من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني المصطلق ولكن الله وقوله
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم
وهو انهم من فرط حبهم الايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من
لم يفعل ذلك احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك هم الراشدون اي اولئك
المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره معدى بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد
زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول آخر والكفر تغطية نعم الله تعالى
بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا من الله ونعمة
تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا
من فعله مسندا الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعامه
والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع
فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى فان بغت احديهما تعدت على الاخرى
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء
على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين فان
فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا
واعدلوا في كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت في
قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه الصلوة والسلام بالسعف والنعال
وهي تدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فيء
الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما

منهم
كره اليكم منزلة بغضكم فعدي الى الآخر بالى
يعني فاصلحوا بينهما على حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل
السعفة بالتحريك غصن النخل
الجمع نعل
تقدم

المؤمنون

المؤمنون اخوة من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية وهو تعليل
وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر
موضع المضمر مضافا الى المامورين للمبالغة في التقرير والتخصيص وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من
يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في مخالفة
حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا
منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون
المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع
او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث
فسر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع
واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها
لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم
اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق
به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدعوا
بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي
بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما
تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية نزلت في صفية بنت حيي
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال
لها هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد او للدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين
الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة
وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب وابهام
الكثير ليحتاط في كل ظن ويتامل حتى يعلم انه من اي القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع
فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه
قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستانف
للامر والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها
ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس

الضمير
بالفسق
يا رسول الله

وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات
المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا
ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل عنه عليه الصلوة والسلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك
بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد
الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل
الماكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض
عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده
نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب
لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روي
ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة
على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما
راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا
لحما فقال انكما اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من ادم وحوا او خلقنا
كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا
للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل
واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ
تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة و
قيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالاباء و
القبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم فان التقوى بها تكمل
النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه الصلوة والسلام من سره
ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال عليه السلام يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم
على الله وفاجر شقي هين على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب امنا نزلت في نفر من بني اسد
قدموا المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ

الايمان

الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب لم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول عليه الصلوة
والسلام بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه اخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان
الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة
يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا و
لكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا عن النهي عن القول بالايمان والجزم
باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا
فانه حال من ضميره اي ولكن قولوا اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا
الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها
شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرا البصريان لا يالتكم من الالت وهو لغة غطفان
ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين امنوا
بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك
مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم
الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح
للعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء
الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم امنا والله يعلم ما في السموات وما في الارض
والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي انه لما نزلت الاية
المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت يمنون عليك ان اسلموا يعدون
عليك اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى
القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم
اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او بتضمن الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان
كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق
الاية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان
قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان

فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمايركم وقرا ابن كثير بالياء لما فى الاية من الغيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهى خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر فى ص والقرآن ذى الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على ساير الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله تعالى محمدا عليه الصلوة والسلام للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل فى الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثانى استقصار لقدرة الله عز وجل عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه ائذا متنا وكنا ترابا اى انرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله تعالى ذلك رجع بعيد اى بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تأكل من اجساد موتاهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تاكيد لعلمه بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعنى النبوة الثابتة بالمعجزات او النبى عليه الصلوة والسلام او القرآن لما جاءهم وقرئ لما بالكسر فهم فى امر مريج مضطرب من مرج الخاتم فى اصبعه اذا خرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى آثار قدرة الله فى خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من

فروج فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة الطباق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسى جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر فى بدايع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذى من شانه ان يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافردها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون اياه وقومه ليلايم ما قبله وما بعده واخوان لوط اخوانه لانهم كانوا اصهاره واصحاب الايكة وقوم تبع سبق فى الحجر والدخان كل كذب الرسل اي كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليه وعيدى وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول افعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم فى لبس من خلق جديد اى هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنها وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها فى صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اى ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل فى القرب قال والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر

أو متعلق بأقرب أي هو أعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى أي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به
وفيه إيذان بأنه غني عن استحفاظ الملكين فإنه أعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة
اقتضته وهي ما فيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية وتأكيد في اعتبار الأعمال وضبطها
للجزاء وإلزام للحجة يوم يقوم الأشهاد عن اليمين وعن الشمال قعيد أي عن اليمين قعيد
وعن الشمال قعيد أي مقاعد كالجليس فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كقوله فإني وقيار
بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله عز وجل والملائكة بعد ذلك
ظهير ما يلفظ من قول ما يرمى به من فيه إلا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد
معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب أو عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات أمين
على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب
اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات يسبح أو يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق
لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وأزاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه أعلمهم بأنهم يلاقون
ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بأن عبر بلفظ الماضي وسكرة
الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى وأحضرت
سكرة الموت حقيقة الأمر أو الموعود الحق أو الحق الذي ينبغي أن يكون من الموت أو الجزاء
فإن الإنسان خلق له أو مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على أنها
لشدتها اقتضت الزهوق أو لاستعقابها كأنها جاءت به أو على أن الباء بمعنى
مع وقيل سكرة الحق سكرة الله وإضافتها إليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك أي
الموت ما كنت منه تحيد تميل وتفر عنه والخطاب للإنسان ونفخ في الصور يعني نفخة
البعث ذلك يوم الوعيد أي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وإنجازه والإشارة إلى
مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان أحدهما يسوقه والآخر
يشهد بعمله أو ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب
الحسنات وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله ومحل معها
النصب على الحال من كل لإضافته إلى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من
هذا على إضمار القول والخطاب لكل نفس إذ ما من أحد إلا وله اشتغال ما عن الآخرة
أو للكافر فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لأمور المعاد وهو الغفلة والانهماك

وهي

في

في المحسوسات والإلف بها وقصور النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع
للإبصار وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى كنت في غفلة من أمر الديانة فكشفنا عنك
غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون
ويؤيد الأول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس وقال قرينه قال الملك الموكل
عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي أو الشيطان الذي قيض له هذا
ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته لها بإغوائي وإضلالي وما إن جعلت موصوفة
فعتيد صفتها وإن جعلت موصولة فبدلها أو خبر بعد خبر أو خبر محذوف ألقيا في جهنم
كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو لواحد وتثنية
الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر وإن تدعاني
أحم عرضا ممنعا أو الألف بدل من نون التأكيد على إجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرئ
ألقين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل
المراد بالخير الإسلام فإن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني أخيه عنه معتد متعد مريب
شاك في الله تعالى وفي دينه الذي جعل مع الله إلها آخر مبتدأ متضمن لمعنى الشرط وخبره فألقياه
في العذاب الشديد أو بدل من كل كفار فيكون فألقياه تكريرا للتأكيد أو مفعول لمضمر يفسره
فألقياه قال قرينه أي الشيطان المقيض له وإنما استؤنفت كما استؤنف الجمل الواقعة في حكاية
التقاول فإنه جواب لمحذوف دل عليه ربنا ما أطغيته كأن الكافر قال هو أطغاني فقال قرينه ربنا
ما أطغيته بخلاف الأولى فإنها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول
أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد فأعنته عليه فإن إغواء الشيطان
إنما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مائلا إلى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم
لي قال أي الله عز وجل لا تختصموا لدي أي في موقف الحساب فإنه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل
الأول وقد قدمت إليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي فلم يبق لكم حجة وهو حال
فيه تعليل للنهي أي لا تختصموا عالمين بأني أوعدتكم والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم ويجوز
أن يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله ما يبدل القول لدي أي بوقوع الخلف فيه فلا
تطمعوا أن أبدل وعيدي وعفو بعض المذنبين لبعض الأسباب ليس من التبديل فإن دلائل العفو
تدل على تخصيص الوعيد وما أنا بظلام للعبيد فأعذب من ليس لي تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلأت

وتقول هل من مزيد سوال وجواب جئ بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة
والناس فوجا حتى تمتلئ لقوله لاملأن او انها من السعة بحيث يدخلها ومن فيها بعد فراغ او انها من شدة
زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد
اما مصدر كالمحيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى
تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه
صفة محذوف اى شيئا غير بعيد او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار
القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرأ ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله بدل من المتقين
باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل
من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدأ خبره ادخلوها على تاويل
يقال لهم ادخلوا فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر اى خشية ملتبسة
بالغيب حيث خشى عقابه وهو غايب او العقاب بعد غيب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار
بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه او بانهم يخشون خشية مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار
برجوعه الى الله عز وجل بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود
يوم تقدير الخلود لقوله ادخلوها خالدين لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا قوة
كعاد وثمود وفرعون فنقبوا في البلاد فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء
على الاول للتسبيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشئ والبحث عنه هل من محيص اى لهم
من الله تعالى او من الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم في بلاد القرون فهل راوا
محيصا لهم حتى يتوقعوا بالكسر من النقب مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا
بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اى اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان في ذلك
فيما ذكر في هذه السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب اى قلب واع يتفكر في حقايقه او القى السمع او اصغى
لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره
وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ولقد خلقنا السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام مر تفسيره مرارا وما مسنا من لغوب من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من
انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش

فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من
قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على خلقهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود
من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف
والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرف فضيلة الوقتين
ومن الليل وادبار السجود واعقاب الصلوة جمع دبر من ادبرت الصلوة
اذا انقضت وقرأ الحجازيان وحمزة بالكسر وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالصلوة
قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان والتهجد
وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات واستمع لما اخبرك به من احوال القيمة وفيه
تهويل وتعظيم للمخبر به يوم ينادي المنادي اسرافيل او جبرائيل ايتها العظام
البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل
القضاء والحساب من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله
في الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون
الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به
البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال للعيد
انا نحن نحيي ونميت في الدنيا والينا المصير للجزاء في الاخرة يوم تشقق وقرأ عاصم
وحمزة والكسائي وخلف وابو عمرو واهل الكوفة بتخفيف الشين الارض عنهم سراعا
مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك
لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا
بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد
لهم وما انت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع
فذكر بالقران من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة والذاريات مكية وايها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولود فانهن يذرين

الولودات

الاولاد او الاسباب التى تذرو الخلايق من الملائكة وغيرهم وقراء ابو عمرو وحمزة بادغام
التاء فى الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء
الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن
الجارية فى البحر سهلا او الرياح الجارية فى مهابها او الكواكب التى تجرى فى منازلها ويسرا
صفة مصدر محذوف اى جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التى تقسم الامور من الامطار
والارزاق وغيرها او ما من اسباب القسمة او الرياح يقسمن الامطار بتصريف السحاب فان
حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت فى
الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى
تنعقد سحابا فتحمله فتجرى به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون
لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة
المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية و
الدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرايق والمراد اما الطرايق
المحسوسة التى هى مسير الكواكب او المعقولة التى يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف
او النجوم فان لها طرايق وانها تزينها كما تزين الموشى طرايق الوشى جمع حبيكة كطريقة وطرق
او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك
كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق انكم لفى قول مختلف فى الرسول عليه الصلوة والسلام
وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون او فى القران او القيامة
او امر الديانة ولعل النكتة فى هذا القسم تشبيه اقوالهم فى اختلافها او تنافى اغراضها
بالطرايق للسموات فى تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه من افك يصرف عنه
الضمير للرسول عليه الصلوة والسلام او القرآن او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد
منه فكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف فى علم الله تعالى وقضائه ويجوز
ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله
ينهون عن اكل وعن شرب اى يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اى من افك
الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب
القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجرى مجرى اللعن الذينهم فى غمرة فى جهل يغمرهم

ساهون

ساهون غافلون عما امروا به يسئلون ايان يوم الدين اى فيقولون متى يوم
الجزاء اى وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون يحرقون جواب للسوال
اى يقع يوم هم على النار يفتنون او هو يومهم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته
الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اى مقولا لهم هذا القول هذا
الذى كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا
بدلا من فتنتكم والذى صفته ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم
قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتاهم حسن مرضى متلقى بالقبول انهم
كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا
من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اى يهجعون فى طايفة من الليل او
يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اى فى قليل من الليل هجوعهم او ما
يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات
لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت السبات والهجوع الذى
هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اى انهم مع قلة هجوعهم و
كثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا فى الاستغفار كانهم اسلفوا فى ليلهم الجرايم وفى بناء
الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفى اموالهم
حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسايل و
المحروم للمستجدى والمتعفف الذى يظن غنيا فيحرم الصدقة وفى الارض آيات
للموقنين اى فيها دلايل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات من الدحو
والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزايها فى الكيفيات والخواص و
المنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفى
انفسكم اى وفى انفسكم آيات اذ ما فى العالم شيء الا وفى الانسان له نظير يدل دلالته
مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن
من الافعال الغريبة واستنباط الصنايع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا
تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفى السماء رزقكم اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد

بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب
لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء
وقيل انها مستانف خبره فورب السماء والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير لما و
على الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الآيات والرزق والوعيد مثل ما انكم
تنطقون اى مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق
ذلك ونصبه على الحال من المستكن في لحق او الوصف لمصدر محذوف اى انه لحق حقا
مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شيء وان
بما في حيزه ان جعلت زايدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائي
وابي بكر بالرفع هل اتيك حديث ضيف ابرهيم فيه تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه وحي
اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا اثني عشر ملكا
وقيل ثلثه جبرئيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف المكرمين اي
مكرمين عند الله تعالى او عند ابرهيم عليه السلام اذ خدمهم اذ دخلوا عليه ظرف للحديث
او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اى نسلم عليك سلاما قال سلام اى عليكم سلام عدل به
الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقريء مرفوعين وقراء
حمزة والكسائي قال سلم وقريء منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون اى انتم قوم وانما انكرهم لانه
ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم
فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر له
بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف ويصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان عامة ماله البقر فقربه
اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تاكلون اى منه وهو يشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض و
الحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ما وضعه او للانكار ان قاله حيثما راى اعراضهم
فاوجس منهم خيفة اى فاضمر منهم خوفا لما راى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقيل
وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله عز وجل قيل مسح
جبرئيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام حليم
هو اسحق عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امرأته سارة الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة

في صيحة

في صيحة من الصرير ومحلها النصب على الحال او المفعول ان اول فاقبلت باخذت
فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت
حرارة دم الحيض فلطمت وجهها وقالت عجوز عقيم اى انا عجوز عقيم عاقر فكيف
الد قالوا كذلك مثل ذلك الذي بشرنا فيه قال ربك وانما نخبرك به عنه انه هو العليم
الحكيم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم ايها المرسلون لما علم انهم ملائكة
وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سال عنهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين
يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة
وهي العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور فاخرجنا من كان فيها في
قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين ممن آمن بلوط
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد
الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه
وذلك لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المتعددة المختلفة على ذات واحدة
وتركنا فيها اية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها وهي تلك الاحجار
او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن وفي موسى عطف على وفي الارض او وتركنا فيها على
معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان
مبين هو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى
بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى
به وقريء بضم الكاف وقال ساحر او مجنون كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا
الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد
والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها
عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب
او النكباء ما تذر من شيء اتت عليه مرت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى
والتفتت وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام

فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اى العذاب بعد الثلث
وقراء الكسائى الصعقة وهى المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة
بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم
به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اى واهلكنا قوم نوح
لان ما قبله يدل عليه او واذكروا ويجوز ان يكون عطفا على محل فى عاد ويؤيده قراة ابى عمرو وحمزة
والكسائى بالجر من قبل من قبل هولاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة
بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة
والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء وما بينها وبين الارض او الرزق والارض
فرشناها مهدناها ليستقروا عليها فنعم الماهدون اى نحن ومن كل شىء من الاجناس خلقنا
زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات
لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة
انى لكم منه اى من عذابه المعد لمن اشرك او عصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله بالمعجزات
او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله الها اخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه
انى لكم منه نذير مبين تكرير للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثانى
على الاشراك كذلك اى الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول عليه الصلوة والسلام
وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله تعالى ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا
ساحر او مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او ما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل
فيما قبلها اتواصوا به اى كان الاولين والاخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى
حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصى جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع
لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعد
ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت
جهدك فى البلاغ وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله
تعالى ايمانه ومن آمن فانها يزداد بها بصيرة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة فى ذلك ولو حمل
على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل

ومعناه الا لنامرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا لى ما اريد منهم من رزق وما اريد
ان يطعمون اى ما اريد ان اصرفكم فى تحصيل رزقى فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين
له والمامورين به والمراد ان يبين ان شانه مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم
فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون
بمعنى قوله قل لا اسالكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق الذى يرزق كل ما يفتقر
الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ انى انا الرزاق ذو القوة المتين
شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا اى للذين ظلموا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب
نظرائهم من الامم السالفة وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو
العظيم المملو فلا يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا من
يومهم الذى يوعدون من يوم القيمة او يوم بدر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا والذا
ريات ذروا اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا سورة الطور مكية
وايها تسع او ثمان واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى كلام الله تعالى والطور الجبل
بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة
وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله فى اللوح
المحفوظ او الواح موسى او فى قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة فى رق
منشور الرق الجلد الذى يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار
بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور يعنى الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين
او الضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته
بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع يعنى السماء والبحر المسجور اى المملو وهو المحيط او الموقد
من قوله واذا البحار سجرت روى ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيمة نارا يسجر بها
جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه
ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته
وصدق اخباره وضبطه اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء مورا تضطرب والمور تردد

في المجى والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف لواقع وتسير الجبال سيرا اى تسير
عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اى اذا وقع ذلك فويل لهم الذينهم
في خوض يلعبون اى في الخوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها
بعنف وذلك بان تغل ايديهم على اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون
الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل
من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكية بهذه النار التى كنتم بها تكذبون اى يقال
لهم ذلك افسحر هذا اى كنتم تقولون للوحى هذا سحر فهذا المصداق ايضا سحر وتقديم
الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون
في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على
زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اى ادخلوها
على اى وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اى الامران
الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب
الوقوع كان الصبر وعدمه سيان في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم في
اية جنات واي نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين
بما اتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقيهم ربهم
عذاب الجحيم عطف على اتاهم ان جعل ما مصدرية او في جنات او حال باضمار قد من
المستكن في الظرف او الحال او من فاعل اتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا
اى اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه بما كنتم
تعملون بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون
اى جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين الباء لما في التزويج
من معنى الوصل والالصاق والقران ولهذا او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا
بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق والقران ولذلك عطف والذين امنوا
على حور اى قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدا خبره الحقنا بهم وقوله
واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا اعتراض للتعليل وقرا ابن عامر ويعقوب
ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة في كثرتهم والتصريح فان الذرية تقع على الواحد

والكثير

والكثير وقرا ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال
من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة في
اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة او الدرجة لما روى انه عليه الصلوة
والسلام قال مرفوعا ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه
ثم تلا هذه الاية وقرا نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما التناهم وما نقصنا
من عملهم من شئ بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الاباء باعطاء الابناء
بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللايق بكمال لطفه وقرا ابن كثير
بكسر اللام من الت يالت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يولت وولتناهم
من ولت يلت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله فان عمل
صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اى وزدناهم وقتا بعد وقت
ما يشتهون من انواع التنعم يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كاسا
خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تاثيم اى لا يتكلمون بلغو
الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك
مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اى بالكاس غلمان
لهم اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون
في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه الصلوة والسلام والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم
على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسال بعضهم
بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خايفين من عصيان الله تعالى معتنين
بطاعة او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب النار
النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده
او نسئله الوقاية انه هو البر المحسن وقرا نافع والكسائى بفتح همزة انه الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت
على التذكير ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون ام
يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت
فعول من منه اذا قطعه قل تربصوا فانى معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام
تامرهم احلامهم عقولهم بهذا بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون

مغطّى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متّسق مخيّل ولا يتاتى ذلك من المجنون وامر الاحلام
به مجاز عن اداتها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحدّ فى العناد وقرى بل هم ام يقولون تقوّله
اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث
مثله مثل القران ان كانوا صادقين فى زعمهم اذ فيهم كثير ممن تحرّوا فهو ردّ للاقوال المذكورة بالتحدى
ويجوز ان يكون ردا للتقوّل فان ساير الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شى ام احدثوا وقدّروا
من غير محدث ومقدّر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شى من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيّد
الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقّبه بقوله ام خلقوا السموات والارض وام فى هذه
الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات
والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزاين ربك خزاين رزقه
حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او خزاين علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ام هم المصيطرون
الغالبون على الاشياء يدبّرونها كيف شاؤا ام لهم سلّم مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه
الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كاين فليأت مستمعهم بسلطان مبين
بحجة واضحة تصدّق استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا
رايه لا يعدّ من العقلاء فضلا ان يترقّى بروحه الى عالم الملكوت فيتطلّع على الغيوب ام تسألهم اجرا
على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون محمّلون الثقل فلذلك زهدوا فى اتباعك
ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا وهو
كيدهم فى دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص
فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم
المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد ويعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر
او المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم
من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركونه به وان يروا
كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم
هذا سحاب تراكم بعضه على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء
فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا
وقرا ابن عامر وعاصم يصعقون على المبنى للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغنى

عنهم

عنهم كيدهم شيئا اى شيئا من الاغناء فى ردّ العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من
عذاب الله وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك اى دون
عذاب الاخرة وهو عذاب القبر او المواخذة فى الدنيا كقتل بدر والقحط سبع
سنين ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك فى عنائهم
فانك باعيننا فى حفظنا بحيث نراك ونكلاك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة
بكثرة اسباب الحفظ وسبّح بحمد ربك حين تقوم من اى مكان قمت او من منامك
او الى الصلوة ومن الليل فسبّحه فان العبادة فيه اشقّ على النفس وابعد عن الرياء و
لذلك افرده بالذكر وقدّمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من آخر الليل
وقرى بالفتح اى فى اعقابها اذا غربت او خفيت وعنه عليه السلام من قرا سورة
الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعّمه فى جنته سورة والنجم
مكية وآيها احدى او اثنتان وستون بسم الله الرحمن الرحيم
والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر
يوم القيمة او انقضّ او طلع فانه يقال هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا
علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض او اذا نما
وارتفع على قوله ما ضلّ صاحبكم ما عدل محمد عليه الصلوة والسلام عن الطريق المستقيم
والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفى ما ينسبون اليه وما ينطق
عن الهوى وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى ان هو ما القرآن او الذى ينطق به
الا وحى يوحى اى الا وحى يوحيه الله اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه
وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحى لا الوحى علّمه شديد القوى ملك شديد
قواه وهو جبريل فانه الواسطة فى ابداء الخوارق روى انه قلع قرى قوم لوط ورفعها
الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرّة حصافة فى عقله
ورأيه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التى خلقه الله عليها قيل ما رآه احد
من الانبياء فى صورته غير محمد عليه الصلوة والسلام مرتين مرة فى السماء ومرة فى
الارض وقيل استولى بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى افق السماء و
الضمير لجبريل ثم دنا من النبى عليه الصلوة والسلام فتدلّى فتعلّق به وهو تمثيل



وهو تمثيل لعروجه بالرسول عليهما الصلوة والسلام وقيل ثم تدلى من الافق
الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقريرا لشدة
قوته فان التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى
دلوه والدوالي للثمر المعلق فكان جبرئيل كقولك هو مني معقد الازار او المسافة
بينهما قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل
ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبرئيل الى
عبده عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما اوحى جبرئيل وفيه
تفخيم للموحى به او الله اليه وقيل الضماير كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما في قوله
هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه ترفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب
القدس ما كذب الفؤاد ما رأى ما رأى ببصره من صورة جبرئيل او الله تعالى اى ما كذب
بصره بما حكاه له قلبه فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم ينتقل منه
الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه
كما رآه ببصره او ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه الصلوة
والسلام سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرئ ما كذب اى صدقه ولم يشك
فيه افتمارونه على ما يرى افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من
مري الناقة فان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائي وخلف
ويعقوب افتمرونه اى افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه
حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما
غلبة الخصم ولقد رآه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت
نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو
ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي
الريبة عن المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي اليها علم الخلايق واعمالهم
او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم
يجتمعون في ظلها وروى مرفوعا انها في السماء السابعة عندها جنة المأوى الجنة التي
يأوى اليها المتقون او ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها

بحيث

بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون
الله تعالى عليها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه وما طغى وما
تجاوز بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجايب التي امر برؤيتها وما
جاوزها لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اى والله لقد رأى الكبرى من آياته و
عجايبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان يكون الكبرى
صفة للآيات على ان المفعول محذوف اى شيئا من آيات ربه او من مزيدة افرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطايف او لقريش بنخلة
وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اى يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي ورويس
عن يعقوب بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم
الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد فقطعها واصلها تانيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف
وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرئ مناءة
وهي مفعلة من النوء كانهم يستمطرون الانواء عندها تبركا وقوله الثالثة الاخرى صفتان
للتاكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التاخر في الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار
لقولهم الملائكة بنات الله تعالى وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او
هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرأيتم تلك اذا قسمة ضيزى جايرة
حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه
ليسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يات وصفا وقرأ ابن كثير بالهمز
من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسماء الضمير للاصنام
اى ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها انها آلهة وليس فيها شيء من معنى
الالوهية او للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبناتا وشفعاء او
للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف
على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين
سميتموها انتم سميتم بها وآباؤكم بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان
يتعلقون به ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا

ونوهما باطلا وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول

والكتاب فتركوه ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس

له كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الالهة وقولهم لئن رجعت الى ربي ان لي عنده

للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ونحوها فلله الاخرة و

الاولى يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في

السموات لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير من الملائكة لا يغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من بعد

ان ياذن الله في الشفاعة لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى

ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة

اي كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموه بنتا وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ بها اي

بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان الحق الذي

هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية وانما العبرة

به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا

فاعرض عن دعوته والاهتمام بشانه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك

في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على

الباطل ذلك اي امر الدنيا وكونها شهية مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض

مقرر لقصور همتهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى

تعليل للامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ

ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا ليجزي الذين اساؤا

بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله

اي خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم لذلك ويجزي الذين احسنوا

بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون

كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب

الحد وقرا حمزة والكسائي وخلف كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش

من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع

ومحل الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث

يغفر الصغائر باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به

وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب

على الله عز وجل هو اعلم بكم باحوالكم منكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم

علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتداء خلقكم من التراب بخلق ادم وحينما صوركم في الارحام فلا تزكوا

انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه

يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب ادم عليه السلام افرايت الذي تولى عن اتباع الحق والثبات

عليه واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك

الحفر والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين

وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله

فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي اعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم

ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله تعالى

وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبرئيل حين يلقى في النار فقال

الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه

والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهي التورية كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة

وزر اخرى ان هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا من ما في صحف موسى او

الرفع على هو ان لا تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره

ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض

فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه الصلوة والسلام من سن سنة سيئة فله وزرها

ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره وان ليس

للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى الا سعيه اي كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب

بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب

عنه ثم يجزيه الجزاء الاوفى اي يجزي العبد سعيه بالجزاء الاوفى فنصب بنزع الخافض ويجوز

ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزي والجزاء بدله وان الى ربك المنتهى

انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده وانه هو

اضحك وابكى وانه هو امات واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية

والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة
اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان عليه النشاة الاخرى
الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو والنشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشاء
وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهو ما يتاثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال
او ارضى وتحقيقه جعل الرضاء له قنية وانه هو رب الشعرى يعني العبور وهي اشد
ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول عليه الصلوة والسلام وخالف
قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول عليه الصلوة والسلام ابن ابي كبشة
ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه الصلوة والسلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم
خالفه ايضا في عبادتها وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح
وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام
التعريف وقرأ نافع وابو عمرو عادا لولى بضم اللام بحركة الهمزة وبادغام التنوين في اللام
وثمودا عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا معطوف
عليه من قبل من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون
عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت
وهي قرى قوم لوط اهوى بعد ان رفعها فقلبها فغشاها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم
فباى آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول عليه الصلوة والسلام او لكل احد والمعدودات
وان كانت نعما ونقما سماها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام
للانبياء والمؤمنين هذا نذير من النذر الاولى اي هذا القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدمة
او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين ازفت الآزفة دنت الساعة الموصوفة
بالدنو في نحو قوله تعالى اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة
على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او الآن بتاخيرها الا الله عز وجل او ليس لها
كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية افمن
هذا الحديث يعني القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون
لاهون او مستكبرون من سمد البعير في سيره اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن
استماعه من السمود وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا اي واعبدوه دون الالهة عن النبي صلعم

من

من قرأ والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روى ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيمة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اي
اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله وان يروا آية يعرضوا
عن تاملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم راوا قبله آيات اخرى مترادفة
ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم
او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو
ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم
القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في
الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار
وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القرآن من الانباء من
انباء القرون الخالية او انباء الآخرة ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال
تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل
فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة
فيجوز نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او استفهام انكار اي فاي غناء تغني النذر وهو جمع نذير
المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك بان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع
اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف
وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول
القيمة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اي
يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي
التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وعاصم خشعا وانما حسن
ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم
على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة

مهطعين الى الداع مسرعين مادى اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون
هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا نوحا
فهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوا تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلى منهم قرن مكذب
تبعه قرن مكذب او كذبوه بعدما كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر
وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اى هو مجنون وقد ازدجرته
الجن وتخبطته فدعا ربه انى بانى وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب غلبنى قومى
فانتصر فانتقم لى منهم وذلك بعد ياسه منهم فقد روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه
حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء
منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر
ويعقوب ففتّحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها
عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض
وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر على حال قدرها
الله تعالى فى الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما
اخرج او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب
عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهى صفة
للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها يؤدى مؤداها تجرى باعيننا بمرأى منا
اى محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبى
نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ
لمن كفر اى للكافرين ولقد تركناها اى السفينة او الفعلة آية يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر
فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان
عذابى ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن سهلناه
او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع
المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف
كان عذابى ونذر وانذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم فى تعذيبهم انا ارسلنا عليهم
ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت فى يوم نحس شوم مستمر استمر شومه او استمر عليهم حتى

اهلكهم

اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احد او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر
تنزع الناس تقلعهم روى انهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها و
صرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز
لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتانيث فى قوله اعجاز نخل
خاوية للمعنى فكيف كان عذابى ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم
فى الآخرة كما قال ايضا فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذارات او المواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا
او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول
اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر
جمع سعير كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه
ناقة مسعورة أألقى الذكر الكتاب والوحى عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب
اشر حمله بطره على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة
من الكذاب الاشر الذى حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه وقرأ
ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر
كقولهم حذر فى حذر والاشر اى الابلغ فى الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة
مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر
على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب
محتضر يحضره صاحبه فى نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود
فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطى قتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف فكيف كان
عذابى ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبرئيل فكانوا كهشيم المحتظر كاليابس المتكسر
الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لماشيته فى الشتاء وقرئ بفتح الظاء اى كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا
تحصبهم بالحجارة اى ترميهم الا آل لوط نجيناهم بسحر فى سحر وهو آخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا
انعاما منا وهو علة لنجيناهم كذلك نجزى من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا
اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم

فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها كسايرالوجه روى انهم لما دخلوا
داره عنوة صفقهم جبرئيل صفقة فاعماهم فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم
ذوقوا على السنة الملائكة او على ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير
مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم
الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل
قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع
للادكار والاتعاظ واستينافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا
تكرير قوله فباي الاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوها ولقد جاء ال فرعون
النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا باياتنا كلها يعني الايات
التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا معشر العرب خير
من اولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله ام لكم براءة في الزبر ام
نزل لكم في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من عذاب الله ام يقولون نحن جميع
جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا يرام او منتصر من الاعداء لا يغلب او متناصر ينصر
بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجمع سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار وافراده لارادة
الجنس او لان كل احد يولي دبره وقد وقع ذلك في يوم بدر وهو من دلايل النبوة وعن عمر انه لما
نزلت قال لم اعلم ما هي فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه يلبس الدرع ويقول
سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن
طلايعه والساعة ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوايه وامر مذاقا من عذاب
الدنيا ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الاخرة يوم يسحبون في النار
على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار والمها فان مسها
سبب للتالم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته
انا كل شيء خلقناه بقدر اي انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا
في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى
هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق
بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود وما امرنا

الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة وهو كقوله كن كلمح بالبصر
في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا
اشياعكم اشباهكم في الكفر ممن كان قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب
في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في جنات
ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وبضم النون والهاء
وبضم النون وسكون الهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد
صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر
ليلة البدر

سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القران لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها
بالرحمن فقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقران وتنزيله وتعليمه فانه اساس
الدين ومنشاء الشرع واعظم الوحي واعز الكتب السماوية اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها
مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر
وما تميز به عن ساير الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي
وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها
على نهج التعديد الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما ويتسق
بذلك امور الكاينات السفلية وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم والشجر
الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان ينقادان لله تعالى فيما يريد
بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر
واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في
اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال
العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية
بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشاء اقضيته ومتنزل
احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه

ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه الصلوة والسلام بالعدل قامت
السموات والارض او ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف السماء
بالرفعة التي من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت
ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب الا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا فيه اي لا
تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا
الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به
وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها على ان الاصل ولا تخسروا
في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام
كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم
اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار والثمر والحب ذو العصف
كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني
المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان
اي وخلق الحب والريحان او واخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائي
والريحان بالخفض وما عدا ذلك بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان
قلبت واوه ياء للتخفيف فبأي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها
الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار
الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه
من تراب ونحوه وخلق الجان الجن او ابا الجن من مارج من صاف من دخان من نار بيان لمارج فانه
في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فبأي آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى
صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف
ومغربيهما فبأي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول
وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها
والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحري فارس والروم
يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض لا
يبغيان لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما

فبأي

وفتحها

كالجذع والجمار والثمرة والحب ذو العصف

بحذف

والباقون

بلغ

فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان كبار الدر وصغاره وقيل
المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب
او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب
يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان وله الجوار السفن المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات
وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج او السير في البحر كالاعلام
كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها
وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها على الارض
من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت
جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله تعالى اي الوجه الذي
يلي جهته ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما ذكرنا
قبل وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما رتب على افناء الكل من الاعادة و
الحيوة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات والارض فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم
وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا كان او غيره كل يوم
هو في شان كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شانه
ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم
السبت شيئا فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما يسعف به سؤالكما او مما يخرج لكما من مكمن العدم حينا
فحينا سنفرغ لكم ايها الثقلان اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة فانه تعالى لا يفعل فيه
غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده ساتفرغ لك فان المتجرد للشيء يكون اقوى عليه واجد
فيه وقرأ حمزة والكسائي بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن
سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فبأي آلاء ربكما
تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان
تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون
لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في
السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تقدرون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله تعالى فتعرجون عليها
بافكاركم فبأي آلاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما

باسره

لا تنفذون

بلغ

او بما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فينفذون بها الى ما فوق السموات العلى يرسل
عليكما شواظ لهب من نار ونحاس ودخان قال تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر
مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو
ويعقوب في رواية وقرئ نحس وهو جمع كصحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فباى آلاء ربكما تكذبان
فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فاذا انشقت
السماء فكانت وردة اى حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله فلئن
بقيت لارحلن بغزوة تحوى الغنايم او يموت كريم كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام
او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر فباى آلاء ربكما تكذبان مما يكون بعد ذلك فيومئذ اى فيوم تنشق السماء
لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف
ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للانس
باعتبار اللفظ فانه وان تاخر لفظا تقدم رتبة فباى آلاء ربكما تكذبان اى مما انعم الله على عباده المؤمنين في
هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام مجموعا
بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى فباى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون
يطوفون بينها بين النار يحرقون بها وبين حميم ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون
منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباى آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذى
يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد
المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ذعرت به القطا ونفيت
عنه مقام الذيب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الانسى والاخرى للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين
والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك
المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فباى
آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي
تتشعب من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فباى آلاء ربكما تكذبان
فيهما عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي والاسافل قيل احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل فباى آلاء
ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس فباى آلاء ربكما تكذبان
متكئين على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطاين كذلك فما ظنك بالظهاير ومتكئين

مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم
بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فباى آلاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فان جنتان يدل على جنان هي للخائفين
او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات
الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس
والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم فباى آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت
والمرجان اى في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما فباى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان
في العمل الا الاحسان في الثواب فباى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون تينك
الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان
خضراوان يضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين
المنبسطة على وجه الارض وعلى الاولين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فباى آلاء ربكما تكذبان
فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليان وكذا ما بعده فباى آلاء ربكما تكذبان
فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة
ودواء واحتج به ابو حنيفة رح على ان من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث فباى آلاء ربكما تكذبان
فيهن خيرات اى خيرات فخففت لان خير الذى بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان حسان الخلق والخلق
فباى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة اى مخدرة وقصورة
ومقصورة اى مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن في الخيام فباى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان كحور الاولين وهم اصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم فباى آلاء ربكما تكذبان متكئين على
رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض
خضر وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب
والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى فباى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه
مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذى
الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي عم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وآيها سبع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان
كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة حال او اى لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله تعالى او تكذب في نفيها كما تكذب الآن

واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدث
صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته عليه
وسولت له انه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقايع
العظام كذلك او بيان لما يكون ح من خفض اعداء الله تعالى ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها بنثر
الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث
ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا فتتت
حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت
هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج فاصحاب الميمنة ما
اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية
من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل او اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم
والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء
مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما
التعجب من حال الفريقين والسابقون السابقون والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق
من غير تلعثم وتوان او سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين
عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابي النجم وشعري شعري او الذين سبقوا الى الجنة اولئك المقربون في
جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت مراتبهم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين اي هم كثير من
الاولين يعني الامم السالفة من لدن آدم الى محمد صلعم وقليل من الآخرين يعني امة محمد صلعم ولا يخالف ذلك قوله
عم ان امتي يكثرون ساير الامم لجواز ان يكون سابقوا ساير الامم اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من
تابعيهم ولا يرده قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا ينافي اكثرية
احدهما وروي مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر آخر للضمير
رواه الطبراني وغيره
المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع
متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على سرر يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون ابدا
على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب اناء لا عروة له ولا خرطوم والابريق
اناء له ذلك وكاس من معين من خمر لا يصدعون عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم او لا ينفد شرابهم
وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اي لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير

مما يشتهون يتمنون وحور عين عطف على ولدان او مبتدا محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرأ
حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة حور او على اكواب
لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون حورا
كامثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون اي يفعل ذلك
كله بهم جزاء لاعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تاثيما ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال لهم اثمتم الا قيلا
قيلا اي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله
بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام
على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا
قطعه او مثني اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او
ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه وظل
ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب او مصبوب
سائل كانه لما شبه حال السابقين في التنعم باعلى ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما
يتمناه اهل البوادي اشعارا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا ينقطع في وقت
ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش
النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه قوله انا انشاناهن انشاء اي ابتدأناهن ابتداء جديدا
من غير ولادة ابداء او اعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا
جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلناهن ابكارا عربا
متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وروي عن نافع وحفص مثله اترابا فان كلهن
بنات ثلث وثلثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين متعلق بانشانا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر
لمحذوف مثل هن او لقوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وهي على الوجه الاول خبر محذوف
اصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل
من يحموم من دخان اسود يفعول من الحممة لا بارد كساير الظل ولا كريم ولا نافع نفي بذلك ما
اوهم الظل من الاستراوح انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون على
الحنث العظيم الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة وحنث في
يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا تأثم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون

الهرطي المستحب لكل من يلقي البذر في الارض ان يقول بعد الاستعاذة افرايتم ما تحرثون الاية
ثم يقول بل الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وارزقنا ثمره وجنبنا
ضرره واجعلنا لانعمك من الشاكرين ويقال ان هذا القول امان لذلك الزرع من جميع
الآفات الدود والجراد وغير ذلك سمعناه من ثقة وجرب فوجد كذلك

كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله او اباؤنا
الاولون للدلالة على ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في
لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله في الصافات والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون
لا هو للفصل بان والهمزة قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا
وحد من يوم معين عند الله تعالى معلوم له ثم انكم ايها الضالون المكذبون اي بالبعث والخطاب
لاهل مكة واضرابهم لآكلون من شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون
منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش وتانيث الضمير في منها
وتذكيره في عليه حملا على المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها
فشاربون شرب الهيم الابل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم وهيماء
قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل الرمال على انه
جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل
من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وحمزة وعاصم بضم الشين
هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله تعالى فبشرهم
بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق
متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة افرأيتم
ما تمنون اي ما تقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها ءانتم تخلقونه
تجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمنا عليكم واقتنا موت كل بوقت معين
وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا
احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة لقدرنا وعلى معنى اللام وما نحن
بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان
امثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون في خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا
تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء
وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس افرأيتم ما تحرثون تبذرون حبه ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون
المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه
او على ما اصبتم لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير

للتنقل

للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون
لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر ائنا على الاستفهام بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او محدودون لا
مجدودون افرأيتم الماء الذي تشربون اي العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن من السحاب
واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى
العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا او من الأجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة
بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص ما
يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب بمزيد التاكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية افرأيتم
النار التي تورون تقدحون ءانتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن
جعلناها تذكرة جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث كما مر في سورة يس او في الظلام
او تذكيرا او انموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت
بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث
التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر
بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون
لنعمته او للتعجب من امرهم في غمط نعمه او الشكر على ما عدها من النعم فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج
الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء
ويدل عليه انه قرئ فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب
لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تاثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن
ومواقعها اوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائي بموقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به
من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى
وهو اعتراض في اعتراض فانه اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الصفة والموصوف
انه لقرآن كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي في جنسه
في كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات
الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي او لا يطلبه الا
المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي
انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة للقرآن

وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اى نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعنى القران انتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن
فى الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون اى شكر رزقكم انكم تكذبون اى لمانحه حيث تنسبونه الى الانواء
وقرئ شكركم اى تجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به وتكذبون اى بقولكم فى القرآن انه سحر او شعر او فى
المطر انه من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم اى النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو
للحال ونحن اقرب اليه ونحن اعلم اليه اى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذى هو اقوى سبب الاطلاع ولكن
لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجرى عليه فلولا ان كنتم غير مدينين اى مجزيين يوم القيمة او مملوكين
مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس الى
مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتاكيد وهى بما فى حيزها دليل جواب الشرط
والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين فى تعطيلكم
فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان من المقربين اى ان كان المتوفى من السابقين
فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحيوة المرحوم وبالحيوة الدائمة وريحان
ورزق وجنة نعيم ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين
اى من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين الضالين يعنى اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم
زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد فى القبر من سموم
النار ودخانها ان هذا اى هذا الذى ذكر فى هذه السورة او فى شان القران لهو حق اليقين اى حق الخبر
اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه عن النبى صلعم من قرا
سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مدنية وقيل مكية واياتها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات
والارض ذكر ههنا وفى الحشر والصف بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان
من شان ما اسند اليه ان يسبحه فى جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجئ المصدر
مطلقا فى بنى اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شئ وفى كل حال وانما عدى
باللام وهو متعد بنفسه مثل نصحت له فى نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه وهو
العزيز الحكيم حال تشعر بما هو المبدا للتسبيح له ملك السموات والارض فانه الموجد لهما والمتصرف فيهما
يحيى ويميت استيناف او خبر لمحذوف او حال من المجرور فى له وهو على كل شئ قدير من الاحياء والاماتة و
غيرهما قدير تام القدرة هو الاول السابق على ساير الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها والآخر الباقى بعد

فنائها

فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذى يبتدى منه الاسباب والآخر الذى تنتهى
اليه المسببات او الاول خارجا والآخر ذهنا والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة
ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شئ والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين
والمتوسط للجمع بين المجموعين وهو بكل شئ عليم يستوى عنده الظاهر والخفى هو الذى خلق السموات
والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما
ينزل من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال
والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات والارض
ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار
فى الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
من الاموال التى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيها فهى بالحقيقة له لا لكم او التى استخلفكم عمن قبلكم فى
ملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم
اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير
وتنكير الاجر ووصفه بالكبير وما لكم لا تؤمنون بالله اى وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك
قايما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول
يدعوكم اليه بالحجج والآيات وقد اخذ ميثاقكم اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك بنصب الادلة
والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرا ابو عمرو على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين لموجب ما
فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم اى الله تع او العبد من الظلمات
الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرءوف رحيم حيث نبهكم بالرسول والآيات ولم
يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا واى شئ لكم فى ان لا تنفقوا فى سبيل الله فيما يكون
قربة اليه ولله ميراث السموات والارض يرث كل شئ فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه
بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك
اعظم درجة بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحرى الحاجات
حثا على تحرى الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه
ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اى من بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى اى وعد الله كلا من المنفقين

المثوبة الحسنى وهي الجنة وقراء ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اى وكل وعده الله ليطابق ما عطف عليه والله
بما تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت في ابى بكر رضه فانه اول من آمن وانفق
في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا
من ذا الذى ينفق ماله في سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص
فيه وتحرى اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اى يعطى اجره اضعافا وله اجر كريم اى وذلك
الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغى ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد تضاعف
وقراء عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكانه قال ايقرض الله احد
فيضاعفه له وقراء ابن كثير يضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب يضعفه منصوبا يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعف او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب
نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحايف اعمالهم من
هاتين الجهتين بشريكم اليوم جنات اى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشريكم اى المبشر
به جنات او بشريكم دخول جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز
العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنان المخلد يوم يقول المنافقون والمنافقات
بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا انظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او
انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم
وقراء حمزة انظرونا على ان اتيادهم ليلحقوا بهم امهلونا نقتبس من نوركم نصب منه قيل ارجعوا
وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد
منها او الى الموقف فانه من ثمه يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا
وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور
بحايط له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه يلى الجنة و
ظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلى النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في
الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدواير وارتبتم وشككتم
في الدين وغرتكم الامانى كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان
او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقراء ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا
ظاهرا وباطنا ماويكم النار هي موليكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى

فيجازيكم

ضعافا

بالجنات

من النظره وهو الانتظار

والكافرين

اى اولى بالمخافة

المخافة

المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اى مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة
الكرم اى مكان قول القايل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولى وهو القرب او ناصركم على طريقة
قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم يتوليكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير
النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت وقته يقال انى الامر يأنى انيا
وانا وانا اذا جاء اناه وقرئ الم يئن بالهمزة بمعنى انى والما يأن روى ان المؤمنين كانوا مجدبين
بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اى القرآن
وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله تعالى وقراء
نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل
عطف على ان تخشع وقراء رويس بالتاء والمراد النهى عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله
فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اى فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم وآمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم
فقست قلوبهم اى فطال وقرئ الامد وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون
عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها
تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع
وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون لكى يكمل عقلكم ان المصدقين والمصدقات
ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بهما وقراء ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اى الذين
صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه
الذين اصدقوا او صدقوا الله وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص
يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند
الى لهم او الى ضمير المصدر والذين آمنوا بالله ورسله والقايمون بالشهادة لله تع ولهم او على الامم
يوم القيمة وقيل والشهداء عند ربهم مبتداء وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا
جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله تع لهم اجرهم ونورهم مثل اجر
الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور
الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في
النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة
عرفا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد

من تحرى

ما يسمى الاحمر الافعى / اى ما بين / اى بابين

وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى انى

دين

اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اى اولئك عند الله بمنزلة الصديقين و الشهداء او هم المبالغون في الصدق فانهم آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله تع ورسله

لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل به الى الفوز الآجل بان بين انها
امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيا
في الملاعب من غير فايدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب
البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث
اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة
جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون بالله تع لانهم اشد
اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا راى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى
فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور
الآخرة بقوله وفي الآخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة
العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اقبل عليها ولم
يطلب الآخرة بها سابقوا سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة
عرضها كعرض السماء والارض اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به
البسطة كقوله فذو دعاء عريض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان
الايمان وحده كاف في استحقاقه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء
من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة
في الارض كجدب وعاهة ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله تع
من قبل ان نبراها نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او الانفس ان ذلك ان ثبته في كتاب على الله
يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تاسوا اي اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من
نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتيكم بما اعطاكم الله تع منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقراء
ابو عمرو بما اتيكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت و
طباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع عن
التسليم لامر الله تع والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور
اذ قل من يثبت نفسه حالي الضراء والسراء الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من كل مختال
فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتداء خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني
الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره

الاعراض

الاعراض عن شكره والتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق
لمصلحة المنفق وقراء نافع وابن عامر فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى
الانبياء او الانبياء الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب ليتبين الحق ويميز
صواب العمل والميزان ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط وانزاله
انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الى نوح ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة
ويدفع به الاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه باس شديد فان آلات الحروب متخذة منه ومنافع
للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة في مجاهدة
الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف
اي انزله ليعلم الله تع بالغيب حال من المستكن في ينصره ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه
عزيز لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد
ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم
الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او فمن المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا
مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة
في الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي
ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عم والضمير لنوح وابرهيم عليهما السلام ومن
ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية واتيناه
الانجيل وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه
رافة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية ابتدعوها اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها او رهبانية
مبتدعة على انها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس
منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كانها
منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء
رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها
عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود
منه مجرد حصول مرضاة الله تع وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او
ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لانهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها اي

فما رعوا جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول باتخاذ الولد وقصد السمعة والكفر بمحمد صلعم فاتينا
الذين امنوا اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقها ومن ذلك الايمان بمحمد صلعم منهم من المتسمين باتباعه
اجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع يا ايها الذين بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما
نهيكم عنه وآمنوا برسوله محمد صلعم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد صلعم وايمانكم بمن قبله
ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذى
كانوا فى عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم او الهدى الذى يسلك به الى
جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اى ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكى يعلم ولان
يعلم بادغام النون فى الياء اهل الكتاب الا يقدرون على شئ من فضل الله ان هى المخففة والمعنى انهم لا ينالون
شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون
على شئ من فضله فضلا عن ان يتصرفوا فى اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا ويؤيده قوله وان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل
الكتاب انه لا يقدر النبى عم والمؤمنون به على شئ من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا
على لئلا يعلم وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت وادغم النون فى اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا
على ان الاصل فى الحروف المفردة الفتح عن النبى صلعم من قراء سورة الحديد كتب من الذين امنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكى والباقى مدنى وايها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها
وتشتكى الى الله روى بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلعم
فقال حرمت عليه فقالت ما طلقنى فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله تع فنزلت
هذه الايات الاربع وقد يشعر بان الرسول عم او المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكويها ويفرج
عنها كربها وادغم حمزة والكسائى وابو عمرو وهشام دالها فى السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما
الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظهرون منكم من نسائهم
الظهار ان يقول الرجل لامراته انت على كظهر امى مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم
اخر وفى منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرا
ابن عامر وحمزة والكسائى يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر ما هن امهاتهم اى
على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم فلا تشبه بهن فى الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات

وازواج

وازواج الرسول صلعم وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة
من ينصب وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع وزورا محرفا عن الحق فان المزوجة لا تشبه
الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه والذين يظاهرون من نسائهم ثم
يعودون لما قالوا اى الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه
وذلك عند الشافعى رح بامساك المظاهر عنها فى النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه
يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابى حنيفة رحمه باستباحة
استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك رح بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار
فى الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون فى الجاهلية وهو
قول الثورى رح او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابى مسلم او
الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة اى فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة
والفاء للسببية ومن فوايدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان
عندنا قياسا على كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها
بالاخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم
اى ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه والله بما
تعملون خبير لا يخفى عليه خافية فمن لم يجد اى الرقبة والذى غاب ماله واجد فصيام شهرين متتابعين
من قبل ان يتماسا فان افطر بغير عذر لزم الاستيناف وان افطر بعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر
عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابى حنيفة ومالك رحمهما الله فمن لم يستطع اى الصوم لهرم او
مرض مزمن او شبق مفرط فانه عم رخص للاعرابى المفطر ان يعدل لاجله فاطعام ستين مسكينا
ستين مدا بمد رسول الله صلعم وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل فى الكفارات وجنسه المخرج فى الفطرة
وقال ابو حنيفة رح يعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام
اكتفاء بذكره مع الاخرين او لجوازه فى خلال الطعام كما قال ابو حنيفة رح ذلك اى ذلك البيان او التعليم
للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله اى فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله
فى قبول شرايعه ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين اى
الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ان الذين يحادون
يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعادين فى حد غير حد الاخر او يضعون او يختارون

حدودا غير حدوده بما كبتوا كما كبت اخزوا او اهلكوا واصل الكبت الكب الذين من قبلهم يعني كفار
الامم الماضية وقد انزلنا آيات بيّنات تدل على صدق الرسول وما جاء به وللكافرين عذاب
مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم لا يدع احدا
غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم بما عملوا اي على رؤس الخلايق تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم احصيه الله
احاط به علما عددا لم يغب عنه شيء ونسوه لكثرته او تهاونهم به والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء
الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلثة ما يقع من تناجي
ثلثة ويجوز ان يقدر مضاف او يأول نجوى بمتناجين ويجعل ثلثة صفة لها واشتقاقها من النجوة
وهي ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم
الا الله تعالى يجعلهم اربعة من انه مشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة
ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت
في تناجي المنافقين ولان الله تعالى وتر يحب الوتر والثلثة اول الاوتار او لان التشاور لا بد له من
اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار
يتناجون او بتاويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر
الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل لا ادنى
بان جعل لا لنفي الجنس اينما كانوا فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة
ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ان الله بكل شيء عليم
لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى كل الاشياء على سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما
نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم
رسول الله صلعم ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي بما هو اثم وعدوان
للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول عم وقرأ حمزة وينتجون وروي عن يعقوب مثله وهو يفتعلون من
النجوى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه
يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا
بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها وبئس المصير جهنم يا ايها الذين امنوا
اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كما يفعل المنافقون وعن يعقوب فلا
تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله الذي اليه

تحشرون

تحشرون فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه انما النجوى اي النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان
فانه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين امنوا بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس بضارهم
الشيطان او التناجي بضارهم بضار المؤمنين شيئا الا باذن الله الا بمشيته وعلى الله فليتوكل
المؤمنون ولا يبالوا بنجويهم يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح
بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم
بالجمع او مجلس رسول الله صلعم فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع
كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها
واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كصلوة او جهاد او ارتفعوا في المجلس فانشزوا
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر وحسن
الذكر في الدنيا وايوائهم غرف الجنان في الآخرة والذين اوتوا العلم درجات ويرفع
العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضي
للعمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل
العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن
لم يمتثل الامر او استكرهه يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم
صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم للرسول عم وانفاع
للفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب
الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله ااشفقتم ان تقدموا وهو
وان اتصل به تلاوة لم يتصل نزولا وعن علي رض ان في كتاب الله آية ما عمل بها احد غيري كان
لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح
في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا
ساعة ذلك اي ذلك التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الزينة وحب المال وهو مشعر
بالندبة لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم لمن لم يجد حيث رخص له في المناجات بلا
تصدق ادل على الوجوب ااشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات اخفتم الفقر من تقديم
الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة
التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم

ذنب تجاوز الله عنه لما راى منهم ما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلوة واتوا
الزكوة فلا تفرطوا فى ادائهما واطيعوا الله ورسوله فى ساير الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط فى
ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر الى الذين تولوا والوا من الموالاة قوما غضب الله عليهم
يعنى اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء
الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفى هذا التقييد دليل على ان
الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروى انه عم كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل
عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان
ازرق فقال عم علام تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت
اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل واصروا
عليه اتخذوا ايمانهم اى التى حلفوا بها وقرئ بالكسر اى ايمانهم الذى اظهروه جنة وقاية دون
دمائهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس فى خلال امنهم عن دين الله بالتحريش
والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب
الآخرة لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اى لله تعالى على انهم مسلمون ويقولون كما يحلفون
لكم فى الدنيا انهم منكم ويحسبون انهم على شئ لان تمكن النفاق فى نفوسهم بحيث يخيل اليهم فى
الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله تع كما تروجه عليكم فى الدنيا الا انهم هم الكاذبون
البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم
الشيطان استولى عليهم من حذت الابل وحزتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل
فانسيهم ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه الا
ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب
المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين فى جملة من هو اذل خلق الله تعالى كتب
الله فى اللوح لاغلبن انا ورسلى بالحجة وقرا نافع وابن عامر ورسلى بفتح الياء ان الله قوى على نصر
انبيائه عزيز لا يغلب عليه فى مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد
الله ورسوله اى لا ينبغى ان تجدهم وادين اعداء الله تع والمراد انه لا ينبغى ان يوادوهم ولو كانوا اباءهم
او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم اولئك اى الذين لم يوادوهم

كتب

كتب فى قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب
يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم بروح منه اى من عند الله وهو نور القلب او القرآن
او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحيوة القلب ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها رضى الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب الله جنده وانصار
دينه الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبى صلعم من قرا سورة المجادلة
كتب من حزب الله تع يوم القيمة

سورة الحشر مدنية وايها اربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات وما فى الارض
وهو العزيز الحكيم روى انه عم لما قدم المدينة صالح بنى النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه
فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبى المنعوت فى التورية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا
ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صلعم
اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا اكثرهم
الى الشام ولحقت طايفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح الى قوله والله على كل شئ قدير هو الذى
اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اى فى اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم
يصبهم هذا الذل قبل ذلك او فى اول حشرهم للقتال والجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر رض
اياهم من خيبر اليه او فى اول حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم اليه فانهم يحشرون اليه عند قيام
الساعة فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان
الى آخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اى ان
حصونهم تمنعهم من باس الله تع وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على
فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم
فاعلا لمانعتهم فاتيهم الله اى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين
اى فاتيهم نصر الله وقرئ فآتيهم مدا اى العذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا القوة وثوقهم
وقذف فى قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذى يرعبها اى يملاؤها يخربون بيوتهم بايديهم
ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها وايدى المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون
ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب
عن بغضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرا ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو

ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشئ خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا
اولى الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله تع واستدل به على ان القياس
حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها لما بينهما من المشاركة المقتضية في حكم
له على ما قررناه فى الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم لعذبهم
فى الدنيا بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة ولهم فى الآخرة عذاب النار استيناف معناه انهم
ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن
يشاق الله فان الله شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما
هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة اى شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون
ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها اليان او تركتموها الضمير
لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها وقرئ اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو
او على انه كرهن فباذن الله فبامر الله تع وليخزى الفاسقين علة لمحذوف اى فعلتم او واذن
لكم فى القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روى انه عم لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت
تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار
الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله وما اعاده عليه بمعنى صيره
له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تع خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم
ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم من بنى النضير او من الكفرة فما
اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب ما
يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فىء بنى النضير فلان
قريهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلعم فانه ركب جملا
او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلثة كانت بهم حاجة ولكن
الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب فى قلوبهم والله على كل شئ قدير فيفعل ما يريد تارة
بالوسايط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك
لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف فى
قسم الفىء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله تع فى عمارة الكعبة وساير المساجد وقيل
يخمس لان ذكر الله تع للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول صلعم الى الامام على قول والى العساكر

والثغور

والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عم كان يقسم
الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور كيلا يكون اى
الفىء الذى حقه ان يكون للفقراء دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء
ويدور بينهم كما كان فى الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفىء ذا تداول بينهم دولة بالرفع
على كان التامة اى كيلا يقع دولة جاهلية وما اتيكم الرسول وما اعطاكم من الفىء او من الامر
فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهيكم عنه عن اخذه منه او عن اتيانه
فانتهوا عنه واتقوا الله فى مخالفة رسوله عم ان الله شديد العقاب لمن خالف للفقراء
المهاجرين بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول عم لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء
ذوى القربى خصص الابدال بما بعده او الفىء بفىء بنى النضير الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم
فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم
بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون
الذين ظهر صدقهم فى ايمانهم والذين تبوؤا الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار
فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف
المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوؤا الدار واخلصوا الايمان
كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانه مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين
وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون فى صدورهم
فى انفسهم حاجة ما يحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا اعطى المهاجرون من الفىء وغيره
ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء
وهى فرجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم
المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل والذين جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد حين قوى
الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت
جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا
غلا للذين امنوا حقدا لهم ربنا انك رؤف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين بينهم وبينهم الكفر او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من
دياركم لنخرجن معكم فى قتالكم او خذلانكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا اى رسول الله صلعم والمسلمين وان قوتلتم

لننصرنكم لنعاونكم والله يشهد انهم لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم
ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على
صحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما ثم لا ينصرون
بعد بل يخذلهم الله ولا ينفع نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون
للمنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول في صدورهم فانهم كانوا يضمرون
مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله
ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله تعالى حتى يخشونه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق
بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا مجتمعين الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق
او من وراء جدر لفرط رهبتهم بأسهم بينهم شديد اي ليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد
بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل يقذف الله الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا
حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقائدهم
واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن
قواهم كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم
اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل
اذ التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم ولهم عذاب اليم في الآخرة
~~كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراء على الكفر~~ اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور فلما كفر قال اني بريء
منك تبرأ عنه مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله رب
العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد من الانسان
الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس عليهما اللعنة يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم
وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما على ان انهما الخبر لكان وخالدان على انه
الخبر وفي النار لغو يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة
سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة كغده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال
الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير
للتاكيد او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله

ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه
فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة
من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار
واصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم فاستاهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار
واحتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم
لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتخييل
كما مر في قوله انا عرضنا الامانة على السموات ولذلك عقبه بقوله وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على
عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا
على الادغام هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ما غاب
عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقدم
الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية
هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ
بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة
المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب
الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه
على ما اراد او جبر حالهم بمعنى اصلحه المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة ونقصانا
سبحان الله عما يشركون اذ لا يشاركه في شيء من ذلك هو الله الخالق المقدر للاشياء
على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت المصور الموجد لصورها
وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتابي
المسمى بمنتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعاني يسبح له ما في السموات والارض
ينزهه عن النقايص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة
والعلم عن النبي عم من قرأ سورة الحشر غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تاخر

سورة الممتحنة مدنية وايها ثلث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله صلعم يغزو اهل مكة

كتب اليهم ان رسول الله صلعم يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل
جبرئيل عم فبعث رسول الله صلعم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال
انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوا منها
وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثم فجحدت فسل علي السيف فاخرجته من
عقيصتها فاستحضر رسول الله صلعم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت
وما غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس فيهم من يحمي اهلي فاردت
ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلعم وعذره
تلقون اليهم بالمودة تفضون اليهم المودة بالكتابة والباء مزيدة او اخبار رسول الله صلعم
بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هي له
فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم
من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو حال من
كفروا او استيناف لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب
والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم عن
اوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط
محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استيناف معناه
اي طايل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم
اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية ومن يفعله منكم اي
يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطاه ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا
ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ما يسوءكم كالقتل والشتم
وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا
ذلك قبل كل شيء وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا
اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من
الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرا حمزة
والكسائي بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وعاصم يفصل وقراء ابن عامر يفصل على البناء
للمفعول مع التشديد وهو بينكم والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة

حسنة

حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في ابرهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم
لغو او حال من المستكن او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم ظرف
لخبر كان انا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفا ومما تعبدون من دون الله كفرنا
بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه ولا نعتد بشانكم والهتكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء الفة
ومحبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره
لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان يأتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك
لك من الله من شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه
ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمومنين بان
يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلايق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين
كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله واغفر لنا ما فرط ربنا انك انت العزيز
الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان فيهم اسوة
حسنة تكرير لمزيد الحث على التاسي بابرهيم عم ولذلك صدره بالقسم وابدل قوله
لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر بدل من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك
التاسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو
الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم
الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله غفور
رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهيكم عن مبرة هؤلاء لان قوله ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا
اليهم تفضوا اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب المقسطين العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى
قدمت مشركة على بنتها اسما بنت ابي بكر رضه الله عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت
انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم
كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل
من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير موضعها

يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة
قلوبهن في الايمان الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات
العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا
بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله لاهن
حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاول لحصول الفرقة والثاني
للمنع عن الاستيناف واتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية
جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن
اذ روي انه عم كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل
زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فاستحلفها رسول الله صلعم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق
وتزوجها عمر رضي الله عنهما ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن
الكفار اذا اتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن
لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما يعتصم به الكافرات من عقد وسبب
جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسكوا
بالتشديد واسئلوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا ما انفقوا
من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الاية يحكم بينكم استيناف
او حال من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما
تقتضيه حكمته وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد من ازواجكم وقد
قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم او شيء من مهورهن الى الكفار
فعاقبتم فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك
تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره
فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روي
انه لما نزلت الاية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهور الكوافر فنزلت وقيل معناه
ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى بالغنيمة فاتوا بدل الفائت من الغنيمة واتقوا الله
الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به مما يقتضي التقوى منه يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات
يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عم لما فرغ من بيعة الرجال اخذ

في

في بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد وأد البنات ولا
يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة تأمرهن
بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول صلعم لا يأمر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق
في معصية الخالق فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر
لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة
الكفار او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا
من ثمارهم قد يئسوا من الاخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول
المنعوت في التورية المؤيد بالايات كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا
او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر ايسهم عن
النبي صلعم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مدنية وقيل مكية واياتها اربع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها الذين
امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا
فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله فولوا يوم احد
فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما
واعتنا قهما في الدلالة على المستفهم عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت
اشد البغض ونصبه على التميز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر
دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين
مصدر وصف به كانهم بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في
الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر
باذكر او كان كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله
اليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه
وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى
الصواب والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة واذ قال
عيسى بن مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى عليهما السلام لانه لا نسب له فيهم

انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التورية ومبشرا فى حال تصديقى لما تقدمنى
من التورية وتبشيرى برسول ياتى من بعدى والعامل فى الحالين ما فى الرسول من معنى
الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه احمد يعنى محمدا صلعم والمعنى دينى
التصديق بكتب الله تع وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذى حكم به النبيون والنبى الذى
هو خاتم المرسلين عليهم السلام فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او
اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائى هذا ساحر على ان الاشارة الى
عيسى عم ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اى لا احد اظلم ممن يدعى
الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضى له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله
بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفى ونفى الثابت وقرئ يدعى يقال
دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدى القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم
يريدون ليطفئوا اى يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا لها كما
زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها فى لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله
بمعنى اللام التعليلية فى مثل جئتك لاكرامك
يعنى دينه او كتابه او حجته بافواههم بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه
وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بالاضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذى
ارسل رسوله بالهدى ودين الحق بالقرآن او المعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره
على الدين كله ليغلبه على جميع الاديان ولو كره المشركون لما فيه من محض التوحيد وابطال
الشرك يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرا ابن عامر تنجيكم
بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف
مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدى الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جئ
بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعنى ما ذكر من الايمان والجهاد ان كنتم
تعلمون ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول
عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل
تقبلون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة ويدخلكم
جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة
الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى

النبيين

عاجلة

عاجلة محبوبة وفى تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة
باضمار يعطكم او تحبون او مبتداء خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى
قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص
او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا
وبشر او على تؤمنون فانه فى معنى الامر كانه قال امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم
يا رسول الله بما وعدتهم عليه آجلا وعاجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله
كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله اى من جندى متوجها الى نصرة
الله تع ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين
الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه
باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا كما كان الحواريون حين
قال لهم عيسى عم من انصارى الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به
من الحور وهو البياض وكانوا اثنا عشر رجلا فامنت طائفة من بنى اسرايل
وكفرت طائفة اى بعيسى عم فايدنا الذين امنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب
وذلك بعد رفع عيسى عم فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين عن النبى عم
من قرا سورة الصف كان عيسى عم مصليا عليه مستغفرا له ما دام فى الدنيا
وهو يوم القيمة رفيقه سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشر
بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما فى السموات
وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع
على المدح هو الذى بعث فى الاميين اى فى العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا
يقرؤن رسولا منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم
لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب و
الحكمة القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه
معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية
وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبى يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول عم تعلم ذلك
من معلم وان هى المخففة واللام تدل عليها وآخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب

أى

وفي تعليمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم القيمة فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا
بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره
وتعليمه ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء تفضلا
وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة مثل الذين حملوا التورية
علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا
من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد
من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي مثل الذين كذبوا وهم المكذبون
بآيات الله الدالة على نبوة محمد صلعم ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم
محذوف والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اولياء
لله من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا
من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم ولا
يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين
فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت الذي تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة
ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم
معنى الشرط باعتبار الوصف فكان فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغير فاء ويجوز
ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة اي اذن
لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وكانت العرب
تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها
رسول الله صلعم انه لما قدم المدينة نزل قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى
الجمعة في دار لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا
فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلوة والامر بالسعي اليها يدل على
وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اي السعي الى ذكر الله تعالى خير لكم
من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين
او كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض

وابتغوا

وابتغوا من فضل الله اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي
الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة
اخ في الله تعالى واذكروا الله كثيرا واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم
تفلحون بخير الدارين واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي انه عم كان يخطب
للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثني عشر فنزلت وافراد التجارة
برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير
والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته او للدلالة على ان
الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض
الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا رأوا لهوا انفضوا
[illegible] اليه وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو
ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما يتوهمون من نفعهما والله خير
الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي صلعم من قرأ سورة
الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في
امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو
الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله
والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يعتقدوا
ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف
في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله
صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك اشارة الى
الكلام المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة
من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم آمنوا بسبب انهم آمنوا ظاهرا
ثم كفروا سرا او آمنوا اذا رأوا آية ثم كفروا حيث ما سمعوا من شياطينهم
شبهة وطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون

حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها
وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر
مجلس رسول الله في جمع مثله فيعجب بهيكلهم ويصغى الى كلامهم كانهم خشب مسندة
حال من الضمير المجرور في لقولهم اي تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة
مسندة الى الحايط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء
وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر وقراء ابو عمرو
والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن في
جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي
يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل
وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين
قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم
بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله
لووا رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك ورايتهم يصدون يعرضون
عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين
الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق هم الذين يقولون
اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله يعنون فقراء المهاجرين حتى
ينفضوا ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين
لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب
الاعرابي راسه بخشبة فشكى الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى
ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل
رسول الله صلعم وقرئ بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون
ونصب الاعز والاذل على هذه القراءات مصدر او حال على تقدير مضاف كخروج
او اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لله الغلبة والقوة ولمن اعزه

من

من رسول الله صلعم والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم
يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام
بها عن ذكره كالصلوة وساير العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها
وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اي اللهو بها وهو الشغل
فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم
بعض اموالكم ادخارا للآخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت اي يرى دلايله فيقول
رب لولا اخرتني الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين
بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقراء ابو عمرو واكون
منصوبا عطفا على اصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح
ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها آخر عمرها والله خبير بما
تعملون فمجاز عليه وقراء ابو بكر بالياء ليوافق ما قبله عن النبي صلعم من قراء
سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثمان عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له
الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث
الحقيقة وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على
سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه
اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون
بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة
وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث
زينكم بصفوة اوصاف الكاينات وخصكم بخلاصة خصايص المبدعات
وجعلكم انموذج انموذج جميع المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرايركم حتى
لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما
تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا
لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحده وتقديم القدرة على العلم لان دلالة

المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيهما من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم ياتكم ايها الكافرون نباء الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح عليهم السلام فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام تثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الاخرة ذلك اى المذكور من العذاب والوبال بانه بسبب ان الشان كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله عن كل شئ فضلا عن طاعتهم والله غنى عن عبادتهم حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان مع في حيزه قل بلى اى تبعثون وربى لتبعثن قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فامنوا بالله ورسوله محمد صلعم والنور الذى انزلنا يعنى القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقراء يعقوب نجمعكم بالنون ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقى هو التغابن فى امور الآخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اى عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقراء نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك اشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كانها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمزة اى يسكن والله بكل شئ عليم حتى القلوب واحوالها

واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين اى فان توليتم فلا باس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضى ذلك يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم فى امر الدين او الدنيا فاحذروهم ولا تامنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى لهم فاتقوا الله ما استطعتم اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا فى وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اى افعلوا ما هو خير لها تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف تقديره انفاقا خيرا او خبر الكان مقدر جوابا لهذه الاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف المال فيما امر به قرضا حسنا مقرونا باخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر وقراء ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور يعطى الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شئ العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبى صلعم من قراء سورة التغابن رفع عنه موت الفجاة

سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبى اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن اى وقتها وهو الطهر فان اللام فى الازمان وما يشبهها للتاقيت ومن عد بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغى ان يكون فى الطهر وانه يحرم فى الحيض من حيث ان الامر بالشئ يستلزم النهى عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهى لا يستلزم

الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رضه لما طلق امراته حايضا امره عليه السلام بالرجعة وهو
سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلثة اقراء واتقوا الله ربكم في تطويل
العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي
عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفي
الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله
الا ان ياتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه
كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة
في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله اشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد
حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري اي النفس او انت ايها النبي او المطلق
لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استيناف فاذا بلغن
اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق
مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها
تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا
للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي رح وجوبه في الرجعة
واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه ذلكم يريد الحث على
الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فانه
المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق
في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله تعالى وكتمان
الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من المضايق
والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص
عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عند
ذكر المؤمنين وعنه عم اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقراها
ويعيدها وروي ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله
صلعم فقال اتق الله واكثر لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب

قال

قال ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقه وفي رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع
ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريد ولا يفوته مراد وقرا حفص
بالاضافة وقرئ بالغ امره اي نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا
او مقدارا او اجلا لا يتاتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت الطلاق
بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سياتي من مقاديرها واللائي يئسن من المحيض من
نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اي جهلتم فعدتهن ثلثة اشهر روي انه لما نزل
والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء قيل فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت واللائي لم
يحضن اي واللائي لم يحضن بعد كذلك واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن
وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم
قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا
بالعرض والحكم معلل ههنا بخلاف ثم ولانه صح ان سبيعة بنت الحرث وضعت بعد وفاة زوجها
بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلعم فقال عم قد حللت فتزوجي ولانه متاخر النزول فتقديمه
في العمل تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول ارجح للوفاق عليه ومن يتق الله
في احكامه فيراعي حقوقها يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ذكر
من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته فان
الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا
من سكناكم من وجدكم من وسعكم اي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا
تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن
حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من
المعتدات والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن اجورهن
على الارضاع وأتمروا بينكم بمعروف وليامر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر وان تعاسرتم
تضايقتم فسترضع له اخرى امراة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته
ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتيه الله اي فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف
الله نفسا الا ما آتيها فانه تع لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له
باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكاين من قرية اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله

اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة
وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت
وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا
تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور به في قوله فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يكون المراد
بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحايف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين آمنوا قد انزل الله
اليكم ذكرا رسولا يعني بالذكر جبرئيل عم لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القرآن او لانه مذكور في السموات
او ذا ذكر اي شرف او محمدا صلعم لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا
او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر
مثل ارسل او ذكرا والرسول مفعوله او بدله على انه بمعنى الرسالة يتلو عليكم آيات الله مبينات حال من اسم الله
او صفة رسولا والمراد بالذين في قوله ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من
الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم وقدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله
ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد
احسن الله له رزقا فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتداء وخبر ومن الارض
مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله
وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما علة لخلق او يتنزل
او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه عن النبي صلعم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة
رسول الله صلعم

سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه عم خلا بمارية في يوم عائشة او حفصة رضي الله عنهما فاطلعت
على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت ... عائشة وسودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي
مرضات ازواجك تفسير لتحرم او حال من فاعله او استيناف ببيان الداعي اليه والله غفور لك هذه الزلة
فانه لا يجوز تحريم ما احل الله تع رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة
ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشية حتى لا تحنث من قولهم حلل في
يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين
فيه كونه يمينا مع احتمال انه عم اتى بلفظ اليمين كما قيل والله مولاكم متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله
واحكامه واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا تحريم مارية القبطية او العسل او ان الخلافة بعده لابي بكر وعمر رض

فلما نبأت به اي فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث واظهره الله عليه واطلع النبي صلعم على الحديث اي على افشائه
عرف بعضه عرف الرسول عم حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرما او جازاها على بعضه
بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق
اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير فانه
اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لعائشة وحفصة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد
وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول عم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان
تظاهرا عليه وان تتظاهرا بما يسوءه وقرأ الكوفيون بالتخفيف فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم من
يظاهره من الله تع والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رأس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين
اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون وتخصيص جبرئيل عم لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك
عم بالاضافة وقوله بعد ذلك ظهير تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله تع به عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن
لان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع وابو عمرو يبدله بالتخفيف مسلمات
مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات عن
الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول عم سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار
بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات
على الثيبات والابكار يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بالنصح والتاديب
وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين نارا وقودها الناس و
الحجارة نارا تتقد بها اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلي امرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد
الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون
ما يؤمرون فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا
لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لانه لا عذر لهم
او العذر لا ينفعهم يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا بالغة في النصح وهو صفة للتائب فانه ينصح نفسه بالتوبة
وصفت به على الاسناد المجازي مبالغة او في النصاحة وهي الخياطة كانها تنصح ما خرق من الذنب وقرأ ابو بكر
بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح
او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل علي رض عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب

الندامة وتلافي الفرايض للاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعودوا وان تزكي نفسك في طاعة الله تعالى
كما ربيتها في المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على
عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزي الله النبي
ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه عطف على النبي احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدا خبره نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم اي على الصراط يقولون اذا طفي نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل تتفاوت
انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم
واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه ومأويهم جهنم وبئس المصير جهنم او مأويهم ضرب الله
مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط مثل الله تعالى حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين
النبي عم والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط
عليهما السلام فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما بحق الازواج اغناء ما وقيل
ادخلا النار اي لهما عند موتهما او يوم القيمة النار مع الداخلين مع ساير الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة
بينهم وبين الانبياء عليهم السلام وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم
بحال آسية ومنزلتها عند الله تعالى مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله تعالى اذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلا درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله
السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرأة فرعون
تسلية للارامل التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها اي في مريم او الجملة من روحنا
من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحف المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتابه
وما كتب في اللوح او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله
وكتابه اي بعيسى عم والانجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة
والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين
حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فتكون من ابتدائية عن النبي عليه السلام
كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون
ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلعم وفضل عائشة
على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام وعنه عليه السلام من قرأ
سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قاريها من عذاب القبر وآيها ثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها وهو على كل شيء قدير
على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة وازالها حسبما
قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم
معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسن
عقلا واورع عن محارم الله تعالى واسرع في طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل
البلوى المتضمن معنى العلم وهذا ليس من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق
الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل
الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت
النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال
او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائي من تفوت
ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين
فات عنه بعض ما في الاخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم
والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما جليلة لا
تحصى والخطاب فيها للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على
معنى التسبب اي قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متاملا فيها لتعاين ما اخبرت به من
تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه
ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما
في لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب
كانه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا
اقرب السموات الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون
بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها والتنكير للتعظيم وجعلناها رجوما
للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى وهي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه و
جعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي
به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم

عذاب جهنم من الشياطين وغيرهم وبئس المصير وقرئ بالنصب على ان الذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها الم ياتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير اي فكذبنا الرسل وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا وبالغنا في نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اي اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء لكل فوج منا رسول الله فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال اما كانوا عليه في الدنيا او عقابه الذي يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حتى لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر او المراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله سحقا اي ابعدهم من رحمته والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير يصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله به رسوله عم فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد عم فنبه الله على جهلهم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة ليسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذلل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه واليه النشور المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم وامنتم من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على

تاويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا ان الله تعالى في السماء وعن ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وامنتم بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع وابو عمرو ورويس ان يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ان يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول صلعم وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للفرق بين الاصيل في الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن للجري في الهواء انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم ينظروا في امثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور لا معتمد لهم امن هذا الذي يرزقكم امن يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة اليكم بل لجوا تمادوا في عتو في عناد ونفور وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله امن يمشي سويا قائما سالما من العثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك

تاويل

والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكتب من الدلالة على حال المسلك
للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير
مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا
هو الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ
والابصار لتنظروا صنايعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها
فيما خلقت لاجلها قل هو الذي ذراكم في الارض للجزاء واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد
اي الحشر او ما وعدوا من الخسف والحاصب ان كنتم صادقين يعنون النبي والمومنين قل انما
العلم اي علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين والانذار يكفي فيه العلم بل الظن
بوقوع المحذر منه فلما راوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة اي قرب منهم سيئت
وجوه الذين كفروا بان علتها الكابة وساتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون
به تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى قل ارايتم
ان اهلكني الله اماتني ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتاخير اجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم
اي لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن الذي
ادعوكم اليه مولى النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات
لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به فستعلمون من هو في ضلال مبين منكم
ومنا وقرا الكسائي بالياء قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا في الارض بحيث لا يناله الدلاء
مصدر وصف به فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل الماخذ عن النبي عم من قرا سورة
الملك فكانما احيى ليلة القدر

سورة ن مكية وآيها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

ن من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الذي عليه الارض او
الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء اشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه
وكتبته بصورة الحرف والقلم وهو الذي خط اللوح او الذي يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى
ابن عامر والكسائي ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة
تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روي ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد
وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثاني على ارادة الجنس
واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى اولي العلم لاقامته مقامه او لاصحابه او للحفظة وما مصدرية

او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة
الراي والعامل في الحال معنى النفي وقيل مجنون والباء لا يمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر
من حيث المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال او الابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك من
الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمل امثالك
وسئلت عايشة رض عن خلقه عم فقالت كان خلقه القرآن الست تقرا القرآن قد افلح المؤمنون
فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان
المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين
اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على
الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم
ودوا لو تدهن تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك
بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى
تدهن او للسببية اي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون
طمعا فيه وفي بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل
مهين حقير الراي من المهانة وهي الحقارة هماز عياب طعان مشاء بنميم نقال للحديث على وجه
السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز في الظلم
اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم
دعي ماخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه
ابوه بعد ثمان عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ان كان
ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين اي قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا مستظهرا
بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز
ان يكون علة للا تطع اي لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرا ابن عامر وحمزة ويعقوب
وابو بكر ءان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اي الان كان ذا مال كذب
او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان الشرط للغني في النهي عن الطاعة كالتعليل
بالفقر في النهي عن قتل الاولاد او ان شرط للمخاطب اي لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع
للغني فكانه شرطه في الطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم على الانف وقد اصاب انف الوليد

جراحة يوم بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيمة انا بلوناهم بلونا اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل او القته الريح او بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طايف بلاء طايف من ربك مبتداء منه وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار من فرط اليبس بابيضاضها سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم اي اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء ان كنتم صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك هنا وغدوا على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اي غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما راوها اول ما راوها قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل نحن اي بعدما تاملوا وعرفوا انها هي محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رايا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على

هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين او لولا تستثنون فسمي الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجري في ملكه ما لا يريده فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم اي في الاخرة او في جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج راي ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيئت باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في ذلك اليوم او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين في الاخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله تعالى نفى بهذا ان يكون ما يشاركون الله تعالى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان

الاختصاص مستفاد من الاضافة الاختصاصية

وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا او يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف اصل
الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر او ساق الانسان وتنكيره للتهويل او التعظيم
وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال ويدعون الى السجود توبيخا
على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيمة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان في وقت النزع
فلا يستطيعون لذهاب وقته او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة يلحقهم ذل وقد
كانوا يدعون الى السجود في الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحوا العلل فيه
فذرني ومن يكذب بهذا الحديث كله الي فاني اكفيكه سنستدرجهم سنستدنيهم من العذاب درجة بالامهال
وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا
لهم على المؤمنين واملي لهم وامهلهم ان كيدي متين لا يدفع بشيء وانما سمي انعامه استدراجا بالكيد لانه في
صورته ام تسألهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون عنك ام عندهم
الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم
وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس عم اذ نادى في بطنه وهو مكظوم مملو غيظا
في الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل
للفصل وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه
لنبذ بالعراء وهو بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال
يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ فاجتباه ربه بان رد اليه الوحي او استنباه ان صح انه لم يكن
نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه
اولى وفيه دليل على خلق الافعال والاية نزلت حين هم رسول الله عم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد
حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا ان هي
المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلقون قدمك
ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون
يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم على ان يعين رسول الله صلعم
فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصايص بعض
النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اي ليهلكونك لما سمعوا
الذكر اي القران اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا

عنه

عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القران بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل
الناس عقلا وامتنهم رايا عن النبي عم من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي تحق فيها الامور اي تعرف حقيقتها او يقع فيها
حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهي مبتدا خبرها ما الحاقة واصله ما هي
اي اي شيء هي على التعظيم لشانها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها وما ادريك
ما الحاقة واي شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان يبلغها دراية احد وما
مبتدا وادريك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع النفوس بالافزاع
والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف
شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة
لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو
لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر شديدة الصوت او البرد من الصرير او الصر عاتية
شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلا يستطيعون ضبطها او على عاد فلم
يقدروا ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف او صفة جي به لنفي ما يتوهم
من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال و
ثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات
حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة
بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده قراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز
من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا
من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها فترى القوم فيها صرعى ان كنت
حاضرهم فيها في مهابها او في الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول نخل
خاوية متاكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية من بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون
ومن قبله ومن تقدمه وقرا البصريان والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه
وعاصم في رواية ابان
انه قرئ ومن معه والمؤتفكات قرى قوم لوط اي والمراد اهلها بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او الافعال
ذات الخطاء فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة رابية زائدة في الشدة

زيادة اعمالهم في القبح انا لما طغى الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد
من قبله حملناكم اباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح عم لنجعلها لكم لنجعل الفعلة وهو
انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته
وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك
والايعاء ان تحفظه في غيرك اذن واعية من شانها ان تحفظ ما يجب حفظها بتذكره واشاعته والتفكر
فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة
نسلهم وقرأ نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيمة وذكر مآل
المكذبين بها تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر
لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ بالنصب نفخة على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها
النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال دفعت من اماكنها بمجرد القدرة
الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها ببعض
ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا
لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية
فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيمة وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي يومئذ
واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك على ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر
ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره
فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق
الثمانية لانها في نية التقديم يومئذ ثمانية املاك لما روى مرفوعا انهم اليوم اربعة
فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله تعالى باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم
الا الله تعالى ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس
للقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر لتعرف
احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان
والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة واهل النار الجنة صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم
خافية سريرة منكم على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة
في العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل فاما من اوتي

كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها
هاء يا رجل وهاء يا امراة وهاؤما يا رجلان او امراتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة
ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل
اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت
تثبت في الوقف وتسقط في الوصل فاستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها في
الوصل اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح
في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة
راضية ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن
الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات
او الابنية او الاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر
دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا
هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية
من ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول لما راى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتني
لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة
لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي كانه صادفها امر
من الموت فتمناه عندها او يا ليت حيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه
مالي من الاموال والتبع وما نفي والمفعول به محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى هلك عني
سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا خذوه يقوله الله تعالى لخزنة
النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس
ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو
فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر
انواع ما يعذب به يوم القيمة وثم لتفاوت ما بينها في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على
طريق الاستيناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب
ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله
ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل

على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقايد الكفر بالله واشنع الرذايل
البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة
اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل
اذا تعمد الذنب من الخطاء المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا
اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث
واقسم مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق و
المخلوقات باسرها انه ان القرآن لقول رسول يبلغه عن الله فان الرسول عم لا يقول عن نفسه
كريم على الله تعالى وهو محمد عم او جبرئيل وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون
تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تزعمون اخرى قليلا ما
تذكرون تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي
الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكرها الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها
فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرا ابن
كثير ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبرائيل ولو تقول علينا بعض الاقاويل
سمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك
لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه
بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب
جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف
لاحد فانه عام والخطاب للناس وانه وان القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم
مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا رأوا ثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين
اليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى
بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي عم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون بسم الله الرحمن الرحيم

سال سايل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء والسايل نضر بن
الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك الاية او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من
السماء سأله استهزاء او الرسول استعجل بعذابهم وقرا نافع وابن عامر سال وهو اما من السوال

على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب
او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السايل كالغور
والمعنى سال واد بعذاب ومضي الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في
الاخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السوال
عمن كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا التضمين سال معنى اهتم ليس له
دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذي المعارج ذي المصاعد وهي الدرجات
التي تصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم
او مراتب الملايكة او السموات فان الملائكة تعرجون فيها تعرج الملائكة والروح اليه
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف لبيان ارتفاع المعارج وبعد مداها
على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين
الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه يعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض
لان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز
الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع
والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من
الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او سال اذا جعل من السيلان والمراد
به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبة
او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرئيل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة فاصبر
صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السوال كان استهزاء
وتعنتا وذلك مما يضجره او استبطاء للنصر او بسال سايل او سال سيل لان المعنى قرب وقوع
العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا من الامكان
ونريه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن ذلك يوم تكون او لمضمر
دل عليه واقع او بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات او دردي الزيت وتكون
الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت
في الهواء اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال حميم حميما ولا يسال قريب قريبا عن حاله

مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذي قدره اذا جاء على الوجه المقدر
به آجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال والتاخير لو كنتم تعلمون لو كنتم
من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الحيوة كانهم شاكون في الموت قال رب
اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة
الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم
في آذانهم سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر
الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا
على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن
اتباعي استكبارا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا
اي دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار
اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعي الدعاء
او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا فقلت
استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين فكانهم لما امرهم بالعبادة
قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم
بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل
لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم
بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل
لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب
والمدرار كثير الدرور ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات
البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا
على حال تاملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له
عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا
حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فان خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا
عناصر ثم مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما
ثم انشاهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى

عظيم

اي الذي يدل على انه عظيم القدرة

عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال الم تروا كيف خلق الله
سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسب
اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها به اي شبهها لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه
الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشأكم منها فاستعير الانبات
للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا
فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر
كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة والله جعل لكم الارض
بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى
الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا
واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة
خسارهم في الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموالهم واولادهم ادت بهم
الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة
كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا
في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو ابلغ من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على
اذى نوح عم وقالوا لا تذرن آلهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق
ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عم فلما
ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب فكان ود لكلب وسواع
لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا
للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله تع
انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو
الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله تعالى ان
المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرأ
ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا بالطوفان فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم
الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط
او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا

وقرأ ابن كثير ولا يُسأل على بناء المفعول اي لا يطلب من حميم حميم او لا يسأل منه حاله يبصرونهم
استيناف او حال تدل على ان المانع عن السوال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة
الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ
ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او استيناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه
بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ بتنوين
عذاب ونصب يومئذ لانه بمعنى تعذيب وقرأ نافع والكسائي بفتح ميم يومئذ وفصيلته وعشيرته
الذين فصل عنهم التي تؤويه تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين او الخلائق
ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة
على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للقصة ولظى مبتدا خبره
نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم
نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف
او جمع شواة وهي جلدة الراس تدعو تجذب وتحضر كقول ذي الرمة تدعو انفه الريب مجاز من جذبها
واحضارها لمن فرعنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن
الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتاميلا ان الانسان خلق
هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر الضر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة منوعا
يبالغ في الامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبايع جبل الانسان عليها واذا الاولى
ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على
الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق
على الخلق والايمان بالجزاء والعقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشية من الانهماك في
حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلوتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم
حق معلوم كالزكوة والصدقات الموظفة للسائل الذي يسأل والمحروم والذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم
والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية
ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض
يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن من عذاب الله وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على
ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون سبق تفسيره

في سورة

في سورة المؤمنين والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون حافظون وقرأ
ابن كثير لامانتهم يعني لا يخفون ولا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد
وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلوتهم يحافظون فيراعون
شرايطها ويكملون فرايضها وسننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة
على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلاة مبالغات لا تخفى اولئك في جنات مكرمون
بثواب الله فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا
شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون
يحلقون حول رسول الله حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم
بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكونن فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع لهم عن
هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس
فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من
اجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ في منازل الكاملين او استدلال
بالنشاة الاولى على امكان النشاة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردهم
عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم ونأتي بخلق
امثل منهم او نعطي محمدا عم بدلهم من هو خير منهم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان
اردنا فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون مر في الطور يوم يخرجون من
الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون
وقرأ ابن عامر وحفص نصب بضم النون والصاد والباقون من السبعة نصب بفتح النون وسكون الصاد
وقرئ نصب على انه تخفيف نصب او جمع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة مر تفسيره ذلك اليوم الذي
كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي عم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لاماناتهم و
عهدهم راعون

سورة نوح عليه السلام مكية وآيها تسع او ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان يكون مفسرة لتضمن
الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عذاب الآخرة او الطوفان
قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر في الشعراء نظيره وفي ان يحتمل الوجهان يغفر لكم من
ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجب ما قبله فلا يؤاخذكم به في الآخرة ويؤخركم الى اجل

تعريض لهم باتخاذ الهة من دون الله لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا اى احدا وهو مما يستعمل فى النفى العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به ما فعل باصل
سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم
واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لى ولوالدى
لمك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتى منزلى او مسجدى او سفينتى
مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبى عليه السلام من
قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية وهى

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحى الى وقرئ احى واصله وحى من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحى على الاصل انه استمع
نفر من الجن والنفر ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية
وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عم ما رآهم
ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله تعالى به رسوله
فقالوا انا سمعنا قرآنا كتابا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر
وصف به للمبالغة يهدى الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به بالقرآن ولن نشرك بربنا احدا
على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا قرأه ابن كثير والبصريان بالكسر
على انه من جملة المحكى بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام
فانه من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا فى قوله وانه لما قام على انه استيناف او مقول وفتح
الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور فى به كانه قيل
صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اى عظمته من جد فلان فى عينى اذا عظم او سلطانه او غناه
مستعار من الجد الذى هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او
لسلطانه او لغناه وقوله تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر
اى صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطاء ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ
الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو
البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد وانا ظننا
ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم للسفيه فى ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب
على الله وكذبا منصوب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اى قولا مكذوبا

فيه ومن قرأ ان لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه
فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى
استعاذوا بهم والرهق فى الاصل غشيان الشئ وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس
والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من
الموحى به ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولى ظنوا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء
او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه
وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم
عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضئ المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد
خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة
لمقاعد فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اى شهابا راصدا له ولاجله يمنعه من الاستماع
بالرجم او ذوى شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك فى الصافات
وانا لا ندرى لا نعرف اشر اريد بمن فى الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا
خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون ذلك اى قوم دون ذلك فحذف
الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق اى ذوى طرائق اى مذاهب او مثل طرائق
فى اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من
قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله فى الارض كائنين فى الارض اينما كنا فيها
ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه فى الارض ان اراد بنا امرا ولن
نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اى القرآن آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف
فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به بخسا
ولا رهقا نقصا فى الجزاء ولا ان ترهقه ذلة او جزاء نقص لانه لم يبخس حقا ولم يرهق
ظلما لان من حق الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا
عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد
بكفار الانس وان لو استقاموا اى ان الشان لو استقام الجن او كلاهما على الطريقة لاسقيناهم ماء
غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر

لانه اصل المعاش والسعة وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانهم ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فايدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي عم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله او آرابه السبعة او السجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي عم وانما ذكر بلفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه لبدا مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وقرأ ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهي لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود قال انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرأ عاصم وحمزة قل على الامر للنبي عم ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الاخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا وملتجأ الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض موكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا او معناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله عم بلغوا عني ولو آية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا راوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الاخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو ام هم قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات

وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير واسطة وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الاخرة بتوسط الانبياء عم فانه يسلك من بين يديه من بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبرائيل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله تعالى ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي عم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغمت التاء في الزاي وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه بتخفيف الزاي سمي به النبي عم تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا له اذ روي انه عم كان يصلي متلففا ببقية مرط مفروش على عائشة فنزلت او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلوة او داوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه الا استثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بين ان يقوم اقل منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه ورتل القرآن ترتيلا اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول عم اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها على امته والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل

تلقيه لقول عايشة رض رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض
عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستانف فان التهجد يعد
للنفس ما به يعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشاء من مضجعها الى العبادة من نشاء من مكانه
اذا نهض قال نشاء نا الى خوص يزجي نيهاً السري والصق منها مشرفات القماحدا وقيام الليل على ان
الناشية له او العبادة التي تنشاء بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخري
او ساعاتها الاول من نشاءت اذا ابتدات هي اشد وطاء اي كلفة او ثبات قدم وقراء ابو عمرو وابن عامر
وطاء اي مواطاة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يريد من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا
او اثبت قراة لحضور القلب وهدوء الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهماتك واشتغالا
بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرى سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار
من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله
يتناول كل ما يذكر من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا
وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعات الفواصل وضعه موضع
تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتداء خبره لا اله الا هو وقراء ابن عامر والكوفيون غير
حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا
مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضي ان يوكل اليه الامور واصبر على ما يقولون من الخرافات
واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم وتكل امرهم الى الله تع كما قال وذرني والمكذبين
دعني واياهم وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش
ومهلهم قليلا زمانا او امهالا ان لدينا انكالا تعليل للامر والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة
طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب مولا يعرف كنهه الا الله
ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيه الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات
تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة ومتجرعة غصة
الهجران معذبة بالحرمان عن التجلي انوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله يوم ترجف
الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا
مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر
انا ارسلنا اليكم رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بالاجابة والامتناع

كما

كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى عليه السلام ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول
عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرئ لثقله ومنه الوابل
للمطر العظيم فكيف تتقون انفسكم ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا
من شدة هوله وهذا على الفرض والتمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز
ان يكون وصفا لليوم بالطول السماء منفطر به منشق والتذكير على تاويل السقف او اضمار شيء هو
بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للالة كان وعده مفعولا الضمير
لله او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه الايات الموعدة تذكرة فمن شاء ان يتعظ
اتخذ الى ربه سبيلا اي يتقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي
الليل ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشيء اقل بعدا منه وقراء ابن كثير و
الكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة
من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله فان تقديم اسمه مبنيا عليه يقدر
يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله تع علم ان لن تحصوه ان لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا
ضبط الساعات فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقروا ما
تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراة كما عبر عنها بساير
اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به ثم نسخ هذا بالصلوات
الخمس او فاقروا القرآن بعينه كيف ما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى استيناف يبين
حكمة [illegible] المقتضية للترخيص والتخفيف لذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال واخرون
يضربون في الارض يبتغون من فضل الله والضرب في الارض ابتغاء للفضل المسافرة
للتجارة وتحصيل العلم واخرون يقاتلون في سبيل الله فاقروا ما تيسر منه واقيموا الصلوة
المفروضة واتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الامر بساير الانفاقات
في سبيل الخير او باداء الزكوة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد [illegible] كما صرح به في قوله تع
وما تقدموا لانفسكم من خير من اجر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه
الي الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تاكيد او فصل
لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر و
استغفروا الله في مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم

عن النبي عم من قراء سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة

سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر اى المتدثر وهو لابس الدثار روي انه عم قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا هو قاعد على العرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت فرجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبرئيل وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هي اول سورة نزلت وقيل تاذي من قريش فتغطى بثوبه متفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفي فانه كان بحراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اى الذي دثر هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روي انه لما نزل كبر رسول الله عم وايقن انه الوحي وذلك لان الشيطان لا يامر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن من شيء فكبر او الدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير واجب في الصلوة محبوب في غيرها وذلك بغسلها او بحفظها من النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال والافعال الدنية فيكون امرا باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الشرك وغيره من القبائح وقراء يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر والذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عم المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او ولا تمنن بعبادتك على الله مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف والابدال من تمنن على انه من من بكذا وتستكثر تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روي احضر الوغى ولربك فاصبر ولوجهه او امره فاصبر فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى

المشركين

المشركين فاذا نقر في الناقور اى نفخ في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدا خبره يوم عسير ويومئذ بدل او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير غير يسير تاكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بتيسره على المؤمنين ذرني ومن خلقت وحيدا نزل في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اى ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف اى ومن خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله تهكما به او ارادة انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج الى ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم وقيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلثة خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اى باستحقاق الرياسة والتقدم ثم يطمع ان ازيد على ما اتيته وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال الله تعالى كلا انه كان لآياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستيناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعم المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول الآية في نقصان ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما تخيل طعنا في القرآن وقدر في نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر تعجب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اى بلغ في الشجاعة مبلغا يحق ان يحسده ويدعو عليه حاسده بذلك روي انه مر بالنبي عم وهو يقرا حم السجدة فاتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه

فقصد

وكلمه بما اجاده فقام فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن
فهل رايتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده
ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية
ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اى فى امر القران مرة بعد اخرى ثم عبس قطب وجهه
لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله عم وقطب فى وجهه وبسر اتباع لعبس
ثم ادبر عن الحق او الرسول واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء
للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر وقوله ان هذا الا قول
البشر كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك لم تعطف عليها ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا
وما ادريك ما سقر تفخيم لشانها وقوله لا تبقى ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى
التعظيم والمعنى لا تبقى على شئ يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة للبشر مسودة لاعالى الجلد او
لايحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر ملكا او صنفا من الملائكة
يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب القوى
الحيوانية الاثنى عشر والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل
صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف
يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك او صنف او
ان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة فى الصلوة فتبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يواخذ
به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالى الحركات
فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اى تسعة كل عشير جمع يعنى نقيبهم او جمع
عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا
يسترحوا اليهم ولانهم اقوى باسا واشدهم غضبا لله تعالى روى ان ابا جهل لما سمع ان عليها تسعة
عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر
تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد
القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله تعالى ليستيقن الذين اوتوا
الكتاب اى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد عم وصدق القران لما راوا ذلك موافقا لما فى كتابهم ويزداد

الذين امنوا ايمانا بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
اى فى ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفى لما يعرض المتيقن حيثما عراه شبهة
وليقول الذين فى قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون فى المدينة بعد
الهجرة والكافرون الجازمون فى التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اى شئ اراد بهذا العدد
المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب كذلك يضل الله
من يشاء ويهدى من يشاء مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين
وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع
على حقايقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وما هى
وما سقر او عدة الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان
يتذكروا بها والقمر والليل اذ دبر اى ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص
اذ ادبر على المضى والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر لاحدى البلايا الكبر الكثيرة وسقر واحدة
منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة
فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد نذيرا للبشر تمييز
اى لاحدى الكبر انذارا او حال عما دلت عليه الجملة اى كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا
او خبرا لمحذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اى نذيرا للمتمكنين من السبق
الى الخير والتخلف عنه او لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون فى معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن
شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلقت للمفعول
كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا
من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال فى جنات لا يكتنه وصفها وهى حال من اصحاب
اليمين او ضميرهم فى قوله يتساءلون عن المجرمين اى يسال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم
عن حالهم كقولك تداعيناه اى دعوناه وقوله ما سلككم فى سقر بجوابه حكاية لما جرى بين
المسئولين والمجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلوة الواجبة ولم نك نطعم
المسكين ما يجب اعطاؤه وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين
نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اى وكنا بعد ذلك كله
مكذبين بالقيمة حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا

لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين اي معرضين عن التذكير يعني القرآن او ما يعمه معرضين حال كانهم
حمر مستنفرة فرت من قسورة شبههم في اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة من
قسورة اي اسد فعولة من القسر وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة
قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبي عم لن نتبعك حتى تاتي كلا منا بكتاب من السماء
فيه من الله الى فلان اتبع محمدا عم كلا ردع عن اقتراحهم الآيات بل لا يخافون الآخرة
فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه تذكرة
واي تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله ذكرهم
او مشيتهم كقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشية الله
وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل
المغفرة حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبي عم من قرأ سورة المدثر اعطاه
الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة سورة القيمة مكية
وآيها تسع وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم
لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم للتاكيد شايع في كلامهم قال امرؤ
القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وقد مر الكلام فيه في قوله فلا اقسم
بمواقع النجوم وقرأ قنبل لاقسم بغير الف بعد اللام وكذا روي عن البزي ولا اقسم بالنفس
اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيمة على تقصيرها
او التي تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت في الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة
او بالجنس لما روي انه عم ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت
خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت يا ليتني كنت قصرت او نفس آدم عم فانها
لم تزل تلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيمة لان المقصود من اقامتها
مجازاتها ايحسب الانسان يعني الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب او الذي نزل
فيه وهو عدي بن ربيعة سأل رسول الله عم عن امر القيمة فاخبره به فقال لو عاينت
ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام الن نجمع عظامه بعد تفرقها وقرئ ان
لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوي بنانه نجمع سلامياته ونضم بعضها
الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي بنانه الذي

هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اي نحن
قادرون بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا
لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام فاذا برق البصر ليفجر امامه ليدوم على
فجوره فيما يستقبله من الزمان يسأل ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا
برق البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة
او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اي انفتح وخسف القمر
وذهب ضوءه وقرئ على بناء المفعول وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء او الطلوع من
المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر
الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله الى
من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف
يقول الانسان يومئذ اين المفر اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر
وهو المكان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر
وهو الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم
او الى مشيته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤا الانسان
يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من
سنة حسنة او سيئة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله
وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها لانها شاهد بها وصفها بالبصارة
على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان
يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر فان قياسه
معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك يا محمد به بالقرآن لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتاخذه
على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه في صدرك وقرآنه واثبات قراءته في لسانك
وهو تعليل للنهي فاذا قرأناه بلسان جبرئيل عليك فاتبع قرآنه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك
ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت
الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور و
اصل الدين فكيف بها في غيره او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الايات وقيل الخطاب مع الانسان

المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به
فان علينا بمقتضى الوعد جمعه ما فيه من اعمالك وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه بالاقرار والتامل
فيه ثم ان علينا بيانه امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول عم عن عادة العجلة او للانسان
عن الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بني آدم
مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده
قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها
ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا
في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى
الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر
واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب
العطاء ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في
الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع
عن ايثار الدنيا على الاخرة اذا بلغت التراقي بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها
لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به من الرقية
او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه
الفراق وظن المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها والتفت الساق بالساق و
التوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها او شدة فراق الدنيا بشدة خوف فراق الاخرة الى
ربك يومئذ المساق سوقه الى الله تعالى وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله
اى فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب ولكن كذب وتولى
عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه
فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولي واصله
اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب
كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اى يتكرر ذلك عليه مرة بعد
اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره
للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبايح والتكليف

لا يتحقق

لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الاخرة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان
علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال آخر
بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى
عن النبي عم انه كان اذا قراها قال سبحانك بلى وعنه عم من قرا سورة القيمة شهدت له انا
وجبرائيل عليهما السلام يوم القيمة انه كان مؤمنا به سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلثون
بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك
فسر بقد واصله اهل كقوله اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان
الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر
والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله
انا خلقنا الانسان او آدم بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه من نطفة امشاج اخلاط جمع مشج او
مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وجمع النطفة بها لان المراد بها مجموع مني الرجل والمراة
وكل منهما مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل
مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المراة اصفر فاذا اختلطا
اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه في موقع الحال
اى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء
فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلايل واستماع الآيات فهو كالمسبب من
الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل اى
بنصب الدلايل وانزال الآيات اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او
التقسيم اى هديناه في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه و
بعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على
حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان
لا يخلو عن كفران غالبا وانما المؤاخذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون
واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تاخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع
وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرا نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة
ان الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد يشربون من كاس من خمر وهي في الاصل القدح تكون

فيه كان مزاجها ما تمزج به كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه
وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به عينا بدل من كافورا ان جعل اسم ماء ومحل من كاس على تقدير مضاف
اي ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعدها يشرب بها عباد الله اي ملتذا او ممزوجا وقيل
الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتداء منها كما هو يفجرونها تفجيرا حيث شاؤا اجراء سهلا يوفون بالنذر
استيناف ببيان ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ من وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات
لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله تعالى كان اوفى بما اوجبه الله تعالى ويخافون يوما كان شره شدائده مستطيرا
فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم
عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه حب الله او الطعام او الاطعام مسكينا ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار
فانه عم كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون
وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة
لتوهم المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عايشة انها تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسئل المبعوث
ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
اي شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافاة منكم يوما عذاب يوم عبوسا تعبس فيه
الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من اقطرت
الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات
واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس رض ان
الحسن والحسين رض مرضا فعادهما رسول الله عم في ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر
علي وفاطمة وفضة جارية لهما صوم ثلث ان برئا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي رض من شمعون
الخيبري ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوها بين ايديهم ليفطروا
فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا ولم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام
وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبرائيل بهذه السورة وقال
خذها يا رسول الله هناك الله في بيتك متكئين فيها على الارائك حال من هم في جزاهم او صفة الجنة لا يرون فيها
شمسا ولا زمهريرا يحتملهما وان يكون من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار
محمي ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان
هواها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف

على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ... وقرئت
بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال او صفة وذللت قطوفها تذليلا معطوف على ما قبله او حال من دانية
وتذليل القطوف ان تجعل سهل التناول لا يمتنع على قطافها كيف شاؤا ويطاف عليهم بآنية من فضة
واكواب واباريق بلا عرى كانت قواريرا قواريرا من فضة اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة
وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قواريرا من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها راس الاية
وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير قدروها تقديرا اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما
تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف
شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها اي جعلوا قادرين كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشيء
وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل في
الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق
وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به ان ينفي
عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسمي به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا
من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان مخلدون دائمون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا من صفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض واذا رايت ثم ليس
مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع رايت نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث
ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكثر من
ذلك وهو ان ينتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بانوار قدس الجبروت
عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه
على الحال من هم في يطوف عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اي واهل ملك كبير عاليهم و
قرا نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرا ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى
فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرا ابو عمرو وابن عامر بالعكس وقراهما نافع
وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من
البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه
قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة يختلف باختلاف اعمالهم
فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال

من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقيهم ربهم شرابا طهورا
يريد به نوعا اخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله تع ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه
عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى
درجات الصديقين ولهذا ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء على اضمار القول والاشارة الى ما عد من ثوابهم
وكان سعيكم مشكورا مجازى عليه غير مضيع انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته
وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به فاصبر لحكم ربك بتاخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع
منهم اثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي لك اليه واو للدلالة على
انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على
الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي ان لا يكون المطاوعة في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر
غير محظور واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول
وقتيهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في
صلوة الليل من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفا طويلا من الليل ان هؤلاء يحبون
العاجلة ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم يوما ثقيلا شديدا مستعار من الثقيل الباهظ للحامل
وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا
بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشاة الثانية ولذلك
جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقيق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة او
الايات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا تقرب اليه بالطاعة وما تشاؤن الا ان يشاء الله وما تشاؤن
ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيئتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء ان الله كان عليما بما يستأهل
كل احد حكيما لا يشاء الا ما يقتضيه حكمته يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا
اليما نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافا ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء وعن
النبي عم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله تع جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وهي خمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا اقسم بطوايف من الملائكة ارسلهن الله تع باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح
في امتثال امره ونشرن الشرايع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل
فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او بايات القران المرسلة بكل عرف الى محمد عم فعصفن

سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن اثار الهداية والحكم في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين
او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين
الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنة الا ذكر الله تعالى او
برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسببن له فان العاقل اذا شاهد
هبوبها واثارها ذكر الله وتذكر كمال قدرته تع وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف
او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال عذرا او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف
او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية اي عذرا للمحقين
ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية
وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجيء
القيمة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محقت او اذهب نورها واذا السماء فرجت صدعت واذا الجبال نسفت كالحب
ينسف بالمنسف واذا الرسل اقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين
لهم قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل لاي يوم اجلت اي يقال لهم لاي يوم
اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه بمعنى اعلمت ليوم
الفصل بيان ليوم التاجيل وما ادريك ما يوم الفصل ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين اي بذلك وويل
في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته
الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الاخرين ثم نحن نتبعهم نظراءهم
ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الاخرين المتاخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عم
كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل من اجرم ويل يومئذ للمكذبين بايات الله تع وانبيائه فليس تكريرا وكذا
ان اطلق لتكذيب اعلق في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير
للتوكيد حسن شايع في كلام العرب الم نخلقكم من ماء مهين نطفة مذرة ذليلة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر
معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تع للولادة فقدرنا فقدرنا على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع
والكسائي بالتشديد فنعم القادرون نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا
كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت
وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار اقطارها احياء وامواتا منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء
الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بنجعل على المفعولية وكفاتا

حال او الحال فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسي شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير
للتفخيم او الاشعار بان فيها ما لم يعرف ولم ير واسقيناكم ماء فراتا بخلق الانهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين بامثال
هذه النعم انطلقوا اي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار
من امتثالهم للامر اضطرارا الى ظل يعني ظل دخان جهنم لقوله تعالى وظل من يحموم ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه كما ترى
الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان
المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك
قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب
وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة
وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب كانه جمالات
جمع جمال او جمالة جمع جمل صفر فان الشرار بما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة
والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة
وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه في امتداده
والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اي بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشيء فرط الدهشة و
الحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن
ليدل على نفي الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك ان
لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين تقرير وبيان
للفصل فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين اذ لا حيلة
لهم في التخلص من العذاب ان المتقين من الشرك لانهم في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون
مستقرون في انواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اي مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزي المحسنين في العقيدة
ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا حال من المكذبين اي الويل ثابت
لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم
المقيم قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل واذا قيل
لهم اركعوا اطيعوا واخشعوا او صلوا او اركعوا في الصلوة اذ روي انه نزل حين امر رسول الله عم ثقيفا بالصلوة فقالوا
لا نجبي فانها مسبة علينا وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للوجوب
وان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على
الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال عم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ مكية وآيها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون
اصله عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى الاستفهام تفخيم شان ما يتساءلون عنه كانه
لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث
فيما بينهم او يسألون الرسول والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم اي يدعونهم
ويرونهم او للناس عن النبأ العظيم بيان لشان المفخم او صلة يتساءلون وعم
متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم
النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد عليه
ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند
النزع والثاني في القيمة او الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على
تقدير قل لهم ستعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا تذكير ببعض ما عاينوا من
عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا
وقرئ مهدا اي انها لكم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم عليه وخلقناكم ازواجا
ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية
وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا وجعلنا
الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا وقت معاش تتقلبون
فيه لتحصيل ما تعيشون به او حياة تبعثون فيها عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات
اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلالئا وقادا من وهجت
النار اذا اضاءت او بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات
السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان يعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا
حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التي حان لها
ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدا للانزال لانها تنشئ السحاب
وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه
وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ
ثجاحا ومثاجح الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا ما يقتات به وما يعتلف من التبن
والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال الجنة لف وعيش مغدق

او لفيف كشريف والفاف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار او ملتفة بحذف الزوايد ان يوم الفصل
كان في علم الله تع او في حكمه ميقاتا حدا يوقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلايق ينتهون اليه
يوم ينفخ في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات من القبور الى
المحشر روي انه عليه السلام سئل عنه فقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة
وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم
بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل
الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا
من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من القطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل
السحت واكلة الربا والجايرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والموذين
جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين وفتحت
السماء وشققت السماء وقراء الكوفيون بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت من كثرة الشقوق
كان الكل ابواب او فصارت ذات ابواب وسيرت الجبال اى في الهواء كالهباء فكانت سرابا
مثل سراب اذ يرى على صورة الجبال ولم يبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم
كانت مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المومنين ليحرسوهم
من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي يضمر فيه الخيل او مجدة في ترصد الكفرة لئلا
يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين مابا مرجعا وماوي
لابثين فيها وقراء حمزة وروح لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على
خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او تسعون او الف سنة فليس فيه ما يقتضي
تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه حقب
آخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل
قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا من المستكن في لابثين او نصب
احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذايقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون
جنسا من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطاه الرزق وحقب
العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير
له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق ما يغسق اى يسيل

من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤس الآي وقراء حمزة
والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اى جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا
لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه
هذا الجزاء وكذبوا باياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شايع في كلام الفصحاء وقرئ
بالتخفيف وهو بمعنى الكذب لقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم مقام التكذيب
للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون
كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى
المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز
ان يكون للمبالغة فيكون صفة اى تكذيبا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه وقرئ بالرفع على
الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله
المقدر او حالا بمعنى مكتوبا في اللوح او صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة
في الحديث هذه الاية اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز
حدايق واعنابا بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل اشتمال او البعض وكواعب
نساء فلكت ثديهن اترابا لدات وكاسا دهاقا ملاء وادهق الحوض ملاه لا يسمعون فيها لغوا
ولا كذابا وقراء الكسائي بالتخفيف اى كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك
بمقتضى وعده عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به
نصب المفعول به حسابا كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم
وقرئ حسابا اى محسبا كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من
ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء الرحمن بالجر صفة له في قراة ابن عامر وعاصم
ويعقوب وبالرفع في قراة ابي عمرو وفي قراة حمزة والكسائي بجر الاول ورفع الثاني على انه خبر
محذوف او مبتدا خبره لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اى لا يملكون خطابه
والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك
لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال
صوابا تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان هولاء الذين هم افضل الخلايق واقربهم اذا لم يقدروا

نشط كسمع طابت نفسه للعمل وغيره ونشط الحبل كنصر عقده
ونشط من المكان ينشط خرج
والدلو نزعها بلا بكرة قاموس

ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او لا يتكلمون
والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبرئيل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكاين لا محالة فمن
شاء اتخذ الى ربه مآبا مرجعا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعنى عذاب الاخرة وقربه لتحققه فان كل
ما هو آت قريب ولان مبداه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمه من خير او شر والمرء عام
وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة
منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر اى شئ قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى
كنت ترابا فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او فى هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر ساير الحيوانات للاقتصاص
ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها عن النبى صلعم من قرا سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات مكية وآيها خمس او ست واربعون بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات
ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار عن ابدانهم غرقا اى اغراقا فى النزع فانهم ينزعونها من اقصى
الابدان او نفوسا غرقة فى الاجساد وينشطون اى يخرجون ارواح المومنين برفق من نشط الدلو من
البئر اذا اخرجها ويسبحون فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج الشئ من اعماق البحر فيسبقون
بارواح المومنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان تهيئها لادراك ما اعد لها من الالام واللذات
او الاوليان لهم والباقيات لطوايف من الملائكة يسبحون فى مضيها اى يسرعون فيه فيسبقون
الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات الكواكب فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع
بان تقطع الفلك حتى تنحط فى اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج
من بلد الى بلد آخر وتسبحون فى الفلك فتسبق بعضها فى السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها
كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب
قسرية وحركاتها من برج الى برج ملايمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة
حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اى نزعا شديدا من اغراق النازع فى القوس وتنشط الى
عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظاير القدس لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها
تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح فى مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى يصير
من المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسى باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى و
يسبحون فى البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع فى

اعنتها

اعنتها نزعا يغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح فى جريها فتسبق
الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف
الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التى يشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال
لقوله يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التى ترجف الاجرام عندها وهى النفخة الاولى تتبعها
الرادفة التابعة وهى السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة فى موقع الحال قلوب يومئذ
واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهى صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة اى ابصار اصحابها
ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب يقولون ائنا لمردودون فى الحافرة فى الحالة الاولى
يعنون الحيوة بعد الموت من قولهم رجع فلان فى حافرته اى طريقته التى جاء فيها فحفرها اى اثر فيها
مشيه على النسبة كقولهم عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ فى الحفرة بمعنى المحفورة يقال
حفرت اسنانه حفرا وهى حفرة ائذا كنا وقرا نافع وابن عامر والكسائى اذا كنا على الخبر عظاما ناخرة
بالية وقرا الحجازيان والشامى وحفص وروح نخرة وهى ابلغ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات خسران
او خاسر صاحبها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فانما
هى زجرة واحدة متعلق بمحذوف اى لا تستصعبوها فما هى الا صيحة واحدة يعنى النفخة الثانية
فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا فى بطنها و
الساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة للتى
يجرى ماؤها وفى ضدها نائمة او لان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم هل اتيك حديث موسى اليس
قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم
اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى قد مر بيانه فى سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول
وقرئ ان اذهب لما فى النداء من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر من
الكفر والطغيان وقرا الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته
فتخشى باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له
قولا لينا فاراه الآية الكبرى اى فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهى قلب العصا حية فانه كان المقدم
والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله
بعد ظهور الآية وتحقق الامر ثم ادبر عن الطاعة يسعى ساعيا فى ابطال امره او ادبر بعد ما راى الثعبان
مرعوبا مسرعا فى مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى فى المجمع بنفسه او مناديه فقال انا ربكم الاعلى

اعلى من كل من يلي امركم فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اخذا منكلا لمن رآه او سمعه في الاخرة بالاحراق
وفي الدنيا بالاغراق او على كلمته الاخرة وهي هذه وكلمته الاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري
او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا موكدا مقدرا بفعله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى لمن
كان من شانه الخشية ا انتم اشد خلقا اصعب خلقا ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها
ثم بين البناء فقال رفع سمكها اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب في العلو
رفيعا فسواها فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها
من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم
وانما اضاف اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها لقوله والشمس و
ضحيها يريد النهار والارض بعد ذلك دحيها بسطها ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها
بتفجير العيون ومرعاها ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال
باضمار قد او بيان للدحو والجبال ارسيها اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء.
وهو مرجوح لان العطف على فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت
الطامة الداهية التى تطم اي تعلو على ساير الدواهى الكبرى التى هي اكبر الطامات وهي القيمة
او النفخة الثانية او الساعة التى يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر
الانسان ما سعى بان يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل
من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت لمن يرى لكل راء بحيث
لا يخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله اذا رأتهم من
مكان بعيد او انه خطاب للرسول اى لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه
يوم يتذكر او ما بعده من التفصيل فاما من طغى حتى كفر وآثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد
للاخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم هي الماوى هي ماواه واللام فيه ساد مسد الاضافة
للعلم بان صاحب الماوى هو الطاغي وهي فصل او مبتداء واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي
ربه لعلمه بالمبداء والمعاد ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد فان الجنة هي الماوى ليس له سواها
ماوى يسالونك عن الساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اى اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها
من مرسى السفينة وهو حيث ينتهي اليه ويستقر فيه فيم انت من ذكريها اى في شيء من ان تذكر
وقتها لهم اي ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استاثره

الله بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها مستانف معناه انت ذكر من ذكريها اي علامة
من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب الى ربك
منتهيها اي منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لا يناسب
تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابي عمرو منذر بالتنوين والاعمال
على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا اى في الدنيا او في القبور الا عشية اي
عشية يوم او ضحيه لقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم
واحد عن رسول الله صلى الله عم من قرا سورة النازعات كان ممن حبسه الله في يوم القيمة
حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس مكية وهي احدى واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى روى ان ابن ام مكتوم
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول
الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله يكرمه ويقول اذا راه مرحبا
بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه
علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ آان بهمزتين وبالف بينهما بمعنى الان جاءه
الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام الرسول بالقوم والدلالة
على انه احق بالرافة والرفق او لزيادة الانكار كانه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله
وما يدريك لعله يزكى اي واي شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك
وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى اي يتعظ فتنفعه موعظتك
وقيل الضمير في لعله للكافر اي انك طمعت في تزكيته بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك
اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كاين وقراء عاصم بالنصب جوابا للعل
اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقراء ابن كثير
ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى اى تعرض وتدعى الى التصدى وما عليك الا يزكى
وليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن
اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار في
اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قايد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهي عنه والتهى وتلهى

ولعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله
لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه ومعاودة مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به
والضميران للقرآن او العتاب المذكور وتانيث الاول لتانيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة
لتذكرة او خبر ثان او خبر محذوف مكرمة عند الله مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين
بايدي سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون
بالوحي بين الله ورسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال
سفرت المراة اذا كشفت وجهها كرام اعزاء على الله او متعطفين على المومنين يكلمونهم ويستغفرون
لهم بررة اتقياء قتل الانسان ما اكفره دعا عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه في الكفران
وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اي شيء خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من مبداء
حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهياه لما يصلح له من
الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى تمام خلقته ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن امه
بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل
يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه
على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا
شاء انشره وعد الاماتة والاقبار في النعم لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية واللذات
الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار بان وقت النشور
غير متعين في نفسه وانما هو موكول الى مشيته كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره
لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما فلينظر
الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا الماء صبا استيناف مبين
لكيفية احداث الطعام وقرا الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا الارض
شقا اي بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها
حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب
مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها
او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام لانه
يوم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيا له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء متاعا لكم

ولا نفعا لكم

ولا نفعا لكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة اي النفخة وصفت
بها مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشانه
وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر
من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يكفيه في الاهتمام
وقرئ يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفار الصبح ضاحكة مستبشرة بما يرى
من النعم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة اولئك هم
الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور ولذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة قال عم من قرا
سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة
اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف ولفضوها فذهب انبساطها في الآفاق و
زال اثره او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع
الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت قال البصير
خربان فضاء فانكدرت او اظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه الارض
او في الجو واذا العشار النوق اللاتي اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة او
السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب او بعثت
للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد
واذا البحار سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى يعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملاه
بالحطب ليحميه وقراه ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان
او كل منها بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المومنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واذا
الموؤدة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن
سئلت باي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله لعيسى اانت قلت للناس وقرئ
سالت اي خاصمت عن نفسها وقتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف نشرت
يعني صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها
وقراه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر او لكثرة الصحف او شدة التطاير
واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف

والكاف كثير واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد

واذا الجنة ازلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما احضرت جواب اذا وما عطف عليه والمذكور في سياقها ثنتا

عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل

لها وللمجازات للنفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا اقسم بالخنس بالكواكب

الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما سوى النيرين من الكواكب السيارات ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس

اي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان

الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر

والصبح اذا تنفس اي اضاء عبر به عن اقبال روح ونسيم انه ان القرآن لقول رسول كريم يعني

جبرئيل فانه قاله عن الله تعالى ذي قوة كقوله شديد القوى عند ذي العرش مكين عند الله ذي

مكانة مطاع في ملائكته ثم امين على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة

وتفضيلا لها على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل

جبرئيل على محمد عليهما السلام حيث عد فضائل جبرئيل واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلعم

وهو ضعيف اذ المقصود نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضائلهما

والموازنة بينهما ولقد راه ولقد راى رسول الله جبرئيل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو

وما محمد على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة

وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بالضاد من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالتبليغ والتعليم و

الضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء من طرفي

اللسان واصول الثنايا العليا وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهي نفي قولهم

انه لكاهن وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول والقرآن كقولك لتارك

الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم ان يستقيم بتحري الحق و

ملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن الاستقامة يا من

يشاؤها الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب

العالمين مالك الخلق كله قال صلعم من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة انفطرت مكية وآيها تسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح

بعضها

بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها وقيل

انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من

عمل او صدقة واخرت من سيئة او تركة ويجوز ان يراد بالتاخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها

الانسان ما غرك بربك الكريم اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة

في المنع من الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع

والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه

يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه

تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه الذي خلقك فسويك فعدلك

صفة ثانية مقررة للربوبية للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية

جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة

الاعضاء او معدلة بما يستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض

اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة

سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة شاءها وما مزيدة

وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها

بيان لعدلك كلا ردع للاغترار بكرم الله وقوله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو

السبب الاصلي في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين

يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة

بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون

لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما

يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك

ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه امره بحيث لا يدركه دراية دار يوم لا تملك نفس

لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان

يوم على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انفطرت كتب الله

له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة سورة المطففين ثلثون وست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والميزان

لان ما يبخس طفيف اي حقير روي ان اهل المدينة كان اخبث كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث

خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا

فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات

واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا

اكتالوا من الناس حقوقهم ياخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس

او اكتيال يتحامل فيه عليهم واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف

الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكموا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف

المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تاكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن

مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي

اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظايره الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن

ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبايح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجب من حالهم ليوم عظيم عظمه

لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة

بالجر لرب العالمين لحكمه وفي هذا الانكار والتعجب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس

فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن

التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم

لفي سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم اي

مسطور بين الكتابة او معلم يعلم انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس

لانه مطروح كما قيل تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين

او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك الذين يكذبون بيوم

الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا كل معتد متجاوز عن النظر غال في

التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك في الشهوات المخرجة

بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين من

فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه دلايل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم

ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك

فيه حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول

الملكات

الملكات كما قال صلعم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه

والرين الصداء وقراء حفص بل ران باظهار اللام كلا ردع عن الكسب الراين انهم عن ربهم

يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع

عن الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون

النار ويصلونها ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون تقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب

بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب

ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر في نظيره

يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي

نعيم على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات تعرف

في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وقراء يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة

بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك اى مختوم اوانيه بالمسك

مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته او الذي له ختام اي مقطع هو رايحة المسك وقراء الكسائي

خاتمه بفتح التاء اى ما يختم به ويقطع وفي ذلك يعني الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون

فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة

شرابها عينا يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله وتمزج لساير

اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب بها

عباد الله ان الذين اجرموا يعني رؤساء قريش كانوا من الذين امنوا يضحكون كانوا

يستهزؤن بفقراء المؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون

باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين ملتذين بالسخرية منهم وقراء حفص فكهين

واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون واذا راوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا

عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم

الذين امنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين في النار وقيل يفتح لهم باب

الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الارائك

ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار هل اثيبوا ما كانوا يفعلون وقراء حمزة والكسائي

بادغام اللام في الثاء قال صلعم من قراء سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم

سورة الانشقاق خمس وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت بالغمام كقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة وأذنت لربها واستمعت له وانقادت لتاثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطيع الذي يأذن للآمر ويذعن له وحقت وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت بسطت بان تزال جبالها وآكامها والقت ما فيها ما في جوفها من الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت في الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها وأذنت لربها في الالقاء والتخلية وحقت للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار او بدلالة قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وتقديره لاقى الانسان كدحه اي جهدا يؤثر فيه كدحه اذا خدشه او فملاقيه و يا ايها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله مسرورا الى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين او اهله في الجنة من الحور واما من اوتي كتابه وراء ظهره اي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي ويصلّى كقوله وتصلية جحيم وقرئ ويُصلى كقوله ونصليه جهنم انه كان في اهله في الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة انه ظن ان لن يحور ان لن يرجع الى الله بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في افق المغرب بعد الغروب وعن ابي حنيفة رح البياض الذي يليها سمي به لرقته من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب وهي الموت ومواطن القيمة واهوالها او هي وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول على معنى لتركبن حالا

شريفة

شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا الطبق او مجاوزين له فما لهم لا يؤمنون بيوم القيمة واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه عليه الصلوة والسلام قرأ واسجد واقترب فسجد من معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة انه سجد فيها فقال والله ما سجدت الا بعد ان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها بل الذين كفروا يكذبون بالقرآن والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين امنوا وعملوا الصلحات استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم لهم اجر غير ممنون مقطوع او ممنون به عليهم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج وآيها اثنتان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلايق وما احضر فيه من العجايب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي صلى الله عليه وسلم وامته وساير الامم او كل نبي عليهم السلام وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة فانه يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الحق والاخقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس الملك فابراه فسأله الملك عمن ابراه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده

بالمنشار وارسل الغلام الي جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق
فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ
سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه ومات فآمن الناس فامر
باخاديد اوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست
فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب
بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار فطرح فيها من ابي وقيل لما
تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد النار بدل من
الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود
للجنس اذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم
لبعض عند الملك بانهم لم يقصروا فيما امروا به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة حتى تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وما نقموا وما انكروا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء على طريقة قوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا
منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد للاشعار
بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالاذى ثم لم يتوبوا
فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا
اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اذ الدنيا وما فيها يصغر دونه ان
بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده او
يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الاخرة وهو الغفور لمن تاب الودود المحب لمن اطاع ذو
العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه
واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمه فعال
لما يريد لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود ابدلهما من الجنود
لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل عليهم السلام وما حاق بهم فتسل واصبر
على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم
اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا اثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط

لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط بل هو قرآن مجيد بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في
النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ من التحريف وقراء نافع
محفوظ بالرفع صفة للقرآن وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح
عن رسول الله صلعم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق سبع عشرة اية نزلت بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق والكوكب البادي بالليل وهو في الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتي ليلا
ثم استعمل للبادي فيه وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه
او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما خصه تفخيما لشانه ان
كل نفس لما عليها حافظ اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ رقيب فان هي المخففة واللام الفاصلة
وما مزيدة وقراء ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا فان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم
فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر ان كل نفس عليها حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في مبداه ليعلم
صحة اعادته فلا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته خلق من ماء دافق جواب الاستفهام وماء دافق
بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم لقوله يخرج من بين الصلب و
الترائب من صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها ولو صح ان النطفة يتولد من فضل الهضم
الرابع وينفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف
بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك يشبهه ويسرع الافراط
في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب
الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي
صالب انه على رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف وتميز بين ما طاب من
الضمائر وما خفي من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه
يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع ترجع في كل دورة الى الموضع الذي تحرك عنه وقيل الرجع المطر سمي
به كما سمي اوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى
الارض وعلى هذا يجوز ان يكون المراد بالسماء السحاب والارض ذات الصدع ما يتصدع عنه الارض
من النبات او الشق بالنبات والعيون انه ان القرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو
بالهزل فانه جد كله انهم يعني اهل مكة يكيدون كيدا في ابطاله واطفاء نوره واكيد كيدا واقابلهم بكيدي في

في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا
لا تستعجل باهلاكهم امهلهم رويدا امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين عن النبي عم
من قرا سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى تسع عشرة آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى نزه عن الالحاد فيه بالتاويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما
فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح
باسم ربك العظيم قال صلعم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال صلعم اجعلوها
في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى
خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتاتى كماله ويتم معاشه والذي قدر اي قدر اجناس
الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها فهدى فوجهه الى افعاله
طبعا او اختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلايل وانزال الآيات والذي اخرج المرعى
انبت ما يرعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء احوى يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي
اخرجه احوى من شدة خضرته سنقرئك على لسان جبرئيل او سنجعلك قاريا بالهام القراءة فلا
تنسى اصلا من انك امي ليكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا
من الآيات وقيل المراد به القلة والندرة لما روي انه صلعم اسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب
ابي انها نسخت فساله فقال نسيتها او نفي النسيان راسا فان القلة تستعمل للنفي انه يعلم الجهر وما
يخفى ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك بالقراءة مع جبرئيل وما دعاك اليه من مخافة النسيان
فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي
او التدين او نوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وانه يعلم اعتراض
فذكر بعدما استتب لك الامر ان نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية انما جات بعد تكرير التذكير وحصول
الياس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما انت عليهم بجبار الآية او لذم المذكرين
واستبعاد تاثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا امكن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن
تولى سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله فانه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول
العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من
الكفرة لتوغله في الكفر الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم على ما خصت به من الجنة فضلها الى

القيمة فانه

فانه صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم او في الدرك الاسفل منها ثم لا يموت فيها
فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه قد افلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من
الزكاء او تطهر للصلوة او ادى الزكوة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى لقوله اقم الصلوة لذكري ويجوز
ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلوته بل
تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم في الآخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار
قل او للكل فان السعي في الدنيا اكثر في الجملة وقرا ابو عمرو بالياء والآخرة خير وابقى فان نعيمها ملذ بالذات
خالص عن الغوايل لا انقطاع له ان هذا لفي الصحف الاولى الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر
الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى قال صلعم من قرا
سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

سورة الغاشية ست وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدايدها يعني يوم القيمة او النار من
قوله وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل
وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها او عملت ونصبت في
اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقرا ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ
تصلى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقى من عين آنية بلغت اناها في الحر ليس لهم
طعام الا من ضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع
ولعله طعام هولاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما يتحاماه الابل ويتعافاه لضره
وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة
ذات بهجة او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابه في جنة عالية علية المحل او القدر
لا تسمع يا مخاطب او الوجوه وقرا بنا المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس والتاء نافع فيها لاغية
لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية تجري ماؤها ولا
ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او القدر واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة
له موضوعة بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي
بسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على
كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة

بالحبل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوأ بالاوقار ترعي كل نابت وتحتمل العطش الي عشر فصاعدا
ليتأتي لها قطع البراري والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الايات المنبثة
في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع
وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة والي السماء كيف رفعت بلا عمد والي الجبال كيف نصبت
فهي راسخة لا تميل والي الارض كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الثلثة
على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى فلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسايط
والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد
ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا عليك ان لم ينظروا او لم يذكروا اذ ما عليك الا
البلاغ لست عليهم بمصيطر بمتسلط وعن الكسائي بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولي
وكفر لكن من تولي وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعني عذاب الاخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار
وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الاخرة وقيل هو استثناء من قوله
فذكر الا من تولي واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه
ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت
واوه الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام ثم ان علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة
في الوعيد عن النبي صلعم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية واياتها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم بالصبح او فلقه والصبح اذا تنفس او بصلوته وليال عشر عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة
او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وليال وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام
والشفع والوتر والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق لقوله ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد
ومن فسرهما بالعناصر والافلاك او البروج والسيارات او شفع الصلوات ووترها او بيومي النحر وعرفة وقد
روي مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين
او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل
اذا يسر اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور
النعمة او يسري فيه من قولهم صلي المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف
لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق هل في ذلك

القسم او المقسم به قسم حلف او محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر
عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل
عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم
باسمه ارم عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم
وهم عاد الاولي باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتانيث ذات العماد ذات البناء الرفيع او القدود الطوال
او الرفعة والثبات وقيل لعاد كان ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد و
ملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبني على مثالها في بعض صحاري عدن جنة وسماها ارم
فلما تم سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد
الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخري لارم والضمير لها سواء
جعلت اسم القبيلة او البلدة وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل لقوله وتنحتون من الجبال
بيوتا بالواد وادي القري وفرعون ذي الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او
لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب او مرفوع فاكثروا
فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط
وانما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط
ما احل بهم في الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الي
السيف ان ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته
وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب فاما الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد من
الاخرة فلا يريد الا السعي لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتليه ربه اختبره بالغني واليسر فاكرمه
ونعمه بالجاه والمال فيقول ربي اكرمن فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتداء الذي هو الانسان والفاء لما في اما
من معني الشرط والظرف المتوسط في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمن وقت ابتلائه
بالانعام وكذا قوله واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتليه اي بالفقر والتقتير
ليوازن قسيمه فيقول ربي اهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة
قد تفضي الي قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول
مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به
لا يكون اهانة وقرا ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء في الوصل والوقف وعن ابي عمرو مثله ووافقهم نافع

في الوقف وقرأ ابن عامر فقدّر بالتشديد كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين اي بل فعلهم اسوأ
من قولهم وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا
عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولا تحاضون وتأكلون التراث الميراث واصله وراث اكلا لمّا ذا لمّ اي جمع بين الحلال
والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث من
حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره كلا ردع لهم عن ذلك وانكار وما بعده وعيد
عليه اذا دكت الارض دكا دكا دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا وجاء ربك اي
ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته والملك صفا صفا
بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون
الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر الانسان اي يتذكر
معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها واني له الذكرى اي منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على
عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي لحياتي هذه او وقت
حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى
ان كان ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله اي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم
القيمة سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائي ويعقوب
على بناء المفعول يا ايتها النفس المطمئنة على ارادة القول وهي التي اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى في سلسلة
الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته وتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك
او الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها ارجعي الى ربك الى امره او موعده بالموت ويشعر
ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة في عالم القدس او بالبعث راضية بما اوتيت مرضية عند الله
فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم او في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم فان الجواهر
القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلي في اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي اعدت لك عن
النبي صلعم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في ساير الايام كان له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وآيها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول فيه اظهارا لمزيد
فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك
ان تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابراهيم عليهما السلام

وما ولد ذريته او محمد صلعم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من بمعنى التعجب كما في قوله والله اعلم بما وضعت لقد
خلقنا الانسان في كبد تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال في
شدايد مبداها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول صلعم بما كان يكابده من
قريش والضمير في ايحسب لبعضهم الذي كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابي الاشد بن كلدة كان يبسط تحت
قدميه اديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزل قدماه او لكل احد منهم او للانسان ان لن يقدر عليه احد فينتقم
منه يقول اي في ذلك الوقت اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة
او معاداة للرسول ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله يراه فيجازيه
او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمايره وشفتين
يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين طريقي الخير والشر او
الثديين واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة فلم يشكر تلك الايادي باقتحام العقبة وهو الدخول في
امر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام في قوله وما ادريك ما العقبة
فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس و
لتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او
مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرأ
ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض
معناه انك لم تدرك كنه صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن
العتق والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط ساير الطاعات به وتواصوا بالصبر واوصى بعضهم بعضا
بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله اولئك اصحاب
الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على حق من كتاب وحجة او بالقرآن هم
اصحاب المشأمة الشمال او الشوم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى
عليهم نار موصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة
من آصدته عن النبي صلعم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها وضوءها اذا اشرقت و
قيل الضحى ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ان ينتصف والقمر اذا
تلاها تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر او غروبها ليلة البدر او في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جليها

جلي الشمس فانها تنجلي اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها والليل اذا يغشيها يغشى
الشمس فيغطي ضوءها او الآفاق او الارض ولما كانت واوات العطف نوايب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة
مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف
المقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين
مختلفين والسماء وما بناها ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشيء القادر
الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله والارض وما طحيها ونفس
وما سويها وجعل الماءات مصدرية تجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فالهمها فجورها وتقويها بقوله وما
سويها الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم
والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حاليهما والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكيها انماها بالعلم والعمل
جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم
بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم الآئه ليحملهم على
الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف
تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دسيها نقصها
واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسي دسس كتقضي وتقضض كذبت ثمود بطغويها بسبب طغيانها او بما اوعدت
به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله طغيا وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة
وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث حين قام ظرف لكذبت او طغوى اشقيها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن
مالأه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول
الله ناقة الله اي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقياها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم منه
من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة
مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسببه فسويها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير
او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقبيها اي عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقي بعض الابقاء والواو للحال
وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبي صلعم من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس
والقمر

سورة والليل مكية وآيها احدى وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى اي يغشى
الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر
والانثى والقادر الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحواء وقيل ما مصدرية ان سعيكم
لشتى ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت
المساعي والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد
فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب
بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها
فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا تردى
هلك تفعل من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او
بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين
ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها
لا يلزمها مقاسيا شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه
بقوله الذي كذب وتولى اي كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي
فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصليها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك
صليها ولا يخالف الحصر السابق الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى فانه بدل من يؤتي او حال
من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد باتيانه مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع
او متصل عن محذوف مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي
يرضيه والآيات نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم
ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن النبي صلعم من قرأ سورة الليل اعطاه الله حتى
يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى مكية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار
يقوى فيه او لان فيه كلم موسى ربه والقي السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة
بياتا والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة
المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ
بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل
ومراعاة للفواصل روي ان الوحي تأخر عنه عم اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره
سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا
عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه

لما بين الله تعالى انه لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعده ما هو اولى واعلى من ذلك في الآخرة او لنهاية امرك
خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل
لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل
الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون
المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كاين لا محالة وان تأخر لحكمة الم يجدك يتيما فاوى تعديد
لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما
مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال ووجدك ضالا عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحي و
الالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك
حليمة وجاءت بك لتردك الى جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى
بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس
في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها وقيل
المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبي صلعم من قرا سورة والضحى جعله الله ممن يرضى لمحمد ان
يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسايل سورة الم نشرح لك مكية واياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق
ودعوة الخلق وكان غايبا حاضرا او لم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل
او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روي ان جبريل اتى رسول الله
صلعم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق
ومعنى الاستفهام انكار نفي الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا عنك وزرك الذي
عباءك الثقيل الذي انقض ظهرك الذي حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل
وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من
ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان ورفعنا لك
ذكرك بالنبوة وغيرها واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى
عليه ملائكته وامر المؤمنين بالصلوة وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد
مبالغة فان مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع
والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تياس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى ان في

انه مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقارنين ان مع العسر يسرا تكرير
للتاكيد او استيناف وعدة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصايم فرحة ان للصايم
فرحة اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين
فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد او للجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد
بالاول فاذا فرغت من التبليغ فانصب فاتعب في العبادة او فاذا فرغت من الصلوة فانصب بالدعاء
والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اي رغب الناس
الى طلب ثوابه عن النبي صلعم من قرا الم نشرح لك فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني سورة والتين
مختلف فيها واياتها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون خصهما من
الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه
يلين الطبع ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث
انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع
مع انه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا دمشق
وبيت المقدس او البلدان وطور سينين يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء اسمان
للموضع الذي فيه وهذا البلد الامين اي الآمن من امن الرجل امانة فهو امين او المامون فيه يامن فيه من
دخله والمراد به مكة لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس في احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب
القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكاينات ونظاير ساير الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين
بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو النار وقيل ارذل العمر فيكون الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم
مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك فاي شيء يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين بالجزاء
بعد ظهور هذه الدلايل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذي يلجئك
على هذا الكذب اليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى اليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد
باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبي
صلعم من قرا سورة التين اعطاه الله تعالى العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه الله من الاجر
بعدد من قرا هذه السورة سورة العلق مكية واياتها عشر بسم الله الرحمن الرحيم
اقرا باسم ربك اي اقرا القرآن مفتتحا باسمه او مستعينا به الذي خلق اي الذي له الخلق او الذي

خلق كل شيء ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال
خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان في معنى
الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرأ
تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثاني للتبليغ او في الصلوة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا
بقاري فقيل له اقرأ وربك الاكرم الزايد في الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا غرض ويحلم من غير تخوف بل هو
الكريم وحده على الحقيقة الذي علم بالقلم اي الخط بالقلم وقد قرئ به ليقيد به العلوم ويعلم به البعيد علم الانسان
ما لم يعلم بخلق القوي ونصب الدلايل وانزال الايات فيعلمك القراءة وان لم تكن قاريا وقد عدد سبحانه
مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته
وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة
الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان راه استغنى اي راى نفسه واستغنى
مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب
للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارايت الذي
ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل قال لو رايت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل
له ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح
النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت تكرير للاول وكذا
الذي في قوله ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف
دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسيم له والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان
ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او امرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد او ان كان على
التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما نقول الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله
وقيل المعنى ارايت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى امر بالتقوى والناهي مكذب متول فما
اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة
والاخر اخرى وكانه قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى اتنهاه ولعله
ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لان النهي كان عن الصلوة والامر بالتقوى فاقتصر
على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل ولان نهي العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة
في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية

لناخذن

لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون
مشددة ولاسفعن وكتب في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد
ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية
والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطاء وهما لصاحبها على الاسناد المجازي فليدع نادية اي اهل
ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم روي ان ابا جهل مر برسول الله صلعم وهو يصلي فقال
الم انهك فاغلظ له رسول الله عم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية
ليجروه الى النار وهو في الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبني على النسب
واصلها زباني والتاء معوضة عن الياء كلا ردع ايضا للناهي لا تطعه واثبت انت على طاعتك واسجد
ودم على سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله
صلعم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله سورة القدر مختلف فيها وايها خمس
بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقران فخمه باضماره
من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي
انزل فيه بقوله وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدا بانزاله فيها او
انزل جملة من اللوح الى سماء الدنيا على السفرة ثم كان جبرئيل ينزله على رسول الله صلعم نجوما في ثلث وعشرين
سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها
ان يحيي من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف
اما للتكثير او لما روي انه عم ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت
اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة فيها باذن ربهم بيان لما له فضلت
على الف شهر وتنزلهم الى الارض او سماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة
وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضي
في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه
اي طلوعه وقرا الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي صلعم من قرا
سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر سورة لم يكن مختلف فيها وايها ثمان
بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى
فانهم كفروا في صفات الله ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد

باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تاتيهم البينة الرسول او القران فانه مبين للحق او معجز الرسول باخلافه
والقران بافحامه من تحدي به رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتداء يتلوا صحفا
مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبريل
وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا ياتي ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة
ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد في دينه او عن
وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على
الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على
شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا اي في كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلوة ويوتوا الزكوة
ولكنهم حرفوا وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
في نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيمة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين في جنس
العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقرا
نافع البرئة بالهمزة على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند
ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء
الموذن بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها
اضافة ووصفا بما يزداد لها نعيما وتاكيد الخلود بالتابيد رضي الله عنهم استيناف بما يكون لهم زيادة
على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم ذلك اي المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشي
ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير عن النبي صلعم من قرا سورة لم يكن كان يوم القيمة
مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها واياها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم
اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللايق
بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من
الدفاين او الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل
المراد بالانسان الكافر فان المومن يعلم ما لها يومئذ تحدث تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها
ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث او اصل
واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار

او نطقها

او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشفي من
العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم
وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم
وقرا هشام باسكان الهاء ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكباير يوثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة
بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة
او الهباء عن النبي صلعم من قرا اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القران كله

سورة العاديات مختلف فيها واياها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم
والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو وتضبح ضبحا وهو صوت
انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا بمعنى
ضابحة فالموريات قدحا فالتي توري النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات تغير
اهلها على العدو صبحا اي في وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فتوسطن
بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع او ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء روي انه عم بعث خيلا فمضت
شهر لم ياته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار
المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع
العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب
القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده
لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوي مبالغ فيه افلا يعلم اذا
بعثر ما في القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا في الصحف او ميز ما في الصدور من خير
وشر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال
ما ثم قال بهم لاختلاف شانهم في الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام عن النبي عم من قرا والعاديات اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية واياها عشر

بسم الله الرحمن الرحيم
القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة سبق بيانه في الحاقة
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة
وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذي الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو فاما من ثقلت
موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو في عيشة راضية في عيش ذات رضى اي مرضية واما من خفت
موازينه بان لم يكن له حسنة يعبا بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية فماواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك

قال الزجاج كلا ردع وتنبيه ... تنكره ... وتنبيه اي ارتدع زجرا وتنبه على الخطاء ... تمت

قال وما ادريك ماهيه نار حامية ذات حمي عن النبي صلعم من قراء سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مختلف فيها وايها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول

من لها اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة حتي زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الي المقابر فتكاثرتم

بالاموات عبّر عن انتقالهم الي ذكر الموتي بزيارة روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف

فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادّونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم وانما حذف الملهي

وما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم

مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت

كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف

تعلمون خطاء رأيكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد

وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم

اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم

ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع

بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقراء ابن عامر والكسائي بضم

التاء ثم لترونها عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلي مراتب اليقين تكرير للتاكيد

~~او الاولي اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولي المعرفة وبالثانية الابصار~~ ثم لتسالن

يومئذ عن النعيم الذي الهيكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم بما يشغله للقرينة وقيل

الاية مخصوصة بالكفار عن النبي صلعم من قرا الهيكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي

من الاجر كانما قرا الف اية **سورة العصر مكية وايها ثلث** بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف اليه

من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الانسان لفي خسران في مساعيهم وصرف اعمارهم في مطالبهم والتعريف

للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الاخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة

الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر

عن المعاصي او على الحق او بما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون

مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما

عدا ما عدّ يؤدي الي خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام في الخسر كرم عن النبي صلعم من قرا سورة العصر غفر الله له وكان

ممن تواصي بالحق وتواصي بالصبر **سورة الهمزة وايها تسع** مكية بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم

وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء

المفعول وهو المسخرة التي ياتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان

مغتابا او الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلعم الذي جمع مالا بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقراء

ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده وجعله عدة للنوازل او عدّه مرة بعد اخري ويؤيده

انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب ان ماله اخلده تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال

اغفله عن الموت او طول امله حتي حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي

للاخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها

وما ادريك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها الله وما اوقده

لا يقدر ان يطفئه غيره التي تطلع على الافئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد

الطف ما في البدن واشده تالما او لانه محل العقائد الزائغة ومنشاء الاعمال القبيحة انها عليهم موصدة مطبقة من

اوصدت الباب اذا اطبقته قال تحن الي اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة في عمد ممددة

اي موثقين في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي يقطر فيها اللصوص وقراء الكوفيون غير حفص بضمتين عن النبي

صلعم من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزاء بمحمد واصحابه **سورة الفيل**

مكية وايها خمس بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم

وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد اثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه راها وانما قال كيف ولم يقل ما

لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فانها من الارهاصات

اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول عم وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن

من قبل اصحمة النجاشي بني كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من

كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة

اخري فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه وقدم الفيل وكان كلما وجهوه الي الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الي

اليمن او الي جهة اخري هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من

الحمصة فترميهم فيقع الحجر على راس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم

وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معني الاستفهام الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل في

تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت
بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير
لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الكبير او
الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف ماكول كورق
زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب فراثته عن النبي
صلعم من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ سورة قريش مكية وايها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء
لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لساير نعمه فليعبدوه لاجل
ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون
ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي جعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش ويؤيده
انهما في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد نضر بن كنانة
منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها
تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وصغر للتعظيم واطلاق لايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقرا ابن عامر
لالاف بغير ياء بعد الهمزة فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع اي بالرحلتين والتنكير
للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام وامنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف
في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن رسول الله صلعم من قرا سورة لايلاف قريش
اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها سورة الماعون مختلف فيها واييها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت استفهام معناه التعجب وقرئ اريت بلا همزة الحاقا
بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها وارايتك بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين
بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا
وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسال من مال نفسه فدفعه او ابو سفين نحر جزورا
فساله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك
ولا يحض ولا يحث اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء
فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن يرون الناس اعمالهم
ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة

باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي
هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل او للسببية على معنى
فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي صلعم من قرا سورة
ارايت غفر له ان كان للزكوة مؤديا سورة الكوثر مكية وايها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط من العلم والعمل وشرف الدارين وروي عنه عليه السلام انه
نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد
حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظما من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء
امته او القران فصل لربك فدم على الصلوة خالصا لوجه الله تع خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه
فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا
لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلوة بصلوة العيد
والنحر بالتضحية ان شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل
ولا حسن ذكر واما انت فيبقى ذريتك وحسن صيتك واثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الاخرة
ما لا يدخل تحت الوصف عن النبي صلعم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب عشر
حسنات بعدد كل قربان قربه العباد يوم النحر سورة الكافرين مكية وايها ست
بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون
روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اي
فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم
عابدون ما اعبد اي فيما يستقبل لانه في قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما سلف ولا انتم عابدون
ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت
ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله
وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل انها مصدرية
وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان لكم دينكم الذي انتم عليه لا تتركونه ولي ديني الذي انا
عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا باية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة
وتقرير كل من الفريقين الاخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعادة وقرا نافع وحفص وهشام
بفتح الياء عن النبي صلعم من قرا سورة الكافرون فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين

وبريء من الشرك سورة النصر مدنية وآيها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله المؤمنين وفتح مكة وساير البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فيقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وساير قبايل العرب ويدخلون حال على ان رايت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب حامدا له على ما اوفصل حامدا له على نعمه روي انه لما دخل مكة بدا بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عم اني استغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رايت شيا الا ورايت الله قبله انه كان توابا لمن استغفر مذ خلق المكلفين والاكثر ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعي لرسول الله صلعم لانه لما قراها بكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله تعالى اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا سورة اذا جاء اعطي من الاجر كمن شهد مع يوم فتح مكة سورة تبت مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدي الى الهلاك يدا ابي لهب نفسه كقوله تع ولا تلقوا بايديكم وقيل انما خصتا لانه عم لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخرته وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله او ليجانس قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وقرا ابن كثير باسكان هاء لهب وتب اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه قراءة وقد تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن نفسه ما اغنى عنه ماله نفي لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحلها النصب وما كسب وكسبه او مكسوبه بماله من النتايج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك نتنا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه سيصلى

نارا ذات لهب اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا وامراته عطف على المستكن في سيصلى او مبتدا وفي جيدها الخبر وهي ام جميل اخت ابي سفيان حمالة الحطب يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول عم وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها في الليل في طريق رسول الله صلعم وقرا عاصم بالنصب على الشتم في جيدها حبل من مسد اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشانها او بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي صلعم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع بينه وبين ابي لهب في دار واحدة سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها اربع بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العايد لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي سالتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد في قل يا ايها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرين مشاقة الرسول وموادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى الله الصمد السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى والدليل عليها لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله او ليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد اي ولم يكن احد يكافيه اي يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة لكن لكن لما كان المقصود نفي المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلث بالعاطف لان المراد منها نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرا حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفؤا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة

مع قصرها جميع المعارف الالهية والرد على من ألحد فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القران فان مقاصده محصورة
في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبي صلعم انه
سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه اي يفرق عنه
كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تع فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج
من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه
من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيمة والاشعار بان من قدر ان
يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ الرب هنا اوقع من ساير اسمائه
لان الاعاذة من المضار تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان
عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالظلم والكفر وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم
ومن شر غاسق ليل عظم ظلامه من قوله تع الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت
دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها اذا وقب دخل ظلامه في
كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف
فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف ومن شر النفاثات في العقد ومن شر النفوس او النساء السواحر
اللواتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر
النبي صلعم احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه السلام ونزلت المعوذتان واخبره جبرئيل
بموضع السحر فارسل عليا رضه فجاء به فقراهما عليه فكلما قرا آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب
ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد
ابطال عزايم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف
لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد ومن شر حاسد اذا حسد اذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه
فانه لا يعود ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة في
اضرار الناس بل الحيوان ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات
النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلث وبالحاسد
الحيوان فانه يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة
عن النبي صلعم لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرا سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما
يعني المعوذتين

سورة الناس مختلف فيها وآيها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ قرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس لما كانت الاستعاذة
في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من
الاضرار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثمه وخصصها بالناس ههنا فكانه قيل
اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم ملك الناس اله
الناس عطف بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه
حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى
عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات كل شيء
له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل على انه المستحق للعبادة لا غير واندرج فيه وجوه
الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم آفة المستعاذ
منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان من شر الوسواس الخناس
اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس سمي
بفعله مبالغة الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتاخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس
في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل في المقدمات
فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب
او الرفع على الذم من الجنة والناس بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس اي
يوسوس في صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم
القبيلتين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي كقوله يوم يدع الداع فان
نسيان حق الله يعم الثقلين عن النبي صلعم من قرا المعوذتين
فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى وقد تم بتوفيق



الوهاب ملهم الحق والصواب والصلوة و
السلام على من بعث بالبشارة والانذار



وعلى آله الكرام الابرار واصحابه
الاخيار

